



کتابخانه ملی و اسناد ملی ایران
موسسه اسناد ملی - تهران
مرکز تحقیق و پژوهش

کتاب

صید الکشی

فی صفت بصر الانسا

ابن القیّام ابن اسلم بن علی القشیری

تقریباً ۱۱۰۰ هجری - ۱۱۰۰ هجری

کتابخانه ملی و اسناد ملی ایران

الفهرست

کتابخانه ملی و اسناد ملی ایران
موسسه اسناد ملی - تهران
(۱۳۷۰ هجری - ۱۳۷۰ هجری)

کتاب

صبح الاغشی
فی صنایع الانسا



کتابخانه و اسناد ملی جمهوری اسلامی ایران

الإدارة المركزية للمراكز العلمية

مركز توثيق التراث

کتاب

صبح الاكشى

في صناعت الانشا

لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي

ت: ٨٢١ هـ - ١٤١٨ م

الجزء الحادي عشر

الطبعة الثالثة

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م)

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

رئيس مجلس الإدارة
أ.د. محمد صابر عرب

القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري ١٣٥٥ - ١٤١٨ .
صبح الأعشى في صناعة الإنشاء/ تأليف أبو العباس
أحمد بن علي القلقشندي .. ط ٣ .. القاهرة: دار الكتب
والوثائق القومية، الإدارة المركزية للمراكز العلمية، مركز
تحقيق التراث، 2010-

مع ١١ : 29 سم.

يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية.

تدمك 6 - 0722 - 18 - 977

١ - الإنشاء الأدبي (أدب عربي)

٢ - البلاغة العربية

١ - العنوان

٨١٠.٨٠٢٢

إخراج وطباعة:

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

لا يجوز استنساخ أي جزء من هذا الكتاب بأي
طريقة كانت إلا بعد الحصول على تصريح كتابي
من الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

www.darelkotob.gov.eg

رقم الإيداع بدار الكتب ٩٧٧٨ / ٢٠١٠

I.S.B.N. 977 - 18 - 0722 - 6

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وآله وصحبه

الفصل الثانى^(١)

من الباب الرابع من المقالة الخامسة

(فيما يُكْتَب من الِوَلَايَات عن الملوك ، وفيه [ثلاثة] أطراف)

الطَّرَف الأول

(فى مصطلح كُتِّبَ الشَّرق)

قد تقدّم فى الكلام على ما كان يُكْتَب عن الخلفاء أَنَّ الِوَلَايَاتِ فى الخلافة العباسية ببغداد كانت تَصْدُر عن الخُلَفَاء دُونَ الملوك المُسَاهِمِينَ لهم فى الأمر ، لا يُسَارِ كونهم فى شىء من الِوَلَايَات أصلاً . وقد تقدّم ذكر ما كان يكتب عن خلقائهم من الِوَلَايَات هناك .

والمقصود هنا ما كان يُكْتَب عن ملوك بنى جَنْجَرخان من البيت الهولاكوى فَنَ بَنِيهِمْ . ولم أَقِفْ على شىء من مصطلحاتهم فى ذلك فأوردته هنا .

(١) وقع سهواً فى آخر الجزء العاشر أن أزل الجزء الحادى عشر "الفصل الثالث" وصوابه "الثانى"

الطرف الثانى

(فى مصطلح كُتَابِ الْغَرْبِ وَالْأَنْدَلُسِ فيما يَكْتَبُ من الْوَلَايَاتِ عن الْمُلُوكِ)
 وَأَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَعْبَرُونَ عَمَّا يَكْتَبُ فى جَمِيعِ وَلَايَاتِهِم بِالظُّهَارِ: جَمْعُ ظُهُيرٍ ^(١)، يَفْتَحُونَهُ
 بِلفظ «هَذَا ظُهُيرٌ» كما تَقْدَمُ بَيَانُهُ فى الْكَلَامِ عَلَى مَا كَانَ يَكْتَبُ عَنْ خُلَفَاءِ الْمَغْرِبِ .
 ثُمَّ هِىَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرَبَ :

الضرب الأول

(مَا يَكْتَبُ لِأَرْبَابِ الْوُظَائِفِ مِنْ أَصْحَابِ السُّيُوفِ)
 وَهَذِهِ نَسْخَةُ ظُهُيرٍ بِنَايَةِ السَّلَاطَنَةِ بِالْحَضْرَةِ مِنْ إِنْشَاءِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
 الْخَطِيبِ، وَهِيَ :

هَذَا ظُهُيرٌ كَرِيمٌ، مَثَرْتُهُ فى الظَّهَائِرِ مِثْلَةُ الْمُعْتَمِدِ بِهِ مِنَ الظُّهَرَاءِ، وَمَحَلُّهُ مِنَ
 الصُّكُوكِ، الصَّادِرَةِ عَنْ أَعَاضِمِ الْمُلُوكِ، مَحَلٌّ أَوَّلَى الرِّايَاتِ، الْخَافِقَةِ الْعَدَبَاتِ،
 وَالْآرَاءِ . فَتَحَّ عَلَى الْإِسْلَامِ، مِنْ بَعْدِ الْإِهْلَامِ، أَبْوَابَ السَّرَّاءِ، وَرَاقَى طِرَازًا مُنْهَبًا
 عَلَى عَاتِقِ الدَّوْلَةِ الْغَرَّاءِ، وَأَعْمَلَ عَوَامِلَ الْجِهَادِ فى طَاعَةِ رَبِّ الْعِبَادِ، شَارِعَةً لِأَهْلِ
 الْكُفْرِ وَالْعِتَادِ، مِنْ بَابِ الْإِعْمَالِ وَالْإِغْرَاءِ .

أَمْرٌ بِهِ فَلَانٌ لَصَدْرٍ صُدُورِ أَوْدَانِهِ، وَحُسَامِهِ الْمَشْهُورِ عَلَى أَعْدَائِهِ، وَوَلِيَّهُ الَّذِى
 خَبَرَ صِدْقَ وَفَائِهِ، وَجَلَّى فى مِضْهَارِ الْخُلُوصِ لَهُ مُغْبَرًّا فى وَجْهِهِ أَكْفَانِهِ . شَيْخُ شُبُوحِ
 الْمَجَاهِدِينَ، وَقَائِدِ كِتَابَةِ الْمَنْصُورَةِ لَغَزْوِ الْكَافِرِينَ وَالْمُعْتَدِينَ، وَعُدَّتِهِ الَّتِى يُدَافِعُ بِهَا
 عَنِ الدِّينِ، وَسَائِقِ وَرِيدِهِ الْمُبَرِّزِ فى الْمِيَادِينِ، الشَّيْخُ الْأَجَلُّ الْأَعَزُّ الْأَسْنَى، الْأَجْمَدُ،

(١) فى اللسان وغيره "الظهير العون يستوى فيه الواحد والجمع". وقد جمعه الفراء على ظهراء . وفى شرح
 الأشرقى عن بعض النحويين أنه يشترط فى جمع ضليل على فاعل أن يكون علما مؤنثا . تأمل .

الأُسَمدُ ، الأَصمدُ ، الأُخى ، الأُخى ، الأَحَب ، الأَوْصل ، الأَفْضل ، المجاهد ،
الأَفْضى ، الأَرْضى ، الأَمْضى ، الشهيد ، المقدّس ، المرحوم أبى عبد الله بدر الدين
أبن شيخ الشيوخ وعلم الأعلام ، المدافع عن حوزة الإسلام ، البعيد الغارة فى عُقُوم
عَبدة الأصنام ، الشيخ الكبير ، الحليل الخطير ، الرفيع ، الصّدر ، المعظم ، الموقر ،
صاحب الجهاد الأرضى ، والعزم الأَمْضى ، المقدّس ، المرحوم أبى عَمْران (موسى)
أبن أبى زيد رحوبن محيوبن عبدالحق بن محيوب ، وصلّى الله سَعْدَه ، وحَرَسَ مجده ،
وبلّغه من مظاهرة دولته وموازرة خلافته قَصْدَه . رَفَعَ قُبْسة العناية والاختيار
على عِمّاد ، وأشاد بدعوة التعظيم [مُسَمِّعاً ^(١)] كُلِّ حَىٍّ وَجَمَاد ، وقابل السقى الكريم
بإخماد ، وأورد من البرّ غير عِمّاد ، واستظهر بالوفاء الذى لم تستر ناره برّاد ،
ولا قصرت جباهه عن بلوغ آماد ؛ وَقَلَّدَ سيف الجهاد عاتق الحسب الألباب ، وأطلق
يدى الاستظهار بأوثق الأسباب ، واستغلّظ على الأعداء بأحبّ الأحاب .
لَمَّا قامَتْ له البراهين الصادقة على كَرَمِ شيمه ، ورُسُوخ قَدَمه ، وجَنَى منه عند
الشّدّة والتمحيص ثمرة ما أولاه من نِعَمه ، قابل بالرغى كرائم دِمَمه ، وعظائم خِدَمه ؛
وشدّ اليَدَ على عهدِه الذى عرفه حين أنتكثت العُقْد وأخْلَقَ المَعْتَدّ ، وأسأَسَدَ
النّقد ، ^(٢) وتَسَكَّرَ الصديق ، وفَرَّقَ الفَرِيق ، وسُدَّتْ على النّظرة الطّريق ، وتميز المفرق
والفرّيق ؛ فانقل له ميزان المكافات ، وسجّل له رَسَمَ المُصافات ؛ وجعله يمين المُلْك
الذى به يُناضل ، ويقاطع ويواصل ؛ وسيف الجهاد ، الذى يحى بمضائه حوزة
البلاد ، ومِرْاة النّصح التى تَجَلّى بها وجوه الرّشاد . فقَدَمه - أعلى الله قَدَمَه ، وشكّر

(١) الزيادة عن "ريحانة الكتاب" لابن الخطيب .

(٢) النقد بالتحريك السفلى من الناس ، وضرب من الفم تصار الأرجل قباج الوجوه يقال هو أذلّ من
النقد . أنظر اللسان .

نِعْمَه ، وأسعده فيما يُمِمْه ، ونَشَر بالنصر علمَه - شيخُ الفزاة بحضرته العليّه ، وسائر بلادِ النصرية : ترجعُ القبائلُ والأشياخُ إلى نظره في السكّات ، وتُسْتَدْر على يده من مقامه الكريم غيومَ البركات ؛ وتُتَزَر وسائلها بوساطة خطوته ، وتَقْصُر خطاها أعترافاً بحقه الواجب عن خطوته . فعليه تدورُ أفلاكُ جماعاتهم كُلِّها اجتمعوا وأُتْلِفُوا ، وبمحبة فضله يزولُ إشكالُهما أختلَفُوا ؛ ولسانيه المبين يقرّر لهم ما أَسْلَفُوا ، وفي كَنَف رعيه ينشأ من أعقابها من النشأة وخلقها ؛ وبإقدامه تنهضُ أقدامهم مهما توقّفوا . فهو يتسبّب كتابهم الملتفه ، وفرزان قطعهم المصطفاه ؛ وشهْم جوارحهم الفارجه ، وعَيْنُ عيونهم النّابه ، وتأويلُ أمورهم المتشابه ؛ عن نظره يَرِدُون ويصدرون ، وبإشارته يَرِيسُونَ وَيَرُون وآثاره يَتَقَفُونَ ، ويتلّعه دوّاره المربّى في خدمة مقامه النصرى يَقِفُونَ . فهو الذى لا تأنفُ أشرافُ القبائل من أقتفاء آثاره ، ولا تجهل رِفعة مقداره ؛ فليته المزيّة بالحق ، المستوجبة للفخر بسابقة السعادة لعبد الحق ؛ ولذاته قَصَبُ السبق ، ولوقاته الشهرة في الغرب والشرق .

فليتولّ ذلك - تولاه افتد منشراحاً بالعز صدره ، مستمداً من شمس سعادته بذره ، معروفاً حقه معظماً قدره ؛ فهى خُطّة قومه ، وفريسة حومه ، وطية أمسه ويومه ؛ وكُفّ خطبته ، وسرى رُبّته ؛ وحلى جيده ، ومظهرُ توفيقه وتسديده . مُطْلَقاً من عنان النّناء ، على أهل الغناء ، معاملاً بصادق الإطراء ، لذوى الآراء ؛ متغصداً بالإغضاء ، حقّواتِ أهل آلخضاء ؛ معرّفاً بالقبائل ، والعشائر والقصائل ؛ كُتْمًا وفدواً من الآفاق للاستلحاق ؛ منبهاً على مَظَانِّ الاستحقاق ، مُطَبّقًا للطباق ، ميمّا لجياها يوم السّباق ؛ حريصاً على إماء الأعداد ، مطبّقاً مفاصل الشّراد ؛ محتاطاً على الأموال التى تتمرّى

بها أكف الجباية ضُرُوع العباد، واضفًا مَال الله حيثُ وضعه ألحق من الورع والاستداد، [لا] سِما في هذه البلاد؛ حتى تعظم المزايا والمزاين، وتتوفر الكتابُ والخزائن ويتنفع السامعُ ويسرُّ المعالجُ؛ ويظهر الفضلُ على من تقدم، وأنَّ الظهراءَ تَمَّ غادرت من متردِّم، ويتحصَّر من قَصْر ويتندم، وعند الله يَجِدُ كُلُّ ما قدم . فهي قِلادةُ الله التي يُضَيِّع مَنْ أضعاعها، ويرضى عمن أعمل فيها أوامرَه وأطاعها . وهو، - وصلَّ الله سعادته ! وحرس مجادته ! - أولى من لاحظ ضرائرها، وأستطلع من شأيا التوكل على الله بشارها : نَسَبًا وحسبًا ، وجدًا وأبًا ، وحدًا وشبًا ، ونجدةً وصحَّةً ملُعبًا .

وعلى الفُزاة - وفَرَّ الله جموعهم ! وأنجَد تابعهم ومتبوعهم ! - أن يعرفوا قدرَ هذا التعظيم الذي خفقت أعلامه، ووصَّحت أحكامه، والاختصاص الذي لُطف محله، والاعتناء الكرم الذي ضَفَا ظله ؛ فيكونوا من إيجاب حقِّه حيثُ حدَّ ورسم ، ويمزُّ ووسم ؛ لا يتخلَّف أحد منهم [في خدمته] ^(١) أيده الله عن إشارته الموقَّعة ، ولا يَشِدُّ عن رياسته المطلقة ؛ بحول الله تعالى وقُوَّته .



وهذه نسخة ظهير بناية السلطنة ببعض الأعمال، وهي :
هذا ظهيرٌ كريمٌ، مضمَّنهُ استجلاءً لأُمُور الرعايا واستِطلاعاً، ورعايةً كُرِّمت منها أجناسٌ وأنواعٌ؛ وعدلٌ بهر منه شُعاعٌ، ووصاياٌ يجب لها إعطاعٌ .
أصدرناه للفقير أبي فلان . لكَّا تقررَ لدينا دينُه وعدله وفضله رأينا أنه أحقُّ من نُقلده المُهمَّ الأَكِيد، وزَيَّي [به] من أغراض البرِّ الفَرَض البعيد؛ ونَسْتَكشِف به

(١) في "ريحانة الكتاب" التي لا يضيع من أضعاعها، ويرقى صاعها .

(٢) الزيادة من "ريحانة الكتاب" .

أحوال الرعايا حتى لا يغيب عنا شيء من أحوالها، ولا يتطرق إليها طارق من إهمالها،
وينهى إلينا الحوادث التى تنشأ فيها إنهاء يتكفل بجياطة إشارها وأموالها .
وأمرناه أن يتوجه إلى جهة كذا - حاطها الله - فيجمع الناس في مساجدهم، وينبهم
من مشاهدتهم . ويسدأ بتقرير غرضنا في صلاح أحوالهم، وإحساب آمالهم،
ومكابدتنا المشقة في إدارة عدوهم الذى يعلم من أحوالهم ما غاب عنهم - دفعه الله
بقدرته، ووفى قوسهم وحريمهم من مآزيره - وبما رأينا من آتيات الأسباب التى
فيك تؤمل، وعجز الحيل التى كانت تعمل . ويستدعى إيجابهم بالدعاء، وإخلاصهم
فيه إلى رب السماء . ويسأل عن سيرة القواد، وولاء الأحكام بالبلاد : فمن نالته
مظلمة فليرفعها إليه، ويقصها عليه : ليبلغها إلينا، ويوفدها مقورة الموجبات علينا .
ويختبر ما أقرض صدقة للجبيل، وما فضل عن كريم ذلك العمل : ليعين لبناء
الحصن يجبل قارة يسر الله لهم في إتمامه، وجعل صدقتهم تلك مسك ختامه،
وغيره مما أقرض إمانه للسافرين، وإنجاءاً للجهاد الكافرين؛ فيعلم مقدارَه،
ويتولى اختبارَه؛ حتى لا يئحل منه شيء على ضعيف، ولا يعدل به لمشروف
عن شريف، ولا تقع فيه مضايقة ذى الجاه، ولا تخادعة غير المراقب لله . ومتى
تحقق أن غنياً قُصر به فيه عن حقه، أو ضعيفاً كُلف منه فوق طوقه، فيجبر الفقير
من الغنى، ويحرى من العدل على السن السوى - ويعلم الناس أن هذه المعونة
وإن كانت بالنسبة إلى محل ضرورتها يسيرة، وأن الله يضاعفها لهم أضعافاً كثيرة؛
ليست مما يلزم، ولا من المآون التى بتكررها يُحزم - وينظر في عهود المتوفين
فيصرها في مصارفها المتعينة، وطرقها الواضحة البينة - ويتفقد المساجد تفقداً يكسو

عاريها ، ويَتَمُّ منها المآربَ [نمجا] يُرضى باريها - ويندُبُ الناس إلى تعليم
القرءان لصبيانهم ، فذلك أصلُ أديانهم . ويحذِّروهم المغيب عن كل شيء من
أعشارهم فالزكاةُ أختُ الصلاة وهما من قواعد الإسلام ، وقد آخَرْنَا لَمْ يَقْصَى الْخَدَّ
والاعترام ، ورفعنا عنهم رسمَ التعريف نظراً إليهم بدين الأهتمام ، وقدمنا الثقات
لهذه الأحكام ، وجعلنا الخرصَ شرعياً في هذا العام ، وفيما بعده إن شاء الله
من الأعوام .

ومن أهم ما أسندناه إليه ، وعولنا فيه عليه ، البحثُ بتلك الأخواز عن أهل
البدع والأهواء ، والسائرين من السبيل على غير السواء ، ومن ينبز بفساد العقْد ،
وتحريف القصد ، والتلبس بالصوفيَّة وهو في الباطن من أهل الفساد ، والذاهبين
إلى الإباحة وتأويل المعاد ؛ والمؤلفين بين النساء والرجال ، والمتبعين للمذاهب
الضلال . فهما عثر على مُطَوَّق بالتهمة ، منبِّئ بشيء من ذلك من هذه الأئمة ؛ فليشدَّ
وثاقه شتاء ؛ وليشدَّ عليه سبيل الخلاص سداً ؛ ويستريح في شأنه المُوجَّبات ،
ويستوعب الشهادات ، حتى ننظر في حتمِّ دائه ، ونعالج المرض بدوائه ؛

فلينزل ما ذكرنا نائباً بأحسن المتأب ، ويقصد وجه الله راجياً منه جزيل الثواب ،
ويعمل عمل مَنْ لا يخاف في الله لومة لائم ليجد ذلك في مواقف الحساب ؛

وعلى من يقف عليه من القواد والأشياخ والحكام أن يكونوا معه يداً واحدة على
ماقرئنا في هذه الفصول : من العمل المقبول والمنل المبذول . ومن قصر عن غاية
من غاياته ، أو خالف مقتضى من مقتضياته ، فعقابه عقاب من عصى أمر الله
وأمرنا فلا يلومن إلا نفسه التي غرت ، وإلى مضرع التكبير جرته ، والله المستعان .



وهذه نسخة ظهير بالإمرة على الجهاد ، وهى :

هذا ظهير كريم بلغ فيه الاختيار، الذى عضده الاختبار^(١)، الى أقصى الغاية؛
وجمع له الوفاق، الذى خدمه البحث والاتفاق، والأهلية التى شهدت بها الآفاق،
بين نصح الرأى ونصر الرايه ؛ وأنجحت به مقدمات الولاء نتيجة هذه الرتبة السامية
العلاء والولاية . واستظهر من المعتمد به ؛ على قصده الكريم فى سبيل الله ومذهبه،
بليث من كيوت أوليائه شديد الوطأة على أعدائه والنكايه، وفرج من فروع الملك
الأصيل معروف الأبهة والإباهه ؛ لتتضح حجة النصر العزيز والفتح المبين ذى القوة
المتين محكمة الآيه ، وتدل بداية هذه الدولة الرافعة لعالم الدين، المؤيدة فى الأقوال
والأفعال بمدد الروح الأمين ، على شرف النهاية .

أصدر حكمته وأبرز حُجَّته ، وقرر حده الماضى ورسمه ، عبد الله ، الفنى بالله
[محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبى الوليد بن نصر]^(٢) - عضد الله كتابه وشد عضده،
ويسر فى الظهور على أعداء الله قصده - لوليّه المستولى على مبادئ خطوته وإيثاره،
الفائز بالقدح المثل من إجلاله وإكباره؛ ظهير استنصاره، وسيف جهاده المقتد
ليصدق ضربته ويوم اقتضاه، ويسوي قبائل الفزاة بأصقاعه الجهادية وأقطاره؛
الأمير أبى عبد الرحمن، أبى الأمير أبى على، أبى السلطان أمير المسلمين أبى سعيد،
ابن أمير المسلمين أبى يوسف يعقوب بن عبدالحق - وصل الله له أسباب سعده،
وأنجز للمسلمين بمظاهرة إياه على الكافرين سابق وعده، لما وفد على بابه الكريم

(١) فى ريجانة الكتاب « بلغ فيه الاختيار والتايه والاختبار الى » الخ .

(٢) الزيادة "من الريانة" .

(١) مؤثراً على ما كان بسبيله عن جواره، ملقياً بحملة الجهاد عصاً تسياره، مفضلاً ما عند الله على رغب أوطانه وأقطاره؛ شيةً من أسرع إلى خير الآخرة يبدّاره، قبل اكتمال هلاله وإبداره، وعلى أنبياء أمله وتراى همه واستقامة مداره - قابل أيده الله وقادته بالقبول الممدوح، والصّدر المشروح، والعناية العالية المظاهرة والصّروح؛ وجعل له الشرب المهيّ في متاهل الصنائع التي صنع الله للملك والفتوح؛ ولم يذخر عنه تقريباً يقف الأولياء دون مداه، وترفعاً تشهد به محافل الملك ومنداه؛ إلى أن ظفرت بحقيقة الموالاة الكريمة يذاه، ثم استظهر به على أعداء الله وعداه، فوقّ الصبح لله وأذاه، وأضمره وأبداه، وتحلّى بالبسالة والجلالة والطهارة، اللاتقية بمنصب الإمارة، في رواجه ومقداه؛ حتى اتفقت الأهواء على فضله وعفائه، وكال أوصافه وظهرت عليه عجائب أسلافه - ثم رأى الآن - سدد الله رأيه، وشكر عن الإسلام والمسلمين سعيه - أن يوفد ركائب الاعتقاد الجميل على جنابه، ويُفسّح ميدان الاستظهار بحسن منابه، ويصل أسبابه بأسبابه؛ ويضاعف بولائه الصادق أهتاه، ويقيم في قود عساكره لجهاد البرّ مقامه؛ فأخضى ملابس وده عليه، وجعله فاتح أبواب الجنة بفضل الله بين يديه؛ وأجراه مجرى عضده الذي تصلّق عنه الضريبة في الجبال، وسيفه الذي يُفرّج به مضائق الأهوال؛ ونصّبه للقبائل الجهادية قبلة في مناحية الله ومناحية مشروعه، ورأيه سعيدة في مظاهرة متبوعه؛ وعقد له الولاية الجهادية التي لا تُعطل بولايه، ولا توازن غاية المعتمد بها بينايه؛ يشهد بصراحة نسبها الدين، وتحتلّ بجلى غرّتها الميادين - فالجهاد في سبيل الله بحملة نبي الأمّة، ومن بعده من الأعمه؛ لاسيّما في هذا القطر المتأكد فيه ذلك لأولى الدّين والهمّة .

فليتول ذلك تولى مثله وإن قل وجود مثله ، جاريًا على سنن تجده وفضله ، سائرًا من رضا الله على أَوْحَى سُبُلِهِ ، معتمدًا عليه فى الأمر كله .

وَلْيَعْلَمْ أَنَّ الذى يَخْلُق ما يشاء ويختار قد هَيَّأَ له من أمره رشدًا ، وسَلَكَ به طريقًا سَدَدًا ، واستعمله اليومَ فيما يُحِيطُ به غداً ، وجعل حَفْظَهُ الذى عَوَّضَهُ نُورًا وهُدًى ، وأبعد له فى الصالحات مَدًى - ولينظر فيما لديه من القبائل الموقورة ، والجموع المؤيدة المنصورة ؛ نظرًا يُزِيحُ الغُللَ ، ويبلغُ الأملَ ، ويرعى الحملَ ، ويحسنُ القولَ ويُفصحُ العملَ ؛ مَنبهاً على أهلِ الفَناءِ والأَسْحَاقِ ، مستنيرًا للعوائد والأرزاق ، معرفًا بالفرءاء الواردين من الآفاق ، مُطِيقًا منهم للطبائِقِ ، متفهمًا للهَفَواتِ بحسن الأخلاقِ ؛ مستجيبًا للأسلحة والكُرَاعِ ، مبادِرًا هِيعَاتِ الصَّرِيخِ بالإشْرَاعِ ؛ مسترعياً للشُورةِ التى يَقَعُ الحُكْمُ فيها عن حصول الإجماع ، رفيقًا بمن ضُغِفَ عن طُولِ الباعِ ، محتاطًا على الإسلام فى مواقف الدَّفَاعِ ، مُقَدِّمًا عند أَتْجَاهِ الأَطْباعِ ؛ صابرًا فى المضايِقِ على القِرَاعِ ، متقنًا للأبطال بالأصْطِناعِ ، مقابلًا نصائحَ أُولَى الحِجْرَةِ بِحُسْنِ الاستماعِ ، مستعملًا فى الحروب ما أجازهُ الشرعُ من وُجُوهِ الحِدَاعِ ؛ حتَّى يكونَ عمله وفق شُهْرَتِهِ البعيدَةِ المَطَّارِ ، وسيرتُهُ فيما أُسْنَدَ إليه مَثَلًا فى الأَمْطَارِ ، واستقامةُ التدبيرِ على يديه ذريعةً إلى إرغامِ أنوفِ الكُفَّارِ ؛ بقوةِ الله وحوله ، وعزِّته وطَوْلُهُ .

وعلى الفُرَاةِ بالحضرةِ العلية ، وسائرِ البلادِ النَّصْرِيَّةِ ؛ من بنى مَربِيعَ ، وسائرِ القبائلِ المجاهدين ، أن يعرفوا قدرَهُ ، ويمتثلُوا فى مرضاتنا أمرَهُ ؛ ويكونُوا معه رُوحًا ويدا

(١) السدد التقصد والاستقامة والسدد أيضا مقصور عن السداد . انظر اللسان .

(٢) الحمل اسم جمع لامل لأن فاعلا لا يكسر على فعل ونظيره راح وروح . انظر اللسان .

(٣) الكراع كقرا ب جماعه الخيل . والهمة الصوت تفرع منه وتمخذه من عدد . انظر القاموس .

وجَسَدًا، وساعداً وعَضُدًا؛ فبذلك يسمُّه من الله ومن مقامنا الرضا والقبول، والعزُّ
الموصول؛ ويُعْطَى في مدوّقه النُصُول، ويتأبَّى على خير الدنيا والآخرة الحُصُول،
إن شاء الله . ومَن وقف عليه ، فليعرف ما لديه ؛ بحول الله تعالى .



وهذه نسخة ظهير بالتقدمة على الطبقة الأولى من المجاهدين، لولد السلطان،
وهى :

هذا ظهيرٌ كريمٌ، فاتَّحَ بنشر الألوية والبُود، وقوّد المساكر والجنود؛ وأجالَ
في مِدارِ الوجود، جِبادَ البأس والجُود؛ وأضفى سِترَ الحِماية والوقاية بالتهائم
والنُجود، على الطائفين والعاكفين والرُّكع السُجود - عقدَ للعتِمَة به عقدَ التشريف
والقدر المُنيف زاكِي الشُّهود؛ وأوجب المتافسة بين مجالس الشُّروج ومَضاجيع
المُهود، وبشَّر السيوف في القُمود، وأنشأ رِيحَ النصرِ أَمْسَةً من الخُمود - أمضى
أحكامه، وأهد العِزَّ أَمَامَه، وقَتَحَ عن زهر السُّرور والخبور أكرامه، أميرُ المسلمين
عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبى الحجاج يوسف ابن مولانا أمير المسلمين
أبى الوليد فرج بن نصر - أيد الله أمره، وخلدَ ذكره - لكبير ولده، وسابق أُمده،
ورِيحانة خَلَدَه، وياقوتة الملك على يده؛ الأمير الكبير، الطاهر الظاهر، الأصل،
واسطة السلك، وهلال سماء المُلْك، ومِضباح الظلم الحُلْك، ومِظَنَّةِ العناية الإلهية
من مدبِّر الفلك ومُجرى الفلك؛ عُنوانِ سعِده، وحُسامِ نصره وعَضُدِه؛ وسميَ
جَدَه، وسلالةِ فضله ومجده؛ السعيد، المظفر، الهمام، الأعلى، الأمضى، العالم،
العادل، العامل، الأرضي، المجاهد، المؤمل، المعظم، أبى الحجاج يوسف - ألبسه
الله من رضاه عنه حُللاً لا تُحْتَقى جِلَّتْها الأيام، ولا تبلغُ كُنْهَها الأَقْهَام؛ وبلغه
في خِدمته المبالغ التي يُسرُّها الإسلام، وتُسبِّح في بحار صنائعها الأقلام، وحرص

معاليه الباهرة بعينه التى لا تآم، وكنفه بركنه الذى لا يضام - فهو الفرع الذى جرى بمخضله على أصله، وأرسم نصره فى نصله، واشتمل جلده على فضله، وشهدت ألسن خلاله، برفعة جلالة، وظهرت دلائل سعادته، فى بدء كل أمر وإعادته .

ولما صرف وجهه إلى ترشيحه لاقتراع هضاب المجد البعيد المدى، وتوشيعه بالصبر والحلم والبأس والتسدى، وأرهف منه سيفاً من سيوف الله لضرب هام العدا، وأطلعه فى سماء الملك بذر هدى، لمن راح وعدا؛ وأخذ بالآداب التى تقيم من النفوس أودا، وتبدر فى اليوم فتجنى غدا، ورقاه فى ربّ المعالى طورا فطورا، رقى النبات ورقا ونورا، ليجده بحول الله يدا باطشة على أعدائه، ولسانا مجيا عند نداءه، وطراراً على حلة عليائه، وعماما من غمام الآله، وكوكبا وهابا بسمائه . وعقد له لواء الجهاد على الكتيبة الأندلسية من جنده، قبل أن ينتقل من مهده، وظلله بمنحاح رايتيه، وهو على كند دايته^(١)، واهتركب جيش الإسلام ترجيا بوقادته، وتوحيها بمجادته، وأثبت فى غرض الإمارة النصرية سهم سعادته - رأى أن يزيد من عنايته ضروبا واجناسا، ويبيع أثره ناسا فناسا؛ قد اختلفوا لسانا ولباسا، وانفقوا ابتغاء لمرضاة الله وأتماسا؛ ممن كرم أتماؤه، وأزينت بالحسب الغر سماءه^(٢)، وعرف غناؤه، وتأسس على المجادة بناؤه؛ حتى لا يدع من العناية فنا إلا جلبه إليه، ولا مقادة غفر إلا جعلها فى يديه، ولا حلة عز إلا أضفى ملابسها عليه .

وكان جيش الإسلام فى هذه البلاد الأندلسية - آمن الله خلاصا، وسكن زلاهما، وصلق فى رحمة الله التى وسعت كل شىء آمالها - كلف هيمته، ومرعى

(١) الكند بفتح التاء وكسرها أعلى الكف والذاية الطر، أنظر اللسان .

(٢) ليله الاغر وفى ريمانة الكتاب «الخالص» .

أذِنَتْهُ ؛ وَمَيِّدَانِ جِيَادِهِ ، وَمَتَعَلَقِ أَمَدِ جِهَادِهِ ، وَمِعْرَاجِ إِرَادَتِهِ ، إِلَى تَحْصِيلِ سَعَادَتِهِ ؛ وَسَبِيلِ خِلَالِهِ ، إِلَى بُلُوغِ كَمَالِهِ ؛ فَلَمْ يَدْعُ لَهُ عِلَّةً إِلَّا أَزَاحَهَا ، وَلَا طَلِبَةً إِلَّا أَجَالَ قِدَاحَهَا ، وَلَا عَزِيمَةً إِلَّا أَوْرَى أَنْتَدَاحَهَا ، وَلَا رَغْبَةً إِلَّا فَسَّحَ سَاحَهَا ، أَخْذًا مُرْوَةً بِالْهَذِيبِ ، وَمَصَافَهَ بِالترْتِيبِ ، وَأَمَالَهُ بِالتَّقْرِيبِ ، وَتَأْنِيسَ الْمُرِيبِ ، مُسْتَجِزًا لَهُ وَبِهِ وَعَدَ النُّصْرَ الْعَزِيزَ وَالْفَتْحَ الْقَرِيبَ ؛ وَرَفَعَ عَنْهُ لِهَذَا الْعَهْدِ نَظَرَ مَنْ حَكَّمَ الْأَغْرَاضَ فِي حُمَاتِهِ ، وَأَسْتَشْعَرَ عُرُوقَ الْحَسَائِفِ لِشَرِيفِ كُنْهَاتِهِ ؛ وَاشْتَفَلَ عَنْ حُسْنِ الْوَسَاطَةِ لَهُمْ بِمَصْلَحَةِ ذَاتِهِ ، وَجَبَّ جُبَاتِهِ ، وَتَمَيَّرَ مَالَهُ وَتَوَفَّرَ أَقْوَاتِهِ ، ذَاهِبًا أَقْصَى مَذَاهِبِ التَّعْمِيرِ بِأَمَدِ حَيَاتِهِ ؛ فَأَنْفَرَجَ الضَّبُّيقُ ، وَخَلَّصَ إِلَى حَسَنِ نَظَرِهِ الطَّرِيقُ ، وَسَاغَ الرُّيْقُ ، وَرَضِيَ الْفَرِيقُ .

رَأَى - وَاللَّهِ الْكَفِيلُ يُخَيِّجُ رَأْيَهُ ، وَشُكْرُ سَمْعِهِ ، وَصَلَةُ حِفْظِهِ وَرَعِيهِ - أَنْ يُنْجِدَ لَهُمُ اخْتِيَارَهُ ، وَيُحَسِّنَ لِنَسَمِ آثَارِهِ ؛ وَيَسْتَنْبِغَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ سُيُوفِ جِهَادِهِ ، وَأَبْطَالَ جِلَادِهِ ؛ وَنُحْمَةَ أَحْوَاذِهِ ، وَأَلَاتِ اعْتِرَازِهِ ، مَنْ يَجْرَى تَجْرَى نَفْسِهِ التَّنْفِيسِ فِي كُلِّ مَعْنَى ، وَمَنْ يَكُونُ لَهُ لَفْظُ الْوَلَايَةِ وَلَهُ - أَيْدِ اللَّهِ - الْمَعْنَى ؛ فَقَدَّمَهُ عَلَى الْجَمَاعَةِ الْأُولَى كُبْرَى الْكُتَّابِ ، وَمَقَادِ الْجَنَائِبِ ؛ وَأُجَمَةَ الْأَبْطَالِ ، وَمُزْنَةَ الْوَدْقِ الْمُهْطَلِ ؛ الْمُشْتَمَلَةَ مِنَ الْفُرَاةِ عَلَى مَشْيَخَةِ آلِ يَعْقُوبَ نُسَبَاءِ الْمُلُوكِ الْكَرَامِ ، وَأَعْلَامِ الْإِسْلَامِ ؛ وَسَائِرِ قِبَائِلِ بَنِي مَرَيْنَ ، لُيُوثِ الْعَرِينِ ؛ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَصْنَافِ الْقِبَائِلِ ، وَأُولَى الْوَسَائِلِ ؛ لِيُحِطَ بِجَمَاعَتِهِمْ ، وَيُرْفَعَ بِتَفَقُّدِهِ إِضَاعَتَهُمْ ، وَيَسْتَخْلَصَ اللَّهُ وَلَآئِيهِ - أَيْدِ اللَّهِ - طَاعَتَهُمْ ؛ وَيُشْرَفَ بِإِمَارَتِهِ مَوَاكِبُهُمْ ، وَيَزِينَ بِهَلَالِهِ النَّاهِضَ إِلَى الْإِبْرَارِ ، عَلَى فَلَكَ سَعَادَةِ الْأَقْدَارِ ، كَوَاكِبُهُمْ ؛ تَقْدِيمًا أَشْرَقَ لَهُ وَجْهَ الدِّينِ الْحَنِيفِ وَتَهَلَّلَ ، وَأَحْسَ بِاقْتِرَابِ مَا أُمِّلَ ؛ فَلَاخِلَ اخْتِيَالِ وَمِرَاحِ ، وَلِلْأَسْلِ السُّمَرِ أَهْتَازُ وَآرْتِيَاخِ ، وَلِلْمُصْدُورِ انْشِرَاحِ ، وَلِلْأَمَلِ مَقْدَى فِي فَضْلِ اللَّهِ وَمِرَاحِ .

فليتول ذلك - أسعده الله - تولى مثله من أسرة الملك أسرته، وأسرة النبي صلى الله عليه وسلم أسرته، والملك الكريم أصل لفروعه، والنسب العربى مفخر لطيب طبعه، آخذاً أشرافهم بترفع المجالس بنسبة أقدارهم، مقرباً حسن اللقاء بإيثارهم، شاكراً غنائهم، مستديماً ثنائهم، مستندراً لأرزاقهم، موجباً للزينة بحسب استحقاتهم؛ شافها لديه فى رغباتهم المؤمله، ووسائلهم المتحمله، مسهلاً الإذن لوُقودهم المتلاحقه، مُتفقاً لبضائعهم النافقه؛ مؤنساً لغربائهم، مستجلباً أحوال أهلهم وآبائهم، يميز بين أغفالهم ونُبائهم .

وعلى جماعتهم - رعى الله جهادهم، وقر أعدادهم - أن يطيعوه فى طاعة الله وطاعة أبيه، ويكونوا يدًا واحدة على دِفَاعِ أعدائى الله وأعدائه؛ ويتشدوا فى المواقف الكريمة أزره، ويمتلئوا نبيه وأمره؛ حتى يعظم الانتفاع، ويثمر الدِّفاع، ويخلص القصد لله والمطاع؛ فلو وجد - أيده الله - غاية فى تشریفهم لبغها، أو موهبة لسوغها؛ لكن ما بعد ولده العزيز عليه مذهب، ولا وراء مباشرتهم بنفسه مرغب؛ والله منجج الأعمال، ومبلغ الآمال، والكفيل بسعادة المآل .

فمن وقف على هذا الظهور الكريم فليعلم مقدار ما تضمّنه من أمرٍ مطاع، ونظرٍ مستند إلى إجماع، ووجوبِ اتباع، وليكن خيرَ مرعى لخير راع، بحول الله .

وأقطعه - أيده الله - ليكون بعض المدد لأزواد سقره، ومِطاط قفره؛ فى جملة ما أولاه من نعمه، وسوقه من مواد كرمه - جميع القرية المنسوبة إلى عرب غسان : وهى المحلة الأثيرة، والمترلة الشهيرة؛ تنطلق عليها أيدى خداه ورجاله،

جاريةً بجري صالح ماله ، محترمةً من كل وظيف لاستغلاله ، إن شاء الله فهو المستعان سبحانه ، وكتب في كذا .



وهذه نسخةٌ ظهير لمشيخة الفزاة بمدينة مآلقة ، وهو :

هذا ظهير كريمٌ أطلع الرضا والقبول صباحا ، وأنشأ للعناية في جَوِّ الوجود ، من بعد الرُّكود ، رياحا ، وأوسع العيون قُرَّةً ^(١) [وإبصارا] والصدور أنشراحا ، وهيا للعتمد به مَقْدَى في السعادة ومراحا ، وهرز منه سيفا عتيقا يفوق اختيارا و يروق أنشاحا ، وولاه رياسة الجهاد في القطر الذي تقدمت الولاية فيه لسلفه فنال عزرا شهيرا وأزداد فخرا صراحا ، وكان ^(١) [له] ذلك إلى أبواب السعادة مفتاحا .

أمر به وأمضاه ، وأوجب العمل بحسبه ومقتضاه ، الأمير عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين ، والمجاهد في سبيل رب العالمين ، أبي المجاج ^(١) [يوسف] ابن مولانا أمير المسلمين ، أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر - أيد الله أمره وأعز نصره ، وأسعد زمانه وعصره - لوليه في الله الذي كساه مولاه من جميل اعتقاده حُللا ، وأورده من عذب رضعاه منللا ، وعرفه عوارف قبوله مَقْصِلا خطاها وبجمللا ، الشيخ أبي العلا ، إدريس ، ابن الشيخ أبي سعيد عثمان ، بن أبي العلا وصل الله أسباب سعادته ، وحرس علي مجادته ، وأجراه من ترفيع المكانة لديه علي [أحمد عادة سلفه] ^(١) وطادته .

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب" .

(٢) في ريحانة الكتاب «أكخاف» .

ولمّا كان له القدر الجليل، والمجد الأئيل، والذكرُ الجليل، والفضائلُ التي كُرِّمَ منها الإجمال والتفصيل، وأحرزَ قَصَبَ السُّبْقِ بذاته وسلفه إذا ذُكِرَ المجدُ العريضُ الطويل، وكان قد أعملَ الرِّحْلَةَ إليه يَحْدُوهُ إلى خدمته التأمل، ويَهْوِي به الحبُّ الذي وَصَّعَ منه السبيل، وعاق عنه الواقعُ الذي تبيّن فيه عُدْرُهُ الجليل، ثم خلَّصه الله من مَلَكَةِ الكفرِ الخِلاصَ الذي قام به على عنايةِ الدليل - قابله بالقبُولِ والإقبال، وفَسَّحَ له مِيدَانِ الرضا رَحَبَ المَحَال، وصَرَفَ إليه وَجْهَ الاعتدادِ بمضائه رائقَ الجمال، سافِراً عن بلوغِ الآمال، وآوَاه من خدمته إلى رُبُوعِ مَتَسَعَةِ الأَرْجاءِ وارفَةِ الظلال، وقَطَعَ عنه الأَطْمَاعَ بمقتضى هِمته البعيدَةِ المَنَال. ثم رأى - والله يُجَيِّصُ رأيَه، ويشكرُ في سبيلِ الله عن الجهادِ سَعِيَةً - أن يستظهرَ بِمَضَائِهِ، ويرسلَ عليه عَوَارِفَ آلائِهِ، ويعمُرَ به رُتَبَ آبَائِهِ. فقتلته - أعلى الله قَدَمَهُ، وشكر [آلاءه] ^(١) ونِعَمَهُ - شيخُ الفُرَاةِ والمجاهدين، وكبيرُ أُولَى الدِّفاعِ عن الدين؛ بمدينة (مالقة) حَرَسَهَا اللهُ أَخِيْتُ حَضْرَةِ [دار] ^(١) ملكه، وثانيةُ الدُّرَةِ الثمينة من سِلْكِهِ؛ ودارِ سلفِهِ وقرارةِ تَجْدِهِ، والأُنْفَى الذي تَأَلَّقَ منه نُورُ سَعْدِهِ؛ راجعاً إليه نَظَرَ القواعدِ الغربيةِ رُبْدَةً وركوان (٩) وما إليه رجوعُ الاستغلال والاستيراد، والمزجُ الفسيحُ المَحَالِ البعيدِ الآماد، يقودُ جَمِيعَهَا إلى الجهاد، عاملاً على شاكلةِ تَجْدِهِ في الإصدار والإيراد، حتّى يظهرَ على تلكِ الجِهَاتِ المباركة آثارُ الحِمَايةِ والبَسَالَةِ، ويعودَ لها عهدُ المَحَادَّةِ والجلالِ، وتترنّ مَلَابَسَ الإيالة. وهو يعملُ في ذلكِ الأَعْمَالِ التي تليقُ بالمُجْدِ الكريم، والحَسَبِ الصميم، حتّى يَمُودَ عُدُّ الحِمَاهِ، وَيَكْفُفَ البَأْسُ أَكْثَفَ الفُرَاةِ ويعظمُ أثرُ الأبطالِ الكُفَاهِ؛ وتظهرُ ثَمَرَةُ الاختيار، ويشملُ الأَمْنُ جَمِيعَ الأَفْطَارِ، وتَحْصِمَ عنه أَطْمَاعُ الكُفَّار.

وعلى من يقف عليه من الفرسان سوف الله أعدادهم ، وأعزَّ جهادهم - أن يكونوا
ممثلين في الجهاد لأمره ، عارفين بقدره ، مُضِين فيما ذَكَرَ لحكمه ، واقفين عند حدِّه
ورسمه . وعلى من سواهم من الرعايا والتُدام ، والوَلَاة والحُكَّام ، أن يعرفوا قدرَ
هذا الاعتناء الواضح الأحكام ، والبرِّ المشرق القسَّام ، فيعاملوه بمقتضى الإجلال
والإكرام ، والترفع والإعظام . على هذا يُعتمد ، وبحسبه يعمل ، بحول الله وقوته .

الضرب الثاني

(من ظهائر بلاد المغرب ما يكتب لأرباب الوظائف الدينية

من أصحاب الأقلام)

وهذه نسخةٌ ظهر بقضاء الجماعة بالحضرة ، وهو :

هذا ظهيرٌ كريم أنتج مطلوبَ الاختيار قياسه ، ودلَّ على ما يرضى الله عز وجل
آلتاؤه ، وأطلع نورَ العناية يحلو الظلامَ نيرائه ، وأعمدَ بمثابة العدل من عُرف
بافتراق هضبتها بأسه ، وألقى بيد المعتمد به زمام الاعتقاد الجميل ترؤق أنواعه
وأجناسه ، وشيد مبنًى العز الرفيع في فنة الحسب المنيع وكيف لا والله بانيه
والمجدُّ أساسه .

أمر به ، وأمضى العملَ بمقتضاه وحسبه ، أمير المسلمين أبو الحجاج ابن مولانا
أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر - أيد الله أمره ، وخلد نغره - لقاضى حضرته عليه ،
وخطيب حمرائه السنية ، المخصوص لديه بترفع المزية ، المعروف إليه خطابُ
القضاة بآيائه النصريه ، قاضى الجماعة ، ومصرف الأحكام الشرعية المطاعه ،
الشيخ أبي الحسن ابن الشيخ أبي محمد بن الحسن وصل الله سعاده ،

وحرس مجادته، وسنى من فضله إرادته . عَصَب منه جينَ المجد بتاج الولاية ،
وأجال قَدَاحَ الاختيار حتى بلغ النايةَ وتجاوزَ النهايه ، فالقى منه يمينَ عَرَابَةِ الرايه ،
وأحلّه منه محلّ اللفظ من المعنى والإعجاز من الآيه ، وحشّر إلى مراعاة ترفيعه وجُوهَ
الرؤى وأعيانَ العنايه ، وأنطق بتبجيله ، ألسنَ أهل جيله ، بين الإفصاح واليكايه .

ولما كان له الحسب الذى شهدته به ورقات النواوين ، والأصالة التى قامت
عليها صحاح البراهين ، والآباء الذين أعتز بمضاء قضائهم الدين ، وطبق مفاصل
الحكم بسيفهم الحق المبين ، وأزدان بجباله وُزرائهم السلاطين : فين فارس حُكم
أو حكيم تدبير ، أو قاضٍ فى الأمور الشرعية ووزير ، أو جامع بينهما جمع سلامة
لاجمع تكسير ؛ تعدّد ذلك وأطرده ، ووجد مشرع المجد عذاباً فورد ، وقصّرت
النظراء عن مداه فأنفرد ، وفروى الفرى فى يد الشّرع فأشبهه السيف الفِرند ؛ وجاء
فى أعقابهم نَحْيًا لما دَرَس ، بما حقّق ودَرَس ، جانيًا لما بذّر السلف المبارك
وأغترس ؛ طاهر النشأة وقورها ، محمود السّجية مشكورها ، متعلّم بالسكينة ،
حالًا من التّزاهة بالمكانة المكيّنه ؛ ساحبًا أذيال الصّون ، بعيدًا عن الاتّصاف
بالفساد من لدن الكون ، خطبته الخطط العليه ، وأغبتت به المجادة الأولى ؛
وأستعملته دولته التى تراد أهل الفضائل للرتب ، وتستظهر على المناصب بأبناء
الثقى والحسب ، والفضل والمجد والأدب ، ممن يجمع بين الطارف والتاليد والإرت
والمكتسب ؛ فكان معدودا من عُلول قضائهم وصُدور نُبائهم ، وأعيان وُزرائهم ،
وأولى آرائهم .

فلما زان الله خلافته بالتمحيص ، المتجلّ عن التخصيص ، وخلّص مُلكه
الأصيل كالذهب الإبريز من بعد التخليص ، كان ممن صحب ركابه الطالب للحق

(١) يقال طَبّق السيف إذا أصاب القميص فأبان العُز . انظر اللسان .

بَسَيْفِ الْحَقِّ ؛ وَسَلَكَ فِي مَظَاهِرِهِ أَوْضَعَ الطَّرِيقِ ، وَجَادَلَ مَنْ حَادَّهُ بِأَمْضَى مِنْ
الْحِدَادِ الذَّلْقِ ، وَأَشْتَهَرَ خَيْرُ وَقَاتِهِ بِالْغَرْبِ وَالشَّرْقِ ؛ وَصَلَّى بِهِ صَلَاةَ السَّفَرِ وَالْحَضَرِ ،
وَالْأَمْنِ وَالْخَدَرِ ؛ وَخَطَبَ بِهِ فِي الْأَمَاكِنِ الَّتِي بَعْدَ بَذْرِ اللَّهِ عَهْدُهَا ، وَخَاطَبَ
عَنْهُ - أَيْدِي اللَّهِ - الْمُخَاطَبَاتِ الَّتِي حُمِدَ قَصْدُهَا ؛ حَتَّى أَسْتَقْلَ مُلْكُهُ فَوْقَ سَرِيرِهِ ،
وَأَبْتَهَجَ مِنْهُ الْإِسْلَامَ بِأَمِيرِهِ وَأَبْنِ أَمِيرِهِ ، وَنَزَلَ السُّتْرَ عَلَى الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ بِبَرَكَاتِهِ
وَيُؤَمِّنُ تَنْدِيرِهِ ، وَكَانَ الْجَلِيسَ الْمُقَرَّبَ الْمَحَلَّ ، وَالْحَظِيَّ الْمَشَاوِرَ فِي الْعَقْدِ وَالْحَلِّ ؛
وَالرَّسُولَ الْمُؤْتَمَنَ عَلَى الْأَسْرَارِ ، وَالْأَمِينَ عَلَى الْوُضَائِفِ الْكِبَارِ ؛ مَزِينٌ الْمَجْلِسَ
السُّلْطَانِيَّ بِالْوَقَارِ ، وَمُنِجَفَ الْمَلِكِ بِغَرِيبِ الْأَخْبَارِ ؛ وَخَطِيبَ مَنبَرِهِ الْعَالِي فِي الْجُمُعَاتِ ،
وَقَارِيَّ الْحَدِيثِ لَدَيْهِ فِي الْمَجْتَمَعَاتِ .

ثم رأى - أَيْدِي اللَّهِ - أَنَّهُ يُشْرِكُ رِعْيَتَهُ فِي نَفْعِهِ ، وَيَصْرِفُ عَوَامِلَ الْخُطُوةِ
إِلَى مَزِيدِ رَفْعِهِ ، وَيُخَلِّسُهُ بِمَجْلِسِ الشَّارِعِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ لِإِبْصَاحِ شَرْعِهِ ،
وَأَصْلِهِ الْوُثِيقِ وَفِرْعِهِ ؛ وَقَدَّمَهُ - أَعْلَى اللَّهِ قَدَمَهُ ، وَشَكَرَ آلاءَهُ وَنِعَمَهُ - قَاضِيًا فِي الْأُمُورِ
الشَّرْعِيَّةِ ، وَفَاصِلًا فِي الْقَضَايَا الدِّيْنِيَّةِ ؛ بِحَضْرَةِ غَرْنَاطَةِ [العلية] حَرَمِهَا اللَّهُ تَقْدِيمَ
الْإِخْتِيَارِ وَالْإِتْقَانِ ، وَأَبْقَى لَهُ نَخْرَ السَّلَفِ عَلَى الْخَلْفِ وَاللَّهُ يُمَتِّعُهُ بِطَوْلِ الْبَقَاءِ .

فَلْيَتَوَلَّ ذَلِكَ عَادِلًا فِي الْحُكْمِ ، مُهْتَدِيًا بِنُورِ الْعِلْمِ ؛ مُسَوِّيًا بَيْنَ الْخُصُومِ حَقًّا
فِي لَحْظِهِ وَأَلْفَاتِهِ ، مُتَصِفًا مِنَ الْحِلْمِ بِأَفْضَلِ صِفَاتِهِ ؛ مُهَيِّيًا بِالذِّينِ ، رِعُوقًا بِالْمُؤْمِنِينَ ؛
مَسْجُلًا لِلْحَقُوقِ ، غَيْرُ مُبَالٍ فِي رِضَا الْخَالِقِ بِسُخْطِ الْمَخْلُوقِ ؛ جَزَلًا فِي الْأَحْكَامِ ،
مُجْتَهِدًا فِي الْفُضْلِ بِأَمْضَى حُسَامٍ ، مُرَاقِبًا لِلَّهِ عِزًّا وَجَلًّا فِي النُّقْضِ وَالْإِبْرَامِ ، بَارًّا
بِمَشِيخَةِ أَهْلِ التَّوَثِيقِ ، عَادِلًا إِلَى سَعَةِ الْأَقْوَالِ عِنْدَ الْمِصْصِيقِ ، سَائِرًا مِنْ مَشْهُورِ
الْمَذْهَبِ عَلَى أَهْدَى طَرِيقٍ - وَأَوْصَاهُ بِالْمُنْشُورَةِ الَّتِي تَحْدَحُ زِنَادَ التَّوْفِيقِ ، وَالتَّنَبُّهُ

حَتَّى يَنْبَلِجَ قِيَاسُ التَّحْقِيقِ؛ وَصِيَّةٌ أَصْدَرَهَا لَهُ مَصْدَرُ الذِّكْرِ الَّتِي تَنْفَعُ، وَيُعَلِّي اللَّهُ
بِهَا الدَّرَجَاتِ وَيَرْفَعُ، وَإِلَّا فَهُوَ عَنِ الْوَصَاةِ غَنَى، وَقَصْدُهُ قَصْدُ سَنَى؛ وَاللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ وَلَّى إِمَاعَتَهُ، وَالْكَفِيلُ بِحِفْظِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ وَصِيَّاتِهِ .

[وَأَمْرُهُ - أَيْدَهُ اللَّهُ - أَنْ يَنْظُرَ فِي الْأَحْبَاسِ عَلَى اخْتِلَافِهَا، وَالْأَوْقَافِ عَلَى شَتَّى
أَصْنَافِهَا]^(١) وَالْيَتَامَى الَّتِي أُنْسِدَتْ كِفَالَةُ الْقَضَاءِ عَلَى ضِعَافِهَا . فَيُثَوِّدُ عَنْهَا طَوَارِقَ
الْخَلَلِ، وَيُجَرِّى أُمُورَهَا بِمَا يَنْكَفُلُ لَهَا بِالْأَمَلِ .

وَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَرَاهُ، وَأَنْ فَلَائِكَ الْحُكْمُ تُمَادُّهُ الْمَرَاجِعَةُ فِي أَثَرَاهُ،
فَيُدْرِجُ جُنَّةً تَقْوَاهُ، فَسَبْحَانَ مَنْ يَقُولُ: (إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ) .

فَعَلَى مَنْ يَقِفُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ حَقَّ هَذَا الْإِجْلَالِ، صَانِتًا مَنْصَبَهُ عَنِ الْإِخْلَالِ،
مُبَادِرًا أَمْرَهُ الْوَاجِبَ بِالْإِكْتِمَالِ، بِحَوْلِ اللَّهِ .

وَكُتِبَ فِي الثَّالِثِ مِنْ شَهْرِ اللَّهِ الْحَرَمِ فَاتِحِ عَامِ أَرْبَعَةٍ وَسِتِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ، عَرَّفَ اللَّهُ
فِيهِ هَذَا الْمَقَامَ الْعَلِيِّ عَوَارِفَ النُّصَرِ الْمُبِينِ وَالْفَتْحِ الْقَرِيبِ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ، فَهُوَ الْمُسْتَعَانَ
لَا رِبَّ غَيْرُهُ .



وهذه نسخة ظهير بقضاء الجماعة بالحضرة أيضا، وهو :

هَذَا ظَهِيرٌ كَرِيمٌ عَلَى رُتَبَةِ الْإِكْتِفَاءِ [وَالْإِكْتِفَالِ] اخْتِيَارًا وَاعْتِبَارًا، وَأُظْهِرَ مَعَانِي
الْكَرَامَةِ وَالتَّخْصِصِ انْتِفَاءً وَأَصْطِفَاءً وَإِثَارًا، وَرَفَعَ لَوَاءَ الْجَلَّالَةِ عَلَى مَنْ اشْتَمَلَ عَلَيْهَا
حَقِيقَةً وَاعْتِبَارًا، وَرَفَّقَ فِي دَرَجَاتِ الْعِزِّ مِنْ طَائِفَةٍ عِلَاءَ بَهْرِ أَنْوَارٍ، وَدِينًا كَرَّمَ
فِي الصَّالِحَاتِ آثَارًا وَزَكَا فِي الْأَصَالَةِ نِجَارًا، وَخُلُوصًا إِلَى هَذَا الْمَقَامِ الْعَلِيِّ السَّعِيدِ

(١) الزيادة عن ربحانة الكتاب، وقع الطيب من ٧٣ ج ٢ .

راق إظهاراً وإظهاراً، أمر به وأمضاه، وأغذ العمل بحكمه ومقتضاه، فلان للشيخ
القاضي، العذل، الأرضي، قاضي الجماعة وخطيب الحضرة عليه، المخصوص
لدى المقام العلى بالحظوة السنية والمكانة الحفية، الفاضل، الخافل، الكامل،
الموقر، المبرور أبي الحسن ابن الشيخ الفقيه، الوزير، الأجل، الأعز، المساجد،
الأسنى، المرقع، الأخفل، الأصلح، المبارك، الأكل، الموقر، المبرور، المرحوم
أبي محمد بن الحسن - وصل الله عزته، ووالى رفعتة ومبرته، ووهب له من صلة
الناية الربانية أمله وثيقته - لما أصبح في صدور القضاة العلماء شأراً إلى جلاله،
مستنداً إلى معارفه المخصوصة بكمال، مطرراً على الإفادة العامة والأدبية بحاسنه
البديسة وخصاله، عفوفاً مقدماً الحكم النبوي بركة عدالته وفضل جلاله، وحل
في هذه الحضرة العلية المحل الذى لا يرقاه إلا عين الأعيان، ولا يتبوء مهاده إلا مثله
من أبناء المجد الثابت الأركان، وموالى العلم الواضح البرهان، والمبرزين بالماثر العلية
في الحسنى والإحسان. وتصدر لقضاء الجماعة فصدرت عنه الأحكام الراجحة
الميزان، والأنظار الحسنة الأثر والعيان، والمقاصد التى وفّت بالغايتها التى لا تستطاع
في هذا الميدان، فكمن قضية جلا بمعارفه مشكلها، ونازلة مبهمه فتح بإدراكه
مقفلها، ومسألة مهنلة عرف نكرتها وقدر مهملها، حتى قوت بعدالته وجزالته
التيون، وصدقت فيه الآمال النابجة والظنون، وكان في تصديره لهذه الولاية
العظمى من الخير والخبرة ماعسى أن يكون - كان أحق بالتشجيع لولايته وأولى،
وأجدر بمضاغفة النعم التى لا تزال تترادف على قدره الأعلى.

فلذلك أصدرله - أيده الله - هذا الظهير الكريم مشيراً بالترفيح والتنويه، ومؤكداً
للاحتراف الوجيه، وقدمه - أعلى الله قدمه، وشكر نعمه - خطيباً بالجامع الأعظم

(١) [من حضرته] - عمره الله بذكره - من علية الخطباء، و كبار العلماء، و خيار الفقهاء الصالحاء ؛ فليؤلف ذلك فى جمعاته، مظهرها فى الخطبة أثر بركته وحسناته، عاملاً على ما يقرب به عند الله من مرضاته، و يُظفره بجزيل مثوباته ؛ بحول الله وقوته .

الضرب الثالث

(ما يكتب لأرباب الوظائف الديوانية)

وهذه نسخة ظهير بالقلم الأعلى المعبر عنه فى بلادنا بكتابة السر ؛ وهى :

هذا ظهير كريم نصب للعتيد به الإنافة الكبرى ببابه فرّقه ، وأفرد له مثلوا العز جمعه ووتره وشفعه ، وقربه فى بساط الملك تقريباً [أرغم به أنف عداه ووضعه] (٢) وفتح له باب السعادة وشرعه ، وأعطاه لواء القلم الأعلى فوجب على من دون رتبته ، من أولى صناعته ، أن يتبعه ؛ ورعى له وسيلته السابقة عند استخلاص الملك لما أبدره الله من يد الغاصب وأتصرعه ، وحسبك من ذمام لا يحتاج إلى شيء معه .

أمر به الأمير فلان فلان - وصل الله سعادته ، وحرس مجادته - أطلع له وجه العناية أهدى من الصبح الوسيم ، وأقطعه جناب الإنعام الجسيم ، وأنشقه أريج الحظوة حاطر النسيم ، ونقله من كرسي التدريس والتعليم ، إلى مرقى التنويه والتكريم ، والرتبة التى لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم ؛ وجعل أفعلامه جياداً لإجالة أمره العلى ، وخطابه السننى ، فى ميادين الأقاليم ؛ ووضع فى يده أمانة القلم الأعلى ، جاريماً من

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب" .

(٢) فى الريحانة «نصب المعتد به للأمانة» الخ وهو أنسب بالمقام .

(٣) من "ريحانة الكتاب" .

الطريقة المُثَلِّ، على التَّهَجِّ القويم، واختصه بِمِزْيَةِ الشُّفُوفِ عَلَى كُتَّابِ بابِهِ الكَرِيم .
لَمَّا كَانَ نَاهِضَ الْوَكْرِ فِي طَلَبَةِ حَضْرَتِهِ مِنَ الْيَدَايَةِ ، وَلَمْ يَزَلْ تَظْهَرُ عَلَيْهِ لِأَوَّلَى التَّهَيُّزِ
تَحَايُلُ هَذِهِ الْعَيْنَايَةِ : فَإِنْ حَضَرَ حَلَقَ الْعِلْمِ جَلِّيٌّ فِي حَلْبَةِ الْحِفَاطِ إِلَى الْغَايَةِ ؛ وَإِنْ نَقَطَ
أَوْ تَرَأَّى بِالْقَصَائِدِ الْمَصْقُولَةِ ، وَالْمَخَاطِبَاتِ الْمُنْقُولَةِ ؛ فَاشْتَهَرَ فِي بَلَدِهِ وَغَيْرِ بَلَدِهِ ،
وَصَارَتْ أِزْمَةُ الْعَيْنَايَةِ طَلُوعَ يَدِهِ ، بِمَا أَوْجَبَ لَهُ الْمِزْيَةُ فِي يَوْمِهِ وَغَدِهِ .

وَحِينَ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ مُلْكَهُ الَّذِي جَبَرَهُ جَنَاحُ الْإِسْلَامِ ، وَزَيْنُ وَجْهِهِ الْيَلَالِي
وَالْأَيَّامِ ، وَأَدَالَ الْقَضِيَاءَ مِنَ الظَّلَامِ ؛ وَكَانَ مِنْ وَسَمَةِ الْوَفَاءِ وَشَهْرَةِ ، وَعِجْمِ الْمُلْكَ
عُودَ خُلُوصِهِ وَخَبَرِهِ ؛ فَحَمِدَ أَثَرَهُ ، وَشَكَرَ ظَاهِرَهُ وَمُضْمَرَهُ ؛ وَاسْتَصَحَبَ عَلَى رِكَابِهِ
الَّذِي صَحَّبَ الْإِيمَنُ سَفَرَهُ ، وَأَخْلَصَتْ الْحَقِيقَةُ نَفَرَهُ ، وَكَفَّلَ اللَّهُ وَرْدَهُ وَصَدْرَهُ ؛
مَيِّونَ النَّبِيِّهِ ، حَسَنَ الضَّرِيهِهِ ؛ خَالِصًا فِي الْأَحْوَالِ الْمُرِيهِهِ ، نَاطِقًا عَنْ مَقَامِهِ
بِالْمَخَاطِبَاتِ الْعِجْبِيَةِ ؛ وَاصِلًا إِلَى الْمَعَانِي الْبَعِيدَةِ بِالْعِبَارَاتِ الْقَرِيبَةِ ، مَبْرُزًا بِالْخِدَمِ
الْفَرِيهِهِ ، حَتَّى اسْتَقَامَ الْعِيَادُ ، وَنَطَقَ بِصِدْقِ الطَّاعَةِ الْحَقِّ وَالتَّجَادُ ، وَدَخَلَتْ
فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجُ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ ، اللَّهُ الْحَمْدُ عَلَى نِعَمِهِ الْثَرَّةِ الْعِيَادِ ، وَالْآلِيَةِ الْمُتَوَالِيَةِ
الْقَرْدَادِ - رَعَى لَهُ - أَيَّدَهُ اللَّهُ - هَذِهِ الْوَسَائِلُ وَهُوَ أَحَقُّ مَنْ يَرَعَاهَا ، وَشَكَرْ لَهُ الْخِدَمِ
الْمَشْكُورَ مُسَاعَدًا ؛ فَقَصَرَ عَلَيْهِ الرُّتْبَةُ الشَّامَةُ الَّتِي خَطَبَهَا بِوَفَائِهِ ، وَأَلْبَسَهُ أَثْوَابَ
أَعْنَانِهِ ، وَفَسَّحَ لَهُ بِجَالِ آلَانِهِ ؛ وَقَدَّمَهُ - أَطَى اللَّهُ قَدَمَهُ ، وَشَكَرَ نِعَمَهُ - كَاتِبَ السَّرِّ ،
وَأَمِيرَ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ ؛ تَقْدِيمَ الْإِخْتِبَارِ ، وَالْإِغْتِبَاطِ بِخِدْمَتِهِ الْحَسَنَةِ الْآثَارِ ، وَالتَّيْمُنِ
بِاسْتِخْدَامِهِ قَبْلَ الْحُلُولِ بِدَارِ الْمُلْكَ وَالْإِسْتِقْرَارِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مُوْجِبَاتِ الْإِبْثَارِ .

فَلْيَتَوَلَّ ذَلِكَ عَارِفًا بِمَقْدَارِهِ ، مُقْتَنِيًا لِآثَارِهِ ، مُسْتَعِينًا بِالْكَثْمِ لِأَسْرَارِهِ ، وَالْإِضْطِلَاعِ
بِعِظَامِ أُمُورِهِ وَبِكَارِهِ ، مُنْصَبِنًا بِمَا يَجْمَلُ مِنْ أَمَانَتِهِ وَعَقَافِهِ وَوَقَارِهِ ؛ مُعْطِيًا هَذَا الرَّسْمَ

حقه من الرياسة ، عارفاً بأنه أكبر أركان السياسة ؛ حتى يتأكد الاختباط بتقريبه وإدناؤه ، وتتوفر أسباب الزيادة فى إعلانه ؛ وهو - إن شاء الله - غنى عن الوصاة فهماً نافعاً ، وأدباً لعيون الكمال مراقباً ؛ فهو يعمل فى ذلك أقصى العمل ، المتكفل ببلوغ الأمل .

وعلى من يقف عليه : من حملة الأقلام ، والكُتّاب الأعلام ، وغيرهم من الكفاة والخدم ، أن يعرفوا قدر هذه العناية الواضحة الأحكام ؛ والتقديم الراسخ الأقدام ، ويوجبوا ما أوجب من البر والإكرام ، والإجلال والإعظام ؛ بحول الله وقوته ، وكتب فى كذا .

الطرف الثالث

(فى مصطلح كُتاب الديار المصرية فيما قبل الخلفاء الفاطميين
وفما بعدهم إلى زماننا)

وفيه أربع حالات :

الحالة الأولى - ما كان عليه أمر تواب الخلفاء بهذه المملكة إلى ابتداء الدولة الطولونية .

ولم يكن لديوان الإنشاء بالديار المصرية فى هذه المدة صرف عناية ، تقاصراً عن التشبه بديوان الخلافة ، إذ كانت الخلافة يومئذ فى غاية العز ورفعة السلطان ؛ ونيابة مصر بل سائر النيابات مضمحلة فى جانبها ، والولايات الصادرة عن التواب فى نياباتهم متصاغرة متضائلة بالنسبة إلى ما يصدر من أبواب الخلافة من الولايات ، فلذلك لم يقع ما كتب منها ما تتوفر الدواعى على نقله ولا تصرف الهمم لتدوينه مع تطاول الأيام وتوالى الليالى .

الحالة الثانية — ما كان عليه أمر الدولة الطولونية من حين قيام دولتهم إلى انقراض الدولة الأخشيديّة .

وقد تقدم أن أحمد بن طولون أوّل من أخذ في ترتيب الملك وإقامة شعار السلطنة بالديار المصريّة . ولما شتم سلطانهُ ، وأرتفع بها شأنهُ ، أخذ في ترتيب ديوان الإنشاء لما يحتاج إليه في المكاتب والولايات ، فاستكتب ابن عبد كان ، فقام منار ديوان الإنشاء ورّق مقداره ؛ وكان يفتح ما يكتبه عنه في الولايات بلفظ « إن أوّل كذا » أو « إن أحق كذا » وما أشبه ذلك .

وهذه نسخة عهد كتب به ابن عبد كان عن أحمد بن طولون بقضاء برقة تُرشد إلى ما عداها من ذلك وهي :

إِنَّ أَحَقَّ مَنْ آثَرَ الْحَقَّ وَعَمِلَ بِهِ ، وَرَاقَبَ اللَّهَ فِي سِرِّ أَمْرِهِ وَجَهْرِهِ ، وَأَحْتَرَسَ مِنَ الزَّيْغِ وَالزَّلَلِ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ ، وَعَمِلَ لِمَعَادِهِ وَرَجَعَنِيهِ ، إِلَى دَارِ فَاقَتِهِ وَقَفَرِهِ وَمُسْكَنَتِهِ ، مَنْ جُعِلَ بَيْنَ الْمَسَامِينِ حَاكِمًا ، وَفِي أُمُورِهِمْ نَازِرًا : [فَارَاقُ] ^(١) الدَّمَاءِ وَحَقَنَهَا ، وَأَحْلَى الْفُرُوجَ وَحَرَّمَهَا ، وَأَعْطَى الْحَقُّوقَ وَأَخَذَهَا ؛ وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَائِلُهُ عَنْ مِثْقَالِ الذَّرَّةِ مِنْ عَمَلِهِ ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا يَتَقَلَّبُ فِي قَبْضَتِهِ ، أَيَّامَ مُدَّتِهِ ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ دُنْيَاهُ تَخْرُوجَهُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ ، إِمَّا سَعِيدًا بِعَمَلِهِ وَإِمَّا شَقِيًّا بِسَعْيِهِ .

وإِنَّمَا لِمَا وَقَفْنَا عَلَيْهِ مِنْ سَيِّدٍ مُذْهِبٍ وَقَوِيمٍ طَرِيقَتِكَ ؛ وَجَمِيلٍ هَدْيِكَ وَحُسْنِ سِيرَتِكَ ؛ وَرَجَوْنَاهُ فَيْكَ ، وَقَرَرْنَاهُ عِنْدَكَ : مِنْ سُؤْلِكَ الطَّرِيقَةَ الْمُثَلَّى ، وَأَقْتَضَاءِ آثَارِ أَعْمَالِهِ الْمُهْدَى ، وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ لَا بِالْهَوَى — رَأَيْنَا تَقْلِيدَكَ الْقَضَاءِ بَيْنَ أَهْلِ نَقَرِ بَرْقَةٍ ، وَأَمْرِنَاكَ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ مِنْ طَلَبٍ ، وَلَا يُهَوِّنُهُ مِنْ هَرَبٍ — وَبَطَاعَتِهِ الَّتِي مِنْ آثَرِهَا

سعد، ومن عمل بها حُمد، ومن لزمها نجا، ومن فارَقها هوى - وأنت تواصل
الجلوس لمن يحضرتك من الخُصوم : صابرا بنفسك على تنازُعهم فى الحقوق،
وتدافُعهم فى الأمور؛ غيرَ يَرمِ بالمراجعات ، ولا صَجرَ بالمُحاكيات : فإن من حاولَ
إصابةَ فصلِ القضاء ، وموافقةَ حقيقةِ الحكمِ بغيرِ مادّةٍ من حِلْمٍ ، ولا معونةٍ من
صَبْرٍ ، ولا سُهمَةٍ من كَظْمٍ ، لم يَكُنْ خَلِيقًا بِالظَفَرِ بهما ، ولا حَقِيقًا بِالذِّكْرِ لهما -
وأن تَقِسِمَ بَيْنَ الخُصْمَيْنِ إذا تَقَدَّما إِلَيْكَ ، وجَلَسَا بَيْنَ يَدَيْكَ ، فى لَحْظِكَ وَلَفْظِكَ ،
وَوُفْقَى كُلِّ واحدٍ منهما قِسْمَهُ من إنصافِكَ وَعَدْلِكَ ؛ حتّى يَنبَاسَ القَوَى من مِثْلِكَ ،
ويَأْمَنَ الضَّعِيفُ من حَبِيفِكَ : فإنَّ فى إقبالِكَ بِنَظَرِكَ وإصغائكَ بِسَمْعِكَ إلى أحدِ
الخُصْمَيْنِ دُونَ صاحِبِهِ ما أَضَلَّ الآخَرَ عن مُجِبَّتِهِ ، وأدخلَ الحَيَرَةَ على فِكرِهِ وَرَوِيَّتِهِ -
وأن تُحْضِرَ مَجْلِسَ قَضائِكَ من يُسْتَظْهَرُ بِرَأْيِهِ ، وَمَنْ يَرْجِعُ إلى دِينٍ وَجِجًا وَنُفَى :
فإنَّ أَصَبْتَ أَيْدِكَ ، وإن نَسِيتَ ذَنْبَكَ - وأن تَقْتَسِدَى فى كُلِّ ما تُعْمَلُ فيه
رَوِيَّتَكَ ، وَتُمْضَى عليه حُكْمَكَ وَقَضِيَّتَكَ ، بِكُتَابِ اللَّهِ الَّذِى جَعَلَهُ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ،
وَنُورًا مُسْتَبِينًا ؛ فَتَشْرَعَ فيه أَحْكامَهُ ، وَبَيِّنَ حلالَهُ وَحَرَامَهُ ، وَأَوْضَحَ بِهِ مُشْكَلاتِ
الأُمُور ، فَهُوَ شِفَاءٌ لِمَا فى الصُّدُورِ . وما لم يَكُنْ فى كُتَابِ اللَّهِ جُلٌّ وَعِزٌّ نَصُّهُ
فإنَّ فيما يُؤَثَّرُ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُكْمُهُ ؛ وما لم يَكُنْ فى حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْفِيَّتَ فيه سَبِيلُ السَّلَفِ الصَّالِحِ من أئمَّةِ الْهُدَى رَضِيَ اللَّهُ
عَنهم الَّذِينَ لَمْ يَأْلُوا النَّاسَ اخْتِبارًا ، ولا أَذْخَرُوهم نَصِيبَةً وَاجْتِهادًا ؛ عالِمًا أَنَّكَ
أَسْعَدُ بِالْعَدْلِ مَنْ تَعَدَّلَ عَلَيْهِ ، وَأَحْظَى بِإِصَابَةِ الْحَقِّ مَنْ تُصَيِّبُهُ فيه : لِمَا تَتَعَبَّلُهُ
من جَمِيلِ أَحْدُوثِهِ وَذِكْرِهِ ، وَيُذْخِرُكَ من عَظِيمِ نَوَائِهِ وَأَجْرِهِ ، وَيُصَرِّفُ عَنْكَ من
حُوبِ ما تُتَقَلَّبُهُ وَوِزْرِه - وأن يَكُونَ الَّذِينَ تَحْكُمُ بِشَهادَتِهِمْ [من] أَهْلِ الثَّقَةِ فى أديانِهِمْ ،
والمَعْرُوفِينَ بِالأمانَةِ فى مُعامَلاتِهِمْ ، والمُؤَسَّمينَ بِالضُّلُقِ فى مَقالاتِهِمْ ، والمُشْهُودِينَ

بالتقدم في عدالاتهم : فإنك جاعلهم بين الله وبينك في [كل] كلام تُصدِّره، وحكم
تُبرِّمه ؛ وحقيق بأن لا ترضى لنفسك منهم إلا بما يرضى منك، وتعلم أن ذلك هو
الصدق، وأنت قد ألبيت عذرَكَ في تخييرهم، فإنه يعلم أن ذلك هو الصدق من ينك،
والصحة من يقينك، تحسن عليه معونتك، ومحضرك التوفيق في جميع أفضيتك -
وأن يكونَ من تستعين به على المسألة عن أحوال هؤلاء الشهود ومذاهبهم،
وما يعرفون به وينسبون إليه في رحالهم ومسالكهم أهل الورع والأمانة، والصدق
والصيانة - وأن تجد المسألة عنهم في كل مرة، وتفحص عن خبرهم في كل قضية؛
ثم لا يمنعك وقوفك على سقوط عدالة من تقدمت بتعديله من استقبال الواجب
في مثله، واستعمال الحق في أمره - وأن تُشرف على أعوانك وأصحابك، ومن تجرى
أمورك على يديه من خلفائك وأسبابك؛ لإشرافا يمنعهم من الظلم للرعية، ويقبض
أيديهم عن الماكل الرديئة، ويدعوهم إلى تقويم أودهم، وإصلاح فاسدهم، ويزيد
في بصيرة ذوى الثقة والأمانة منهم؛ فن وقفت منه على أمثال المذهبك، وقبول
لأدبك، وأقتصار فيما يتقلده لك، أقررتَه وأحسنَت مكافأته ومثوبته، ومن شِمت
منه حيفا في حكمه، وتعديا في سيرته، وبسطا ليدِه إلى ما لا يجب له، تقدمت
في صرفه، وألزمت في ذلك ما يلزمه - وأن تختار لكاتبك من تعرف سداد مذهبه،
وآستقلاله بما يتقلده، وإيثارا لرس (٩) من صحته، ومن تقدَّر عنده تقدِّم (١٢)
في نصيبك فيما يجرى على يديه، وتوخيا لصدقك فيما يحضره وتقيب عن مشاهدته؛
فإنك تأمنه من أمر حكك على ما لا يؤتمن على مثله إلا الأمين، وتُفوض إليه
من تُجج الخصوم المرفوعين إليك ما لا يفوض إلا لذي العفاف والدِّين - وأن تتفقد

(١) لهُ «إيثارة لكاتبك من صحته» . تأمل .

(٢) لهُ «تجربا» . تأمل .

مع ذلك أمره ، وتصفّح عمله ؛ وشرف على ماتحت يديه بما يؤدّيك إلى إحكامه وضبطه ، ويؤمّنك من وقوع خلل فيه - وأن تختار لمجائتك من لا يتجهّم الخُصوم ، ولا يختصّ بعضها دون بعض بالوصول ؛ وتوعز إليه فى بسط الوجه ، ولين الكنف ، وحسن اللفظ ، ورفع المشورة ، وكفّ الأذى .

فقلّد ماقلّدك من ذلك عاملا بما يحقّ عليك لله جلّ وعزّ ذكره ، ومستعينا به فى أمرك كلّ : فإنّا قلّدناك جسيما ، وحملناك عظيما ، وتبرأنا إليك من وزره وإضره ، واعتمدنا عليك فى توثى الحق وإصابته ، وبسط العدل وإفاضته ؛ وأقبض لأرزاقك وأرزاق كُتّابك وأعوانك ومن يحجّبك ولقن قراطيسك ومائر مؤنك فى كل شهر أربعين ديناراً ؛ فقد كتبنا إلى عامل الخراج بازاحة ذلك ، أوقات استحقاقك إياه ووجوبه لك ، وإلى عامل المدينة بالشّد على يدك ، والتقوية لأمرك ؛ وضمّ العدة التى كانت تُضمّ إلى القضاة من الأولياء إليك ، وهما فاعلان ذلك إن شاء الله تعالى .

الحالة الثالثة — ما كان عليه الأمر فى زمن بنى أيوب .

وكانوا يسمّون ما يكتب عن ملوكهم من الولايات لأرباب السيوف والأقلام «تقايد» و«تواقيع» و«مراسيم» وربما عبروا عن بعضها بـ«لمنّاشير» وهى فى الاقتراحات على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى — أن تفتح الولاية بخطبة مبتدأة بالحمد لله تعالى ثم يؤتى بالعبدية ، ويدكر ما سنع من حال الولاية والمولى ، ويوضّى المولى بما يليق بولايته ، ثم يقال : «وسبيل كلّ واقف عليه من الثواب العمل به» أو نحو ذلك .

وهى على ثلاثة أصناف :

الصف الأول — أرباب السيوف من هذه المرتبة

وهذه نسخة توقيع بولاية ناحية وإقطاع بلادها لمتوليها ، وهى :

الحمد لله على عوائده الجميلة وعواطفه ، وفوائده الجزيلة وعوارفه ؛ ناصب الحق وناصره ، وقاصم الباطل وقاصره ؛ ومُنير الدين ومُدبِله ، ومُبيِّر الكُفْر ومُذِبِله ؛ وشادُّ أزر أوليائه وسادُّ نعرهم ، وناصر مُعزِّهم ومُعزِّ نَصْرِهِم ؛ الذى أضنى علينا مَدَارِعَ نِعَمه ، وأصنى لدينا مَشارِعَ كَرَمه ؛ وأعلق أَيْدِينَا مِنَ الْعَدْلِ بِأَوْكِدِ الْأَسْبَابِ وَالْأَمْرَاسِ ، وَصَرَفَ بِنَا صَرَفَ الْعَسْفِ وَكَفَّ بِكِفَايَتِنَا كَفَّ الْبُؤْسِ عَنْ الرِّعْيَةِ وَالْبَاسِ ؛ وَجَلَّبَ إِلَى آسْتِجْلَابِ الشُّكْرِ مِنَ النَّاسِ هِمَّتَنَا ، وَطَوَّى عَلَى حُبِّ الْبِرِّ وَإِرَارِ الْحُبِّ طَوِيَّتَنَا ؛ وَحَمَمَ بِمَا أَوْلَانَاهُ مِنْ أَيْدِ مَادَّةِ كُلِّ يَدٍ تَمْتَدُّ إِلَى مَحْظُورٍ ، وَيَسَّرْنَا بِسَاطِ الْعَبْلِ الْمَطْوِيِّ لِمَا طَوَّى بَعْدُنَا بِسَاطَ الظُّلْمِ الْمُنْشُورِ ؛ وَأَبَى لَنَا أَنْ نَكْفُرَ نِعْمَةً أَوْ نَنْهَبَ لِكَافِرٍ ، أَوْ نَدَّعَ شُكْرَ مَنَّةٍ أَوْ نُودِعَهَا عِنْدَ غَيْرِ شَاكِرٍ .

وَلَمَّا كَانَ الْأَمِيرُ فُلَانٌ مِمَّنْ سَبَقَتْ لِحْدَهُ وَلَأْيِيهِ - تَعَاهَدَ اللَّهُ بِالْعَهَادِ مَتَوَاهِمَا ، وَخَصَّ بِثَرَارِ الرَّحْمَةِ تَرَاهِمَا - الْحَرَمَ الْأَكِيدَ ، وَالْخِدْمَ الطَّارِفَةَ وَالتَّلِيدَ ؛ وَلَمْ يَزَالَا مُجْتَهِدَيْنِ فِي تَعْمِيرِ هَذَا الْبَيْتِ وَتَشْيِيدِ أُسُسِهِ ، مُلَازِمِي الإِدَابِ فِي إِمْنَانِهِ وَتَشْدِيدِ غُرْسِهِ ، مُفَضِّيْنِ بِالْمُوَالَاةِ إِلَى مُوَالِيهِ ، مُقْصِحِينَ بِالْمُعَادَاةِ لِمُعَادِيهِ ، رَأَيْنَا - لِأَزَالِ الإِقْبَالِ لِأَرَأَانَا مَقَابِلًا وَمُرَافِقًا ، وَالسَّعْدُ مُسَاعِدًا وَالتَّوْفِيقُ مُوَافِقًا - أَنْ نُلْحِقَهُ بِدَرَجَةِ أَوَّلِيهِ ، وَنُورِدَهُ مِنْ كَرَمِنَا مُورِدَ جَدِّهِ وَأَبِيهِ ؛ وَنُلْقِي إِلَيْهِ عِنَانِ عِنَايَتِنَا ، وَنَرْطَاهُ بَعِينَ رَعَايَتِنَا ؛ وَنُلْحِقَهُ جَنَاحَ لُطْفِنَا ، وَنُبَوِّئُهُ مَقْعَدَ شَرَفٍ تَحْتَ ظِلِّنَا ؛ وَنُحَرِّسَ حَتْمَهُ مِنَ الْفُلُولِ ، وَجَدَّهُ مِنَ الْخُمُولِ ؛ وَنُعَوِّدَهُ مِنَ الْخَوَرِ ، وَنُورِدُهُ مِنَ الْكَدَرِ ؛ وَأَنْ تَقَرَّهُ

على ما يؤانا فيه والله من الهبات والإنعام والإفضال والإحسان، وجميع ما دخل تحت اسمه من المعافى والبُلدان، وسيُصحّ ذلك بقلم الديوان .

فليقابل هذا الإنعام من الشكر بمثله ، ويوازِ هذا الإفضال من حُسن القبول بعِذله ؛ وليرتبط نعم الله عنده بالشكر الوافى الوافر، فالسعيد من أطرح حلة الشاكر وأدفع حلة الشاكر ؛ وليدمن التحدث بها فالتحدث بالنعم من الشكر ، ويستجذب مواردها بإيضاح سُبل البر ؛ ويعمل التقوى شعاره ودثاره، ويخلص الطاعة لله إرادته وإصداره .

وليكن العدل ريسته ورائده ، والأمرُ المعروف دليله وقائمه ؛ وليتم فيما نيّط به حق القيام ، ويسمّر في حفظ ما استرعيناه عن ساق الإهتمام ، ويعلم أن منزلته عندنا أسنى المنازل وأعلاها ، ومرتبته لدينا أرفع المراتب وأبهاها ؛ وعمله عندنا السامى الذى لا يُضاهيه سامى ، ومكانته المكاث الذى ليس له فى الممكن أن يفترع عنه سامى ؛ فسبيله علم ذلك وتحقيقه ، وتيقنه وتصديقه ، وسبيل كل واقف على هذا المثال ، [أن] يقابله بالامتثال ، من سائر العُمال ، وأرباب الولايات والأعمال . والاعتماد على العلامة الشريفة فى أعلاه ، إن شاء الله تعالى .

الصنف الثانى — أرباب الوظائف الدينية

وهذه نسخة توقيع بتدريس مدرسة والنظر عليها ، والتحدث على أوقافها ومائر تعلقاتها ، وهى :

الحمد لله الظاهر إحسانه ، الباهر برهانه ، القاهر سلطانه ، المتظاهر أمتنانه ؛ نحمده على إنعامه حمداً يؤوم به من حلب غزارته وحلى نضارته ازدياده وازديانه ،

ونسأله أن يصلّي على سيدنا محمد نبيّه الشارح الشارح بيأنه ، وعلى آله وصحبه الذين هم أعضاء بشرعه وأركانّه .

أما بعد ، فإنّنا لما نراه من تشييد بُيُوت ذَوِي اليُتُوات ، وإمضاء حُكْم المُرُوءة في أهل المُرُوءات ، وإدعاء مَوَات ذَوِي الحقوق الحقيقة بالمراعاة وإحياء المَوَات ، وموالاتِ التَّمّ الشامل عمومها لأوّلِي الخُصوص والخُلُوص في الموالات ، ما تزال تُلحِق دَرَجَاتِ الأخلاف منهم في الاختصاص بالاستخلاص بالأسلاف ، فتورّدُهم من مَشارِع دولتنا ومَشَارِب نعيمنا في الاصطفاء والاصطناع أمْدَب النِّطاف ، ويُجَنِّبهم من مَفَارِس الرِّجاء ، ويَجَارِي النِّماء ، في الإدناء والاجْتِناء ، ثمراتِ التَّمّ الدانية الطِّغاف ، ويُفَيِّض عليهم من مَدَارِع البَهجة والبهاء ، وحُلُل الثَّناء والسَّناء ، في الأكرام ، بالاحترام ، ما يَضْفُو على الأعطاف .

ولما كان الشيخُ فلان متوحّداً بالنسب الأثير الأثيل ، والحسب الجليّ الجليل ، والحميد الأصيل ، والفضل الموروث والمكتسب ، والزكّاء في المتصيّ والمنتسب ، والذكاء الذي أنارت في أفق التوفيق ذُكَاؤُه ، والولاء الذي بان في شِرفة الإخلاص صَفَاؤُه ، والدين الذي علا سَناسَتُه ، في مَنار الحميد ، والخُلُوص الذي حَلَا جَنَى جَنَّتِه ، في مَذَاق التوحيد ، والرياسة التي تَفْضُوع رِيّاً رياضها الموقّعة ، والسباحة التي تَتَوَّج حَيَاضها المُنْفِذة ، والأمانة التي نهَضَتْ بها فضاءُها ، والموالات التي تَجَمُّعُ بها عندنا وسائِلُها - رأينا إجماعاً على عادة والده في تَوَلّي المدرسة المعمورة التي أنشأها جدّه للشافعية بجلَب ، وأوقافها ، وأسبابها ، وتدريسها ، وإعادتها ، واستنابته من يراه ويختاره في ذلك كله ، والنظر في جميع ما يتعلق بها كُثْرُه وقُلّه ، وترتيب الفقهاء فيها ، وتقرير مشاهراتهم على ما يراه من تفضيل وتقديم ، وتفصيل

وتقسيم ، وتخصيص وتعميم ، وتقيص وتكيل وتقسيم ، وحفظ الوقوف بالاحتياط
فى مصارفها ، والعمل فيها ، بشروط محبستها وإطلاقها بقيد واقفها ، بالابتداء
بالعارات ، التى تؤذن بتوفير الارتفاعات ، وتكثير المغلات ، وتسمية الثمرات ؛
مستشعرا تقوى الله التى هى حلية الأعمال الصالحات ، والعصمة الباقية والخنة
الواقية عند الثابت . وفوضنا ذلك إلى أمانته ، وبسده إلى من يقوم مقامه من
إخوته ، تشييدا لبיתهم الكريم ، وتجديدا لجدهم القديم ؛ ورقعا لمكاتهم المكيه ،
وحفظا لمرتبهم المصونه . وأمرنا بإعفاء جميع أوقاف المذمومة وسائر أوقافهم ،
وأملكه وأملك إخوته وحايثهم من جميع المظالم والمطالب ، والنوائب والشوائب ،
والعوارض والعراض واللوازم والكلف ، والمؤن والسخر ، والتبن والخطب ،
والأطباق والأنزال ، وسائر التوزيعات والتقسيمات والأفقال ؛ وإعفاء فلاحها
ومزارعها من جميع ذلك ؛ وإطلاق كل ما يصل من مغلات الأوقاف والأملك
المذكورة إلى مدينة حلب من جميع المؤن على الإطلاق ، وكذلك جميع ما لهم من
البضاعات والبياعات والتجارات مفعاة مطلقا لا اعتراض عليها لأحد ، ولا تمتد إلى
شئ منها يد يد . ولينزل ذلك على عادته المشكورة ، وأمانته المشهورة ؛ بنظر
كاف شاف ، وكريم وافر وإف ؛ ورع من الشوائب صاف ، وعزوف عن الدنيات
بالدنيات متجاف ؛ وسداد لركن المصالح شائد ، وتذكر لترك مواد المناجج رائد ؛
ورأي فى ذمة الصواب راجح ، وسقى برتبة الرشد ناجح ؛ وهمية عالية فى نشر العلم
بالمدرسة وإعلاء متاره ، وإلزام الفقهاء والطلبة بتدريسه وإعادته وحفظه وتكراره ؛
ومروية تامة فى الاشتغال على إخوته ومحلنى أبيه بما يصل به الرحم ، ويظهر به
الكرم ، ويحيى من مفانر آبائه الرمم ، ويقوى لهم من مآقد مكارمه العصم . وسبيل
الولة والنواب وكل واقف على هذا المثال إمضاء ذلك كله على سبيل الاستقرار ،

وتصُرُّ الأعمار ، وتصرف الأعصار ، وتقلب الأحوال والأدوار ؛ وحفظه فيهم وفي أعقابهم على المصور والأحقاب ، ووصل أسبابه عند انقطاع الأسباب ، من نسخ ينقض مبرم مآقده ، أو نسخ يقوض محكم مآقده ؛ أو تبديل يكدر صفاء موارده ومشارعه ، أو تحويل يقلص ضائق مآلئسه ومدارعه . وليبدل لهم المساعدة في كل ما يعود له ولجماعته بصلاح الحال ، وفراغ البال ونجاح الآمال ، وإقامة الجاه في جميع الأحوال . والعمل بالأمر العالي وبمقتضاه ، والاعتماد على التوقيع الأشرف به إن شاء الله تعالى .

الصف الثالث — أرباب الوظائف الديوانية

وهذه نسخة توقيع بوزارة ، من إنشاء بعض بني الأمير ، وهى :

الحمد لله الذى فضّلنا على كثير من عباده ، وأغنانا بمزيد عطائه عن أزداده ، وجعلنا من استخلفه فى الأرض فشكر عواقب إصداره ومبادئ إرادته .

نحمده ولسان أنعمه أفصح مقالاً وأفسح مجالاً ، وإذا اختلقت خواطر الحامدين روية كثرتها أرتجالاً ؛ ونسأله أن يوفقنا لتلقى أوامره ونواهيه بالاتباع ، وأن يصغى بقلوبنا إلى إجابة داعى العدل الذى هو خير دواع ، ويصدقنا من تبعات ما أسترطناه يوم يسأل عن رعيته كل راع .

أما بعد ، فإن الله قرّن استخارته برّشده ، وجعلها ثورا يبتدى به فى سلوك جده ، ويستمد من يمن صوابه ما يثنى عن الرأى ومدده . ومن شأننا أن نتأدّب بأداب الله فى جليل الأمر ودقيقه ، وإذا دلّ التوفيق أمراً على عمله دلّ عملنا على توفيقه ؛ فمن عنوان ذلك أنا أصطفينا لوزارتنا من تحمّدنا الأيام من أجله ، وتحمّدنا الملوك على مثله ، ويعلم من أتى فى عصره أنه فات السابقين من قبله ، وهو الوزير الأجل

السيد الصدر الكبير؛ جلال الدين، شرف الإسلام، مجتبي الإمام نحر الأنام ؛
 وليست هذه النعوت مما تزيد مكانه عرفا ، ولا تستوفى من أوصافه وصفا ؛
 وإن عدها قوم جل ما يدحرونه من الأحساب ، ومعظم ما يخلفونه من التراث
 للأعقاب ؛ ولا يفخر بذلك إلا من أعدم من ثروة شرفه ، ورضى من الجوهر
 بصدفه ؛ وأنت فقير فاحر به ولا بما ورثته من مجد أبيك الذى أخصت الأيام به
 شهودا ، والحدود له جدودا ، وغدا وكأن عليه من شمس الضحى نورا ومن الصباح
 عمودا ؛ وقد علمت أنه كان إليه نسب المكارم وسيمها ، وكان ما بلغه منها أعظم
 ما بلغه من دنياه على عظيمها ؛ أكلت خلفت لنفسك مجدا منك ميلاده ، وعنك
 إيجاده ؛ وإذا اقترن سعى الفتى بسعى أبيه فذلك هو الحسب الذى تقابل شرفاه ،
 وتلاقى طرفاه ، وغض الزمان عنه طرفة كما فتح بمدحه فاه ؛ وإذا استطرفت سادة
 قوم بنيت بالسؤدد الطريف التليد ، ولقد صلت الله لهجة المثنى عليك إذ يقول :
 إنك الرجل الذى تضرب به الأمثال ، والمهذب الذى لا يقال معه : أى الرجال ؛
 وإذا وازرت مملكة فقد حظيت منك بشد أزرها ، وسد ثغرها ، وأصبحت وأنت
 صدر لقلبها وقلب لصدرها ؛ فهى مزدانة منك بالفضل المبين ، معانة بالقوى
 الأمين ؛ فلا تبئت إلا مستخدما ضميرك فى ولآئها ، ولا تغدو إلا مستجديا كفايتك
 فى تمهيدها وإطلائها .

ومن صفاتك أنك الواحد فى عدم النظر ، والمعنود بألف فى صواب التدبير ،
 والمؤازر عند ذكر الخير على الإعانة وعند نسيانه على التذكير ؛ ولم ترق إلى هذه
 الدرجة حتى نكحت عقبات المعالي ففضيت أجلها ، وآنست من طور السعادة نارا
 فهديت لها ؛ ولم تبلغ من العمر أشده ، ولا تزع عنك الشباب برده ؛ بل أنت
 فى ريعان عمرك المتجمل برعان سؤدده ، المتقمص من سيبا الخلال ما أبرز وقار

المشيب في أسوده . وهذا المنصب الذي أهلت له وإن كان ثاني الملك محلاً ، وتلوه عقداً وحلاً ؛ فقد علا بك قدره ، وتأبل بك أمره ؛ وأصبح وشخصك في أرجائه مناراً ، ورأيك وفضلك من حوله سور وسوار ؛ وله من قلمك خطيب يحادل عن أحساب الدولة فيفتحها غفراً ، وسيف يمالد عن حوزتها فيمطحها نصراً ؛ ولقد كان من قبلك وقبل أبيك مكرها على إجابة خاطبه ، والتوب إليه عن مرآته ؛ فلما جنتاه استقر في مكانه ، ورضي بملكو شأنكما لعلو شأنه ؛ وقد علم الآن بأنك نزلت نزل الليث في أجبه ، وأستقلت به استقلال الرمح بأحدمه (١) ؛ وما زالت المعالي تسفر بينك وبينه وأنت مشتغل بالسعى للسيادة وآدابها ، عن السعى للسعادة وطلابها . فخذ ما وصلت إليه باستحقاق فضلك ومناقبه ، لا باتفاق طالعك وكواكبه .

وأعلم أن هذه النعمة وإن جاءتك في حقلها ، وأناخت بك بصاحبها وأهلها ؛ فلا يؤنسها بك إلا الشكر الذي يجعل دارها لك داراً ، ووُدّها مستمكاً لك لا معاراً ؛ وقد قيل : إن الشكر والنعمة توءمان ، وإنه لا يتم إلا بأجتماع سر القلب وحديث اللسان ؛ فاجعله معروفها الذي تمسكها بإحسانه ، وتقيدها بأشطانه .

وقد أفردنا لك من بيت المال ما تستعين به على فرائض خدمك ونوافله ، وترد فضله على أبنائك مجديك وفضائله ؛ وذلك شئ عائد على الدولة طيب سمعته ، فلها محمود ذكره ومنك موارد شرعته ؛ وإذا حلت متأهل الغدر كان الفضل للسحاب الذي أغدرها . والمفرد باسمك من بيت المال كذا وكذا .

وكل ما تضمنته تقليد غيرك من الوصايا التي قرعت له عصاها ، ونيزت له حصاها ، فانت مستغن عن استماعها ، مكثف بأطلاع فكرك عن اطلاعها ؛ غير أنا نسألك كما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذاً ، ونسأل الله أن يجعل لك

من أمرك يُسرّا ومن عزيمك نَقَازًا ؛ وقد أجابنا لسانُ حالك بأنك تأخذ بتقوى الله التى ضمنَ لها العاقبة ، وجعلَ شيعتَها الغالبة ؛ وأنتُ تجعلُها يذُك وبينه سببا ممدودا ، وبينك وبين الناس خُلقًا مفهودا ؛ حتى تُصبح وقد أمنتَ من دهرِكَ عِتَارا ، ومن أبنائِهِ أَسْمَاعا وأبصارا — ومن شرائطها أن يكونَ الرجلُ المسلم الذى سلم الناس من يده ولسانه ، وفى هذين كفاية عن غيرها من الشيم ، التى تُحفظ بها سياساتُ الأمم : فإنَّ العدل هو الميزان الذى جعله الله ثانيَ الكتاب ، والإحسان الذى هو الطينة التى شاركتها القلوبُ فى جيلتِها مشاركةَ الأحباب .

وأما ماسوى ذلك من سياسة الملك فى تحرير أصوله ، وتدير محصُوله ؛ كالبلاد واستثمارها ، والأموال واستثمارها ؛ وولاية الأعمال واختيارها ، وتجنيد الجنود واختيارها ؛ فكلُّ ذلك لا يصدر تديرُهُ إلا عن نظرك ، ولا يُمثى فيه إلا على أثرِكَ ؛ وأنتَ فيه الفقيهُ أبْنُ الفقيه الذى سرى إليك علمُه نفسا ودَرسا ، وثمرَةً وغرسا ؛ فهذا كُتُبُ عهدنا إليك : نغذه بقوة الأمانة التى أبتِ السموات والأرض حملها ، وما أطاقتُ ثِقَلها ؛ والله يسُلك بك سَدَدا ، ويَحْتَرى بك رَشَدا ، ويلزمك التوفيق قلبا ولسانًا ويدًا ، إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك نسخةٌ توقيع باعادة النظر بثمر الإسكندرية لأبْن بصاصة فى شهر سنة ثمان وسبعين وستائة ، وهى :

الحمد لله الذى أضحكَ الثُغور بعد عُيُوسها ، وردَّ لها جَمالَها وأَنارَ أُنُقُها بطلُوع شمُوسِها ، وأحيا مَعالِمَ الحير فيها وقد كادتُ أن تُشْرِف على دُرُوسها ؛ وأقامَ لمُصالح الأُمّة من يُشْرِق وجهُه الحق بياض آرائِهِ ، وتَلدُّ الأسماعُ بتلاوة أوصافه

الجميلة وأنبأته ؛ حمد من أُسِفَتْ عليه النِّعماء ، وتهادت إليه الآلاء ، وخطبتة لنفسها العلياء .

وبعد ، فأحقَّ مَنْ ماسَ في أندية الرِّئاسة عطفًا ، واستجلى وجوه السعادة من مُجِبِّ عِزِّها فأبدت له بَجمالًا ولُطفًا ؛ وأصطفته الدولة القاهرة لمِهْمَاتِهَا لِمَا رَأَتْهُ خَيْرَ كَافِلٍ ، وتثَقَّلَ في مراتبها السَّنية تَثَقَّلَ النَّيِّرَاتُ في المَنَازِلُ ^(١) .

ولما كان المجلس السامى القاضى ، الأجل ، الصدر ، الكبير ، الرئيس ، الأوحد ، الكامل ، المحتجى ، المرتضى ، الفاضل ، الرشيد ، جمال الدين ، نحر الأنام ، شرف الأكابر ، جمال الصدور ، قدوة الأمناء ، دُخْر الدولة ، رضى الملوك والسلاطين ، الحسين بن القاضى زكى الدين أبى القاسم - أدام الله رفعتَه - ممن أشارت إليه المناقب الجليله ، وصارت له إلى كل سُؤْلٍ نِعَمُ الوَسِيلِه - رُسم بالأمر العالى ، المولى ، السلطانى ، الملكى ، العادلى ، البدرى ، - ضاعف الله علاءَه وِنَقَازَه - أن يُفَوِّضَ إليه نظرُ تَفَرُّدِ الإسكندرية المحروس ونظرُ مَتَاجِرِه ، ونظرُ زُكُواتِه ونظرُ صَادِرِه ، ونظرُ قُوَّةِ المَزَاحِمِين ، فيقدِّم خيرة الله تعالى ويباشر هذا المنصب المبارك ، بعِزَمَاتِه الماضيه ، وهِمَمِه العاليه ؛ برأى لا يُسَاهِمُ فيه ولا يُسَارِكُ ، ليُصْبِحَ هذا النُفَرُ بمباشرته باسمًا حاليًا ، وتعود بهجتُه له بهجِلِ نظَرِه ثانيا . ويتصَبُّ لتدبير أحواله على عادته ، ويقرِّرُ قَوَاعِدَه بحالى هِمَّتِه ؛ ويبحثُ في تحصيل أمواله وتحصين ذخائره ، واستخراج زكاته وتيمية متاجره ؛ ومعامله التجار الواردين إليه بالعدل الذى كانوا ألقوه منه ، والرفق الذى يلقوا أخباره السارة عنه ؛ فإنهم هذا يا البحور ، ودوالبه

(١) لم يذكر خبر المبتدا ولعله سقط من ظم النسخ وأصله « من اشترى بخاسن الخلال ، ومحمد الخصال ،

وساس الأمور بأيه الراجح ، ودبرها بسبعه الناجح ، وما » الخ أو نحو ذلك فنه .

الثغور، ومن أليستهم يُطَلَعُ على ما يُجَنُّهُ الصدور، وإذا بَدَّرَ لهم حَبَّ الإحسان
نَشَرُوا له أجنحةً مَرَاكِهم وحاووا عليه كالطُيُور . وليَعْتَمِدْ معهم ما تَضَمَّنَتْه المراسمُ
الكرِمةُ المستَقَرَّةُ الحكم إلى آخِرِ وَقْتٍ ، ولا يَسْلُكْ بهم حالةٌ تُوجِبُ لهم القَلَقُ والتَظَلُّمُ
والمَقْتُ ؛ وليُواصِلْ بالْمُحْمُولِ إلى بَيْتِ المالِ المعمور ، ويُملَأْ الخِزَانُ السلْطَانِيَّةُ
من مستَعْمَلاتِ الثغر وأمتعتِه وأصنافه بكل ما يُسْتَغْنَى به عن الواصلِ فى البرور
والبُحُور ؛ وليَصْرِفْ هَمَّتْه العَالِيَّةُ إلى تَدْيِيرِ أحوالِ المتأَجِّرِ بهذا الثغر بحيثُ تَرْفَعُ
رُؤُوسُ أموالِها وتَنِيئُ ، وتُجُودُ بِمُحَائِبُ فَوَائِدِهَا وتَهَيَّئُ ؛ وليُرَاعِ أحوالِ المستَعْدِّينَ
فى مَبَاشَرَاتِهِمْ ، ويَكْشِفُ عن باطنِ سَيَرِهِمْ فى جِهَاتِهِمْ ؛ ليتَحَقَّقُوا أَنَّهُ مَهْمُنٌ عَلَيْهِمْ ،
وَنَازِرٌ بَيْنَ الرَّاقَةِ إِلَيْهِمْ ؛ فَتَنَكَّفُ يَدُ الْخَائِنِ مِنْهُمْ عن الْخِيَانَةِ ، وَتُحْمَلِ أُنَائِلُ الْأَمِينِ
بِحَاسَنِ الصَّبِيَانَةِ ؛ وَلِيَتَّفِقَ فِيمَا يَأْتِيهِ وَيَذَرُهُ ، وَيَقْدِمَهُ مِنَ الْمَهْمَاتِ وَيُؤَخِّرُهُ ، معَ الْمَجْلِسِ
السَّامِى ، الْأَمِيرِ ، الْأَجَلِّ ، الْكَبِيرِ ، الْمَجَاهِدِ ، الْمَقْدَمِ ، الْأَوْحِدِ ، النَّصِيرِ ، شَمْسِ الدِّينِ ،
مَتَوَلَّى الثَّغْرِ الْمَحْرُوسِ - أَدَامَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ - فَإِنَّهُ نِعَمَ الْمُعِينِ عَلَى تَدْيِيرِ الْمَهْمَاتِ ، وَنِعْمَتَ
الشَّمْسِ الْمَشْرِقَةِ فى ظِلِّهِ الْمَشْكَلَاتِ . وَلِيُطَالِعْ بِالتَّجَدُّدَاتِ فى الثَّغْرِ الْمَحْرُوسِ ، لِيَرِدَ
الْجَوَابُ عَلَيْهِ عِنْدَ مَا يَشْرَحُ الصَّدُورَ وَيُطَيِّبُ النُّفُوسَ ؛ وَلِيَتَنَاوَلَ مِنَ الْجَامِكَةِ
وَالْجَرَايَةِ عَنِ ذَلِكَ فى غَزَاةٍ كُلِّ شَهْرٍ مِنْ أَسْتِقْبَالِ مَبَاشَرَتِهِ مَا يَشْهَدُ بِهِ الدِّيْوَانُ الْمَعْمُورُ
لِمَنْ تَقْدِمُهُ مِنَ النُّظَارِ هَذِهِ الْجِهَاتِ ، وَهِيَ نَظَرُ الثَّغْرِ وَمَا أَضْيَفَ إِلَيْهِ عَلَى مَا شَرَحَ
أَعْلَاهُ .

المرتبة الثانية

(أن تفتح الولاية بلفظ « أما بعد حمد الله » أو « أما بعد فإن كنا »

ويؤتى بما يناسب من ذكر الولاية والمولى ، ثم يذكر ما سنع

من الوصايا ، ثم يقال « وسبيل كل واقف عليه »)

فمن المكتتب لأرباب السيوف من هذه المرتبة ما كان يكتب لبعض الولاة .

وهذه نسخة بولاية الشرقية ، وهى :

أما بعد ، فإننا لما متحنّا الله إياه من معجزات النصر المستنطق الألسنة بالتسبيح ،
وآتانا من نظريحي ناضرعيش الأمتة من التصويج ، والهنّاه من ثياب العظمة
المخصوصة بأحسن التوشيع والتوشيع ، ووقفنا له من أصطفاء من نُقيل عليه بوجه
التاهيل للهّات والترشيح ، وقوّاه من عزائمنا التى تُرجّ بها أرض الكفر وتُدوّخ ،
ووسّعه لنا من الفتوح التى أنباؤها خير ما تُصدر به السّير وتؤرّخ - لا نزال نبالغ فيما
صان الحوزة وحاطها ، ومدّ رواق الأمانة ومهد بساطها ، وقرب نوايح المصالح
وجمع أشتاتها ، وأوجب أنصرام جبال آختلال الأمور وأقضى آنياتها .

ولما كانت الأعمال الشرقية جديةً بمتابعة الاعتناء ومولاته ، وإعراق كرم التمهّد
فما يحفظ نظامها بمفالاته ، وأحقّها بأن تُصرف إلى صونها وجوّه الهمم الطوامع ،
ويوقف عليها حسن الاحتفال الجامع دواعى تدليل الجامع ، إذ كانت أجدر الأعمال
بِكلاءة الفروع من أوضاعها والأصول ، والباب الذى لا يجب أن يدخله إلّا من
أذن له فى القدوم إليها والوصول ، ويتعيّن التحرّز على الطرقات التى منها إليها
الإفضاء ، ويؤكّل بما دونها من المياه عيون حفظة لا يلزمها النوم والإغضاء ،

— وكنت أيها الأمير أشدَّ الأمرءِ بأسا، وأوفاهم لحسن الذكر الجليل لباسا؛
وأكثرهم لمهج الأعداء أخلاسًا، وأجمعهم للعاسن المختلفة ضروبًا وأجناسًا؛ وقد
تأصرت على قُصودك الحسنة وإصحأت الدلائل، وتحلَّت أجيادُ خلائك من جواهر
المفآخر بقلائد غير قلائل؛ واستطار لك أجملُ مُنمعه، وقطمت سُيوفك أبناء الكُفر
عن ارتضاعها من المِلَّة الإسلامية ندى طمنه؛ ولا استنبهت طرق السياسة
إلا هُديت إلى مجآهلها، ولا حلاًّ التقصير سواك عن شرائع النعم إلا غُذوت بكفآيتك
وإرد منآيلها؛ وكَم شَهدت مقامَ جلاد، وموقفَ جهاد؛ فزُقت ثوبَ مارقته نسجًا،
وأدلت في ليل قسطله عوادي صواريك شرًا، وقُنت فيما وكل إليك من أمور
الفأوقسية وقلعت صدر وأيلة حرسهما الله تعالى قيامًا أحظاك بالثناء والثواب،
وأسننت في كلِّ منها من أجرى أمورها على الصواب — خرج أمرُ الملك الناصر بكتب
هذا السجل بتقليدك ولاية الأعمال الشرفية المقدم ذكرها .

فاعتمد مباشرتها عاملًا بتقوى الله التي مَغْنَمها خيرُ ما آتاهه مستشعروها لأنفسهم
وأستأنوه . قال الله تعالى : ﴿ وَقِيمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاكُوهُ ﴾
وأبسط العدل على أهل هذه الولايات ، وأخصص أهل السلامة بما يُسَلِّ عليهم
سِر الحياطة والحمايه ؛ وتطلب المفسدين أتمَّ تطلب ، وأحظر عليهم التفتل في هذه
البلاد والتقلب ؛ ومن ظفرت به منهم فقايله بما يوجب حكمة جريته ، ويقتضيه
موقع جرمته ، ويعمله مُزدجرا لسالكى طريقته . وشُد من المستخلف على الحكم
العزِز شدا ينصُر جانب الشرع ويُعزّه ، ويكثر به على الباطل تريُّع الحق وأزّه ؛
وأعين المستخديمين في المال على استيفائه من وجوهه عند وجوبه ، وبلغ كلاً منهم
من الإعانة على تحصيله أقصى مطلوبه ؛ وقو أيديهم في تخضير البلاد وتعميرها ،

وَأَبْعَثِ الْمُزَارِعِينَ عَلَى مَبَاشَرَةِ أَحْوَالِ الزَّرَاعَةِ وَتَقْرِيرِ أُمُورِهَا ؛ وَفِيهَا يُسْتَرْعَوْنَ مِنْ مَصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَيُؤَدُّ عَلَيْهِمْ فِي مَوْجِبَاتِ الرِّجَاءِ بِمَنَاجِحِ الْأَمَالِ . وَرَاعِ أَمْرَ السُّبُلِ وَالطَّرِيقَاتِ ، وَاجْعَلِ أَحْتِرَاسَكَ عَلَيْهَا الْآنَ مُؤَفِّيًا عَلَى الْمُتَقَدِّمِ مِنْ سَالِفِ الْأَوْقَاتِ ؛ وَلَا تَنْ فِي إِنْفَازِ الْمُتَخَبِّرِينَ إِلَى بِلَادِ الْمَدُونِ ، وَتَحْتِمْهُمْ فِي الرُّوَاكِ وَالْغُدُوِّ ، بِمَا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْمُدُونِ ؛ وَكَشِّفِ أَخْبَارَهُمْ ، وَتَتَّبِعْ آثَارَهُمْ ، وَتَسِيرِ الْجَوَاسِيسَ إِلَى دِيَارِهِمْ ؛ حَتَّى لَا تَخْفَى عَنْكَ مِنْ شُؤْنِهِمْ خَافِيَةٌ ، وَلَا يَجِدُوا سَبِيلَ غِزْوَةٍ يَهْتَلُونَهَا . وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ . - بِالْجُمْلَةِ الْكَافِيَةِ . وَطَالَعِ بِمَا يَتَجَدَّدُ لَكَ وَمَا يَرِدُ مِنَ الْأَنْبَاءِ عَلَيْكَ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يُحْتَاجُ إِلَى عِلْمِهِ مِنْ جِهَتِكَ ، وَمَا تَجْرَى عَلَيْهِ أَحْكَامُ خِدْمَتِكَ ، فَاعْمَلْ هَذَا وَأَعْمَلْ بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة بولاية الغربية من هذه المَرْتَبَةِ ، وهى :

أما بعدُ ، فَإِنَّا لِمَا آتَانَا اللَّهُ مِنْ سَعَادَةٍ لِبُطُوقِ الْإِرَادَاتِ فِيهَا تَعْقِيدُ ، وَأُسْبَغَهُ بِنَا مِنْ نِعَمٍ لَا يَعُدُّهَا التَّحْدِيدُ ، وَلَا يَحُدُّهَا التَّعْدِيدُ ؛ وَأَهْجَنَّا بِهِ مِنْ أَكْتِنَافِ الْمَطَالِبِ بِمَنَاجِحِ لَا يُعْقِبُهُ تَعْسِيرٌ وَلَا يَعْسُرُهُ تَعْقِيدُ ؛ وَأَمْضَاهُ مِنْ عِزَائِنَا الَّتِي مَا قَتَكْتَ قَطُّ بِالْأَعْدَاءِ فَقِيدَ مِنْهُمْ فَقِيدُ ؛ وَلَقَّاهُ الْأَمْنَةَ بِنَظَرِنَا مِنْ نَضْرَةِ عَيْشِ جَانِبِ الْحَقَائِفِ دَوَّحِهِ الْمُخْفَضِ ، وَأَهْدَاهُ بِتَبْصِيرِنَا مِنْ أَنْوَارِ الْمَدَى الْمُتَقَسِّمَةِ كُلِّ ذِي جَهْلٍ ظَلٌّ مِنْ ضَلٍّ - لَا تَزَالُ نَسْتَوْجِخُ أُمُورَ أَمْرَاءِ دَوْلَتِنَا مُتَصَفِّحِينَ ، وَنَبْلُو أَخْبَارَ الْمُؤَهِّلِينَ مِنْهُمْ لِسِيَاسَةِ الرِّعْيَةِ الْمُرْتَشِحِينَ ، وَنَكْشِفُ شُؤْنَهُمْ غَيْرَ مُتَجَوِّزِينَ وَلَا مُتَمَسِّحِينَ ؛ وَنُظْهِرُ فِي أَحْوَالِهِمْ آثَارَ الْإِثَارِ لِرَفْعِ دَرَجَاتِهِمْ ، وَأَمَارَاتِ الرِّفْعِ مِنْهُمْ مُقَابِلَةً عَلَى حَيَاطَةِ أَمْوَالٍ مَنْ تَكُونُ عَلَيْهِ وَصُونَ مِنْهَا ، وَنُبْؤُهُمْ مُبَوِّأَ صَدَقٍ مِنْ تَصَدِيقِ أَمَالِهِمْ وَتَحْقِيقِهَا ؛ وَتَرْفُ إِلَيْهِمْ

عقائل المَحِّ المَسْبُوعِ شُكْرُهُمْ مِنْ تَسْبِيبِ سَبِّهَا وَتَطَرُّقِ تَطْلِيْقِهَا ، وَفَعَلَ لِكُلِّ مِنْهُمْ مَا يُؤْمَلُهُ مِنْ أَجْتِهَادِهِ وَبُؤْرِهِ ؛ وَلَا نُلْفِى الْأَهْتَامَ بِمَا يُوطَى لَهُمْ مِهَادَ الطُّولِ الْجَزِيلِ وَبُؤْرُهُ ؛ عَمَلًا بِأَدَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي إِجْرَالِ حُطُوطِ الْمُحْسِنِينَ مِنْ إِحْسَانِ الْمَجَازَاهِ ، وَإِلَالَتِهِ الْمَزِيدِ الْحَاكِمِ بِتَقْصِ اعْتِدَادِهِمْ عَنِ الْمُوَازَنَةِ لَهُ وَالْمُوَازَاهِ ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَقَوْلُهُ هَدَى وَنَوَّرَ وَشَفَّاءُ لِمَا فِي الصُّدُورِ : ﴿ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ .

وَلَمَّا كَانَ الْأَمِيرُ (وَالنُّصُوتُ وَالِدُهُ) مِنْ أَنْجَحِهِمْ فَلَا ، وَأَرْجَحِهِمْ مَصَالَا ، وَأَصْلَحِهِمْ أَعْمَالَا ، وَأَوْصَحِهِمْ كَلَالَا ، وَمَا زَالَتْ أَغْصَانُ نَهَاهُ مُتَابِعَةً فِي بُسُوقِهَا ، وَضَرَائِيهِ نَافِعَةٌ أَعْلَاقُ الْمَحَامِدِ بِسُوقِهَا ؛ وَعِزَائِمُهُ فِي إِذْلَالِ الْفِرْقِ الْمُبَالِغَةِ فِي فُسُوقِهَا ، مُشْمَرَةٌ عَنْ سُوقِهَا ؛ وَمَا بَرِحَ فِي شَوَاطِ الْفَخْرِ رَاكِضًا ، وَلَمُتُّودَ مَكْرِهِ الْأُمُورِ الَّتِي تُرِيغُ الْأَمَانَةَ رَافِضًا ، وَبِأَعْيَاءِ الْقِيَامِ بِفَرَائِضِ الْآلَاءِ نَاهِضًا ؛ وَمَا أَنْفَكْتَ مَنَاقِبُهُ تُمْنِي بَيَانَ الْوَاصِفِ وَبَنَانِ الْعَادَةِ ، وَمَسَاعِيهِ مُذَكِّرَةً وَهِيَ وَادِعَةٌ مَا يَعْجِزُ عَنْ أَقْلِهِ جِدُّ الْجَادَةِ ؛ وَرَأْيُهُ [يَرْتَقِ] كُلُّ مُتَفَتِّقٍ وَمُنَبِّتٍ مِنَ الْأُمُورِ الْمَهْمَةِ بِسَدَادِ الرَّائِقِ السَّادِ ، وَحَمِيلُ ذِكْرِهِ يَفُوحُ بِمَا يَفُوقُ الْمِسْكَ فَيُثَوِّبُ إِلَيْهِ مِنَ الثَّوَابِ بِالنَّائِي النَّادِ ؛ وَمَا قَتَى دَابُّ شَيْئِهِ الْإِعْرَاضِ ، عَنْ الْمُؤَبِّقِ مِنَ الْأَعْمَرِاضِ ؛ وَاخْتِيَارَ الرَّفْقِ ، وَالْإِعْزَاقِ فِيمَا يَدِيهِ إِلَى فَكِّ أَعْنَاقِ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ سَرَى الْعَتَقِ - نَخْرَجُ أَمْرَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ بِكُتُبِ هَذَا السَّجَلِ لَهُ بِتَقْلِيدِهِ وَلَايَةَ الْأَعْمَالِ الْغَرِيبَةِ .

فَلْيَتَقَلَّدْ مَا قُلِّدَهُ مَعْتَمِدًا عَلَى تَقْوَى اللَّهِ الَّتِي صَرَفَ عَنْ مَعْتَمِدِهَا شَرِبَ التَّكْدِيرِ ، وَمَنْعَهُ مِنَ الْمَكَارِمِ عِنْدَهُ مَا يُؤَيِّى عَلَى التَّقْدِيرِ ؛ وَلْيَعْرِجْ عَلَى عَادَتِهِ فِي بَسْطِ ظِلِّ الْمَعْلَلَةِ وَمَنْدُ رُوَاقِهَا ، وَصُونَ مَسَاحِي الرِّعَايَا عَنْ إِمْلَاقِهَا مِنْهَا وَإِخْفَاقِهَا ، وَالْمَسَاوَاةِ بِهَا بَيْنَ

الأقوى والأضعف، والأدنى والأشرف؛ والبادى والحضار، والمتأولين والأنصار؛
والخاص والعام، والأجنبي وربّ الحرمة والتمام: لينام المستورون على مهاد الأمن،
ويسلم جانب سلامة أموالهم وأرواحهم من الوهن. وليعامل المستخلف على الحكم
العزیز بما يستوجبه مثله من نصرة الأحكام «وكل إليه أمر الأمراء لمن آثرها^(١)
والإحكام» والإكرام الشامل لقدّره، والاهتمام الشارح لصدّره. ولتتوخ المستخضعين
في الأموال بما يكون لعلّهم مُزيحاً، لبصل إليهم ما يرومونه نجيحاً. ويلزم من
بحرث عادته بلزوم الحدود واجتناب تعسها، والتوفّر على حفظ مسالكها والمترددین
فيها، وليطالع بما يتجدد قبّله من الأحوال الطارئة، وما لم تزل الرسوم بإنهاء مثيلها
جارية؛ إن شاء الله تعالى.

المرتبة الثالثة

(أن تفتح الولاية بلفظ «رُسم» ثم يذكر أمر الولاية والمولى ويوضح،
ثم يقال «وسيل كل واقف عليه»)

فن المكتتب لأرباب السيوف من هذه المرتبة نسخة مرسوم بشدة ناحية، وهى:
رُسم - أعلى الله المراسيم وأدام تقادها - بالإتمام على الأمير فلان بما يُفيض عليه
ملابس الاصطفاء ويُضيفها، ويُسمى لقدمه في الثبات مدارج الارتقاء ويُسنيها؛
ويُعرب عن اختصاصه بالمرتبة التي يفضّل بها على مُباريه، واستخلاصه للرتبة التي
يفوت بها شأؤُ تجارتيه؛ ويؤهله لتغري حريم المحروس وشده، وتوليّه أمورَه بكفايته
وتنهضته وحرّامته ووجده؛ وقد أمرنا بتسليم قلعة حريم وأعمالها وسائر ما يختص
بها ويُضاف إليها من ضياعها ومواضعها إليه، والتصويل في ولايتها وتعميرها وتخليها

(١) كذا في غير نسخة ولا معنى له وقد تقدّم لهذا المقام أمثال ونظائر يهمل منها المقصود.

عليه ؛ بموجب ما يُفَصِّل من الديوان على ما كان جارياً فى الإقطاع المحروس للحال ،
وسبيل أهل الديوان - أيدهم الله - العمل بالأمر العالى وبمقتضاه ، والاعتماد على
التوقيع الأشرف به ، إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك نسخة مرسوم بَشَد وقف ، وهى :

رُسم - أعلى الله المراسيم وأدام نَقَّادَهَا - بالعمول على الأمير فلان فى تولى
الوقوف بالجامع المعمور بِحَلَبَ المحروسة ، والبيارستان ، والمساجد ، والمشاهد
بالأماكن والمواضع ، وظاهرها وباطنها وأعمالها ، وتفويضها إليه ، والاعتماد
فى جميعها عليه ؛ سُكُونًا إلى نهضته وكفايته ، ووُثُوقًا بِخَيْرته ومعرفته وعلمها بتزاهته ،
وسَدَّاده وأمانته ؛ وذلك لاستقبال سنة سبع وثمانين وثمانمائة .

فلتول ذلك بكفاية كافيته ، ونهضة وافيته ، وهمة لأدواء الأحوال شافيته ؛ ونظر
تام ، لشَمْل المصالح ضام ، وتدبير جميل فى كل خاص من أسباب عمله وعام ؛
وتقوى لله عز وجل تقوى بها يده ، ويَضَحُّ بالاستقامة على سَنَنِها جَدُّه ؛ ناظرًا
فى الوقوف ومصاريها ، وتتبع شروط واقفها ؛ بكل ما يعود بتعمير أعمالها ، وتثبير
أموالها ، وتدبير أحوالها ؛ مطالبًا بحساب من تقدمه وتحقيق مبالغه تكيلًا وإضافة ،
وأحسابًا وسياقه ؛ وليُطلَب شواهد ، وليَتَبَّن على الصحة قواعد ، وليتمس ما يصح
من بواقيه من جهاتها ، وليُكشَف بما يوضحه من سبل الأمانة وجوه شُبُهاتها ؛ وقد أُذِن
له فى استخدام من يراه من الثواب والمتصرفين والمشارفين ، والوكلاء والمستخدمين ؛
على ما جرت به العادة ، من غير زياده . وسبيل الثواب - أيدهم الله - العمل بالأمر
العالى وبمقتضاه ؛ والاعتماد على العلامة الشريفة ، إن شاء الله تعالى .

المرتبة الرابعة

(أن يفتح بلفظ : «إن أحق» أو «إن أولى» أو «من كانت

صفته كذا » وما أشبه ذلك)

فمن ذلك نسخة منشور بنقابة الأشراف، وهي :

مَنْ كَانَتْ أَوْصَافُهُ شَائِعَةً بَيْنَ الْأَنَامِ ، وَخُفِّ فُضَائِلُهُ مُنْشُورَةً لَدَى الْخَاصِّ وَالْعَامِ ، مَعَ شَرَفِ نَسَبِ شَايِخِ الْأَعْلَامِ ، وَتَقَى فَخْرَهُ عَلَى الْأَنَامِ ، وَطَمَّ يُحْيَى بِهِ صَدَأُ الْأَنْهَامِ ، وَغَفَّةٌ مَرَاتُهَا مُحْكَةُ الْإِبْرَامِ - كَانَ جَدِيرًا بِإِفَاضَةِ سَبْجَالِ النِّمِّ عَلَيْهِ ، وَفِينَا بِإِرْسَالِ سَبِيلِ الْمَوَاهِبِ إِلَيْهِ .

ولما كان الشيخ فلان متصفاً بهذه الصفات الجميلة ، ومتخصّصاً بمزاياها الجليلة ؛ وضارباً فيها بالنهم المعلن ، ونازلاً منها في الشرف الأعلى ، ومتخصّصاً ثوب الإخلاص والصفاء ، ومثشحاً بوشاح العفة والولاء - اختصصناه بزيادة التقديم والإجباء ، وحبّونه بوقور الكرامة والإصطفاء ، وأجربناه على مستمّر رثمه بالرعاية على دُرّة أهل العباء ، حسب عادته المستقرّة إلى آخر عهد مَنْ كَانَتْ الْإِيَالَةُ إِلَيْهِ وَإِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ مَضَى : لَيْسَ فِيهِمْ بِكَاتِبِ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَسَنَةِ رَسُولِهِ ، وَيُسَلِّكَ جَلَدَ الْحَقِّ الَّذِي يُوصِّلُهُ مِنَ الزُّلْفَى إِلَى أَقْصَى مَنَاهِ وَسُؤْلِهِ ؛ وَيُحْضِمُهُمْ عَلَى تَلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، وَمَعْرِفَةِ مَا يَصْلُحُ لِلْأَذْيَانِ . وَلَيْسَ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ الضَّعِيفِ فِيهِمُ وَالْقَوِي ، وَيَمُّ بِالْإِنْصَافِ الْفَقِيرَ وَالْغَنَى . وَلْيُحْسِنِ إِلَى مُحْسِنِهِمْ ، وَلْيَجْرِ عَلَى فَضْلِهِ لِمُسِيئِهِمْ ؛ بَعْدَ أَنْ يَقْدَمَ إِلَيْهِ زَجْرًا وَوَعِيدًا ، وَيُوسِعَهُ لِمَنْ أَرَادَ تَهْدِيدًا ، فَإِنْ وَعَى وَأَرْعَى وَإِلَّا سَلَّطَ عَلَيْهِ أَسْبَابَ الْأَذَى ، وَتَوَلَّاهُ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الْحَزَا ؛ وَيَعِيدُهُ إِلَى حَالَةِ الْإِسْتِقَامَةِ وَالْإِسْتَوَا ، وَيَكْفُهُ عَنِ دَوَاعِي الْهَوَى . وَمَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ حَدُّ أَقَامِهِ فِيهِ ، وَبَادَرَ إِلَى اعْتِنَادِهِ وَتَوَخُّيهِ ، حَسَبَ مَا يُوْجِبُهُ حُكْمُ الشَّرْعِ وَيَقْتَضِيهِ .

وليكن رُوعاً بهم ما استقاموا، ومتقياً منهم ما أعوجوا ومالوا؛ وإن وجب على أحدهم حق للملئ أو دنى، استخلصه منه ولم يمنعه تعلقه بنسب شريف على؛ وإن أفترى منهم مفتر على أحد من الملل، قابله عليه بما يزجره عن قبيح العمل؛ فإن الناس في دار الإسلام ومن هوتحت الذمام سواسية وأقربهم إلى الله تعالى من كانت سيرته في الإسلام رضيته، وطويته في الإيمان خالصة تقيه؛ ومن حكم عليه حاكم من الحكام، بحق ثبت عنده بالبينّة العادلة أو الإعلام، أترعه منه أو يحنه عليه، إلى أن يرضى خصمه أو يرد أمره إلى الحاكم ويفوضه إليه .

وليحرس أنسابهم بإثبات أصولها، وتحقيق فروعها؛ ومن رام دخولا فيه بدعوى يئطل فيها نقب عن كشف حاله، وإظهار محاله؛ وجازاه بما يستحقه أمثاله، ويرتدع فيما بعد مثاله : يخلص هذا النسب الكريم، من دعوى المجهول، وأندامجه في أسرة الرسول؛ عليه أفضل الصلاة والتسليم . ويمنع من اتصال أيم من الأسرة إلى عامي، ولا يفسح أن يعقد عليها عقد إلا لكفء ملي : ليرأ هذا المجد الشريف من التكدير، ولا تزيّفه شوائب التغير .

ولينظر في الوقوف على المشاهد والذرية، نظرا يحمدّه عليه من يعلمه من البرية ، ويحفظه بالثواب عند مالك المشية . ويتندى بعبارة أصولها وأستكمال فروعها، وقسمة مغلها على ما تضمنه شرط الواقفين لها . وليحتط على النذور، وينفقها على عانتها في المصالح والجمهور؛ عالماً أن الله تعالى سائله عما تَوَخَّاه في جميع الأمور، وأنه لا يخفى عليه كل خفي مستور . قال الله سبحانه : (يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) .

وَأَذِنَّا لَهُ أَنْ يَسْتَيْبَ عَنْهُ فِي حَالِ حَيَاتِهِ، وَبَعْدَ وَفَاتِهِ - فَسَّحَ اللَّهُ لَهُ فِي الْمُهْلِ، وَخَوَّلَهُ صَالِحَ الْعَمَلِ - الْأُرْشَدَ مِنْ بَيْنِهِ، وَمَنْ يَخْتَارُهُ لِهَذَا الْأَمْرِ وَلَهُ يَرْتَضِيهِ . وقد أُنْعِمْنَا عَلَيْهِ بِإِجْرَاءِ مَا كَانَ بِاسْمِهِ مُسْتَمِرًّا إِلَى الْآنَ، وَأَضْفْنَا إِلَيْهِ مَا يُبَيِّنُهُ عَلَى النَّظَرِ فِي مَصَالِحِ الْأُسْرَةِ أَدَامَ اللَّهُ لَهُ طُوقَ الشَّانِ ؛ مِنْ تَمْلِكِ وَإِذْرَارٍ وَتَيْسِيرٍ، وَجَعَلْنَاهُ لَهُ مُسْتَمِرًّا، وَعَلَيْهِ مُسْتَقَرًّا ؛ وَلِنَ بَعْدِهِ مِنْ تَسْلَةٍ وَالْأَعْقَابِ، عَلَى تَوَالِي الْأَزْمَانِ وَالْأَحْقَابِ ؛ وَحَظَرْنَا تَغْيِيرَهُ وَفُسْخَهُ، وَتَبْدِيلَهُ وَنَسْخَهُ : ﴿ قَنَّ بَلَدَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَأَتَمَّ ائِمَّتُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ وهو معيَّنٌ مِنْ دِيْوَانِ الْاِسْتِيفَاءِ الْمَعْمُورِ، بِهَذَا الْمُنْشُورِ الْمُسْطَوْرُ، بِالْأَمْرِ الْعَالِيِ أَعْلَاهُ اللَّهُ وَأَمْضَاهُ، عَمَّا كَانَ قَدِيمًا، وَمَا أُنْعِمَ عَلَيْهِ بِهِ آخِرًا، وَهُوَ الْقَدِيمُ الَّذِي كَانَ لَهُ وَشَهِدَ بِهِ الدِّيْوَانُ الْمَعْمُورُ، وَهُوَ الْإِقْطَاعُ مِنْ نَاحِيَةِ كَذَا، وَيُجْرَى عَلَى حَادِثِهِ فِي إِطْلَاقِ مَا قُرِّرَ لَهُ مِنْ نَاحِيَةِ كَذَا بِشَهَادَةِ الدِّيْوَانِ الْفُلَانِي، وَالْمُجْتَدِّ الَّذِي أُنْعِمَ بِهِ عَلَيْهِ لِاسْتِقْبَالِ سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَمَا بَعْدَهَا. وَسَبِيلُ كَافَّةِ الْأُسْرَةِ الْعَالِيِيْنَ بِمَدِينَةِ كَذَا الْاِقْتِيَادُ إِلَى تَبَاغَتِهِ، وَالْاِمْتِتَالِ لِإِشَارَتِهِ، وَالتَّوَفُّرِ عَلَى إِجْلَالِهِ وَكَرَامَتِهِ؛ فَإِنَّهُ زَعِيمُهُمْ، وَمَقْدَمُهُمْ وَرَأْسُهُمْ ؛ وَمَنْ خَالَفَهُ مِنْهُمْ قَابِلَنَاهُ، وَبِالْيَمِّ الْعِقَابَ جَارِئِنَاهُ، وَالْاِعْتِمَادُ فِي ذَلِكَ أَجْمَعَ عَلَى التَّوْقِيعِ الْاَشْرَفِ الْعَالِيِ أَعْلَاهُ اللَّهُ، وَالْعَلَامُ الدِّيْوَانِيَّةُ فِيهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة بولاية الشرقية، وهي :

لَمَّا كَانَتِ الْأَعْمَالُ الشَّرْقِيَّةُ أَجْدَرَ الْبِلَادِ بِأَكِيدِ الْاِهْتِمَامِ وَأَخْلَقَ، وَأَوَّلَاهَا بِإِضْفَاءِ سِرِّهَا الْاِهْتِيَالِ الَّذِي لَا يَخْلُقُ إِذَا رَثَ سِوَاهُ وَأَخْلَقَ، وَأَقْنَهَا بِمَحْسَنِ نَظَرٍ يُرْسِلُ لِرَسُولٍ عَلَى الرِّسْمِ الْأَعْنَةِ فِي إِدَامَةِ نَضْرَةِ الْعَامَةِ عَلَيْهَا وَيُطْلَقُ، وَأَحَقُّهَا بِأَنْ يُرْمَ لَهَا

سَبَبُ تَفْقُدِ لَا يَلْتَصِقُ بِهِ رَهْنٌ وَلَا يَفْلَقُ ؛ وَأَحْرَاهَا بِاعْتِنَاءِ يَقْضَى لِأَمْرِهَا بِالْأَطْرَادِ ،
وَأَوَّلَاهَا بِتَعَهُّدِ يَجْمَلُ مَصَالِحُ الشُّنُونِ آفَةٌ لِلثَّوَاءِ بِهَا وَالْمَقَامُ عَائِفَةٌ لِلنَّشُوزِ عَنْهَا
وَالشَّرَادُ : لِأَنَّهَا بَابُ الشَّامِ ، وَإِلَيْهَا تَرِدُ الْقَوَائِلُ الْمُرْتَدَّةُ مِنْهُ عَلَى مَرَّةِ الْأَيَّامِ ؛ وَمِنْهَا
يَسْتَكْشِفُ الْأَخْبَارَ وَيَسْتَنْهَضُ الطَّوَالِعَ وَالْمُنْتَخَبِينَ ، وَبِعَوَاصِلِهَا تَفْقُدُ تَعْلَمُ الْأَحْوَالُ
الطَّارِئَةَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينَ ؛ فَتَجِبُ الْمِبَالِغَةُ فِي حِفْظِ طُرُقَاتِهَا وَمِيَاهِهَا ، وَأَنْ تَصْرِفَ
الْهِمَمُ إِلَى ضَبْطِ أَحْوَالِهَا ، وَطَامَةِ أَتْقَابِهَا وَأَتَجَاهِهَا ، وَيُوضَعُ بِنَاءُ الْحَزْمِ فِي صَوْنِ
أَطْرَافِهَا عَلَى أَثْبَتِ قَاعِدَةٍ وَيُؤَسَّسُ ، وَيَسَالَتْ فِي إِذْكَاءِ الْعِيُونِ عَلَى كُلِّ طَارِقٍ يَتَخَبَّرُ
لِلْعُدُوِّ الْمَلْعُونِ وَيَتَجَسَّسُ ؛ وَكَانَتْ أَيْهَا الْأَمِيرِ مِنَ الْمَشْهُورِينَ بِالشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ ،
وَذَوِي الْكَفَايَةِ الْمُؤَيَّنِ تَرَأَوْهُمْ فِيهَا [عَلَى] عَارِضِ الْإِعْدَامِ ، وَمَا زِلْتَ مَعْدُودًا مِنْ خَاصِ
الْأَثَرِ الْأَعْيَانِ سِمِمْ (٢) ، الْمُقَصَّرِ مَجَارِهِمْ إِلَى غَايَةِ الْبَسَالَةِ عَنْ التَّحَاقِّ بِهِمْ وَالْإِدْرَاكِ
وَقَدْ تَقَدَّمَتْ وَلَا يَتَكُ هَذِهِ الْأَعْمَالُ فَقَصَدْتَ مِنْهَا قَصْدًا سَدِيدًا ، وَأَلْحَقْتَ الرِّعَايَا
ظِلًّا مِنَ الْأَمْنَةِ مَدِيدًا - نَخْرُجُ الْأَمْرَ بِإِيدَاعِ هَذَا الْمُنْشُورِ مَا أَنْتُمْ بِهِ عَلَيْكَ مِنْ إِعَادَتِكَ
إِلَى وَلَايَتِهَا ، فَبَالِغٍ فِي أَسْتِضَاحِ الْأَنْبَاءِ وَكَشْفِهَا ، وَرَفْعِ الْقَوِيَّةِ فِي ذَلِكَ وَصَرَفِهَا ؛
وَوَكَّلَ بِهِ عَزْمَةً لَا تَلْمُ سِنَّةً بِطَرَفِهَا ، وَأَنْتَ فِيهِ إِلَى غَايَةِ تَضْيِيقِ سَعَةِ الْقَوْلِ بَوَصْفِهَا ؛
وَتَابِعَ فِي تَسْيِيرِ الطَّلَاعِ وَنَثِيرِهَا ، وَعَوَّلَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنَ الْعُرَبِ الْمُسْتَقْبِضِينَ عَلَى
شَهْمِهَا وَنَثِيرِهَا ؛ وَاجْتَهَدَ فِي حِفْظِ الطَّرِيقَاتِ وَالْمَنَاطِلِ ، وَاسْتَنْبِضَ لِلتَّحَرُّزِ عَلَيْهَا
مَنْ هُوَ عَالِمٌ بِهَا غَيْرُ جَاهِلٍ ؛ وَتَحَفُّظَ مِنْ جَلَلٍ يَتَطَرَّقُ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - عَلَى الْبِلَادِ
وَحَلَّلَ يَحْتَلُّهَا ، وَاتَّضَعَ لِهَذِهِ الْمَهْمَاتِ بِصَارِمِ حَدِّ تَسْلُمِ مَضَارِبِهِ مِنْ تَحْجَزِ يَفْلُهَا ؛
وَلَا يُتَبَقِّ مَكَا فِي إِنْصَادِ الْمُتَحَبِّرِينَ ، وَإِرْسَالِ مَنْ يُغَيِّرُ عَلَى بِلَادِ الْعُدُوِّ مِنَ الْخَبِيرِينَ ،
بِمَا [أَنْ] هَذِهِ سَبِيلُ التَّنْدِيرِ ، وَالزِّمُّ أَرْبَابَ الْحُدُودِ مِنْ جَمِيعِ الْأَقْطَارِ حِرَاسَةَ
حُدُودِهِمْ ، وَخُذْمَ بِاسْتِغَاذِ وَتَسْلِيمِهِمْ فِي الْأَحْتِيَاظِ وَأَسْتِغْرَاجِ مَجْهُودِهِمْ ؛ وَطَالِعَ

بما يُورد قبلك ، وأنه ما يُزيج بُسرمة إجابتك عنه في الخدمة علك ؛ فاعلم هذا وأعمل به ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بولاية المُرتاحية ، وهي :

نخرج الأمر بكتب هذا المنشور وتضمينه : إن من أظهر خلاصة جواهره السُّبْك ، وأرتفع في إشكاته بالإنصاف عن كل شاك الشك ، وحصل عنده [من] انحلال الزكية نظم لا يتحلل وعقد لا ينفك ، وأوفى على التقدير والظن في التدبير المفرج به عن الرعية الضنك - أستوجب أن تُسند إليه حمايتهم ، وتجعل إليه كلامهم .

ولما كنت أيها الأمير من أحمد عند تحز عزمه ، وتحرير نصيل حزمه ؛ واعتبار فصل مقالته ، واختيار أصل أصالته ؛ وشكر استمراؤه على الانصاف بمحض الولاء ، واستنداره أخلاق غرر الآلاء ، واستثارة أصناف جنى الثناء ، واستقراره أكثاف وهي الاعتناء ؛ ولم تزل في رفعتك وجيها ، وما يريح جميل الرأي يديم بعثا لتخف الإحسان نحوك وتوجيها ؛ وما آفكت مجاهدتك مجاهدة في مهام إقدام تنوينا ، وشجاعتك مةينة على الكفار كل كفاح يلقون منه كلاً ثقيلًا ويوما كريها ؛ - أودع هذا المنشور ما رُسم من استخدامك في ولاية الأعمال المُرتاحية .

فباشرها معتمدا على تقوى الله سبحانه التي تقوى بها أسباب توفيقك وتناؤه ، وتسلم أمور مباشرتك من خلل يكدر استبشارك ويتكد . واعتد العذل على من تشتمل عليه هذه الولاية وتحويه ، وبالغ فيما يزيل عنهم الحيف ويؤويه ؛ وأقصد ما يقضى ليربهم بالتأمين ، ويبلغهم من تحصين أوطانهم غاية التاميل . وأجعل أبدى المفسدين مكفوفة عن كائهم ، ووجوه المعتدين مصروفة عن إخافتهم ؛

وتطلب الأشرار ، وتبّع الدمار ؛ ومن ظفرت به منهم فلا تكن عن التكيل به ناكلا ، ولا تُقصر في الحوطة عليه والمطالعة به عاجلا . وعامل النائب في الحكم العزيز بإنهاضه ، وصون مديد باعه في تنفيذ الأحكام عن انتقاضه ؛ وأعضده في إنفاذ قضايه ، واختصاصه بإكرام يقبل عليه مطلق حياه . وشد من الضامن في استيلاء حقوق الديوان واستنطافها على أحسن حال من غير خروج عن الضرائب المستفزة ، وعوائد العدل المستوزه . وتموز أن يكون لهاهضة العدو طروق إلى ناحيتك أو أتياب ، وثمر للتحفظ من مكايدهم تسميا يزول عن حقيقته عارض الأرتياب ؛ ولا تبقى شيئا يمكن لأهل ولايتك قواعد الأمانة منهم ، وتبطل ليوقيتهم أذاهم تبطل من لا ينأى عنهم . وطالع بما يحتاج إلى علمه من جهتك إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بولاية السمنودية ، وهى :

إن أولى من ولي الأعمال ، وتعلقت بكفائته الآمال ، وعُدت به المهمات ، وأسندت إليه الولايات ، من نطقت بمعدته الأليسه ، وانتقت عن عين خبرته السنه ؛ وكان حسن السياسة لرعيته ، كثير المارة مدة توليته ؛ شهما في أسخراج الحقوق من جهاتها ، صارما في ردع المجرمين عن زلات النفس وهفواتها ؛ حسنة سيرته ، خالصة مناصحته وسريته .

ولما كنت أيها الأمير فلان - أدام الله تأييدك وتسديدك ، وحراستك وتمهيدك - أنت المتوكل بهذه الصفات الحسان ، المتصف بما تقدم من الشرح والبيان ؛ الذى نطقت شمائلك بشهامتك ، وشهدت غايلك بنبأتهك - نرج الأمر الفلانى بأن تتولى مدينة سمنود وضواحيها ، وما هو معروف بها ومنسوب إليها ؛ بشرط بسط

العذل وتشره، وإعباقي عَرَفَ الحق وتشره؛ وأن تُخَفَّفَ الوطأة عنهم وتُفَعَّلَ ما هو
أولى، وتُعلمَ أنك تُسأل من الله تعالى في الأخرى ومِنَّا في الأولى؛ وأن تصون
الرعايا وتجتلب لنا أذيتهم، وتعلمهم بما يُطِيب نفوسهم ويبلغهم بُغيتهم؛ حتى
يتساوئ في الحق ضعيفهم وقويهم، ورشيدهم وغويهم، ومليهم ودنيهم؛ وأن لا يُقيم
الحدود على من وجبت عليه إلا بمقتضى الشرع الشريف، والعذل المنيب؛ وأن
تُسَدَّ من ثواب الحكم العزيز، وتُفَعَّلَ في ذلك فعل المهذب ذي التميز؛ وأن تحمّر
عن ساعد الاجتهاد في الجمع بين استخراج جميع الحقوق الديوانية والعامة، وتجعل
تقوى الله هي البطانة لك والظواهر؛ وأن تبدل النهضة في استخراج الأموال،
وتحصيل الغلال على التمام والكمال؛ بحيث لا يتأثر منها الدرهم الفرد ولا القدح
الواحد، وتُفَعَّلَ في ذلك فعل المشفق المشمر الجاهد؛ وأن تُدِيمَ مباشرتك للاقتصاب
في حال برئتها وزراعتها وتربيتها وحملها، واعتصارها وطبخها، وتركبة أثمارها؛
بحيث لا تنكّل الأمر في شيء من ذلك إلى غير ذي ذمّة بمفرده، ولا إلى من ليس
بذی خبرة لا يعلم مُشَقِي التصرف من مُسْعِدِهِ. وقد جعلنا لك النظر على جميع النواحي
الجارية في ديواننا بالوجه البحري خاصة لتنظر في أمرها، وترجّر أهل الحنايات بها؛
وتفعل فيها كل ما يحدّ به الأثر، ويطيّب بسماعه الخبر.

فقلّد مأفّلت، وقم حق القيام بما إليه نذبت؛ وأعمل فيه بتقوى الله في سرك
وجهرك، وقدم الخوف من الله على جميع ما تأتيه أو تنذر من أمرك؛ وتسلمه
شاكرًا لما أسديناه إليك، متمسكًا بما أوجبناه عليك؛ فإن الشكر يُوجب مزيدك،
ويكثر عديدك.



وهذه نسخة بولاية النستراوية، وهى :

من عادتنا فى التدبير وشيئتنا، وسُنَّتنا فى السياسة وسيرتنا؛ إسباغ المَوَاهِب والنِّعم،
وتفيل عبيدنا فى مَرَاتِبِ الحِلم، أَسْتِرْشَادا بِأَسْلَافنا المُلُوك وأَقْبِدَاء، وَأَسْتِضَاءَ
بأنوارهم المشرقة وأهْتِدَاء .

ولما كنت أياها الأمير من عُرِفَتْ بِسَائِتهُ ، وأَشْتَهَرَتْ شَجَاعَتُهُ وصرامته ؛
وَأَسْتَحَقُّ أَنْ يُلَحَظَ بَيْنَ الرِّئَايَةِ ، وَأَنْ يَشْرَفَ بِالْإِرتِضَاءِ لِلتَّعْوِيلِ عَلَيْهِ فى وِلَايَةِ ، -
رَأَيْنَا - وبالله توفيقنا - أَسْتَعْدَاكَ فى وِلَايَةِ الأَعْمَالِ النُّسْتَرَاوِيَّةِ ، ونرجع أَمْرُنَا إِلَى
دِيَوَانِ الإِنْشَاءِ بِكُتُبِ هَذَا السَّجَلِ بِتَقْلِيدِكَ ذَلِكَ ، وَتَضَمِينِهِ مَا تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ ، وَتَنْتَهِي
إِلَى الْمَثَلِ لَكَ فِيهِ .

فَتَقَلَّدَ مَا قَلَّدَتْهُ طَائِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ فِيما تُسِرُّهُ وتُخْلِنُهُ ، مُعْتَمِدًا فِيهَا غَايَةً مَا يَسْتِطِيعُهُ
المُكَلَّفُ وَنَهَايَةً مَا يُمْكِنُهُ ؛ فَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ إِرْشَادًا لِلْمُؤْمِنِينَ وَفَهْمًا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ . وَمَا وَبَّيْنَ الْقَوَى مِنْ هَذِهِ الْوِلَايَةِ وَالضَّعِيفِ ،
وَلَا تَجْعَلْ فى الْحَقِّ فَرْقًا بَيْنَ الْمَشْرُوفِ وَالشَّرِيفِ ؛ وَأَمْدُدْ عَلَى كَافَتِهِمْ رُوقَ السُّكُونِ
وَالْأَمْنَةِ ، وَأَجْزِمْ فى الْمَعْدِلَةِ عَلَى الْعَادَةِ الْجَمِيلَةِ الْحَسَنَةِ ؛ وَأَفْعَلْ فى إِقَامَةِ الْحُدُودِ عَلَى
مَنْ تَحِبُّ عَلَيْهِ مَا يُوجِبُهُ كِتَابُ اللَّهِ الْكَرِيمِ ، وَتَقْضِي بِهِ مَسْنَةَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ أَفْضَلُ
الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ؛ وَأَدَّابِ فى حِفْظِ السُّبُلِ وَالْمَسَالِكِ ، وَأَجْتَهِدْ فى ذَلِكَ الاجْتِهَادَ
الَّذِى يَحِبُّ عَلَى أَنْظَارِكَ وَأَمْنَالِكَ ؛ وَبِمَتَى ظَفِرْتَ بِمَنْ يُؤْذَى مَسَافِرًا ، أَوْ يُخِيفُ وَارِدًا
أَوْ صَادِرًا ؛ فَطَالِعْ بِجَالِهِ لِيُمَثِّلَ لَكَ فى التَّمْثِيلِ بِمَا تَعْتَمِدُهُ ، وَتُؤَمِّرَ فى شَأْنِهِ بِمَا تَنْتَهِي

إليه ونقصه . وراعى المستغنين على الحكم والدعوة فهما يتوليان ما بارعازاه يقوم
متأثر الإسلام ، ويمرر أمور الشريعة على أجل وضع وأحسن نظام . وتُخذ
المستغنين في الأموال الديوانية بالأجتهاد في العاره ، وحمل المعاملين على ما توجبه
المصلحة والحرص على ما وفر الإرتفاع ، وحماه من أسباب التفريط والضياح ؛
واستنهض الرجال المستغنين معك فيما ترى تنبهم إليه ، واستنهاضهم فيه ؛ فاعلم
هذا وأعمل به ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بولاية الإسكندرية ، وهى :

أهتأمتنا بما حاط ثغر الإسكندرية - حماه الله تعالى وحصنه ، ومنعه أتم حفظ
التفقد وأكله وأجل وضع التعهد وأحسنه ؛ وقوى سبب استقامة شؤونه وأتساق
أمره ومكثه ، ومنذ ظل الدعة والسكون على كافة من تديره وسكته ؛ وحفظ
عليه نظام النضاره ، وأماط عنه مكروه الأحوال الضاره ؛ وأنام أهله على مضجع
الأمن ومهاده ، وحكم بإحلالهم تجود الاتحاد على المصالح وإجلالهم عن وهاده ؛
وحما سواهم أموالهم من مشروب وريد أجاج ومرعى نبت وخيم ، وجباهم من
رسوم الإحسان وعوائده مالا ينطق لسأ على زوائده بترخيم ؛ وملا آمال الأعداء
عن الطرئ إليه إخفاقاً ، وردّ نُصول سهام مكابدهم عنه على ما عاهد من فضل الله
سبحانه أوفاقاً - إذ كان من أجل الثغور الإسلامية أوزاراً ، وأسبقها إلى غاية
التفضيل اجتاراً ، وأكثرها بن حواء من صدور الدين وأئمة المسلمين أفتخاراً ،
وأفضلها محلاً ولم يزل مفرج السفار من كل جهة رُسلًا وتجاراً - أوجب أن تُسند
ولايته ، وزد كلاءته ، إلى من يمرى في التدبير على حكم سياسته المعلوم الحسنى

الأخذ بيد المظلوم ، ويقوم بحسن التفويض والإيمان ، ويعطى بكل السلامة من حقوق انتقامه عهدة الأمان ؛ ويسلك فيما يُعَدَّق به طريق السداد ويلزم نهجه ، ولا يمكن أن يكون له على غير الصواب معاج ولا عرجه ؛ ويأخذ في كل أحواله بوثائق الحزم ، ويُحِلُّ له أعماله الصالحة من مثوى المنازل الرفيعة ما هو على غيره من الحرام الحزم .

ولما كان الأمير المعنى بهذا الوصف الواضح البيان ، المتكافئة في ذكر مناقبه شهادة السماع والعيان ؛ الكالى ما يُنَاطُ به بقلب المعنى وطرف يقظان ، الحال من الورع فى اسمى مكان وأعلى مظان ؛ الجامع فى إقامة شرع الإخلاص بين الفرائض والسُنن ، الموفية عزائمه على مضارب المهتدة التى لا تقي منها مانعات الحُسن ؛ الفاضح من نبطه ما تؤثّر صحاح الأبناء عن عليل نسيمة ، الجدير بما يُزفُّ إليه من عقائل يحزىل الإنعام وجسيمه ؛ وقد أبان فى ولايته بمطابقته بين شدته ولينه ، وإقامة منار الإنصاف المعرب عن امتداد باعه فى الحرب وأقباض يمينه ؛ وإروائه كافة أهلها من تيمير العون على استنباب الأمور ومعيّنه - خرج أمرُ الملك العادل بتقليده ولاية نجر الإسكندرية حماه الله تعالى والبحيرة .

فليتقلّد ماقلده إياه ، ويباشره مفسرنا صدره متهللاً بحياه ؛ وليعتمد على تقوى الله التى هى خير عتاد ، وأفضل ما اعتمد عليه فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأَشهاد ؛ وهى نجاة أهل اليقين ، وفوز المتقين ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

وليبلغ فى نشر راية العدل ومدّ جناحه ، وتغية أذى الجور وأجتياحه ؛ وليشمل الصغير والكبير من أهل هذه الولاية برداء النصفه ، ويعاملهم بالجميل الموفى على

الصِّفَةِ ؛ وَ يُقِمُّ الْحُلُودَ عَلَى مُسْتَوْجِبِيهَا ، وَيُنْتَهِي إِلَى الْغَايَةِ فِي تَجَنُّبِ إِضَاعَتِهَا وَتَوَقُّفِهَا ؛
وَلِيُدَلِّلَ عَلَى الْمَفْسِدِينَ عَيْنَ مَنْ يَتَّبِعُ وَقُوعَهُمْ فِي قَبْضِيهِ وَيَتَطَلَّبُ ، وَيَقَابِلُ كُلًّا مِنْهُمْ
بِمَا يَرَى مُتَقَبِّبًا بِإِعْصَافِ بَرْقِ الْمُعَاقِبَةِ غَيْرِ حُلْبٍ ؛ وَلَا يَبْقَى مُمَكِّنًا فِي التَّقْيِيبِ عَلَى
مَرْتَكِبِي الْأَثَامِ ، وَالْمُرْتَكِبِينَ عَلَى سَفْكِ الدِّمِ الْحَرَامِ ؛ وَمِنْ ظَفَرِهِ مِنْهُمْ فَيُلْحِقُهُمْ فِيهِ
شَبَابُ ظُفْرِ الْإِنْتِقَامِ وَنَابِهِ ، وَيَقَابِلُهُ مِنَ الرَّدْعِ بِمَا يُؤْمَنُ مِنْ مَعَاوِدَةِ عَادَاتِ التَّصَدَّى
عَلَى كُلِّ حَقِيرٍ وَنَابِهِ . وَلِيَجْرِ عَلَى عَادَتِهِ فِيمَا يَسِيرُ عَنْهُ أَحْسَنَ السَّمْعَةِ ، وَيَشْهَدُ لَهُ بِالنَّتْجَةِ
عَنْ تَحْيِثِ الطُّعْمَةِ وَقَبِيحِ الطُّعْمَةِ . وَيَسْتَدُ مِنَ الْقَاضِي مَنَئِي الْحُكْمِ فِيمَا يُصْدِرُهُ
وَيُورِدُهُ ، وَيَحُلُّهُ وَيَعْقِدُهُ ، وَيُضَيِّعُهُ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَيَعْتَمِدُهُ فِي الْقَضَايَا بِمَا
لَدَيْهِ مِنَ الْأَلْمَعِيَّةِ . وَيَعَايِدُ الْمُسْتَخْدِمِينَ فِي الْأَمْوَالِ مَعَاوِدَةَ ثَمَرِهِ ، وَتَمَتُّ الْأَرْزَاقِ
وَتَوْفُّرِهِ ، وَتَعَوُّدُ عَلَى الدِّيَوَانِ بِالْحِطِّ الْوَاقِي ، وَتُعْرَبُ عَنْ كَوْنِهِ بِمَثَلِ هَذِهِ الْوَلَايَةِ نِمَ
الْكُفِّ الْكَافِي . وَيُعَامِلُ التُّجَّارَ عَلَى تَبَايُنِ بُلْدَانِهِمْ ، وَأَخْتِلَافِ أَلْسِنَتِهِمْ ، وَالْوَانِيهِمْ ،
مَعَامِلَةً يُجْمَلُ أَثَرُهَا وَيُحْسَنُ ؛ وَيَتَلَقَّهِمْ بِبُشْرٍ وَطَلَاقَةٍ تَنْطِقُ بِشُكْرِ اسْتِثْثَارِهِمْ بِهَا
الْأَلْسُنُ ؛ وَيَحْفَظُهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ وَبَضَائِعِهِمْ ، وَيَسْتَفِيدُ الْوُسْعَ فِي دَفْعِ مَضَارِهِمْ
وَرَوَائِعِهِمْ . وَيَعْتَمِدُ بِمَثَلِ رَجَالِهِ عَلَى الْإِسْتِعْدَادِ لِلْجِهَادِ ، وَالتَّاهِبِ لِقِرَاعِ الْأَضْدَادِ .
وَيُنْتَهِي إِلَى الْغَايَةِ فِيمَا يُزِيلُ مِنْهُمْ أَعْتَادَارًا وَيُزِيحُ أَعْتِلَالًا ، وَيُوجِبُ لَهُمُ الْاِقْتِدَارَ عَلَى
مُكَالَفَةِ عَدُوِّ إِنْ طَرَقَ التَّنْفَرُ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى .



وهذه نسخة بولاية بركة ، وهي :

مِنْ حَقِّ الْأَطْرَافِ الْمُتَنَاهِيَةِ فِي بُسْبَدِ أَقْطَارِهَا ، وَالْبِلَادِ الشَّامَةِ عَنْ تَوَّاءِ الْمُلْكَةِ -
وَحُلِّ اسْتِقْرَارِهَا ، الَّتِي آتَنَظَمَتْ فِي سِلْكِ أَعْمَالِ الْمُلْكَةِ النَّاصِرِيَّةِ وَأَتَمَحَرَّطَتْ ،

وَأَسْتَدْرَكْتَ مُيَدَاتُهَا لِمَنْ حَوَّيْتَهُ فَوَائِدَ الْفَوَائِدِ الَّتِي سَلَقْتَ وَقَرَطْتَ - أَنْ يُدِيمَ أَكِيدُ
الْإِهْتِمَامَ لَهَا التَّحْصِينَ وَالتَّحْسِينَ ، وَلَا يُغِبُّ أَهْلُهَا مَا يَشَاهِمُ مِنَ الْمَلَاَحَظَاتِ مُصْحِحِينَ
وُثْمِينَ ؛ وَتُرْجَى لَهَا صَحَابُ كَرَمِ التَّعْهَدِ عَهَادَهُ غَدَقًا ، وَيُعْمَلُ الْأَوْلِيَاءُ فِي حَيَاتِهَا
مِنَ الْقُمُودِ أَلْسِنَةً وَيُدْكَوْنَ دُونَهَا مِنَ الْقَنَاقَةِ حَقًّا ؛ وَيَفُوضُ أُمُورَهُمْ إِلَى مَنْ تَخَفُّ
عَلَى يَدِهِ كُفَّتُهُمْ ، وَتَجْتَمِعُ بِحُسْنِ سِيرَتِهِ أَلْقَتُهُمْ ؛ وَيَشْتَمِلُ مِنْ عِنَايَتِهِ عَلَيْهِمْ أَشْتَمَالُ
الصَّدْفَةِ عَلَى الْقُلُوبِ ، وَتَنْبِلُهُمْ مَهَابَتُهُ مِنْ كَفِّ عَدُوِّ الْعِدَا كُلِّ مُؤَثِّرٍ مُطْلُوبٍ .

وَلَا كُنْتَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ مِنْ أَمِيرِ سَالِكِي هَذِهِ الطَّرَائِقِ ، وَأَمَلِ قُرْصَانِ الْحُرُوبِ
وَحُمَاةِ الْحَقَائِقِ ؛ وَأَجْمَعَ الْمُجَاهِدِينَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، وَأَجْبَسِرَهُمْ عَلَى إِصْلَاءِ الشَّرِكِ
ضِرَامٍ فَتِكَ لَا يُخْشَى إِصْلَادُ زِنَادِهِ ؛ وَلَكِ السِّيَاسَةُ الَّتِي تُرْتَّبُ بَيْنَ الْأَسْوَدِ وَالْأَبْيَاضِ
أَصْطَحَابًا ، وَالْمَخَالِصَةُ الَّتِي لَا تُنَاجَى إِذَا وُصِفَتْ بِالتَّغَالَى فِيهَا وَلَا تُحَابَى - خَرَجَ أَمْرُ
الْمَلِكِ الْعَادِلِ بِكُتُبِ هَذَا الْمُنْشُورِ لَكَ بِمَا أَنْتُمْ عَلَيْكُمْ بِوَلَايَتِهِ وَإِقْطَاعِهِ : وَهُوَ بَرَقَةٌ
بِجَمِيعِ أَعْمَالِهَا وَحُقُوقِهَا : مِنَ الْعَقَبَةِ الصُّغْرَى إِلَى آخِرِ حُدُودِهَا ، وَبِمَا أَمَرَ بِهِ كَافَّةُ
الْعُرَبَانِ الْمُقِيمِينَ بِهَذِهِ الْبِلَادِ ، وَجَمِيعِ أَهْلِهَا مِنْ حَاضِرٍ وَبَادٍ : مِنَ الْإِعْلَانِ لَكَ بِشِعَارِ
الطَّاعَةِ ، وَصَوْنِ مَا يُلْزِمُهُمْ أَدَاؤُهُ إِلَيْكَ مِنْ فُرُوضِ النُّصْحِ عَنِ الْإِضَاعَةِ ؛ وَأَنْ يَذْكُرُوا
فِي مَوَاقِفِكَ غَايَةَ الْأَجْتِهَادِ ، وَيَعْتَمِدُوا مِنْ أَمْتَالِ مَرَامِيكَ أَحْسَنَ اعْتِمَادٍ ؛ وَيَحْذَرُوا
مِنَ الْعُدُولِ عَنْ أَمْرِكَ ، وَيَحْتَنِبُوا مَخَالَفَةَ نَهْيِكَ وَزَجْرَكَ .

فَاسْتَمِمْكَ بِجَبَلِ التَّقْوَى الْفَائِزِ مَنْ يَعْتَصِمُ بِهِ وَيَتَعَلَّقُ ، وَأَسْتَشِيرْ مَنْ خِيفَةَ اللَّهِ
مَا يُشِيرِقُ لِأَجَلِهِ عَلَيْكَ نُورُ الرِّضْوَانِ وَيَتَأَلَّقُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي تَحَابِهِ الْمَكُونِ :
(إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) . وَعَامِلْ أَدْلَ هَذِهِ الْوَلَايَةِ بِالْإِنْصَافِ ،
وَلِمَا نَكَ وَمَكْرَهُ الْعُدُولِ عَنْ حَقِّجَةِ الْعَدْلِ وَالْإِنْحِرَافِ ؛ وَتَوَقَّ السَّنَفَ بِهِمْ وَالْحَيْفَ

عليهم ، وأجنب الترخيص لأصحابك في مد يد أحد منهم بدواين إليهم ؛ وسرفهم
 سيرة تروّف بهم وترقى ، وجانب سبيل من تقوم عنده أسواق أختلاق المتخربين
 وتفق ؛ ولا تخرج في تدبير الأمور عن قانون الشريعة ، ولا تجعل لك إلى فوز الآخرة
 عن تقديم العمل الصالح من ذريعه . وغلّ عنهم أيدي حاضري المفسدين وباديهم ،
 وأينهم بالمهاية عن إصرارهم على المنكرات وتمايدهم ؛ وكلّ بهم عزما رادعا لهم
 وازنا ، ونكل بمن ظفرت به منهم تنكيلا يزجر من يظلّ ببحر الضلال نازعا . وشدّ
 من خلفاء الحكم العزيزي تنفيذ قضاياه ، وخصّهم من الكرامة بما تقتضيه إقامة
 مناره وإنارة مرآياه . وأعتد ما يبعد الحقائق بوجوه ناضره ، ويردّ الأباطيل
 بصفقة خاسره . وراعى أمور التجار والمحتاج مراعاة تسلمهم في السفر والإقامة ،
 ونجّهم من تطرّق استهانة إلى أحد منهم وأستضامه ؛ وطالع بما يتجدّد من أحوال
 خدمتك ، وما يحتاج إلى علمه من جهتك ؛ إن شاء الله عز وجل .



وهذه نسخة بولاية القرماء ، وهي :

نحن لما ضاعف الله لديّنا من إحسانه وأجزّله ، وصدّقه بنا من تدبير أمور الخلق
 وأسنده إلينا ووكله ، نعتمد عبيدنا بتوفير الرعاية لهم والإكرام ، ونحافظ على ما يقرهم
 من شامل الإفضال وسابغ الإنعام ؛ فنقدّم للخدم من خطبها بخلوص طاعته ، ونؤهل
 للرتب من أبانت شيمه عن خبرته ومناجته .

ولما كنت أيها الأمير ممن ظهرت مشايسته وموالاته ، وحسنت في مكافئة
 الأعداء مشاهدته ومقاماته ، ووضحت في أفضاله دلائل التّصريح وبانت عليه سيمائه ؛
 ولك مساج مشكوره ، ومواقف مشهوره ، ومقاصد هي من ما ترك معدودة

وفي فضائلك مذكوره؛ رأينا - وبالله توفيقنا - استخدامك في ولاية القرم والجفار :^(١)
سكوننا إلى رضا منحك ، وثقة بانتظام الحال فيما يُرد إليك ويُسلط بك ؛ وخرج
أمرنا إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل بتقليدك الولاية المذكورة وتضمنيه
مانأمر به ونزيمه ، مما يهديك إلى الصواب فتتمسك به وتعتكف عليه وتلزمه .

فقلد ما قلده شاكرًا على هذه التعمي ، عاملا بطاعة الله تعالى ومراقبته في السر
والنجوى ؛ وأعدنا زادًا إلى الآخرة نطمئن به القلوب وتقوى ، قال الله عز من
قائل في كتابه : ﴿ وَتَزِدُّوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ . وأعتمد في أهل هذه الولاية
نصفه نعمهم ومغيله ، وسنهم سياسة تكون لسنة الخير مؤكدة لسنة الجور
مبدله . ومائل في الحق بين قويهم وضعيفهم ، ولا تجعل مزية في الواجب
لشريفهم على مشروفيهم ؛ وأن تصف للظلم من المتعدى الظالم ، وأعمل بالكتاب
والسنة في الحدود التي تقيمها على ذوى الجرائر والجرائم ؛ وأن تصب لفظ
الطرقات ، وصون الصادرين والواردين في جميع الأوقات ؛ ونكل بمن تظفر به من
المفسدين ، وأجعله عظة لأمثاله من الظالمين والمعتدين ؛ وعاضد النائب في الحكم
العزيز معاضدة تقضى بإعزاز الجانب ، وساعده مساعدة تقض بها أحكامه على قضية
الواجب ؛ وكذلك متولى الدعوة الهادية فهي مصباح الزمان ، وبإشادة ذكره تقوى
دعائم الإيمان ؛ فاجتهد في تمييز متوليها وإكرامه ، وبلغه في ذلك غاية مطلوبة
ومرامه . وتوفر على الشد من المستخدمين في الأموال ، وراعى [ما يحسن] لدينا فيما
تنظر فيه من الأعمال ؛ وأحرص على ما عاد بوفور ارتفاعها ، وأجر أحوالها على أفضل
رؤسومها وأوضاعها ؛ بحيث يكون العدل منسبًا منبهاً ، والحيث منحسما مستأصلا
مجتبا ؛ وأجبل محبة الرجال المستخدمين معك ، وأحسن معاشرتهم مع مطالبهم ملازمة

(١) كانت عدة قرى ومن مدنها العريش والوادة وبنغ وعطية وقس والزغا . انظر معجم البلدان .

الخدمه ، واستنهاضهم فى الأمور الشاقة المهمة ؛ فاعلم هذا وأعمل به ، وطالع بما
تحتاج إلى المطالعة به ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بولاية عسقلان ، وهى :

من شيمنا التى غدت للصالح ضوا من ، وعلت فكل متطاوِل عندها مُطامين ؛
وهمينا الكافلة [للرعية] بما يُقرُّ عيونها ، والقاضية الخاصة والعامة بما يوجب طمأنينتها
وسكوتها ؛ أنمنا النظر فيما نزعها به ونسوسها ، وأعملنا الفكر فيما يستقيم به أمرها
ويزول معه بؤسها ، فيقف [بنا] الاجتهاد فى ذلك على محجة الصواب التى لا ضلالَ
فى سلوكها ، ويُفضى منا الحرص إلى غاية لم يبلغها أحد من مدبرى الدول ومُلوكتها ؛
فنتخب لخطر الخدم من كان قشوما بها مستقلا بأصارها ، ونتجب لجليل الرتب
الأعيان من أمراء دولتنا وأنصارها ؛ حفظا لما استُحفظناه من أمور العباد والبلاد ،
ورفعاً لعماد الصلاح وحسناً لمواد الفساد .

ولما كنت أبها الأمير من الأولياء الذين صفت فى المخالصة صفائهم ، وحسنت
فى الطاعة عقائدهم وسرائرهم ؛ ونالوا من نبيه الحظ ما أطنب الواصف فيما يذكره منه
ويرويه ، وأحملوا المناصحة فيما رَقُوا فيه من درج التنويه ؛ وقد استُكفيت مهمات
من الخدم فكفيت همها وخففت ثقلها ؛ وأهلت لولايات سنية فحملت كلها ،
وكنت مستحقة لها وأهلها ؛ فلك موات حيدة من حسن المقاصد ومشكور المساعى ،
وحرُمات أكيدة ظلت على أصعافك من أوفى البواصت وأقوى الدواعى ؛ وكانت
مدينة عسقلان - حماها الله تعالى - نعر الإسلام الذى لا تقهره فى الشام سواه ،
والرباط الذى من كان به فقد نال الثواب الجزيل وأحرزه وحواه ؛ وهو فى عيون
الكفار - خذلهم الله - نمكة ، وأسباب طمعهم فيه متقطعة بحماماته مبنية ؛ ونحن

نُوفَرُ أَهْمَانَا عَلَيْهِ رَعَايَةً لِمَكَانِهِ الْمَكِينِ ، وَنَتَصَيُّ الْكُفَاةَ لِنُؤْلِهِ تَوْصِيلاً إِلَى النِّكَايَةِ
فِي الْمَشْرِكِينَ ؛ وَهُوَ مَعْقِلٌ لِلْسَّالِمِينَ الْمَجَاهِدِينَ وَرِدَةً ، وَجُجَاوَرُهُ قَوْمٌ لَدُّهُ ، وَأَمْرُهُمْ
أَمْرٌ إِذَا ؛ فَيَجِبُ أَنْ يُتَادَ لَضَبْطِهِ النَّسَبُ الَّذِي لَا تُهْتَبَلُ عِزَّتُهُ ، وَيُسَامَ لِحَفْظِهِ
الْعَضْبُ الَّذِي لَا تُسَقَّى ضَرْبَتُهُ ؛ وَيُخْتَارُ لَصُونِهِ الشَّهْمُ الَّذِي يَقِفُ عَلَى الْمَصَالِحِ
هَمَّتُهُ ، وَتُنْفَذُ فِيهَا عِزَّتُهُ ؛

وَحِينَ كَانَتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ فِيكَ مَوْجُودَةً ، وَظَلَّتْ مُحْصُوبَةً مِنْ خِلَالِكَ
مَعْدُودَةٍ ؛ رَأَيْنَا - وَبِاللَّهِ تَوْفِيقُنَا - مَخْرَجَ بِهِ أَمْرُنَا إِلَى دِيْوَانِ الْإِنْسَاءِ مِنْ كُتُبِ
هَذَا السِّجْلِ بِتَقْلِيدِكَ وَلَايَةِ هَذَا النُّعْرِ وَضَوَائِحِهِ ، وَعَمَلِهِ وَنَوَاحِيهِ ؛ نَفَقَةً بِمَشْهُورِ
مَضَائِكِ ، وَعِلْمًا بِإِبْرَارِكَ عَلَى نُظَرَائِكَ .

فَتَقَلَّدَ هَذِهِ الْخِدْمَةَ حَارِقًا قَدْرَ مَاخُذَتْ مِنْهَا ، وَعَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ وَخِيفَتِهِ فِي جَمِيعِ
مَأْمُورٍ بِهِ وَتَنْهَى ؛ فَإِنْ تَقَوَاهُ الْجُنَّةَ الْوَاقِيَهُ ، وَإِنْ خِيفَتَهُ الذَّخِيرَةُ الْبَاقِيَهُ ؛ وَقَدْ وَعَدَ
اللَّهُ الْمُتَّقِينَ بِتَسْيِيرِ الْأُمُورِ ، وَتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ وَإِعْظَامِ الْأَجُورِ ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ :
(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا) . ثُمَّ قَالَ : (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا مِنْ كُلِّ مَقَامٍ) .
سَوْنَاتِهِ وَيُعْظِمُ لَهُ أَجْرًا) . وَاسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ فِي جَمِيعِ مَنْ يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ عَمَلُكَ ،
وَيَجْرِى عَلَيْهِ تَوَلِيكَ وَنُظْرُكَ ؛ وَسَاوِ فِي الْحَقِّ بَيْنَ الضَّعِيفِ وَالْقَوِىِّ ، وَمَائِلٍ فِي الْحُكْمِ
بَيْنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ ؛ وَإِذَا ثَبَتَ عَلَى شَرِيفٍ حَقٌّ فَلَا تُحَايِهِ لِرُبِّيَّتِهِ ، وَإِذَا ثَبَتَ
لَوْضِيعٍ لَخَذَهُ مِمَّنْ لَزِمَهُ وَاسْتَقَرَّ فِي جِهَتِهِ .

وَأَعْتَمِدْ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالتَّهْنِي عَنِ الْمُنْكَرِ مَا يَسْتَنْطِقُ بِالنِّسَاءِ عَلَيْكَ أَلْسِنَةُ
الْمُسَادِحِينَ ، وَيَنْظُمُكَ فِيمَنْ عَنَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ : (يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

(١) فِي الْقَامُوسِ وَضَرَهُ «أَنْصَبْتُ» أَيْ بِالصَّادِ الْمُهْلَةِ «الْجُلَّ أَعْرَفْتُهُ» فَتَبَهُ .

وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾

وَأَقِمِ الْحُدُودَ عَلَىٰ مَن لَّزِمَتْهُ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ لِإِقَامَةِ [تَجْرِي بِهَا] تَجَرَّاهَا ، وَتَوْقِ الزِّيَادَةَ فِيهَا وَالنَّقْصَ تَوْقِي مَن يَتَمَثَّلُ الْمَجَازَاةَ كَأَنَّهُ يَرَاهَا . وَهَذَا التَّنْزِلُ لِحَلِّهِ وَسُؤُو مِقْدَارِهِ ، وَقُرْبَ الْمَدُومَةِ وَدُتُو دَارِهِ ؛ لَا يُقْتَعُ لَهُ بِمَرَكَزِيَّتِهِ ، وَلَا يُكْتَفَى فِي حَقِّهِ بِمِرَاطِيَّتِهِ وَقَرَارِيَّتِهِ ؛ فَنَحْنُ نُسِيرُ إِلَيْهِ الْعَسَاكِرَ الْمُظْفَرَةَ دَفْعَتَيْنِ فِي كُلِّ سَنَةٍ عَلَى حُكْمِ الْبَدَلِ : فَيُرِيدُهُ عَسْكَرٌ جَدِيدٌ مُزْنَأُحَ الْعَلِيَّةِ ، كَثِيفُ الْعُدَّةِ ، وَافِرُ الْعِدَّةِ ، يُوَثِّرُ أَنْ يَظْهَرَ أَثَرُهُ ، وَيَحَافِظُ عَلَى مَا يَطْلُبُ بِهِ ذِكْرَهُ وَخَبْرَهُ ؛ فُبُتِ السَّرَايَا وَشُنَّ الْغَارَاتُ ، وَضُبِّقَ عَلَى الْعَدُوِّ فَسَجَّ النَّوَاسِي وَالْجِلْهَاتُ ؛ وَجَهَّزَ إِلَيْهِ مَن يُخَفِّفُهُ فِي مَأْمَنِهِ ، وَأَبْعَثَ طَلِبَهُ مَن يَطْرُقُهُ فِي أَحْرَزِ أَمَاكِينِهِ ؛ وَأَنْدَبَ مَن يَطَالِعُكَ بِخَفِيِّ أَخْبَارِهِ ، وَيُظْهِرُكَ بِاطْنِ أُمُورِهِ وَمُسْتَوْرِ أَسْرَارِهِ : لَتَنْتَهِزَ فِيهِ الْفُرْصَةُ إِذَا لَاحَتْ تَحَالِيلُهَا ، وَتَبَادَرَ الْغَفْلَةُ مِنْهُ إِذَا ظَهَرَتْ دَلَالِيلُهَا . وَاجْعَلِ لِلتَّطَوُّعِينَ مِنَ الْيَكْتَنَانِيِّينَ نَصِيبًا مِنْ ثَوَابِ الْجِهَادِ ، وَاجْعَلْهُمْ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْوُشْعِ بِغَايَةِ الْحِرْصِ وَالِاجْتِهَادِ ؛ وَأَقْفَلْ فِي هَذَا الْبَابِ مَا تَنْضَاعُفُ بِهِ مَوَادُّ الْأَجْرِ ، وَتَنْتَسِخُ بِهِ الْأَوْزَارُ كَمَا يَنْتَسِخُ الظَّلَامُ بِضِيَاءِ الْقَجَرِ ؛ وَأَعْضُدْ مَتَوَلَّى الْحَكْمِ الْعَزِيزَ عَضْدًا يُعَلِّي أَمْرَهُ ، وَيُسَدِّ أَرْزَهُ ؛ وَيَحْرُسْ نِظَامَهُ ، وَيَنْقُذْ قَضَايَاهُ وَأَحْكَامَهُ ؛ وَكَذَلِكَ مَتَوَلَّى الدَّعْوَةَ الْهَادِيَةَ - ثَبَّتْهَا اللَّهُ تَعَالَى - فَاعْتِمِدْ بِمَا يَشْرَحُ صَدْرَهُ فِيمَا يُوَحِّمُهُ لِلْأَوْثَمِينَ ، وَيَهْدِي بِهِ الْمُسْتَجِيبِينَ وَالْمُتَدَبِّتِينَ ؛ وَوَقِّرْ مَوْقَرَ أَهْتِمَاكَ عَلَى مِرَافِدَةِ مَن يَتَوَلَّى أَمْرَ الْمَالِ وَمَا يَمِجْرِي فِي الْخَاصِّ لَسَدِ اخْلَافِهِ ، وَيَزْكُو آدِرْفَاعُهُ ، وَتَغْزُرُ مَادَّتُهُ ، وَيَتَوَقَّرُ مُسْتَخْرَجُهُ ؛ وَيَحْتَمَى مِنْ خِيَانَةِ وَتَحْيِيفِ ، وَيُسَلِّمَ اسْتِبْدَائِهِ مِنْ تَرِيثِ وَتَوَقُّفِ . وَاسْتَبْهِضِ الرِّجَالَ الْمُسْتَخْدِمِينَ فِي الْأُمُورِ السَّوَالِجِ ، وَصَرِّفْهُمْ فِيمَا تَرَى تَصَرِّفُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَسْبَابِ الْمَنَافِعِ وَالْمَصَالِحِ ؛ وَاسْتَمْطِرِ

الإحسان لمن أحدثت طريقته ، وقوم بالتأديب من دُمت فعله وكرِهت سيرته ؛
فاعلم هذا وأعمل به ، وطالع بما يُحتاج إلى المطالعة بمثله ؛ إن شاء الله عز وجل .



ومن المكتتب بالوظائف الديوانية من هذه المرتبة نسخة توقيع بنظر
الدواوين ، وهى :

أحق الأعمال بأن يُنعم فيها النظر الشافى ، ويُندب لحل عيها الأمين الكافى ،
ويُحال النظر فى تقليدها للقيم بأمرها ، ويُعمل الرأى لأرتياد القوى على ضبطها
وحضرها ، ما كان منها جامعاً لمصالح الدولة ، حائراً لمهام المملكة : وهى أعمال
الديوان ، والنظر فى حفظ وجوه الأموال وما يُعين على استيائها ، ويعود بالزيادة
فى أصول أبوابها ؛ إذ كان ذلك ملاك الأمور ، وزمام التدبير فى حفظ الجمهور ،
والمعونة العظمى على الاستكثار من الرجال الذين بهم يتم حفظ البلاد وحماية الثغور .

ولما سلطنا البحث على استصلاح من تؤهله لهذه المترلة ، واستخلاص من يُحله
بهذه المرتبة ، أذانا الاختبار والانتقاد ، وأنهى بنا الاعتيام والأرتياد ؛ إلى اختيار
الشيخ فلان : حين سَفَرَتْ له النباهة فى الكفاية ، والوجهة فى الخبرة والدراية ؛
وجب ... (١) ... على اختصاصه بالفضل الذى تحلُّ بأدبه ، والعفاف الذى أشتهر من
منهجه ؛ من الخصال الحميدة ، والخلال الرشيدة ؛ والفضائل الموروثة والمكتسبة ،
والخلاقى المتفتاة المهتدِّ به ؛ ورأينا أهلاً لإحلال هذه المكانة ، وعدلاً قيماً باحتمال
هذه الأمانة ؛ وعلمنا أن الصيعة عنده زاكية المقارس ، والنعمة المفاضة عليه
ضافية الملبس ؛ فقلدناه أمر الديوان بحلب وما معها من البلاد المضافة إليها

والداخلية في حكمها : قاصي ذلك ودانيه ، وأواسطه وحواشيه ؛ مقدمين الاستشارة فيما يُبديه من قول ، ونعزم عليه من فعل .

وأمرناه أن يستشعر تقوى الله سبحانه فإنها الجنة الواقية ، والذخيرة النافعة الباقية ؛ ويعتلق أسبابها فإنها المنجية من المهالك ، الهادية إلى السبيل الواضحة إذا اشتبعت المسالك ؛ محققا ما توعدناه فيه من تحايل الأوصال ، ودلائل الجزالة ؛ مصدقا ما استلمناه من كفايته وغناؤه ، وأستوفينا من استقلاله وأستقصاه . وأن يبدأ فيرتب في كل معاملة أمينا من الثقات الكفء ، مشهودا له بالنهضة والأمانة المستوفاة . وأن يزم الأعمال القاصية والدانية ، والبلاد القريبة والنائية ؛ بالضبط المستقصى ، والحفظ المستوفي ؛ وبمن يرتبه عليها من الكُتاب الأئمة ، ويستصلحه لها من الحفظة النصحاء . ويتبع حال من بها من الثواب : فمن شهدت له التجربة بالكفاية ، ودل الاختبار منه على العفة والأمانة ، أستدامه في خدمه المئونة به ، وطأع من حاله بما يقضى له حسن النظر بحسبه ؛ ومن ألقاه متنجا سبيل الأمانة ، مقارفا طريق العجز والخيانة ، بادر إلى الاستبدال به ، وعجل قطع ما بينه من الخدمة وبين سببه . وأن يستترع البواقي من الأموال ، في سائر الجهات والأعمال ، إلى آخر التاريخ الذي تليه مباشرة ، ويتصل بأخره مبدأ نظره وفتحته ؛ موشحة أوراق ذلك بخطوط الأئمة ، مفصلة جهاته بأسماء العاملين والضمان ؛ حتى إذا حلت إليه ، وصارت حجة على راضعها في يديه ؛ طالبه بمواقفة من هو في ذمته ، وتقدم بعد تصديقه على ذلك بمضايقته بعد المطالعة بحال حقيقته . ثم يستترع من مستوفي الديوان وعماله شروط الضمان ورسومهم ، وقواعدهم في الضمان وعوائدهم : ليكون علم ذلك عنده مبينا ، ووقت ساس الحاجة إليه حاضرا . ويطلب بمرائد الضياع خاصها ومقطعيها المشتملة على ذكر رؤسومها وحقوقها ؛ وعدد فئنها

وَمَقَاسِهَا . وجرائد الخسراج اللازم لأرباب الأملاك على أملاكهم ، وتحقيق المصفوح عنه والمسامح به والباقي على الأداء في جهته . وجرائد الجزية مفصلة في نواحيها ، وأسماء أربابها إلى حين رفعها - وأن يطالب تواب الجزية في كل شهر بخدمة تتضمن ذكر مصارف ما يحول إليهم ، وإقامة وجوه المال الذى جُمع عليهم ؛ مفصلة مميزة الإبتاعات عن الإطلاقات ، والضياقات عن السفرات والإصطبلات ؛ وكذلك تواب الأهرام يسترفع منهم مايدل على مثل ذلك ، وسائر المتولين في سائر الخدم يطالبهم بهذه المطالبه ، ويضيق عليهم في مثل ذلك سبيل المغالطة والمواربه ؛ ويحصل مؤاخذتهم بذلك من الأمور الراتبه ، والوظائف اللازمه الواجبه ؛ حتى يتبين له الكافى من العاجز ، والأمين من الخائن .

وليتأمل وجوه الإنراجات ، وبلغ الإطلاقات والإذارات ؛ ويستترفعه من مظانه مفصلاً بجهاته ، منسوباً إلى أربابه ؛ ويتقدم بكتب مؤامرة جامعة لذلك التفصيل ، دالة على المقدار المطلق في كل سنة محكم النظر الدقيق دون الجليل ؛ وليعتمد في إطلاق ما يطلق منها على سبيل ما يوقع به عند ذلك ، وليكن هذا من الأمور الجارية على العادة والرسم ، ويلزمه كل من تواب الديوان .



ومن المكتب منها بالوظائف الدينية نسخة تقليد بولاية الحسبة ، من إنشاء الوزير ضياء الدين بن الأثير ، وهى :

(وَلَسَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) .

هذا أمرٌ يشتمل على معنى الخُصوص دونَ العموم ، ولا يختص به إلا ذُوو الأوامر المُطاعة أو ذُوو العلُوم ؛ وقد منحنا الله هذين الوصفين كليهما ، وجعلنا من المستخلفين عليهما .

فلنبداً أولاً بحمده الذى هو سبب للزَيد ، ثم لناخذُ فى القيام بأمره الذى هو على كلِّ نفس منه رقيبٌ عتيدٌ ؛ ولا ريب أن إصلاح العباد يسرى إلى الأرض حتى تزكو بطونُها ، وتتمو عيونُها ، ويسترك في بركات السماء ساكنُها ومسكونُها ؛ والأمرُ بذلك يحمل إن لم تنوزعه الأكفُّ ثقل على الرقاب ، وإذا انتشرت أطراف البلاد فإنها تفقر إلى مساعدة من مستنيب ومستناب ؛ وقد اخترنا لمدينة كذا رجلاً لم نال في اختياره جهداً ، وقدمنّا فيه خيرة الله التى إذا صدقت نيتُها صادفت رُشداً ؛ وهو أنت أيها الشيخ فلان .

فابسط يدك [بقوة^(١)] إلى أخذ هذا الكتاب ، وكُن حسنة من حسناتنا التى تمَّ يرجح بها ميزانُ الثواب ، وحقَّق نظرنا فيك فإنه من نور الله الذى ليس دونه من حجاب .

وأعلم أن أمر الشريعة مبنى على التيسير لا على التعسير ؛ ولا يضعُ اللسان موضعَ السوط إلا من أوتي زيادةً فى التفسير ؛ وفى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مندوحة لمن لزمها ، وهى هدى لمن عمل بها ونور لمن عليها ؛ ويكفى من ذلك قصة الأعرابي الذى أتى حاجته فى المسجد فسارع الناس إليه ، فنهام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقال : « إِنَّمَا بُعِثْتُ مُبَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ » ، ثم دعا بذنُوب من ماء فصبه عليه وقال : يَا أَخَا الْعَرَبِ إِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُوضَعْ لشيءٍ من هذا وإنما وُضِعَتْ للصلاة وقراءة القرآن .

فانظر إلى هذا الرفق النبوى الذى شفى وكفى، وعفى على أثر المعصية لما عفا؛ ولو عاد ذلك الأعرابى لمثلها لثقل عن لين التهذيب، إلى شدة التأديب؛ وكذلك فكن أنت فى الرفق الذى حدثت عنه، ومن عاد فیتقم الله منه.

ونحن نأشرك أن تحتسب أولاً بلين القول لا بالأنف [و] النكير، وأن تترفق فى الموعظة التى هى طريق إلى الخشية والتذكير؛ وأن لا تكون باحتسابك مبدلاً بأنك على الصراط المستقيم، وأن الناس بين يديك على سنن التقيف والتقويم؛ فإن من أكبر الذنوب ذنب الإعجاب، والأولى لك حينئذ أن تعود على نفسك بالاحتساب؛ ومن أدبك وأدب أمثالك أن يقف فى أمره بالمعروف مع التقوى لاعم هواء، وأن لا يفرق فى إزالة المعصية أن تكون بيده أو بيد أحد سواه؛ وإذا كنت كذلك فتركك الله بمن أنزل السكينة على لسانه وبه، وقوم له أود الناس لتقويم أوده، والله ينظر إلى قلب ابن آدم لا إلى عمله ولا إلى جسده. وطبك بالمجاهدين الذين سلب عنهم ثوب العافية، ومن آخفى منك بالاستتار فلا تكشف عن حاله الخافية. وأما ذوو الهيئات فإن عثراتهم تُقال، وأعراضهم لا تُدال، ولربما كان التجاوز عنهم داعياً إلى الانتقال؛ وفى قصة أبى محجن وسعد ما ينبئك أن الحياء أغنى فى الإزدجار، وفى الناس أذئاب لا قدر لها تدب عنه ورؤوس تدب عما لها من الأقدار. وهاتها من ضروريات الوصايا ما يؤتى فى مثله بتوكيد الأقوال، وأكثر ذلك يدور فى المعاملات التى ألقها قوم دون قوم، وأستمروا عليها يوماً دون يوم؛ وقد أتى منها ما أتفق على العمل به كل فريق، وأيسر ذلك إزالة النخامة من المسجد وإمالة الأذن عن الطريق.

وهذه الوصايا كلها لا تختص فيها إلى التوقيف ، وأنت عالم بوضع كلِّها في موضعه
وغيرك الذي يتعدى إلى التحريف ؛ فامض على السنن ، وأت بالحسن ؛ وسويين
حالتيك في السر والعلن ، وكُنْ من خوف الله ورجائه بين رحلة سفر وقرارة وطن .
وهذا عهدنا إليك تتقمص اليوم منه رداء جميلا ، وستحمل غدا منه عبثا ثقيلا ؛
وقد فرضنا لك عن حق سميك فريضة تجد بها كفافا ، وتمنعك أن تمد عينك إلى
غيرها استشرافا ، فإن العمل الذي توليته يستغرق أوقاتك أن تكون للدين كاسبه ،
وتشغل نفسك بالعمل والنصب لا أن تكون عاملة ناصبه . وإذا نظرت إلى ما يبط
بك وجدته قد استحصى الزمن أو كاد ، وأنت فيه بمنزلة الباني وقواعده :
« وكل بناء على قدر بانيه وما شاد » . ونحن نأمر ولا نسا على اختلاف مراتبهم
أن يرفعوا من قدرك ، ويسدّدوا من أمرك ، وإذا استوعر عليك أمر من
الجوانب سهّلوا من وعرك ؛ والله قد أمر أهل طاعته بأن يكون بعضهم لبعض
من الأعوان ، فقال جل وتعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى
الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ .

الحالة الرابعة

(مما يُكتب عن ملوك الديار المصرية من الولايات ماعليه مصطلح كُتاب الزمان
بديوان الإنشاء بالديار المصرية مما يُكتب عن السلطان لأرباب السيوف
والأقلام وغيرهم من التقاليد والمراسيم والتفويض والتوقيع ،
على ما سأتى بيانه ، وفيه [ثلاثة] مقاصد)

المقصد الأول

(فى مقدمات هذه الولايات ، وفيه مهيعان)

المهيع الأول

(فى بيان رجوع هذه الولايات إلى الطريق الشرعى)

قد تقدم فى أول الكلام على اليهود أن السلطنة فى زماننا دائرة بين إمارة
الاستيلاء : وهى أن يقلده الخليفة الإمارة على بلاد ويُفوض إليه تديرها فيستولى
عليها بالقوة ، وبين وزارة التفويض : وهى أن يستوزر الخليفة من يفوض إليه
تدير الأمور برأيه وفصلها على اجتهاده ، وأنها بإمارة الاستيلاء أشبه ، على ما تقدم
بيانه هناك . وقد صرح الماوردى فى "الأحكام السلطانية" أنه إذا تكل فى المستولى
على الأمر بالقوة بعد تولية الخليفة له مع أشتماله على الصفات المعتبرة فى المولى
فى الولاية الصادرة عن اختيار الخليفة الإسلام ، والحرية ، والأمانة ، وصديق
اللّهجه ، وقلة الطمع ، والسلامة من الميل مع الهوى ، والبراءة من الشحنة ،
والذكاء ، والفطنة - جازله ما يجوز لخليفة من تولية وزارة التفويض وغيرها من
سائر النيابات ، وجرى على من استوزره أو استنابه أحكام من استوزره الخليفة

أو استنابه ؛ وإن لم يستكمل الصفات المتبعة في الولاية الصادرة عن اختيار الخليفة ،
استناب له الخليفة لكل ولاية من تكامل فيه شروطها .

قلت : وقد كانت ملوك بني بويه وبني سلجوق مع ظبهم على أمر الخلفاء
ببغداد واستيلائهم يقتصرون في تصرفهم على متعلقات الملك في الجهاد والتصرف
في الأموال ، ويكفون أمر الولايات إلى الخليفة يباشرها بنفسه ، وتكتب عنه
العهود والتفاليذ على ما تشهد به نسخها الموجودة من إنشاء الصابي وغيره . وكذلك
الخلفاء الفاطميون بمصر عند غلبة وزرائهم على الأمر من لدن خلافة المستنصر
وإلى أقراض خلافتهم من الديار المصرية ، كالصالح طلائع بن رزيق في وزارته
للفائز والعاضد ، ونحو ذلك : فإن الخليفة هو الذي كانت الولايات تصدر عنه
تارة بإشارة الوزير ، وتارة بغير إشارته ، على ما تشهد به نسخ السجلات المكتوبة
في دولتهم ، على ما تقدم بيانه في الفصل الأول من هذا الباب . على أن أصحابنا
الشافعية وغيرهم من أئمة الفقهاء - رحمهم الله - قد صححوا الإمامة بنبلة الشوكة
والاستيلاء على الأمر بالقهر دون استكمال شروط الإمامة ، تصحيحاً للأحكام
الشرعية الصادرة عن المستولي بالشوكة : من العقود والقُسوخ وإقامة الحدود
وغيرها ، على ما هو مذكور في باب الإمامة . وحينئذ فتكون جميع الولايات الصادرة
عن السلطان صحيحة شرعاً وإن لم يستينبه عنه الخليفة ؛ وكذلك ما يترتب عليها ،
على ما الأمر جارٍ عليه الآن .

(١) ضبطه المجد في قاموسه فقال « كقيط » . وقيل عن الحافظ ابن حجر ضبطه بكسر الزاي وصوبه
شارح القاموس وبه ضبطه ابن خلكان في تاريخه .

المهّـمـع الثانى

(فيما يجب على الكاتب مراعاته فى كتابة هذه الولايات)

وأعلم أنه يجب على الكاتب فى ذلك مراعاة أمور .

الأمر الأول — براعة الاستهلال بذكر أسم المولى أوعته أولقبه أو الوظيفة ، أوحال الولاية ، مع استصحاب براعة الاستهلال إلى آخر الخطبة ونحوها من الاقتتاحات ، كما أشار إليه الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله فى كتابه "حسن التوسل" كما تقدم ذكره فى الكلام على البيعات والمعهود .

الأمر الثانى — مراعاة قطع الورق فى الجملة لكل ما يكتب من ديوان الإنشاء من المكاتبات والولايات وغيرها . والذي يختص بهذا المكان ذكر مقادير قطع الورق فيما يتعلق بهذه الولايات خاصة ، وهى خمسة مقادير : — أحدها قطع الثلثين ، ويختص فى الولايات بكبار التقاليد دون غيرها . وثانيها قطع النصف ، وفيه تكتب صغار التقاليد ، والمراسيم المكبرة ، والتفويض ، وكبار التواقيع . وثالثها قطع الثلث ، وفيه تكتب صغار المراسيم المكبرة ، والتواقيع المتوسطة . ورابعها قطع العادة المنصوري ، وفيه تكتب صغار التواقيع والمراسيم التى لأصحابها بعض ميزة لا تنهى بهم إلى رتبة قطع الثلث . وخامسها قطع العادة الصغير ، وفيه تكتب صغار التواقيع والمراسيم التى هى فى الرتبة الأخيرة .

الأمر الثالث — معرفة ما يناسب كل قطع من هذه المقادير من الأقلام . وقد تقدم فى المقالة الثالثة قولا عن "التعريف" ما لكل مقدار من الأقلام . والمتعلق بهذا الموضوع من ذلك أن يقطع الثلثين قلم الثلث الثقيل ، ولقطع النصف قلم الثلث الخفيف ، ولقطع الثلث قلم التوقيعات ، ولقطع العادة مطلقا قلم الرقاع .

الأمر الرابع — معرفة اللَّقب المطابق لرتبة كل ولاية وصاحبها من الألقاب
الأصول المتقدم ذكرها في الكلام على الألقاب من المقالة الثالثة . وهى المَقَرَّة ،
والجَنَاب ، والمَجْلِس ، ومَجْلِس كذا على الإضافة ؛ وما يُناسب كل لقب من هذه
الألقاب من الفروع المرتبة عليها ، كوصف المَقَرَّ بالكريم العالى ، ووصف الجَنَاب
تارةً بالكريم العالى ، وتارةً بالعالى مجرداً عن الكريم ، ووصف المجلس تارةً بالعالى ،
وتارةً بالسامى ، وإضافة مجلس فى حق أرباب السيوف إلى الأمير فيقال : مجلس
الأمير ، وفى حق أرباب الأعلام من العلماء وأصحاب الدواوين إلى القاضى فيقال :
مجلس القاضى ، وفى حق الصُّلحاء إلى الشيخ فيقال مجلس الشيخ ؛ وأنَّ لِمَنْ دُونَ
هؤلاء الصُّدْر ويُوصَف بالأجل فيقال الصُّدْر الأجل ؛ وأن لكل أصل من هذه
الأصول فروعا شتى ترتب عليه . وتقدم أيضا فى المقالة الرابعة فى الكلام على
المكتابات الصادرة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية فى زماننا إلى أهل المملكة
مكتبة كل واحدٍ من جرت العادة بالمكتبة إليه ، وما يختص به من الألقاب
الأصول والفروع .

وأعلم أنَّ الولايات أهم من المكتبات : فقد يكون للشخص ولاية من الأبواب
السلطانية وليس له مكتبة ، إذ المكتبات إنما تكون لقوم مخصوصين من أرباب
الولايات . إذا علم ذلك فكل من له مكتبة عن الأبواب السلطانية من أرباب
السيوف والأعلام من تقدم ذكره فى الكلام على المكتبات إذا كتبت له ولاية
نُعت بألقابه ونُصِّبته التى بها يكتب عن الأبواب السلطانية ، إلا أنَّ الدماء المستر به
المكتبة يحصل فى الآخردون الأول : فإذا كانت المكتبة إلى أحد « أعزَّ الله تعالى
انصار المَقَرَّ الكريم » قيل فى ألقابه فى الولاية « المَقَرَّ الكريم » إلى آخر ما يقتضيه
الحال ، ثم يقال : فلان أعزَّ الله تعالى أنصاره ؛ وكذلك فى البواقى . أمَّا من لم يجر

العادة بمكاتبة إليه عن الأبواب السلطانية ممن يؤتى عنها فإن لكل طبقة ألقاباً تخصهم . ونحن نذكر الألقاب الأصول وما يتفرع عليها لكل طبقة من كل طائفة على الوضع الذى تقتضيه الولايات دون المكاتبات ، ليجرى كل من أرباب الولايات على ما يناسبه من الألقاب .

وقد علمت فيما تقدم فى الكلام على الألقاب فى المقالة الثالثة أن الألقاب على خمسة ^(١) أنواع :

النوع الأول — ألقاب أرباب السيوف

والمستعمل منها بديوان الإنشاء تسع مراتب :

المرتبة الأولى — المقر الكريم مع الدعاء بـ "الأنصار" ، وهى : المقر الكريم ، العالى ، الأمير ، الكبير ، العالمى ، العادلى ، المؤيدى ، الزعيمى ، العوفى ، النبائى ، المتأخرى ، المرابطى ، المهدى ، المشيدى ، الظهيرى ، العايدى ، الناسكى ، الأتابكى ، الكفيلى ، الفلانى ، معز الإسلام والمسلمين ، سيد أمراء العالمين ، ناصر الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، ممد الدول ، مشيد الممالك ، عماد الملّة ، عون الأمة ، ظهير الملوك والسلاطين ، عضد أمير المؤمنين ، فلان (باسمه) الفلانى (يلقب بالإضافة إلى لقب السلطان) أعز الله تعالى أنصاره .

المرتبة الثانية — الجنب الكريم مع الدعاء بـ "النصرة" ، وهى : الجنب الكريم ، العالى ، الأمير ، الكبير ، العالمى ، العادلى ، المؤيدى ، الزعيمى ، العوفى ، النبائى ، المتأخرى ، المرابطى ، المهدى ، المشيدى ، الظهيرى ، الكفيلى ، الفلانى ، معز الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء فى العالمين ، نصر الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش

الموحدّين ، مقدّم العساكر ، مَهْدُ الدُّوَل ، مشيّدُ الممالك ، عمادُ المِلَّة ، عونُ الأُمّة
ظهيرُ الملوك والسلاطين ، سيفُ أمير المؤمنين ، فلان (باسمه) الفلاني (بلقب
الإضافة إلى لقب السلطان) أعزّ الله تعالى نصرته .

المرتبة الثالثة — الجَنَابُ العالى مع الدعاء بمُضَاعَفَةِ النِّعْمَةِ ، وهى : الجَنَابُ
العالى ، الأميريّ ، الكبيريّ ، العالميّ ، العادليّ ، المؤيّد ، العوّيّ ، الزعيميّ ،
المُجَاهِد ، المشيّد ، الظّهيريّ ، الكافليّ ، الفلانيّ ، عزّ الإسلام والمسلمين ،
سيّدُ الأمراء فى العالمين ، نُصرةُ الغزاة والمجاهدين ، زعيمُ جيوش الموحدّين ، مَهْدُ
الدُّوَل ، مشيّدُ الممالك ، عمادُ المِلَّة ، عونُ الأُمّة ، ظهيرُ الملوك والسلاطين ، سيفُ
أمير المؤمنين ، فلان (باسمه) الفلاني (بلقب الإضافة إلى السلطان) ضاعَفَ الله
تعالى نعمته .

المرتبة الرابعة — الجَنَابُ العالى مع الدعاء بِدَوَامِ النِّعْمَةِ ، وهى : الجَنَابُ العالى
الأميريّ ، الكبيريّ ، العالميّ ، المؤيّد ، الأُوحديّ ، النّصيريّ ، العوّيّ ،
الهُمَاميّ ، المقدّم ، الظّهيريّ ، الفلانيّ ، عزّ الإسلام والمسلمين ، سيّدُ الأمراء
فى العالمين ، نُصرةُ الغزاة والمجاهدين ، مقدّمُ العساكر ، كهفُ المِلَّة ، دُنُرُ الدُّوَلَة ،
عمادُ المملكة ، ظهيرُ الملوك والسلاطين ، حُسامُ أمير المؤمنين ، فلان الفلانيّ ،
أدام الله تعالى نعمته .

المرتبة الخامسة — المجلس العالى والدعاء بِدَوَامِ النِّعْمَةِ ، وهى : المجلس العالى
الأميريّ ، الكبيريّ ، العالميّ ، المُجَاهِد ، المؤيّد ، العوّيّ ، الأُوحديّ ، النّصيريّ ،
الهُمَاميّ ، المقدّم ، الظّهيريّ ، الفلانيّ ، عزّ الإسلام والمسلمين ، شَرَفُ الأمراء
فى العالمين ، نُصرةُ الغزاة والمجاهدين ، مقدّمُ العساكر ، كهفُ المِلَّة ، دُنُرُ الدُّوَلَة ،
ظهيرُ الملوك والسلاطين ، حُسامُ أمير المؤمنين ، فلان الفلانيّ ، أدام الله تعالى نعمته .

المرتبة السادسة — المجلس السامى بالياء، والدعاء بدوام التأييد ونحوه، وهى :
المجلس السامى ، الأميرى ، الكبيرى ، الذئبرى ، النصيرى ، الأوحدي ،
المؤيدى ، الفلانى ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، شرف الأمراء ، ذنر المجاهدين ،
عضد الملوك والسلاطين ، فلان الفلانى ، أدام الله تأييده .

المرتبة السابعة — السامى بنيرياء ، والدعاء أدام الله رفعة ونحو ذلك ، وهى :
المجلس السامى ، الأمير ، الأجل ، الكبير ، الفازى ، المجاهد ، المؤيد ، الأوحده ،
المرتضى ، فلان الدين ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، نحر الأمراء ، زين المجاهدين ،
عمدة الملوك والسلاطين ، أدام الله رفعة .

المرتبة الثامنة — مجلس الأمير ، والدعاء أدام الله سعده ونحوه ، وهى : مجلس
الأمير ، الأجل ، الكبير ، الفازى ، المجاهد ، المؤيد ، الأوحده ، المرتضى ، فلان
الدين ، مجد الأمراء ، زين المجاهدين ، عمدة الملوك والسلاطين ، فلان الفلانى ،
أدام الله سعده .

المرتبة التاسعة — الأمير مجزدا عن المضاف إليه ، وهى : الأمير ، الأجل ،
وربما زيد فيه قليل الكبير ، المحترم ، ونحو ذلك .

النوع الثانى

(ألقاب أرباب الوظائف الديوانية ، وهى على ست مراتب)

المرتبة الأولى — الجنب العالى مع الدعاء بمضاعفة النعمة . وفيها أسلوبان :
الأسلوب الأول — ألقاب الوزير وهى : الجنب العالى ، الصاحبى ،
الكبرى ، العالى ، العادلى ، الأوحدي ، الأكلى ، القوامى ، النظامى ، الأميرى ،

البليغي، المنقذ، المسدي، المتصرف، المهدى، العوفى، المدبرى، المشيرى،
الوزيرى، الفلافى، صلاح الإسلام والمسلمين، سيد الوزراء فى العالمين، رئيس
الكبراء، كبير الرؤساء، أوجد الأصحاب، ملاذ الكُتاب، قوام الدول، نظام الملك،
مفيد المناجى، معتمد المصالح، مُرتب الجيوش، عماد الملة، عون الأمة، مُشير
الملوك والسلاطين، ولى أمير المؤمنين، فلان الفلافى، ضاعف الله تعالى نعمته .

الأسلوب الثانى — ألقاب كاتب السر، عند ما استقر ما يكتب له تقليدا
فى قطع الثلاثين، وهى : الجنا ب العالى، القاضى، الكبيرى، العالى، العادلى،
العامى، الأفضلى، الأجلى، البليغى، المسدي، المنقذ، المشيدى، العوفى،
المشيرى، اليمينى، السفيرى، الأصبلى، العريقى، الفلافى، صلاح الإسلام
والمسلمين، سيد الرؤساء فى العالمين، قدوة العلماء العالمين، جمال البقاء، أوجد
الفضلاء، جلال الأصحاب، كهف الكُتاب، يمين المملكة، لسان السلطنة، سفير
الأمة، سليل الأكابر، مُشير الملوك والسلاطين، ولى أمير المؤمنين، فلان الفلافى،
ضاعف الله تعالى نعمته .

قلت : وقد كان رتبته : المجلس العالى عند ما كان يكتب له توقيع فى قطع
النصف .

المرتبة الثانية — المجلس العالى مع الدعاء بدوام النعمة، وفيها أربعة أساليب .

الأسلوب الأول — ألقاب كاتب السر على ما كان الأمر عليه فى كتابة توقيع
فى قطع النصف، ويدعى له : أدام الله نعمته، وهى : المجلس، العالى، بالألقاب
المتقدمة له مع الجنا ب العالى، على ما استقر عليه الحال .

الأسلوب الثانى — ألقاب ناظر الخاص، وهى: المجلس العالى القاضى، الكبيرى، العالمى، الفاضل، الأوحدى، الأكلى، الرئيسى، البلىنى، البارعى، القوامى، النظامى، الماجدى، الأثيرى، المنفذى، المسدى، المتصرفى، الفلانى؛ جمال الإسلام والمسلمين، سيد الرؤساء فى العالمين، قوام المصالح، نظام المتابع، جلال الأكابر، قدوة الكُتاب، رئيس الأصحاب، عماد الملة، صفوة الدولة، خالصة الملوك والسلطين، ولئ أمير المؤمنين، فلان الفلانى، أدام الله تعالى نعمته .

الأسلوب الثالث — ألقاب وزير دمشق إذا صُرح له بالوزارة، وهى: المجلس العالى، الصاحى، الوزيرى، الأجل، الكبيرى، العالمى، العالى، المؤيدى، الأوحدى، القوامى، النظامى، الماجدى، الأثيرى، المشيرى، الفلانى؛ صلاح الإسلام والمسلمين، سيد الوزراء فى العالمين، رئيس الكبراء، كبير الرؤساء، بقية الأصحاب، ملاذ الكُتاب، عماد الملة، خالصة الدولة، مشير الملوك والسلطين، خالصة أمير المؤمنين، فلان الفلانى، أدام الله تعالى نعمته .

الأسلوب الرابع — ألقاب ناظر النظار بالشام، إذا لم يكن وزيرا، وهى: المجلس العالى، القضاى، الكبيرى، العالمى، العالى، الأوحدى، الرئيسى، الأثيرى، القوامى، النظامى، المنفذى، المتصرفى، الفلانى: مجد الإسلام والمسلمين، شرف الرؤساء فى العالمين، أوحد الفضلاء، جلال الكُبراء، حجة الكُتاب، صفوة الملوك والسلطين، خالصة أمير المؤمنين، فلان الفلانى، أدام الله تعالى نعمته .

المرتبة الثالثة — المجلس السامى بالياء مع الدعاء بدوام الرفعة وما فى معناها ،
وهى : المجلس السامى ، القَصَافَى ، الأَجَلَى ، الكَبِيرَى ، العالمَى ، الفاضِلَى ،
الكامِلَى ، الرئِيسَى ، الأَوَّحِدَى ، الأَصِيلَى ، الأَثِيرَى ، الأَبْلَغَى ، الفَلَافِلَى ، مَجْدُ
الإسلام ، شَرَفُ الرُّؤَسَاءِ فى الأَنَامِ ، زَيْنُ البُلغَاءِ ، جَمَالُ الفُضَلَاءِ ، أَوَّحِدُ الكُتَّابِ ،
نَفَرُ الحُسَّابِ ، صَفْوَةُ المُلُوكِ والسُّلَاطِينِ ، أَدَامَ اللهُ تَعَالَى رِفْعَتَهُ .
فَإِنْ كَانَ مِنْ كِتَابِ الإِنْشَاءِ ، أَسْقَطَ مِنْهُ « نَفَرُ الحُسَّابِ » .

المرتبة الرابعة — السامى بغير ياء ، مع الدعاء بدوام الرفعة ونحوه أيضا ، وهى :
المجلس السامى ، القاضى ، الأَجَلُ ، الكَبِيرُ ، الصَّدْرُ ، الرئِيسُ ، الأَوَّحِدُ ، البارِعُ ،
الكامِلُ ، الأَصِيلُ ، الفاضِلُ ، فلان الدين ، جمالُ الإسلام ، بهاءُ الأَنَامِ ، شَرَفُ
الأَكابرِ ، زَيْنُ الرُّؤَسَاءِ ، أَوَّحِدُ الفُضَلَاءِ ، زَيْنُ الكُتَّابِ ، صَفْوَةُ المُلُوكِ والسُّلَاطِينِ ،
أَدَامَ اللهُ تَعَالَى رِفْعَتَهُ .

المرتبة الخامسة — مجلسُ القاضى ، وهى : مجلسُ القاضى ، الأَجَلُ ، الكَبِيرُ ،
الفاضِلُ ، الأَوَّحِدُ ، الأَثِيرُ ، الرئِيسُ ، البَلِغُ ، العَرِيقُ ، الأَصِيلُ ، فلان الدين ، مَجْدُ
الإسلام ، بهاءُ الأَنَامِ ، شَرَفُ الرُّؤَسَاءِ ، زَيْنُ الكُتَّابِ ، مُرْتَضَى المُلُوكِ والسُّلَاطِينِ ،
أَدَامَ اللهُ رِفْعَتَهُ .

المرتبة السادسة — القاضى ، وهى : القاضى الأَجَلُ . وَرُبَّمَا زِيدَ فى التعظيم
الصَّدْرُ ، الرئِيسُ ، الكَبِيرُ ، ونحو ذلك .

النوع الثالث

(ألقاب أرباب الوظائف الدينية - وهى أيضا على ست مراتب)

المرتبة الأولى - الجناّب العالى - وهى لمن أستقر له كتابةٌ تقليديّة في قطع
 الثلاثين من قضاة القضاة بالديار المصرية وهو الشافعى ؛ وهى : الجناّب العالى ،
 القاضوى ، الشىخى ، الكبرى ، العالمى ، العالمى ، الأفضلى ، الأكلى ، الأوحدى ،
 البلىفى ، الفريدى ، المفيدى ، الجيدى ، القدوى ، الحجى ، المحققى ، الورعى ،
 الخاشى ، الناسكى ، الإمامى ، العلامى ، الأصلى ، العريقى ، الحاسكى ، الفلانى ،
 جمال الإسلام والمسلمين ، شرف العلماء العاملين ، أومد الفضلاء المفيدين ؛ قدوة
 البلغاء ، حجة الأمة ، عمدة المحققين ، نخر المدرسين ، مفتى المسلمين ؛ جلال الحكم
 بركة الدولة ، صدر مصر والشام ؛ معز السنة ، مؤيد الملة ؛ شمس الشريعة ، رئيس
 الأصحاب ، لسان المتكلمين ، حكم الملوك والسلاطين ، ولى أمير المؤمنين ؛ فلان
 (بنسبه) أعز الله تعالى أحكامه .

وكذلك قاضى القضاة الحنفى بالديار المصرية عند ما أستقر المكتوب له تقليداً .

المرتبة الثانية - المجلس العالى ؛ وبها كان يكتب لقاضى القضاة الشافعى
 قبل أن يستقر ما يكتب له تقليداً ، بالألقاب والتعوت السابقة له مع الجناّب ؛
 وكذلك الثلاثة الباقون باختصار فى الألقاب والتعوت ؛ وهى : المجلس العالى ،
 القاضوى ، الكبرى ، العالمى ، العالمى ، الأفضلى ، الأكلى ، الأوحدى ، البلىفى ،
 الفريدى ، المفيدى ، الجيدى ، القدوى ، الحجى ، المحققى ، الإمامى ، الأصلى ،
 العريقى ، الحاسكى ، الفلانى ؛ جمال الإسلام والمسلمين ، سيد العلماء العاملين ،
 أومد الفضلاء المفيدين ؛ قدوة البلغاء ، حجة الأمة ، عمدة المحدثين ، نخر المدرسين ،

مفتي المسلمين؛ جلالُ الحُكَّام، حَكَمُ الملوك والسلاطين، فلان الفلاني (بَنَسبه) أعزَّ الله تعالى أحكامه .

المرتبة الثالثة — المجلس السامي بالياء، وهى : المجلس السامى، القضاى، الكبيرى، العالمى، الفاضل، الأَوحَدى، الرئِيسى، المُفِيدى، البليغى، القُدوى، الأَثِيرى؛ مجدُ الإسلام والمسلمين، جمالُ العلماء العاملين، أُوحدُ الفضلاء، صَدْر المدترسين، عُمْدَةُ المُفَتِينَ، خالصةُ الملوك والسلاطين، فلان الفلاني : أدام الله تعالى تَأْيِيدَهُ .

المرتبة الرابعة — السامى بغير ياء، وهى : المجلس السامى، القاضى، الأَجَل، الكبير، الصَّدْر، الرئيس، العالم، الفاضل، الكامل، فلان الدين، مجدُ الصُّدُور، زَيْنُ الأَعْيَان، مَرْتَضَى الملوك والسلاطين، فلان : أدام الله تعالى رِفْعَتَهُ .

المرتبة الخامسة — مرتبةُ مجلس القاضى؛ وهى : مجلس القاضى، الأَجَل، الكبير، العالم، الفاضل، الأَوحَد، الصدر، الرئيس؛ مجدُ الإسلام، بهاء الأَنام، زَيْنُ الأَعْيَان، نَفِيرُ الصُّدُور، مَرْتَضَى الملوك والسلاطين، فلان : أعزَّهُ الله تعالى .

المرتبة السادسة — مرتبة القاضى؛ وهى : القاضى، الأَجَل . وربما زيد فى التعظيم نحو الكبير، الصدر، الرئيس، ونحو ذلك .

النوع الرابع

(ألقابُ مشايخ الصُوفية - وهى على تَحَسُّس مراتب)

المرتبة الأولى — المجلس العالى . وبها يُكَتَّب لشيخ الشيوخ بالديار المِصْرِيَّة، وهى : المجلس العالى، الشيخى، الكبيرى العالى، العالمى، السالكى، الأَوحَدى،

الزاهد، العابد، الخاشع، الناسك، المفيد، القدوي، الإمامي، النظامي، الملاذبي، جلال الإسلام والمسلمين، شرف الصلحاء في العالمين، شيخ شيوخ الإسلام، أوجد العلماء في الأنام، قدوة السالكين، بركة الملوك والسلاطين، فلان، أعاد الله تعالى من بركاته .

المرتبة الثانية — المجلس السامي بالياء، وهي : المجلس السامي، الشيخ، الكبير، الأوحدي، الأكلي، العابد، الخاشع، الناسك، جمال الإسلام، زين الأنام، صفوة الصلحاء، نحر العباد، بركة الملوك والسلاطين : أعاد الله تعالى من بركاته .

المرتبة الثالثة — المجلس السامي بغير ياء، وهي : المجلس السامي، الشيخ، الصالح، الزاهد، العابد، الورع، الخاشع، الناسك، السالك، فلان الدين، مجد الصلحاء، زين المشايخ، قدوة السالكين، بركة الملوك والسلاطين : نفع الله تعالى ببركته .

المرتبة الرابعة — مجلس الشيخ، وهي : مجلس الشيخ، الصالح، الزاهد، العابد، الناسك، السالك، فلان الدين، مجد الصلحاء، زين المشايخ، بركة الملوك والسلاطين : أعاد الله تعالى بركاته .

المرتبة الخامسة — مرتبة الشيخ، وهي : الشيخ، الصالح، الورع، الزاهد، ونحو ذلك : نفع الله تعالى به .

النوع الخامس

(ألقاب مَنْ قد يُكتب له بولاية من رؤساء العامة من التجار وغيرهم)

وفيهما أربع مراتب :

المرتبة الأولى — المجلس السامى بالياء ، وهى : المجلس السامى ، الصدرى ، الأجل ، الكبير ، الرئيسى ، الفلانى .

المرتبة الثانية — المجلس السامى بغرياء ، وهى : المجلس السامى ، الصدر ، الأجل ، الكبير ، الرئيس ، المحترم .

المرتبة الثالثة — مجلس الصدر ، وهى : مجلس الصدر ، الأجل ، الكبير ، المحترم ، المؤمن ، فلان الدين . ويقال فى ألقاب المهتارية ونحوهم : الحاج فلان .

المرتبة الرابعة — مرتبة الصدر ، وهى : الصدر ، الأجل . فلان زيد فى تكريمه قيل بعد ذلك : الكبير ، المحترم .

النوع السادس

(ألقاب زعماء أهل الذمة ، وهم ثلاثة)

الأول — بطرك النصارى اليقاقية ، وهى : الحضرة السامية ، الشيخ ، الرئيس ، المبجل ، المكرم ، الكافى ، المعزز ، المفخر ، القديس ، شمس الرئاسة ، عماد بنى المعمودية ، كتبة الطائفة الصليبية .

الثانى — بطرك الملكانية ، وتختصر ألقابه عما يكتب به لبطرك اليقاقية بعض الاختصار .

الثالث - رئيس اليهود، وهى : الرئيس الأوحُد، الأجل، الأخر، الأخص، الكبير، شرف الداوديين، فلان أبو فلان : سبده الله فى أقواله ، وثبته فى أفعاله .

قلت : وما يجب التنبه له أن ما تَقَلَّم من الألقاب والنعوت المفرعة على الألقاب الأصول ليست مما يُوقَف عند حدّ، بل محتملة للزيادة والنقص بحسب ما تقتضيه الحال، ويحتمله المقال . بل ربما وُلّى بعض المناصب من فيه صفات تستحق ألقابا ونعوتا خاصّة، فيكتب له بذلك مراعاة لما يقتضيه حاله، ويستوجه مقامه، ثم يلى ذلك المنصب بعده من لا يستحق الوصف بالألقاب والنعوت التى تخصّ المتقلّم، فيؤتى بها للثانى : كما اتفق فيما كُتِب به فى نيابة الشام حين وليها الأمير بيدهم الخوارزمي رحمه الله، وكانت من الديانة على ما لا يوجد فى غيره . فكتب فى ألقابه حينئذ : العايدى، الناسكى، الخاشعى . فليزمت فيمن بعده وصارت مما يكتب به إلى الآن ، سواء أنصف نائبها بدين أم لا - وكما اتفق فى صاحب علم الدين بن زُبَور حين أجمع له الوزارة ونظر الحاص والجيش ، فكتب له بالألقاب ونعوت جامعة لألقاب تلك الوظائف ونعوتها، فاستمر ذلك فيما يكتب به لكل من ولى الوزارة بعده إلى الآن ؛ حتى إنه يكتب فى ألقاب الوزير الآن « مرّتب الجيش » وهو من الألقاب الخاصة بناظر الجيش استطرادا لما كُتِب به لابن زُبَور : لانضمهم نظر الجيش إليه على ما تقدم - وكما اتفق فيما كُتِب به للشيوخ تقي الدين السبكي من الألقاب الجليلة المقدر، الرفيعة المكانة ، فى قضاء الشام لرفعة مقامه ، وأسّاع باعه فى العلم ، وعُلُو مكانته فى الخاصّة والعامة فليزم كتابة ذلك لقاضى قضاء الشافعية بالديار المصرية ، من حيث إنه لا يليق بالحال

أن يكون قاضى الشام أعلى رتبة من قاضى الديار المصرية . ثم سرى ذلك فى كل من ولى المنصب بعد ذلك ، وهلمَّ جرًّا إلى زماننا .

ومما يلحق بذلك أنه قد جرت العادة فى الزمن المتقدم وهلمَّ جرًّا إلى زماننا أنه كان يكتب فى الطرة لأرباب السيوف بعد الأيمرى « الكبرى الفلانى » بلقب الإضافة إلى لقب السلطان كالناصرى ونحوه ، بخلاف أرباب الأقلام فإنه لم يجز العادة بأن يكتب لهم ذلك فى شئ من طرة تقاليدهم ولا توقيعهم ، إلى أن ليس القاضى سعد الدين بن غراب الكوثى ، وأستقر إستادارا فى الدولة الناصرية فرج ابن برفوق ، ثم أستقر مشيرا وكتب له تقليد بالإشارة كتب له فى طرة تقليده بعد الكبرى « الناصرى » لجمعه بين السيف والقلم . ثم جرى بعض الكتاب على مثل ذلك فى غيره من أرباب الأقلام الأكابر : كالوزير ، وكاتب السر ، وناظر الخاص ، وناظر الجيش ، ومن فى معناهم من أرباب الوظائف الديوانية . والمجته فيه ظاهرة من حيث إن كلا من المذكورين إذا كتب عنه كتاب ، كتب فى أعلاه تحت البسملة « الملكى الناصرى » وإذا كتب عنه قصة ، كتب فيها تحت البسملة « الملكى الفلانى » . ومقتضى ذلك أن يكتب لقب الإضافة إلى لقب السلطنة فى تقليده أو توقيعيه على ما تقدمت الإشارة إليه من فعل بعض الكتاب .

الأمر الخامس — مما يجب على الكاتب مراعاته معرفة الوصف اللائق بصاحب الوظيفة .

فيجب عليه مراعاة ما يناسبه من الأوصاف التى يقع بها تفريلظه ومآذيه :

فإن كان نائب سلطنة وصفه بالشجاعة، والنجدة، وقوة الحزم، والشهامة،
 وشدة الشكيمة، ونصرة الدين، وكف [الأيدي] العادية، وإرهاب العدو، وقع
 المفسدين، وإرغام أهل المدون، وحماية الثغور - إن كان في ثغر - ووفور الهيبة،
 وبُعْد الصيت، وطيران السمعة، مع بسط المعللة والرفق بالرعية، والرأفة بخلق الله
 تعالى، والشفقة عليهم، والإحسان إلى الكافة، والأخذ بقلوبهم، والوقوف مع
 أحكام الشريعة، وبذل الطاعة، والمناصرة، والمخالصة، وقدم هجرته في الدولة - إن
 كان قديم هجرة - ومروور الدول عليه - إن كان قد مرت عليه دول - ، وأنه نشأ
 الدولة - إن كان ابتداء أمره فيها - ، ونحو ذلك .

وإن كان نائب قلعة وصفه بالحذق، واليقظة، وقوة الحزم، وشدة
 التحرز، والمعرفة بأحوال الحصار وضروب القتال وطرق التحصين والمدافعة ،
 ونحو ذلك .

وإن كان وزيرا وصفه بحسن التدبير، وحرارة الرأي، والإحتياط في الأمور،
 والقيام بمصالح الإسلام، وعمار البلاد، والنهوض في المهمات، وكف الأيدي
 العادية، والأخذ على يد المتعدي، وتبعية الأموال وتنميتها، وتسهيل ما يجري من
 الأرزاق على يده، وبذل المجهود في معاضدة الشريعة، وشبه ذلك مما يجري
 هذا المجرى .

وإن كان كاتب سر وصفه بالفصاحة والبلاغة، وقيام أقلامه في التأثير
 في العدو مقام السيوف والرماح، وكتبه في تفريق الكائب مقام الجيوش
 والعساكر، وسداد الرأي، وكنم الأسرار، وحماية الممالك بنتائج أفكاره،
 وما شاكل ذلك .

وإن كان ناظر جيش وصفه بالمعرفة بأمور الجيوش وترتيبها ، وأصناف
الأمراء ، والجند ، والمستخدمين ، وترتيب مقاماتهم ، وما يتخبط في هذا السلك .

وإن كان ناظر الخاص وصفه بالمعرفة بأمور الحساب ، والنهضة في المهمات ،
والمعرفة بأحوال ديوان الخاص وجهاته ، والقدرة على تحصيل الأموال وزيادتها ،
ومعرفة ما يحتاج إليه من أصناف الأقمشة والطرز وغيرها ، مع الأمانة والعفة ،
وما يجرى مجرى ذلك .

وإن كان مستوفى الصحبة وصفه بالمعرفة بفنون الكتابة ، ونظم الحسابات ،
والاحتياط في استرفاعها ، مع الضبط والاحتراز والأمانة والعفة وما هو من هذا
القييل ،

وإن كان ناظر خزانة الخاص وصفه بالأمانة ، والعفة ، والمعرفة بأصناف
الخزانة : من الأقمشة ، والتشارييف ، والطرز ، ومعرفة مراتب أربابها ، وما يناسب
كل واحد منهم من أنواع التشارييف من عاليها وهابطها ، وما يطابق ذلك .

وإن كان قاضيا وصفه بفزارة العلم ، وسعة الفضل ، ونصرة السنة ، وقمع
البدعة ، والقئل في الأحكام ، وإنصاف المظلوم من الظالم ، والأخذ للضعيف من
القوى ، والتراهة عن المظالم الوخيمة ، والمطامع الرديئة ، والبعد عن الأهواء
في الحكم ، وما يتخبط في هذا السلك .

وإن كان محتسبا وصفه بعد وصفه بالفضل بالعفة ، والأمانة ، وعلو الهمة ،
وقوة العزم ، والعصامة ، وقوة الهيبة ، والنهوض بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،
والتفكير في مصالح المسلمين ، وعدم محابة أهل الدنيا وأرباب الجاه ، وأنه لا يفرق
في الحق بين الجليل والحقير ، وما في معنى ذلك .

وإن كان وكيل بيت المال وصفه بعد العلم والديانة بالوقوف مع الحق ،
والثبوت فيه ، ومراعاته المصلحة العامة في كل ما يتعلق به ، والمعرفة بشروط الاعذار
ومواقع ابداء الدافع ونفيه ، وأنه يقدم مصالح المساكين على مصالح نفسه ،
وما يقارب ذلك .

وإن كان مدرسا وصفه بسعة العلم ، والتضلع بالفنون ، والأخذ من كل منها
بحفظ وإفرا ، وطول الباع في البحث والمناظرة ، والوقوف مع الحق فيها ، وعدم
الجدال في الباطل ، وتربية الطلبة ، وتأديبهم ، والتقريب على من عسر على فهمه
شيء من المسائل ، وعدم الترفع عليهم ، وتزليلهم منازلهم في الفضل ، وتقديم من
برع منهم .

وإن كان خطيبا وصفه بالفصاحة ، والبلاغة ، وفؤة اللسن ، وشدة الشكيمة
في الكلام ، وتأثير وعظه في القلوب ، وأنسكاب الدموع من وقع عظامه ، وما
أشبه ذلك .

وإن كان شيخ خانقاه وصفه بالورع ، والزهد ، والنسك ، وقطع العلائق من
الدنيا ، وتربية المريدين وتسليةهم ، والوقوف مع طريق السلف الصالح .

وإن كان رئيس الأطباء وصفه بالحدق في الطب ، والمهارة فيه ، وتقديمه على
غيره في الفن ، والمعرفة بالعقاقير وما فيها من نفع وضرر ، والمعرفة بالأمراض والعِلل
وطرق العلاج ، وما يجري مجرى ذلك .

وإن كان رئيس الكحالين وصفه بالمعرفة في صنعة الكحل ، والتقدم على أبناء
صنعتهم فيه ، والمعرفة بحال العين وأمراضها ، وأصناف الأحيال ، وما يوافق كل
علمه من ذلك ، وما يخرط في هذا السلك .

وإن كان رئيس اليهود أو بطركا من بطاركة النصارى، وصفه بالمعرفة بأمور ملته، والوقوف مع قوانين شرعته، ومعاونة العدل في جماعته، والقيام بشروط الذمة، والوقوف عند حدّها، والدخول تحت الطاعة، والوقوف عند ما حدّ له، ونحو ذلك .

الأمر السادس — مما يجب على الكاتب مراعاته وصية رب كل ولاية من الولايات المعنوية بما يناسبها .

وأعلم أن كل ما حسن وصية المولى به، حسن وصفه به . والوصايا مختلفة باختلاف موضوعاتها، إلا أن الجمع يشترك في الوصية بتقوى الله، فهي الأسس الذي ينشأ عليه، والركن الذي يستند إليه . وهذا الباب هو الذي يطول فيه سبغ الكاتب، ويحتاج فيه إلى سعة الباع، فإنه ما لم يكن الكاتب حاذقا بما يلزم رب كل ولاية ليوفّيها في الوصية حقها، وإلا ضلّ عن الطريق، وحادّ عن جادة الصنعة . ولذلك يقال للكاتب : « القلم الأكبر » : لأنه بصدد أن يعلم كل واحد من أرباب الولايات ما يلزمه في ولايته .

وحينئذ فإن كان المتولى « نائب سلطنة » وصّى بتفقد العساكر، وعرض الجيوش، وإنهاضها للخدمة ... (١) ... للوظائف من يليق بها، وتنفيذ الأحكام الشرعية، ومعاونة حكام الشرع الشريف، وإجراء الأوقاف على شروط واقفيها، وملاحظة البلاد وعمارتها، وإطابة قلوب أهلها، والشّد من مياشري الأموال، وتقوية أيديهم، وملازمة العدل، وعدم الانفكاك عنه، وتخصيص ما لديه من القلاع، واستطلاع الأخبار والمطالعة بها، والعمل بما يرد عليه من المراسيم

(١) بياض بالأصل بقدر كلمة ولله « رأيتاه » للوظائف الخ .

السلطانية، وأن ما أشكل عليه يستضى فيه بالآراء الشريفة، والإحسان إلى الجند،
وتعين إقطاع من مات منهم لولده إن كان صالحا، ونحو ذلك .

وإن كان « نائب قلعة » وصى بحفظ تلك القلعة، وعمارة ما دعت الحاجة
إلى عمارته منها، والأخذ بقلوب من فيها، وجمعهم على الطاعة، وأخذ قلوبهم
بالإحسان إليهم، وتحصينها بالآلات الحصار، وأدخار آلات الحرب : من المتجانيق
والقيسي ومائر الآلات : من السهام، واللبوس، والستائر، وغير ذلك . وكذلك
آلات أرباب الصنائع، كالآلات الحذادين، وصناع القيسي ومن في معناتهم مما
يحتاج إلى عمله في آلات القلعة، والاعتناء بفتح أبواب القلعة وفتحها، وتفقد
متجددات أحوالها في كل مساء وصباح، وإقامة الحرس، وإدامة العسس،
وتعريف أخبار المجاورين لها من الأعداء، وإقامة نوب الحماة بها، والمطالبة بكل
ما يتجدد لديه من الأخبار .

وإن كان « وزيرا » وصى بالعدل وزيادة الأموال وتخيرها، والإقبال على تحصيلها
من جهات الخيل، واختيار الكفاة الأمانة، وتجنب الخونة، وتطهير باه، وتسهيل
حجابه، والنظر في المصالح، وأنه لا يستبدل إلا بمن ظهر لديه عجزه أو خيائته،
والنظر في أمر الرواتب وإجرائها على أربابها .

وإن كان « كاتب سر » وصى بالاهتمام بتلقى أخبار الممالك وعرضها على المواقف
الشريفة، والإجابة عنها بما تبرز به المراسيم الشريفة، وتعريف النواب في الوصايا
التي تكتب في تعاليدهم عن المواقف الشريفة ما بهم عليهم، وبين لهم ما يقفون

عند حذِّه ، والنظر في تجهيز البريد والتجابه ^(١) ، وما يُبعث فيه من المصالح وينفذ فيه من المهمات والقصاد ، ومعرفة حقوق ذوي الخدمة والنصيحة ، وإجرائهم في رسوم الرواتب وعوائد البر والإحسان على أتم العوائد ، وتأليف قلوبهم ، والأخذ بخواطرهم ، والنظر في أمر الكشافة والدياب والظنارة والمنابر والمحرقات وأبراج الحسام ، وصرف نظره إلى رسل الملوك الواردة ، ومعاملتهم بالإكرام ، والأخذ في صون سر الملك وكتمانه حتى عن نفسه ، وضبط ألواح البريد ، والاحتراز فيما تؤخذ عليه العلامة الشريفة ، ومراعاة كتاب ديوان الإنشاء ، والإحسان إليهم ، وأن لا يستكتب في ديوانه إلا من علم صلاحه لذلك وكفايته ، ووثق منه يكتمان السر كما يتق به من نفسه .

وإن كان « ناظر جيش » وصى بالاحتياط في أمر ديوانه ، والوقوف على معالم هذه المباشرة ، وجرائد الجند ، والإقطاعات ، وتحرير الكشوف والمحاسبات ، وأستيضاح أمر من يموت من أرباب الإقطاعات من ديوان المواريث أو من المقدمين والقباء ، والاحتراز في أمر المربعات وجهات الإقطاعات وما يرتب عليها من المناشير ، والنظر في أمر المقطعين : من الجند ، والعرب ، والتركان ، والأكراد ، ومن عليه تقديمه أو درك بلاد أو غير ذلك .

وإن كان « ناظر خاص » وصى بالاحتياط لِدِيوانه ، والأخذ في تحصيل أموال جهاته وتسميتها وتغييرها ، وزيادتها وتغييرها ، والحرص فيما يُرفع من حساباتها ، والاهتمام بأمر التشاريف والخلع ، وما يختص بكل ولاية وغيرها من التشاريف ،

وما جرت به العادة من الهدايا المحضرة إلى ملوك الأقطار، والأخذ في ذلك كله بالخطّ الأوّل للديوان السلطانيّ، وما يجرى بجرى ذلك .

وإن كان «مستوفى صحبة» وصّى بإلزام الكتاب بما يلزمهم من الأعمال وتحريرها، وعمل المكلفات وتقدير المساحات، وتمييز ما بين تسجيل القدن في كل بلد بحسب ما يصلح لها من الزراعة، وتمييز قيم بعضها على بعض، ومستجدّ الجرائد، وما يقابل عليه من ديوان الإقطاعات والأجباس وغير ذلك .

وإن كان «ناظرًا لخزانة الخاص» وصّى بتحصيل ما يحتاج إليه لتفصيل الخاص وتشاريف أرباب السيوف والأقلام : العرب، والتركيان، والأكراد، وغيرهم، وهدايا الملوك وما يجرى بجرى ذلك : من العتّاب والأطلس، والمُشربش، والمُقندس والمنتمّر، والطرازات على اختلافها : من الزركش، والباهى، وأنواع المستعملات، وما يحمل من دار الطراز، وما يُبتاع للخزانة العالية، وما هو مُرصد لها من الجهات التي يحمل إليها متحصلها : يُنتقى في أثمان المبيعات ومصرف المستعملات، والاحتراز فيما يُنتقى من الأثمان وقيمة المُبتاع، وشهادات الرسائل المكتوبة إليه بالحمول وما يكتب بها من الرّجمات، وأن يحصل كلّ شيء هو بصدد الحاجة إليه قبل الاحتياج .

وإن كان «قاضيا» وصّى بالترؤى في أحكامه قبل إقضائها، وأن يراجع الأمر مرّة بعد أخرى، واستشارة أهل العلم، والرّجوع إليهم فيما أشكل عليه، واستشارة الله تعالى قبل الإقدام على الحكم، والقضاء بحق الخضم بعد وضوحه، والتسجيل له به، والإشهاد على نفسه بذلك، والتسوية بين الخصوم حتى في تقسيم النظر إلى الخصمين، والتحرّى في استيداء الشهادات، وأن لا يقبل من الشهود الا من عُرف

بالمَدَّلة : من ربِّ قلم أو سيف ، والتقيب عما يصدر من العقود ، ولا يعول من شهود القيمة إلا على كل عارف بالقيم خير بها ، والنظر في أمر الرُّسل والوكلاء ، والنظر في أمور أهل مذهب ، والأعتناء بشأنهم .

ويُزاد « الشافعي » التوصية بالنظر في دعاوى بيت المال ومحاكماته ، والاحتراز في قضائها ولا يقبل فيها بينة لو كِل بيت المال فيها مدفع ، ولا يُعمل فيها بمسألة ضعيفة ، والنظر في أمر أموال الأيتام وأمر المتحدِّثين فيها بالإحسان إليهم ، وكذلك أموال الصدقات البخارية تحت نظره ، والتقيظ لإجرائها على السداد في صرفها في وجوه استحقاقها ، وأن لا يعمل في مسألة تفرد بها مذهب إلا بما نص عليه إمامه أو كان عليه أكثر أصحابه ، ولا يعتمد في ذلك مرجوحاً ولا ما تفرد به قائله ، وأن لا يولى في البرئائب إلا مَنْ عُرِف استحقاقه وأهليته لما يتولاه .

ويُزاد « الحنفي » الوصية بالعمل بما اقتضاه مذهب من الأمور التي فيها صلاح لكثير من الناس : كترويج المُصبرات ، وشُفعة الجوار ، ونفقة المعتدة البائن ، وعدم سماع بينة الإعسار إلا بعد مضي المدة المعتبرة في مذهب ، والإحسان إلى مَنْ ضمه نطاق ولايته من تزح إليه من أهل الشرق وأقصى الشمال .

ويُزاد « المالكي » الوصية بالتحزى في بينات الدماء ، والإعذار إلى الخضم لبيدي مالدیه من دافع ، والعمل بما تفرد به مذهب مما فيه فُسحة للناس : كالثبوت بالشهادة على الخط ، وولاية الأوصياء ، وإسقاط الرِّبع في الوقف المسترد بعد البيع ، والإحسان إلى مَنْ لديه من غُرَباء أهل مذهب ، لاسيما مَنْ أتاه من بلاد المغرب .

ويُزاد « الحنبلي » الوصية بالاحتياط في بيع مادَّرت من الأوقاف والاستبدال بها ، ورعاية المصلحة في ذلك لأهل الوقف بما أمكن ، والفسخ على من غاب عن زوجته

الغَيْبَةُ المستوجبة للفسخ عندهم ، ووقف الإنسان على نفسه ، وأمر الجوائح التي يحصل بها التخفيف عن ضُعفاء الناس ، والمُعَامَل على الزرع بالحِث ونحوه ، وغير ذلك مما يجرى هذا التجرُّى ، والوصية بأهل مذهبه الذين هم أقل المذاهب عدَّةً وأنزَّههم وظائف وأوقافاً ، ومعاملتهم بالإحسان .

وإن كان « قاضى عسكر » وصَّى بنحو ما يوصى به [القاضى] وأن يتخذ معه كاتباً يكتب للناس ، وأن يقبل من الجُنْد من كان ظاهره العدالة ، فإنَّ الشُّهود المُكْمَدِينَ لتحمل الشهادة يَمُرُّ وجودهم في العسكر ، وأن يكون له مِثْرَلٌ معروف يُقَصَّد فيه إذا نُصِبَت الخيام ، وأحسن ما يكون ذلك عن يمين الأعلام السلطانية ؛ وأن يكون مستعداً للأحكام التي يكثر فصلها في العسكر : كالغنائم ، والشركة ، والقسمة ، والمبيعات ، والرد بالغيب ، وأن يُسْرِع في فصل القضاء بين الخصوم : لئلا يكون في ذلك تشاغُل عن مواقع الحرب ومقدماته ، وغير ذلك مما يجرى هذا التجرُّى .

وإن كان « محسباً » وصَّى بالنظر في أمر المكاييل والموازين وسائر المقادير ، والتحذير من الغش في الطعام والشراب ؛ وأن يتعرف الأسعار ، ويستعلم الأخبار في كل سُوق من غير علم أهله ؛ وأن يقيم على الأسواق وأرباب المعاش من يتوب عنه في النظر في أمورهم من الأمانة المأمونين ؛ وأن لا يمكن أحداً من العطارين من بيع غرائب العقاقير إلا ممن لا يُسْتَرَاب به بخط متطبب لمريض ؛ وأن يمنع المتحيلين على أكل أموال الناس بالباطل : من الطُّرُقَةِ وأهل النجاسة وسائر الطوائف المنسوبة إلى بنى ساسان من تعاطى ما يتعاطونه من ذلك ، ويقمعهم ويحسم مآذيتهم ، والتصدي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمنع من الغش

(١) أى المتجمين الذين يدعون مرة المنيات بمقتضى النظر في النجوم .

وإخبار المشتري بأزيد مما اشترى به ، والنظر في أمر فقهاء المكاتب والعالمات من النساء ، ولا يمكن منهم أحدا [أن] يتعاطى ذلك إلا من عُرِفَتْ أمانته ، وأُثِرَتْ صيائته ، وأن لا يستنصب إلا أهل المِقة والأمانة والنزاهة ممن بعد عن الطمع ، ونأى عن مطامع السوء .

وإن كان «وكيل بيت المال» وصى بالعمل بالشرع الشريف في جميع أحكامه ، وأن مات وله ورثة تستوعب ميراثه لا يكلفهم ثبوتاً فيه تعنت ومدافعة عن حقهم ، والتشديد في أمر من كانت قصته منكراً ، والتحرز من شهود الزور في مثل ذلك ، وأن يرجع في كل ما يساع ويؤجر إلى العوائد ، وأن يتحرز في شهادة شهود القيمة ، ولا يرجع فيها إلا لمن يوثق به ممن يكون عنده معرفة بقيمة الأشياء ، وينبه على أن له أن يدعى بحق المسلمين حيث شاء عند من يشاء من أصحاب المذاهب ، وأن الدعوى عليه لا تكون إلا في مجلس الحكم العزيز الشافعي ، على ما جرت به العادة القديمة ، والاحتياط في حق بيت المال ، وليختار للأستنابة في الأعمال من يصلح لذلك .

وإن كان «مدرساً» وصى بأن يقبل على جماعة درسه بطلاقة وجه ، وأن يستميلهم إليه جُهد استطاعته ، ويربهم كما يرى الوالد ولده ، ويستحسن نتائج أنكارهم التي يأتون بها في درسه ، ويقدم منهم من يحب تقديمه ، ويُنزل كل واحد منهم منزلته ، ليزمهم ذلك إلى الإكباب على الاستفصال والازدياد في التحصيل . ثم يأتي [في] كل مدرس بما يناسبه من أمور العلم الذي يدرس فيه إن كان يدرس في علم خاص .

وإن كان «خطيباً» وصى برعاية حق رتبة الخطابة والقيام بحق ازدواجها ، وأن يأتي من المواعظ بما يقرع الأسماع بالوعد والوعيد ، ويلين القلوب القاسية ،

وأن يُسَدَّ لكل مقام يقومه مقالاً يقوله ، وأن يخفَّف الخطبة ، ويأتى بها بليغة مفهومة ، إلى غير ذلك من متعلقات الخطابة .

وإن كان «شيخ خاتمه» وصى بالاجتهاد فى العبادة ، والمنشئ على طريق السلف : من الزهد ، والورع ، والعفاف ؛ وأن يأخذ جماعته بماخذه فى الأمور ؛ وأن يعرف لجماعة مكانه حقوقهم الواجبة لهم ويُزِلِّم منازلهم خصوصاً أولى السابقة منهم ، ويأخذ فى الرفق بهم ومُداراتهم ، مع ترتيب من استجد منهم ، وإبرائهم على طرائق الصوفية ، وتعريفهم الطريق إلى الله تعالى ، وتدريب المريدين على قدر ما تحتمله أفهامهم ، دون أن يهجم عليهم من أحوال الطريق بما لا تحتمله عقولهم . و [اتباع] سبيل الكتاب والسنة اللذين من حاد عنهما ضلَّ ، ومن خرج عن جادتهما زلَّ ، وكفَّهم عن ارتكاب البدع والجرى على منهاجها ؛ ومن أتى ذنباً غفده بالتوبة والاستغفار ؛ والإنكار على من أخذ فى الشطحات ، والخروج عن قانون ظاهر الشريعة ، ومنع من نحا هذا النحو أو جرى على هذه الجادة ، والإحسان إلى من يقدم عليه من الآفاق ، وحسن التلقئ له ، وإكرام تزلُّه بعد أن يجعل له بالإذن ، والأمر بأخذ عكازة ، وفرش سجادة ، وما يغرط فى سلك ذلك .

وإن كان «رئيس الأطباء» وصى بالنظر فى أمر طائفته ، ومعرفة أحوالهم ، ويأمر المعالج أن يعرف أولاً حقيقة المرض وأسبابه وعلاواته ، ثم ينظر إلى السن والفصل والبلد ، وحينئذ يشرع فى تخفيف الحاصل ، وقطع الواصل ، مع حفظ القوة ؛ وأن لا يهاجم الداء ، ولا يستغرب الدواء ، ولا يقدم على الأبدان إلا ما يلائمها ، ولا يخرج عن عادة الأطباء ولو غلب على ظنه الإصابة حتى يتبصر فيه برأى أمثاله ؛ ويتجنب الدواء ، ما أمكنته المعالجة بالغذاء ، والمركب ما أمكنته المعالجة بالمفرد ؛

ويتجنب القياس إلا ما صحَّ بتجريب غيره في مثل من أخذ في علاجه، وما عرض له،
وسنّه، وفصله، وبلده، ودرجة الدواء، وأن يحذر التجربة فإنها خطر، مع الاحتراز
في المقادير والكيفيات، وفي الاستعمال والأوقات، وما يتقدم ذلك الدواء أو يتأخر
عنه، ولا يأمر باستعمال دواء ولا ما يستقرب من غذاء حتى يحقق حقيقته، ويعرف
جديده من عتيقه، ليعرف مقدار قوته في الفعل .

وإن كان «رئيس الكحالين» وصّى بالنظر في حال جماعته أيضا، ومعرفة
أحوالهم، وأن لا يصرف منهم إلا من عرف بحسن المداواة والملازمة في العلاج،
ويأمر كلا منهم أن لا يقدم على مداواة عين حتى يعرف حقيقة المرض، وأن
يلأطفها بما يناسبها من الغذاء، وأن يتخير من الكحل ما فيه شفاء العين ويجلاء
البصر، وأن يستشير الأطباء الطبائية فيما أهم، مما لا يستغنى عن رأى مثلهم فيه،
من تخفيف المادّة بالاستفراغ أو نقص ديم أو غير ذلك .

وإن كان «رئيس اليهود» وصّى بضمّ جماعته، ولمّ شملهم، والحكم فيهم بقواعد
مِلّته، والنظر في أمور الأنكحة عندهم، وما يعتبر عندهم فيها على الإطلاق، وما يقتصر
إلى الرضا من الجسنيين في العقد والطلاق، والنظر فيمن أوجب حكم دينه عليه
التحرير، والتوجه في صلاتهم تلقاء بيت المقدس إلى جهة قبلتهم، وإقامة حدود
التوراة على ما أنزل الله تعالى من غير تحريف ولا تبديل للكلمة بتأويل ولا غيره،
وأتباع ما أعطوا عليه العهد مع إزاهم لهم [ما الترموه] من حكم أمثالهم من أهل الذمة
الذين أقرّوا في دار الإسلام على الصغار والإذعان لأهل الإسلام، وعدّ مضايقتهم
للمسلمين في الطرق، وتمييزهم بشعارهم في الحمام، كي لا يحصل اللبس بالمسلمين، وحمل
شعار الذمة على رموسهم: وهى العائم للصفر، وياخذهم بتجديد صبغه في كل حين،
وعدم التظاهر بما يقتضى المناقضة: من ذكر الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم

بُسوء، أو إظهار الخمر أو معتقدهم في العزير عليه السلام . وله أن يرتب طبقاتهم على ما تقتضيه مراتبهم عنده، وكذلك له التحدث في كنائس اليهود المستمرة إلى الآن بأيديهم، من حين عقد الذمة، من غير تجديد متخرب، ولا فعل ما لم تُعقد عليه الذمة ويقزم عليه السلف الأول .

وإن كان « بطرك النصارى المليكانيّة » وصّى بما عليه بناء شرعته من المسامحة والاحتفال والصبر على الأذى، وعدم الأكرات به، وأخذ نفسه بهذه الآداب؛ وأنه يُقدّم المصالحة بين المتحاربين إليه قبل فصلها على البتّ فإنه قاعدة دينه المسيحي، ولم تخالف فيه الملة الإسلامية، وأنه ينقّي صدور إخوانه من الغل، ويتخلّق بكل خلق جميل، ولا يستكثر من الدنيا، ويستترّ عن أموال جماعته والتوسّل إلى أخذها، وأنّ إليه أمر الكنائس والبيع، وعليه أن يتفقدها في كلّ وقت، ويرفع ما فيها من الشبهات، ويحذّر رهبان الديارات من جعلها مَصيدةً للال؛ وأن يتجنّبوا فيها الخلوة بالنساء، ولا يؤوى إليه أحدا من الغرباء القادمين عليه يكون فيه ريبة، ولا يكتم ما أطلع عليه من ذلك عن المسمع الشريفة السلطانية، ولا يُخفى كتاباً يرد عليه من أحد من الملوك، أو يكتب له جواباً، ويتجنّب البحر وما يرد منه من مظانّ الرّيب .

وإن كان « بطرك الباقية » قيل في وصيته نحو ما تقدّم في وصيّة بطرك المليكانيين، إلا أنه لا يقال : وأعلم أنّك في المدخل إلى شريعتك طريق الباب، بل يقال : وأعلم أنّك في المدخل إلى شريعتك قسيم الباب، ومساو له في الأمر والنهى والتحليل والتحرّم . ويقال بدل قوله « وليتجنّب البحر » : « وليتوق ما يأتيه سراً من تلقاء الحبشة » .

قلت : وهذه الوصايا مَدْخَلٌ إلى ما يرضى به أصحابُ الولاياتِ مَنْ تَقَدَّمَ ذكره والأمرُ في الزيادة والنقص في ذلك بحسَبِ المناسبةِ راجعٌ إلى نظر الكاتب . على أن المقرَّ الشهابيَّ ابنَ فضل الله رحمه الله قد ذكر في "التعريف" عِدَّةَ وصايا ليست مما يُكْتَبُ الآنَ ، فأضربنا عن ذكر مقاصدها هنا : لتُورَدَ برُمَّتها في الكلام على ما يكتب في متن التقاليد والتواقيع ونحوها ، مع النسخ التي تُورَدُ هناك على صورة ما أوردها ، لِيُنَسَجَ على منوالها إن أمر بكاتبه شيء منها .

المقصد الثاني

(في بيان مقاصد ما يكتب في الولايات ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في بيان الرسوم في ذلك ، ومقادير قطع الورق لكلِّ صنف منها)

على سبيل الإجمال

وهي على أربعة أنواع :

النوع الأول

(التقاليد)

جمع تقليد . يقال : قلَّده أمرًا كذا إذا وليته إياه . قال الجوهرى : وهو مأخوذ من القِلادة في الجنى ، يقال قلَّدتُ المرأة فتقلدت ، قال : ومنه التقليد في الدين أيضا .

ثم التقاليد تشتمل على طَرزَ ومَتْنٍ ، فأما الطَرزُ فقد أشار إليها في "التعريف" بقوله : وعُنوانُها "تقليدُ شريفٍ لفلان بكذا" . وأوضح ذلك في "التحقيق" فقال :

وصورته : ان يكتب : تقليد شريف بأن يفوض إلى المقرّ الكريم ، أو إلى الجناب الكريم ، أو إلى الجناب العالى الأميرى الكبيرى ، الكافى ، الفلانى ، أعزّ الله تعالى أنصاره ، أو نصرتّه ، أو ضاعف الله تعالى نعمته ، نيابة السلطنة الشريفة بالشام المحروس ، أو بحلب المحروسة ، أو بطرابلس المحروسة ، أو نحوها ، على أجل العوائد فى ذلك وأكمل القواعد على ما شرح فيه .

قلت : وتفصيل هذا الإجمال : إن كان المكتوب له التقليد هو النائب الكافى ، كُتب فى طرّة تقليده : تقليد شريف بأن يفوض إلى المقرّ الكريم العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، الكفيل ، الفلانى ، فلان الفلانى ، بلقب الإضافة إلى لقب السلطان ، كالناصرى مثلا ، كفالة السلطنة الشريفة بالممالك الإسلامية ، أعلاها الله تعالى على أجل العوائد فى ذلك وأكمل القواعد ، على ما شرح فيه .

وإن كان التقليد بكفالة السلطنة بالشام ، كُتب : تقليد شريف بأن يفوض إلى المقرّ الكريم العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، الكفيل ، فلان الناصرى ، مثلا كفالة السلطنة بالشام المحروس على أتمّ العوائد فى ذلك وأكمل القواعد ، على ما شرح فيه .

وإن كان التقليد بربابة السلطنة بحلب ، كُتب : تقليد شريف بأن يفوض إلى الجناب الكريم العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، الكافى ، الفلانى ، فلان الناصرى ، أعزّ الله تعالى نصرتّه ، نيابة السلطنة الشريفة بحلب المحروسة ، على أجل العوائد فى ذلك وأكمل القواعد ، على ما شرح فيه .

وإن كان التقليد بربابة طرابلس ، كتب : تقليد شريف بأن يفوض إلى الجناب العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، الكافى ، الفلانى ، فلان الناصرى : ضاعف الله

تعالى نعمته، نيابة السلطنة الشريفة بطرأئلس المحروسة، على أجهل العوائد في ذلك
وأكل القواعد، على ما شُرح فيه .

وإن كان التقليد بِنِابة السلطنة بِمَآءَ، أُبدل لفظ طرأئلس بِمَآءَ .

وإن كان بِنِابة السلطنة بِصَفَدَ، أُبدل لفظ طرأئلس وَحَمَاءَ بِصَفَدَ، والباقي على
ما ذُكر في طرأئلس .

وإن كان التقليد بِنِابة السلطنة بِفَزَةٍ - حيثُ جُعِلَت نِابةً - كتب : تَهْلِيلُ
شَرِيفُ بَأَن يَفُوضُ إِلَى الْجَنَابِ الْعَالِي، الْأَمِيرِي، الْكَبِيرِي، الْكَافِلِي، الْفَلَانِي،
فَلَانٍ النَّاصِرِي : أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ، نِابةً السُّلْطَانَةِ الشَّرِيفَةِ بِفَزَةٍ الْمَحْرُوسَةِ، عَلَى
أَجْهَلِ الْعَوَائِدِ، وَأَكْلِ الْقَوَاعِدِ، عَلَى مَا شُيِّحَ فِيهِ .

فَإِنْ كَانَ مُقَدِّمُ الْمَسْكُوكِ هُوَ الْآنَ، أُبدل لفظ نِابة السلطنة الشريفة بلفظ
« تَقْدِيمَةُ الْمَسْكُوكِ الْمَنْصُورِ » والباقي على ما ذُكر .

وإن كان التقليد بِنِابة السلطنة بِالْكُرْكِ، كُتِبَ : تَهْلِيلُ شَرِيفُ بَأَن يَفُوضُ إِلَى
الْمَجْلِسِ الْعَالِي، الْأَمِيرِي، الْكَبِيرِي، الْفَلَانِي، فَلَانٍ النَّاصِرِي : أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى
نِعْمَتَهُ، نِابةً السُّلْطَانَةِ الشَّرِيفَةِ بِالْكُرْكِ الْمَحْرُوسِ، عَلَى أَجْهَلِ الْعَوَائِدِ، وَأَكْلِ الْقَوَاعِدِ،
عَلَى مَا شُيِّحَ فِيهِ .

وإن كان التقليد بِالْوِزَارَةِ، كُتِبَ : تَهْلِيلُ شَرِيفُ بَأَن يَفُوضُ إِلَى الْجَنَابِ الْعَالِي
الصَّاحِبِي، الْفَلَانِي، فَلَانٍ النَّاصِرِي : ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ، الْوِزَارَةُ الشَّرِيفَةُ
بِالْمَالِكِ الْإِسْلَامِيَةِ أَعْلَاهَا اللَّهُ تَعَالَى، عَلَى أَجْهَلِ الْعَوَائِدِ، وَأَكْلِ الْقَوَاعِدِ، بِالْمَعْلُومِ
الشَّاهِدِ بِهِ الدِّيْوَانُ الْمَعْمُورُ، عَلَى مَا شُيِّحَ فِيهِ .

وإن كان التقليد بكتابة السر، كُتِبَ : تقليدٌ شريفٌ بأن يفوض إلى الجنب العالى، القاضى، الكبيرى، اليمينى، الفلانى، فلان الناصرى : ضاعف الله تعالى نعمته، صحابة دواوين الإنشاء الشريفة بالممالك الإسلامية، أعلاها الله تعالى، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور، على ما شُرح فيه .

وإن كان التقليد بقضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية، كُتِبَ : تقليدٌ شريفٌ بأن يفوض إلى الجنب العالى، القاضى، الكبيرى، الفلانى، فلان : أعز الله تعالى أحكامه، قضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور، على ما شُرح فيه .

وإن كان التقليد بقضاء قضاة الحنفية، كتب كذلك، إلا أنه يُبدل لفظ الشافعية بلفظ الحنفية .

وإن كان التقليد لأمر مكة، كتب : تقليدٌ شريفٌ بأن يفوض إلى المجلس العالى، الأميرى، الكبيرى، الشريفى، فلان الفلانى : أدام الله تعالى نعمته إمرة مكة المشرفة، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، على ما شُرح فيه .

وإن كان بإمرة المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، والتحية والإكرام، كتب كذلك إلا أنه يُبدل لفظ مكة المشرفة بلفظ المدينة الشريفة .

وإن كان بإمرة آل فضل، كتب : تقليدٌ شريفٌ بأن يفوض إلى المجلس العالى، الأميرى، الكبيرى، الفلانى : أدام الله تعالى نعمته إمرة آل فضل، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، على ما شُرح فيه .

هذه جملة ما عُهدت كتابته من التقاليد المكتتبة من ديوان الانشاء بالأبواب الشريفة، فإن حدث كتابه ما يستحق أن يكتب له تقليدٌ، كالانسابية ونحوها، كتب بالاثقاب اللائقة بصاحبه .

ثم وراء ذلك أمران : أحدهما - أنه قد تقدم تقلا عن "التعريف" أنه يكتب في العنوان الذى هو الطرة : «تقليدٌ شريفٌ لفلان بكنا» فإن كتب تقليدٌ بكفالة السلطنة مثلاً، كتب : «تقليدٌ شريفٌ للقبر الكريم، العالى، الأميرى، الكبيرى، الفلانى، بكفالة السلطنة الشريفة بالمالك الإسلامية، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، على ما شُرح فيه» .

الثانى - أنه اقتصر فى "التثقيف" على قوله فى آخر الطرة، على أجمل العوائد فى ذلك وأكمل القواعد، وليس الأمر منحصرًا فى ذلك، بل لو عكس بأن قيل : تقليد شريفٌ بأن يفوض إلى فلان كذا، أو تقليد شريف لفلان بكنا على أكل القواعد وأكمل العوائد على ما شُرح فيه، لكان سائغاً .

فإن كان صاحب التقليد على الرتبة : كالثائب الكافل، ونائب الشام، ونائب حلب، والوزير، وكاتب السر، ونحوهم، كتب على أجمل العوائد وأتمها، وأكمل القواعد وأعمها، أو بالعكس : بأن يكتب على أجمل العوائد وأعمها، وأكمل القواعد وأتمها، على ما شُرح فيه .

وأما متن التقليد، فقد قال فى "التعريف" إن التقاليد كلها لا تُفتح إلا بالحمد لله وليس إلا، ثم يقال بعدها : أما بعد، ثم يذكر ما سنع من حال الولاية وحال المولى، وحسن الفكر فيمن يصلح، وأنه لم ير أحق من ذلك المولى ويسمى، ثم يقال ما يفهم أنه

هو المقدم الوصف أو المتقدم إليه بالإشارة؛ ثم يقال: رُسم بالأمر الشريف العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، الفلانى (ويدعى له) أن يقلد كذا، أو أن يفوض إليه كذا، والأول أجل؛ ثم يوصى بما يناسب تلك الولاية مما لا بد منه تارةً بجملياً وتارةً تفصيلاً، وينبّه فيه على تقوى الله تعالى؛ ثم يحتم بالدعاء للوى، ثم يقال: وسبيل كل واقف عليه العمل به بعد الخطّ الشريف أعلاه.

قال: ولفضلاء الكتّاب فى هذا أساليب، وتفنن كثير الأماجيب، وكلّ مألوف غريب، ومن طالع كلامهم فى هذا وجد ما قلناه، ونجّل له ما أهنأه.

وذكره فى "التتيف" بأوضح معنى وأبين، فقال: ويكتب بعد الصدر بخطبة مناسبة أولها الحمد لله إلى آخرها، ثم أما بعد، ويذكر ما يرى ذكره من حال الولاية والمولى، ويذكر اسمه، وهو أن يقال: ولما كان المقر، أو الجناب، وألقابه ونعوته إلى آخرها، ويدعى له: أعز الله أنصاره أو نصرته، أو نحوه، على ما جرت به عادته، ولا يزداد على دعوة واحدة؛ ثم يقال ما يفهم أنه المراد بهذه الأوصاف، أو المعنى بهذه الإشارة أو نحو ذلك؛ ثم يقال: اقتضى حُسن رأينا الشريف، ويذكر ما يقتضى تكميله وتعليله؛ ثم يقال: فلذلك رُسم بالأمر الشريف العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، الفلانى (ويدعى له بما يناسب الحال ثلاث دعوات أو أربعاً) أن يفوض إلى المشار إليه كذا؛ ثم يقال: فليقلد ذلك، أو فليتلّق هذا التفويض، أو نحوه هذا؛ ثم يوصى بما يناسب تلك الولاية مما لا بد منه، ويحرص أن ينبّه فيه على العمل بالتقوى؛ ثم يحتم بالدعاء للوى بالإمانة والتأييد ونحو ذلك ثلاث دعوات، وأكثرها أربع، وأقلها اثنتان؛ ثم يقال: بعد الخطّ الشريف شرفه الله تعالى وأعلاه إن شاء الله تعالى؛ ثم التاريخ

والمستند، والحمدلة، والحسبة على العادة . ولم يقل فيه : وسهيل كل واقف عليه، كما قال في "التعريف" .

وأعلم أن التقاليد على اختلافها لا تخرج في مقادير قطع الورق عن مقدارين :
الأول — قطع الثلثين بقلم الثلث الثقيل . وفيه يكتب لثواب السلطنة بمصر
والشام مطلقا، وكذلك الوزير، والمشير، وكتب السر، وقاضى قضاة الشافعية
والحنفية بالديار المصرية .

الثانى — قطع النصف بقلم الثلث الخفيف . وفيه يكتب لنوى التقاليد من
أمراء العرب : وهم أمير مكة المشرفة، وأمير المدينة الشريفة، وأمير آل فضل
من عرب الشام على ما تقدم ذكره . ولا يكتب من التقاليد شيء فيما دون
هذا المقدار من قطع الورق بحال . وسيأتى الكلام على نسخ التقاليد فيما بعد،
إن شاء الله تعالى .

النوع الثانى

(مما يكتب فى الولايات السلطانية المراسيم)

جمع مرسوم، أخذاً من قولهم : رمت له كذا فارتسمه إذا أمثله، أو من
قولهم : رسم على كذا إذا كتب، ويحتمل أن يكون منهما جميعا .

وهى على ضربين :

الضرب الأول

(المراسيم المعكّرة)

ولم يتعرض لها المقتّر الشهابى آبن فضل الله فى "التعريف" لأنها لم تكن مستعملة
فى زمنه وإنما حدثت بعده .

قال فى "التثقيف" : وهى على نمط التقاليد ليس بينهما اختلاف إلا فى أمرين : أحدهما - أنه لا يكتب شئ من المراسيم فى قطع الثلثين بل فى قطع النصف أو الثلث . الثانى - أنه لا يقال فيها « تقليد شريف » بل « مرسوم شريف » .

قلت : ويفترقان من أربعة وجوه . أحدها - أنه يقتصر فى طرة المرسوم على « الأميرى » دون « الكبيرى » بخلاف التقاليد فإنه يقال فيها « الأميرى الكبيرى » . الثانى - أنه يقال فى المرسوم : « أن يستقر » ولا يقال : « أن يقوض » ولا : « أن يُقلد » . الثالث - أنه لا يقال : « على أجمل العوائد وأتم القواعد » بل يقال : « على عادة من تقدمه وقاعدته » . الرابع - أنه لا يقال فى الصدر : « أما بعد » بل « وبعد » .

قال : وهى تخص بتواب القلاع المنصورة بالممالك الإسلامية ، وأمراء العربان أو من بالشام وحلب ، وشاذى مراكر البريد وغيرهم . ثم هى على طبعين :

الطبقة الأولى - ما يكتب فى قطع النصف بقلم خفيف الثلث . وذلك للتواب بالقلاع : من مقدمى الألوف والطلعات : كآب حمص ، والرحبة ، والبيرة ، وقلعة المسلمين ، ومطية ، وطرشوس ، وأذنة ، وبهسنى ، والفتوحات الجاهانية وغيرها من يكتب له المجلس العالى والسامى بالياء أو بغير ياء على ما تقدم بيانه فى المكاتبات إليهم . وكذلك بعض أمراء العربان وهم أمير آل على ، وأمير آل مرأ ، وأمير بنى عقيب . قال فى "التثقيف" : وصورة ما يكتب فى الطرة أن يكتب :

«مرسوم شريف بأن يستقر المجلس العالى أو السامى الأميرى، الفلانى، فلان (ويدعى له بما يناسبه) فى النيابة فى الجهة الفلانية على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته على ما شُرح فيه.»

فإن كانت النيابة مقدمة ألف : كنيابة الرُجبة ونحوها، كُتِبَ فى طرّة مرسوم نائبها : «مرسوم شريف بأن يستقر المجلس العالى الأميرى الفلانى فلان، أدام الله تعالى نعمته، فى المكان الفلانى على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته.»

وإن كانت النيابة طَبْلُخَانَاهُ كُتِبَ : «مرسوم شريف بأن يستقر المجلس السامى الأمير فلان، أدام الله تعالى تأييده فى النيابة بمكان كذا، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته»، أو كُتِبَ : «مرسوم شريف أن يستقر المجلس السامى الأمير فلان الدين فلان، أدام الله تعالى تأييده فى النيابة بمكان كذا، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته.»

وإن كانت نيابة قلعة دِمَشْقَ، كُتِبَ : «مرسوم شريف بأن يستقر المجلس العالى، الأميرى، فلان، أدام الله تعالى نعمته فى النيابة بالقاعة المنصورة بدمشق المحروسة، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته، على ما شُرح فيه.» وكذلك كل قلعة بحسب ألقاب نائبها التى يُكاتب بها.

ثم يُكَتَّب فى الصدر بعد البسملة خُطْبَةً مَفْتُوحَةً بِالْحَمْدِ لله، ثم يقول : وبعد، وياتى بنحو ما تقدم ذكره فى التقاليد، ثم يقال : ولما كان المجلس العالى أو السامى إلى آخر ألقابه، ثم يقال : فلان، ويدعى له بما جرت به عادته، ويقال ما يفهم منه أنه المقصود بما تقدم ذكره من المدح والأوصاف السابقة، ثم يقال : فلذلك رُسم

بالأمر الشريف إلى آخره أن يستقر المشار إليه في كذا على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته، فليتلق ذلك ونحوه . ثم يوصى بما يناسب وظيفته التي تولّاها ، ويختم بنظير ما ختم ذكره في ختم التقاليد .

الطبقة الثانية — من المراسيم المكتوبة ما يكتب في قطع الثلث بقلم التوقيعات . قال في "التنقيف" : « وصورته في الطرة والصدر على ما ختم في الطبقة الأولى ، إلا أن خطبته تفتح بأما بعد حمد الله ، وتختتم بما تقدم ذكره . قال : وقد تكتب لنواب القلاع من أمراء العشرات : مثل نائب بفراس ، ونائب الدر بساك ، ونائب كركر ، ونائب الكحنا ، ونحوها . قال : وكذلك أرباب الوظائف غير النيابات ، مثل شاد الدواوين بالشام وحلب ، وشاد مراكر البريد بهما ، ونحو ذلك ؛ وبعض أمراء العرب : كأمير بني مهدي ، ومقدم عرب جزم ، ومقدم عرب زبيد على ندره فيه . فإن كان المرسوم بنبابة من النيابات المذكورة وغيرها ، كتب : «مرسوم كريم بأن يستقر المجلس السامى ، الأمير فلان الدين أعزه الله تعالى ، في النبابة بفراس ، أو بالدر بساك ، أو بكركر ، وما أشبه ذلك على عادة من تقدمه وقاعدته» . وإن كان بشد بالشام أو بحلب ، كتب : «مرسوم كريم أن يستقر المجلس السامى ، الأمير ، فلان الدين : أعزه الله تعالى في شد الدواوين بالمكان الفلانى ، على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته على ما شرح فيه» . وإن كان بشد مراكر البريد ، أُنبل لفظ «شد الدواوين» بلفظ «شد مراكر البريد بالمكان الفلانى» . وإن كان بإمرة بني مهدي ، كتب : «في إمرة بني مهدي ، على عادة من تقدمه وقاعدته» . وإن كان بتقدمة عرب جزم ، كتب : «في مقدمة عرب جزم ، على عادة من تقدمه وقاعدته» . وإن كان بتقدمة عرب زبيد ، أُنبل لفظ جزم بزبيد ، وعلى ذلك .

الضرب الثاني

(من المراسيم التي تكتب بالولايات المراسيم المصغرة)

وهي ما يكتب في قطع العادة، وبها يكتب لأرباب السيوف بالولايات الصغيرة مثل نظير الأوقاف ونحوه . وهي صنفان :

الصنف الأول — ما يترك فيه أوصال بياض بين الطرة والبسمة، وهي أعلاها، ويكتب بالسامى بغيرياء أو مجلس الأمير :

وصورتها أن يكتب في الطرة : « مرسوم شريف أن يستقر المجلس السامى الأمير فلان الدين ، أو مجلس الأمير فلان في كذا وكذا بما لذلك من المعلوم الشاهد به ديوان الوقف ، أو نحو ذلك ، على ما شرح فيه » ثم يكتب في الصدر بعد البسمة ماصورته : « رُسم بالأمر الشريف العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، الفلانى » (باللقب الخاص ولقب السلطنة) ويدعى له بما فيه براعة الاستهلال بذكر الوظيفة أو اسم صاحبها أو لقبه ونحو ذلك ، وأقلها ثلاث فقرات فإ زاد « أن يستقر المجلس السامى ، الأمير ، الأجل » (إلى آخر ألقابه) ، أو أن يستقر مجلس الأمير ، الأجل (إلى آخر الألقاب) لما له من كذا وكذا (ويأتى من صفات المدح بما يناسب المقام) ثم يقال : فليباشر ذلك ، أو فليتنق ذلك ، أو فليقابل صدقات الشرفه بكذا ونحو ذلك . ثم يؤصى بما يليق به ، ويدعى له بدعوتين فقط ؛ ثم يقال : بعد الخط الشريف العالى أعلاه الله تعالى .

قلت : وهذا الصنف إن روى صاحبه ، كتب في قطع العادة المنصورية ، وإلا في قطع العادة الصغير . قال في " التتيف " : وبما ينبه عليه أنه لا يكتب

مرسومٌ شريفٌ فى قطع العادة إلا بمثل نيابة الشَّيْف بَصْفَد وصرَّخد وعجِّلُون والصَّبِيَّة ، فإنه لا يؤلَّى فيها إلا مقدَّم حَلْفَة او جنسدى ، ومثل هذا لا يكتب عن الموافق الشريفة إلا نادرا ، فإن كُفَّال الممالك يستلِّون بالتولية فى ذلك .

الصنف الثانى — ما يكتب فى هيئة ورقة الطريق ، ويكون فى ثلاثة أوصال ؛ وصورته أن يكتب فى الطَّوَرَة ماصورته : «مرسومٌ شريف أن يستقر فلان ، أو أن يرتب فلان فى كذا وكذا ، على ماشرح فيه» ويكون ذلك فى سطرين ، ولا يكتب فى أعلاه الاسم الشريف كما يكتب فى غيره : لأن من المعلوم أنه لا يكتب فى هذا إلا الاسم الشريف فيستغنى عن ذكره ؛ ثم يكتب فى آخر ذلك الوصل : «رُسم بالأمر الشريف» على نحو ما تقدم ، إلا أنه لا يحتاج فى الدعاء إلى ما يكون فيه براعة أستيهلال ، بل يكفي «أعلاه الله وشرفه ، وأنفذه فى الآفاق وصرَّفه» ونحو ذلك «أن يستقر فلان فى كذا أو يرتب فى كذا ، فليعتمد ذلك ويعمل بحسبه ومقتضاه ، بعد الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه ، إن شاء الله تعالى» .

النوع الثالث

(مما يكتب فى الولايات السلطانية التفاويض)

جمع تفويض ؛ وهو مصدر فوض الأمر إلى زيد إذا رده إليه ، ومنه قوله تعالى : (وَأَفْوُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ) أى أرده إليه . قال فى «التعريف» : وبه يكتب لعامة القضاة ، يعنى من دون أرباب التقاليد ، وهى من تخط التقاليد ، غير أنها يقال فى تعريفها «تفويض شريف لفلان بكنا» . ومقتضى ما ذكره أنه إذا

كتب « تفويض شريف بقضاء قضاة الديار المصرية مثلاً » يكتب في الطرة :
 « تفويض شريف للجلس العالي ، القاضى ، الكبرى ، بقضاء قضاة المالكية
 بالديار المصرية ، على أجمال العوائد ، وأكل القواعد ، بالعلوم الشاهد به الديوان
 المعمور على ما شُرح فيه » ثم يأتى بنحو ما تقدم ترتيبه فى التقاليد ، إلا أنه
 يكون أخصراً .

قلت : ولم أقف على نسخة تفويض غير نسخة واحدة من إنشاء المقر الشهابي
 ابن فضل الله لبعض قضاة دمشق . وقد أنشأت أنا تفويضاً بقضاء قضاة المالكية
 بالديار المصرية لقاضى القضاة جمال الدين يوسف الإساطى ، حين ولى على أثر
 ولاية قاضى القضاة جلال الدين البلقينى^(١) قضاء قضاة الشافعية ، أفتتحته بلفظ :
 « الحمد لله الذى شفع جلال الإسلام بجماله » وكتبت له به ، وكتبت فى طرته :
 « تفويض شريف للجلس العالي ، القاضى ، الجمالى ، يوسف الإساطى المالكى ،
 أعز الله تعالى أحكامه بقضاء قضاة المالكية بالديار المصرية ، على أجمال العوائد ،
 وأكل القواعد ، على ما شُرح فيه » . وقرأته بالمجلس العام بالمدرسة المنصورية .
 وسياق ذكر نسخه فى الكلام على النسخ فى المقصد الثانى من هذا الطرף ،
 إن شاء الله تعالى .

(١) بفتح بضم الباء وسكون اللام وكسر القاف كما فى المعجم والقاموس .

النوع الرابع (التواقيع ، جمع توقيع)

قد تقدم فى مقدمة الكتاب عن ابن حاجب الثمان فى ذخيرة الكتاب : أن التوقيع معناه فى اللغة التأثير الخفيف ، ومنه قولهم : ناقةٌ موقَّعةٌ الجنبه ^(١) اذا أثر فيها الرجلُ تأثيراً خفيفاً ، وأنه يحتمل غير ذلك . وفى اصطلاح الأقدمين من الكتاب أنه اسم لما يكتب فى حواشى الفِصص تخط الخليفة أو الوزير فى الزمن المتقدم ، وخط كاتب السر الآن ، ثم غلب حتى صار علماً على نوع خاص مما يكتب فى الولايات وغيرها . قال فى " التعريف " : وهى على أعوذج التفاويض . قال : وقد يقال : أن يرتب ، وأن يقدم ، ثم قال : وعنوانها « توقيع شريف لفلان بكذا » ولا يقال فيها على اختلافها : « وسيل كل واقف عليه » كما فى التقاليد ، بل يقال : « فليعتمد ما رسم به فيه بعد الخط الشريف أعلاه » . وقد ذكر فى " التعريف " أنها تكون لعامة أرباب الوظائف جليلها وحقيدها ، وكبيرها وصغيرها ، حتى الطلبخانات اللاحقين بساؤ الكبار فن دونهم . وقال فى " التثيف " : إنها مختصة بالمتعتمدين من أرباب الوظائف الدينية والديوانية ، ولا يكتب لأرباب السيوف منها إلا القليل : مثل نظر البيارستان ، ونظر الجامع الجديد ، ونظر الحرمين الشريفين ، يعنى حرم القدس وحرم الخليل عليه السلام .

قلت : والجامع بين كلاميهما أنه فى زمن صاحب " التعريف " كانت التواقيع تكتب بالوظائف لأرباب السيوف من الثيابات وغيرها قبل أن تحدث المراسيم المكبرة المقدمة الذكر ، ثم خصت التواقيع بعد ذلك بالمتعتمدين دون أرباب

(١) الجنب والجانب والجنبه حركة شق الانسان . قاموس .

السيوف . ومضى الأمرُ على ذلك في زمن صاحب "التتيف" بغيرى على حكمه ولم يبقَ ممن يكتب له توقيعٌ من أرباب السيوف سوى نُظار الجهات الثلاث المتقدمة الذِّكر : من البيارستان المنصوري ، والجامع الجديد الناصري بمصر ، ونظر الحرمين : حرم القدس الشريف ، وحرم الخليل عليه السلام . والحكمُ باقٍ على ذلك إلى الآن .

ثم التوقيع على اختلافها لا يخرج عن أربع طبقات :

الطبقة الأولى

(ما يفتح بخطبة مفتحة بالحمد لله ، وفيها مرتبتان)

المرتبة الأولى — ما يكتب في قطع النصف بقلم خفيف الثلث . قال في "التتيف" : وصورته يعني ما يكتب به لأرباب الأقاليم أن يكتب في الطرة : « توقيعٌ شريفٌ بأن يفوض إلى المجلس العالي ، القاضي ، الكبيرى ، الفلانى » (ويدعى له دعوة واحدة) بما جرت به عادته ، على أجمل العوائد ، وأكمل القواعد ، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخره على ما شرح فيه .

قال : فإن كان حاكماً ، كتب له بعد الكبيرى ، الحاكى . وإن كان كاتب السر ، كتب له بعد الكبيرى ، اليمينى ، لا غير . ثم يكتب في الصدر خطبة مفتحة بالحمد لله ثم يقال : أما بعد ، والتمة على نظير ما ذكر في التقاليد إلا فيما يليق بالوظيفة والمتولى لها مما يناسب الحال . وقد ذكر في "التتيف" أنه كان يكتب بذلك للقضاة الأربعة بالديار المصرية ، والقضاة الأربعة بالشام ، وكاتب السر بمصر

(١) لم يذكر المفوض به إليه العلم به من نظاره والأصل أن يفوض الى المجلس نظر الجامع

الجديد الناصرى مثلا بما جرت به الخ فنه .

والشام ، وناظر الجيش بهما ، وناظر الدواوين المعمورة والصُحبة الشريفة ، وهو ناظرُ الدولة .

وحيثُذ فإن كتب بذلك لقاضى القضاة الشافعية بالديار المصرية على ما كان الأمرُ عليه أولاً ، كتب فى الطرة « توقيع شريف بأن يستقر المجلس العالى ، القاضى ، الكبيرى ، الفلانى ، فلان : أعز الله تعالى أحكامه ، فى قضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية ، على أجل العوائد وأتمها ، وأكمل القواعد وأعمها ، بما لذلك من المعلوم الشاهد به الديوان المعمور ، على ما شُرح فيه » .

وإن كتب به لقاضى القضاة الحنفية ، على ما كان الأمرُ عليه أولاً أيضاً ، كتب له نظير قاضى القضاة الشافعية إلا أنه يُبدل لفظ الشافعية بـ «الحنفية» .

وإن كُتب لقاضى القضاة المالكية ، على ما الأمرُ مستقر عليه الآن ، كتب له كذلك ، وأبدل لفظ الشافعية والحنفية بـ «المالكية» .

وإن كُتب لقاضى القضاة الحنابلة فكذلك ، ويقال فيه «الحنابلة» .

وإن كتب به لأحد من القضاة الأربعة بالشام ، فكذلك ، إلا أنه يقال قضاء قضاة الشافعية أو الحنفية أو المالكية أو الحنابلة بالشام المحروس .

وإن كتب به لكتاب السر على ما كان الأمرُ عليه أولاً ، كتب : « توقيع شريف بأن يفوض إلى المجلس العالى ، القاضى ، الكبيرى ، اليمينى فلان ، ضاعف الله تعالى نعمته ، صحابة دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية أعلاها الله تعالى ، على أجل العوائد ، وأكمل القواعد ، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور ، على ما شُرح فيه » .

وإن كُتِبَ به لكتابِ المرِّ بالشام، أُبدِلَ لفظُ الممالكِ الإسلامية، «الشام المحروس» .

وإن كُتِبَ به لناظر الجيوش بالديارِ المصريَّة، كُتِبَ : «توقيعٌ شريفٌ بأن يفوض إلى المجلسِ العالى، القاضِوى، الكبيرى، الفلانى، ضاعفَ الله تعالى نعمته، نظرُ الجيوش المنصورةِ بالممالك الإسلامية، أعلاها الله تعالى على ما تُشرح فيه» .

وإن كُتِبَ به لناظرِ الجيشِ بالشام، أُبدِلَ لفظُ الممالكِ الإسلامية «الشام المحروس» .

وإن كُتِبَ به لناظر الدولة، كُتِبَ : «توقيعٌ شريفٌ بأن يفوض إلى المجلسِ العالى، القاضِوى، الكبيرى، الفلانى، فلان، ضاعفَ الله تعالى نعمته، نظرُ الدواوين المعمورةِ والصُّحبةِ الشريفةُ، على أجملِ العوائد، وأكملِ القواعد، بالمعلوم الشاهدِ به الديوانُ المعمورُ على ما تُشرح فيه» .

وإن كُتِبَ به لناظر البيارستان لصاحب سيف^(١)، كُتِبَ : «توقيعٌ شريفٌ أن يفوض إلى المقرِّ الكريم، أو الجنابِ الكريم، أو العالى (على قدر رُتبته) الأميرى، الكبيرى، الفلانى، فلان الناصرى مثلاً : أعزَّ الله أنصاره، أو نصرتَه، أو ضاعفَ الله تعالى نعمته (بحسب ما يليق به) نظرُ البيارستان المعمور المنصورى، على أجملِ العوائد، وأكملِ القواعد، بما لذلك من المعلوم الشاهدِ به الديوان المعمور على ما تُشرح فيه» . وكذلك نظرُ الجامعِ الحديدِ ونظرُ الحرمين الشريفين كلُّ بما يناسب الألقاب . وعلى ذلك .

المرتبة الثانية من التواقيع — ما يكتب فى قَطْعِ التلث بقلم التوقيعات ، وهو لمن مرتبته السامى بالياء . قال فى " التثقيف " : وصورته فى الطرة والصدر على ما تقدم شرحه لكن بأخصر مما تقدم . قال : وبذلك يكتب لنيب الأشراف ولقضاة القضاة بحلب وطرابلس وحماة وصدد والكرك ، وكذلك لقضاة العسكر بالممالك المذكورة والمفتين بدار العدل بها ، وكلاء بيت المال بها ، والمحاسبين ، ونظار الجيش بها ، وكتاب الدست بمصر والشام ، ونظار البيوت بالديار المصرية . وكذلك ناظر خزانة السلاح ، ومستوفى الضريبة ، وناظر بيت المال ، وناظر الخزانة الكبرى وخزانة الخاصر ، وناظر الأحباس ، ومشايخ الخواص الكبار : كسعيد السعداء ، وسيرس بالقاهرة ، والشيمصانية بدمشق . وكذلك مقدمة التركان بالشام ، ومقدمة الأكراد به ، ومشيخة العائد .

فإن كتب بذلك لنيب الأشراف ، كتب « توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى ، الأميرى ، الفلاقى ، فلان : أدام الله تعالى علوه ، فى نقابة الأشراف بالديار المصرية ، على عادة من تقدمه وقاعدته ، على ما شرح فيه » .

وإن كتب لقاضى قضاة الشافعية بحلب ، كتب « توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى ، القضاى ، الفلاقى ، فلان : أيد الله تعالى أحكامه ، فى قضاء قضاة الشافعية بحلب المحروسة ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته على ما شرح فيه » .

وإن كتب للمختفى بها كتب كذلك ، وأبدل لفظ الشافعية بـ « الحنفية » وكذا فى المالكية والحنابلة .

وإن كتب لأحد قضاة القضاة غيرها : كطرابلس ، وحماة ، وصدد ، والكرك ، أبدل لفظ حلب بلفظ تلك المدينة ، والباقي على حكمه .

وإن كتب لأحد من قضاة العسكر بالممالك المذكورة ، كتب « توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامى ، القضاى ، فلان الشافى ، مثلا أو نحو ذلك : أيد الله تعالى أحكامه ، فى قضاء العسكر المنصور بالمكان الفلانى » ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته .

وإن كتب بإفتاء دار العدل بشىء من هذه الممالك ، أبدل لفظ « قضاء العسكر » ، بلفظ « إفتاء دار العدل » والباقى على حكمه .

وإن كتب لأحد من وكلاء بيت المال بها ، كتب « توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى ، القضاى ، الفلانى ، فلان : أدام الله تعالى رفعة ، فى وكالة بيت المال المعمور بالمكان الفلانى ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كتب لأحد من المحاسبين بهذه الممالك ، كتب « توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامى ، القضاى ، الفلانى ، فلان : أدام الله تعالى رفعة ، فى نظر الحسبة الشريفة بالمكان الفلانى على عادة من تقدمه وقاعدته » .

وإن كتب لأحد من وكلاء بيت المال بها ، كتب « توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى ، القضاى ، الفلانى ، فلان : أدام الله تعالى رفعة ، فى وكالة بيت المال المعمور بالمكان الفلانى ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كتب لأحد من نظار الجيش بها ، كتب « توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامى ، القضاى ، الفلانى ، فلان : أدام الله تعالى رفعة ، فى نظر الجيوش المنصورة بالملكة الفلانية ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كتب لأحد من كُتَّاب الدُّسْت بالديار المصرية، كتب «توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامى، القضاء، الفلاى، فلان : أدام الله رفعته، فى كتابة الدُّسْت الشريف بالأبواب الشريفة» . ثم إن كان عن وفاة عيِّنه أو بئول عيِّنه .
وإن كان بالشام، أبدل لفظ «بالأبواب الشريفة» بلفظ «بالشام المحروس» .

وإن كتب بذلك فى نظر البيوت بالديار المصرية، ككتب «توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى، القضاء، الفلاى : أدام الله رفعته، فى نظر البيوت المعمورة» .

وإن كُتِبَ لأحد بنظر خزانة السلاح بالديار المصرية، كتب «توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامى، القضاء، الفلاى : أدام الله رفعته، فى خزانة السلاح المنصورة، على عادة من تقدِّمه فى ذلك وقاعدته» .

وإن كتب باستيفاء الصُّعْبَة، كتب «توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى، القضاء، الفلاى : أدام الله رفعته، فى استيفاء الصُّعْبَة الشريفة، على عادة من تقدِّمه فى ذلك وقاعدته» .

وإن كتب بنظر بيت المال، كتب «توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامى، القضاء، الفلاى : أدام الله رفعته، فى نظر بيت المال المعمور، على عادة من تقدِّمه فى ذلك وقاعدته» .

وإن كتب بنظر الخزانة الكُبرى، كتب «توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى، القضاء، الفلاى : أدام الله رفعته، فى نظر الخزانة العالية الكُبرى، على عادة من تقدِّمه وقاعدته» .

وإن كتب بنظر خزانة الخالص ، أبدل لفظ الخزانة العالية الكبرى بلفظ خزانة الخالص الشريف ، والباقي على ما تقدم .

وإن كتب بنظر الأحباس ، كتب « توقيع شريف أن يستقر المجلس السامي ، القضائي ، الفلاني ، فلان : أدام الله تعالى رفعة ، في نظر الأحباس المبرورة ، على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته » .

وإن كتب بمشيخة الخلقاء الصلاحية (سعيد السعداء) كتب « توقيع شريف أن يستقر المجلس السامي ، الشيخ ، الفلاني : أدام الله تعالى من بركاته ، في مشيخة الخلقاء الصلاحية ، على عادة من تقدمه وقاعدته » .

وإن كتب بمشيخة خاتناه ببرس ، أبدل لفظ « الخلقاء الصلاحية » بلفظ « الخلقاء الركنية ببرس » والباقي على ما تقدم .

وإن كتب بمشيخة الشميصاتية بدمشق ، أبدل ذلك بلفظ « الخلقاء الشميصاتية بالشام المحروس » .

وإن كتب بتقدمة التركمان بالشام ، كتب « توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامي ، الفلاني : أعزه الله تعالى ، في مقدمة التركمان بالشام المحروس ، على عادة من تقدمه وقاعدته » .

وإن كتب بتقدمة الأكراد ، أبدل لفظ « التركمان » بلفظ « الأكراد » .

وإن كتب بمشيخة العائد ، كتب « توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامي الفلاني : أعزه الله تعالى ، في مشيخة العائد ، على عادة من تقدمه وقاعدته » .
وعلى ذلك .

الطبقة الثانية

(من التواقيع ما يُفتَح بلفظ «أما بعد حمد الله» وهو لمن رُتِبته

السامى بغير ياء ، وهى على مرتبتين)

المرتبة الأولى — ما يُكْتَب فى قِطْع الثلث ، وهو الاصلُ فيما يُكْتَب فى الثلث ثم تُرَقَّى عنه إلى رُتْبَةِ الْاِفْتِتَاح بالحمد . ألا ترى أن المَنَاشِيرَ الَّتِي تُكْتَب فى قِطْع الثلث بقلم التوقيعات تُفْتَح كُلُّهَا بلفظ «أما بعد» على ما سياتى بيانه فى المقالة السادسة ، فى الكلام على المَنَاشِير ، إن شاء الله تعالى .

وصورته أن يكتب فى الطرة «توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامى ، القضاى ، فلان الدين أو الشيخ فلان الدين فى كذا ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته ، على ما شرح فيه » ثم يكتب فى الصدر «أما بعد حمد الله» ويصل على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم يقول : «فإن أولى الأمور بكنا من هو بصفة كذا» أو «إن أولى الناس بالتقديم من هو منصف بكنا» ونحو ذلك ؛ ثم يقال : «ولما كان المجلس» ويؤتى بنحو ما تقدم فى المفتح بالحمد لله .

قلت : وقد قبل استعمال هذا الضرب بديوان الإنشاء الشريف وإن كان هو الأصل فيما يكتب فى هذا القِطْع ، حتى لا يكاد يكتب به إلا فى النادر ، تغالبا فى رِعة المكتوب لهم ، مع المسامحة لهم فى مثل ذلك .

المرتبة الثانية — ما يُكْتَب فى قِطْع العادة المنصورية .

والأمر فيه على ما تقدم فيما يكتب من هذه الطبقة فى قطع الثلث ، قال فى «التتيف» : وهو قليل جدًا لا يكون إلا فى تدريس كبير ، أو نظير وقف

كبير، أو مشيخة الحرم الشريف بالقدس الشريف، إن لم يكن في قطع الثلث؛
أو لرجل كبير قديم الهجرة في الخدمة الشريفة، إلا أنَّ الوظيفة صغيرة لا تقتضى أن
تكون في قطع الثلث .

الطبقة الثالثة

(من التواقيع ما يفتح بلفظ «رُسم بالأمر الشريف» وهي على مرتبتين)

المرتبة الأولى — ما يكتب في قطع العادة المنصوري بقلم الرقاع، وهو لمن
رُتبته السامي بغيرياء ممن لم تبلغ رتبته قطع الثلث . قال في «التتقيف»: وصورته
أن يكتب في الطرة «توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامي القاضي فلان الدين؛
أعزه الله تعالى في كذا، أو أن يُرتب، أو أن يُقدم» ويذكر ما تضمنه الشاهد
من قصبة أو قائمة من ديوان الوزارة أو الخاص أو غير ذلك «على ما يشرح فيه». قال:
ثم يكتب في الصدر بعد البسملة «رُسم بالأمر الشريف العالي، المولوي،
السلطاني، الملكي، الفلاني، الفلاني، باللقب الخاص، ولقب السلطنة»:
بمثل الناصري، الزيني، ونحو ذلك (ويدعى للسلطان بأدعية تُناسب الوظيفة
والموتى لها، وأقلها ثلاث فقرات فما زاد) «أن يستقر المجلس السامي، القاضي،
فلان الدين فلان، أو مجلس القاضي فلان الدين فلان: أعزه الله تعالى في كذا،
لما له من صفات هي كذا وكذا (ويأتي من صفات المدح بما يُناسب المقام)
ثم يقال: فليأثر ذلك، أو فليتلق هذا الإحسان، أو فليقابل صدقاتنا الشريفة»
ونحو ذلك؛ ثم يوصى بما يليق بتلك الرتبة، ويدعى له بسجعتين فقط . ثم يقال:
«بعد الخط الشريف أعلاه». ثم قال: وبذلك يكتب لحجاب الدرج، ومستوى

الدولة ، وناظر الأهرء ، وناظر المطابخ ، ومشايخ الخواثق الصغار ، والتداريس الصغار ، وأنظار الأوقاف الصغار ، ونحو ذلك مما لا يأخذه حصر .

وحيث أن كتب بذلك لكاتب درج ، كتب فى الطرة « توقيع شريف أن يستقر مجلس القاضى فلان الدين فلان : أعزه الله تعالى فى كتابة الدرج الشريف » .

وإن كتب به لمستوفى من مستوفى الدولة ، كتب « أن يستقر المجلس السامى ، القاضى ، فلان الدين فلان : أدام الله نعمته ، فى استيفاء الدولة الشريفة على عادة من تقدمه » .

وإن كتب لناظر الأهرء ، كتب « أن يستقر المجلس السامى ، القاضى ، فلان الدين فلان : أدام الله رفعة ، فى نظر الأهرء السعيدة » .

وإن كتب بنظر مطابخ السكر ، كتب « أن يستقر المجلس السامى ، القاضى ، فلان الدين فلان : أدام الله تعالى رفعة ، فى نظر المطابخ السعيدة » .

وإن كتب بمشيخة خاتناه صغيرة ، كتب « أن يستقر المجلس السامى ، الشيخى ، فلان الدين فلان ، أو مجلس الشيخ فلان الدين فلان : نفع الله تعالى بركته ، فى مشيخة الخاتناه الفلانية ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كتب بتدريس صغير ، كتب « أن يستقر فى تدريس المدرسة الفلانية ، على عادة من تقدمه وقاعدته » .

وإن كتب بنظر وقف ، كتب « أن يستقر فى نظر الوقف الفلانى » ونحو ذلك .

ثم إن كان لشيء من ذلك معلوم يشهد به الديوانُ السلطانيُّ ككتابة الدَّرج وأستيفاء الدولة ، كُتِبَ بعد قوله وقاعدته : « بما لذلك من المعلوم الشاهد به الديوانُ المعمور » .

وإن كان الشاهدُ بالمعلوم ككاتب وقف ، كتب « بما لذلك من المعلوم الشاهد به كُتِبَ الوقف المبرور » . ويقول في آخر كُترة كل ولاية من التقاليد ، والتفاويض ، والمراسيم ، والتواقيع على اختلافها : « على ما سُرح فيه » .

الطبقة الرابعة

(التواقيع الصَّغار ؛ وهي لأصغر ما يكونُ من الولايات :

من نَقَر وقف صغير ونحو ذلك ، وتكون في ثلاثة أوصال ونحوها)

وهي على ضربين

الضرب الأول — ما يُكتب على مثال أوراق الطريق .

وصورتها أن يكتب في أعلى الدَّرج : « توقيعُ شريفُ بأن يستقر فلان في كذا ، على ما سُرح فيه » . ويكونُ ذلك في سطرين ؛ ثم يكتب في آخر ذلك الوصل : « رُسمُ بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني » إلى آخر ما تقدم في الطبقة الثالثة . ويقال في الدعاء : « أعلاه الله وشرفه ، وأفضده وصرفه » ونحو ذلك . ثم يقال : « أن يستقر فلان في كذا » ويشرح ما تضمنته الجواب في هامش القصَّة . ثم يقال : « فليعتمد هذا المرسوم الشريف كل واقف عليه ، ويعمل بحسبه ومقتضاه ، من غير عُدول عنه ولا خروج عن معناه ، بعد الخط الشريف أعلاه » .

الضرب الثانى — ما يكتب على ظهور القصاص .

وكيفيته أن تُلصق القِصَّة التى شملها جوابُ كاتب السرِّ أو غيره على وِصْلين من ورقِ العادة الصغير . قال فى "التتيف" : وصورتها أن يكتب فى ظاهر القِصَّة بنبرِ بَسْمَلَةٍ قبل الوصل الذى وصله بنحو أربعة أصابع ماصورته : « رُسِمَ بالأمر الشريف العالى المولى السلطانى » على نحو ما تقدم . ويدعى له : « أعلاه الله وشرقه ، وأنفذه وصرقه » على ما تقدم فى الضرب الأول . ثم يقال : « أن يُتأمل ما أنهاء رافعها باطنا ، وليتقدم بكذا وكذا » ويشرح ما تضمنته الجواب فى هامش القِصَّة . ثم يقال : « فليتمد هذا المرسوم الشريف كل واقف عليه ، ويعمل بحسبه ومقتضاه ، بعد الخط الشريف أعلاه » . قال : وإن كان رافع القِصَّة ممن هو مميَّز بعض التميُّز قيل : « مترجمها » بدل « رافعها » . فإن زيد فى قدره ، قيل : « ما ذكره مجلس القاضى أو المجلس السامى القاضى » . إن كان من هذه الرتبة ، وتذكر بعض ألقابه . ثم يقال : « أدام الله علوه » أو « أعزه الله ، فليقدم » ويكمل إلى آخره .

وأعلم أن المقرَّ الشهابى ابن فضل الله رحمه الله قد ذكر فى "التعريف" افتتاحات أخرى للتواقيع بين رتبة «أما بعد حمد الله» ورتبة «رُسِمَ بالأمر الشريف» فقال : بعد الافتتاح بأما بعد حمد الله : وقد تستفتح بقول : «أما بعد فإن أولى ما كان كذا» أو ما هذا معناه ، وقد تستفتح بقول : « من حسنت طرائقه ، ومحدث خلائقه » أو ما هذا معناه ، وجعلها رتبة بعد رتبة .

قلت : وهذه الافتتاحات كانت مستعملة فى الدولة العباسية ببغداد ، وفى الدولة الفاطمية بالديار المصرية والبلاد الشامية ، ثم فى الدولة التركية إلى زمن المقرَّ الشهابى

المشار إليه في النولة الناصرية محمد بن قلاوون؛ ثم رُفِضَتْ بعد ذلك، وترك
استعمالها بالديار المصرية البتّة، فلم يكن أحدٌ من كُتّاب ديوان الإنشاء يستعمل
شيئاً منها .

المَقْصِدُ الثَّالِثُ

(في بيان كيفية وضع ما يكتب في هذه الولايات في الورق ،
ويتعلّق به عشرة أمور)

الأمر الأول — الطّزّة، وهي في اصطلاحهم عبارة عن طَرَف الدَّرَج من
أعلاه، ثم أطلقوه على ما يكتب في رأس الدَّرَج مجازاً، تسميةً للشيء باسم محله .

قلت : وليس صحيحاً من حيث اللغة، فإنّه في الأصل مأخوذ من طزّة الثوب .
وقد ذكر الجوهري وغيره أن طزّة الثوب هي طرفه الذي لا هُذْب فيه، والذي
لا هُذْب فيه من الثوب هو حاشيته، بخلاف أعلاه وأسفله . نعم يجوز أن تكون
مأخوذة من الطز بمعنى القطع ، لأن الطزّة مقطّعة عن كتابة المتن ، يفصل بينهما
ببياض ، ومنه سُمّي الشعر المرسل على الصّدغ طزّة . وقد جرت العادة في كل
ما يكتب له طزّة أن يكتب في أعلى الدَّرَج في الوسط بقلم الرّقاع بكل حال ماصورثه
« الاسم الشريف » ثم تكتب الطزّة تلو ذلك من أول حَرَض الدَّرَج إلى آخره ،
دون هامش عن يمين ولا شمال : بحيث تكون أطراف المتصبات من أول السطر
الأول ملاصقة لأسفل ما كتب في أعلى الدَّرَج مما تقدّم ذكره . ويأتى بالطزّة
المناسبة : من تقليد ، أو مرسوم ، أو تفويض ، أو توقيع ، بالقلم المناسب لمقدار
قَطْع ذلك الورق على ما تقدّم بيانه ، ويأتى على ما يكتب في الطزّة على ما تقتضيه

الحال ، على ماسبق ذكره إلى أن ينتهى إلى آخره . فإن انتهى فى إنشاء سطر ، ترك باقية بياضا ، وكتب فى آخره «على ماشرح فيه» بحيث يوافق آخر ذلك آخر السطر . وإن انتهى ما يكتب فى الطرة فى آخر السطر ، كتب تحت ذلك السطر على حىال آخره «على ماشرح فيه» كما تقدم ، لا يختلف الحال فى ذلك فى مكتوب ولاية ، إلا فيما يكتب على ظهور القصاص : فإن العادة جرت فيه أن لا يكون له طوة ، ولا يكتب فى أعلاه الأسم الشريف : لأنه قد علم أنه لا يكتب فيه إلا الأسم الشريف ، فلم يحتج إلى تنبيه على ذلك .

الأمر الثانى — البسملة الشريفة . ومن شأنها أن تكتب فى أول كل ولاية لها شأن ، عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : « كل أمرى ذى بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم » . يعنى ناقص البركة . وعملها من كتبت الولايات فى أول الوصل الرابع بعد أوصل البياض . أما مالا بال له من كتبت الولايات : كالتواقيع التى على ظهور القصاص وما هو منها على صورة أوراق الطريق ، فقد جرى الاصطلاح على أنه لا يكتب فى أولها بسملة أصلا ، بل تفتح «رسم بالأمر الشريف» .

قلت : وقد كان القاضى علاء الدين على الكرعى حين وثق كتابة السر الشريف بالديار المصرية فى أول سلطنة الظاهر برقوق الثانية أمر أن تكتب فى أول هذه التواقيع بسملة لطيفة المقدار ، طلبا للتبرك ، ثم ترك ذلك بعد موته وانتقال الوظيفة إلى غيره . ولا يخفى أن ما عليه الاصطلاح هو الوجه : فإن النبى صلى الله عليه وسلم قد قيد ما يبدأ بالبسملة بما يكون له بال من الأمور ، ومقتضاه أن مالا بال له لا يبدأ فيه ببسملة . على أنه قد كان أمر أن تجعل البسملة قبل قوله «رسم بالأمر

الشریف» ومقتضى ذلك أن تقع العلامة فوق البسملة، وفيه مالا يخفى . بخلاف غيره من الولايات الكبار فإن العلامة تكون فيها تحت السطر الثانى من البسملة ، على ما سيأتى بيانه .

الأمر الثالث — الافتتاح الذى على البسملة . وقد علمت مما تقدم أن الذى استقر عليه افتتاح كتب الولايات على اختلافها من أعلى وأدنى لا يخرج عن ثلاثة أصناف :

أحدها — الافتتاح بالحمد لله، وهو أعلاها . ثم تختلف رتبته بعد ذلك باختلاف ما يكتب فيه من مقادير قطع الورق : إذ هو تارة تفتح به التقاليد ، وتارة تفتح به المراسيم المكبرة ، وتارة تفتح به التفاويض ، وتارة تفتح به . بأر التواقيع .

الثانى — الافتتاح بأما بعد حمد الله . وهو المرتبة الثانية من المراسيم المكبرة ، والتواقيع الكبار . وتكون فى قطع الثلث تارة ، وفى قطع العادة المنصورية أخرى .

الثالث — الافتتاح برُعم بالأمر الشريف . وهو المرتبة الثالثة من المراسيم والتواقيع ، وهى أدنى رتبها . وتكون فى قطع العادة الصغير، وربما كُتب بها فى قطع العادة المنصورية .

الأمر الرابع — البعدية فيما يفتح فيه بالحمد لله، وهو على ضربين .

الأول — أن يقال بعد التحييد والتشهد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : أما بعد، وهو الأعلى . وتكون فى التقاليد خاصة .

الثانى — وبعد، وهى دون أما بعد . وتكون فى التفاويض وكتب المراسيم والتواقيع . وقد مرّ القول على ذلك مستوفى فى الكلام على القوائم فى المقالة الثالثة .

الأمر الخامس — وصفُ المتولَّى بما يُناسبُ مقامه ومَقَامَ الولاية من المدح والتفريط . وقد مرَّ القولُ على ذلك فى المقصد الأول من هذا الطَّرَف، فى الكلام على مقدمات الولايات .

الأمر السادس — الألقابُ المختصةُ بصاحب الولاية . قد تقدّم أنه يذكر فى الطُّرّة بعضُ الألقاب التابعة للقب الأصلى : من المقر والجناب وغيرهما، مع التصريح باسم المتولّى والدعاء له بما يُناسبه، على ما تقدّم بيّنه هناك . أما فى إنشاء الولاية، فإنه يُستوعب جميعُ ألقابه ويعاد ذكرُ الاسم والدعاء المذكور فى الطُّرّة . وقد تقدّم ذكرُ الألقاب مستوفٍ فى المقصد الأول من هذا الفصل فى الكلام على مقدمات الولايات .

الأمر السابع — وصيةُ صاحب الولاية بما يُناسب ولايته . وقد تقدّم التنبيهُ على ذلك فى الكلام على مقدمات الولايات أيضا .

الأمر الثامن — الدعاء لصاحب الولاية بما يناسبه إذا كان مستحقاً لذلك . وقد ذكر فى " التعريف " أن من استُصغر من المولّين لا يُدعى له فى أول ولاية ولا آخرها، وربما قيل بدّل الدعاء أو بعده : « والخير يكون » .

الأمر التاسع — الخوايم : من كتابة « إن شاء الله تعالى » والتاريخ، والمستند، والحمدلة، والتصلية، على نحو ما تقدّم فى المكاتبات .

فأما المشيئة، فإنه يكتب فى آخر مكتوب كل ولاية : « إن شاء الله تعالى » فى سطر منفرد .

وأما التاريخ، فإنه يكتب فى سطرين كما تقدّم فى المكاتبات، يكتب « كُتِب فى يوم كذا من شهر كذا » فى سطر، ويكتب « سنة كذا وكذا » فى سطر تحته .

وأما المستند، فإنه يكتب تحت التاريخ، كما تقدم في المكاتبات . فإن كان بتلقى كاتب السر، كُتِبَ في سطر واحد «حَسَبَ المرسوم الشريف» . وإن كان برسالة الدوادار، كتب «حَسَبَ المرسوم الشريف» في سطر، ثم كتب في سطر تحته «برسالة الجناح العالى الأميرى»، الكبيرى، الفلانى الدوادار، الناصرى» مثلا . وإن كان بخط السلطان، كتب «حَسَبَ الخط الشريف» . وإن كان بإشارة النائب الكافل، كتب «بالإشارة العالية الأميرية الكبيرية الفلانية» في سطر، وكتب «كافل الممالك الشريفة الإسلامية أعلاها الله تعالى» في سطر تحته . وإن كان بإشارة الوزير، كتب «بالإشارة العالية الصاحبية الوزيرية الفلانية» في سطر، ثم كتب في السطر الثانى «مدبر الممالك الشريفة الإسلامية أعلاها الله تعالى» . وإن كان الوزير صاحب سيف، أسقط منها «الصاحبية» . اللهم إلا أن يكون مرسوماً صغيراً أو توقيعاً صغيراً مما كُتِبَ في هيئة ورقة الطريق أو على ظهر القصة، فإنه إن كان بتلقى كاتب السر، كُتِبَ المستند على حاشية التوقيع على شئ ما بين السطر الأول والثانى . وإن كان بإشارة النائب الكافل كُتِبَ هناك «بالإشارة العالية» سطرين، على نحو ما تقدم فيما يُكتب تحت التاريخ . وإن كان بإشارة الوزير، فالأمر كذلك . وإن كان برسالة الدوادار، كتب على الحاشية هناك «حَسَبَ المرسوم الشريف»، ثم كُتِبَ تحت التاريخ «برسالة الجناح العالى» إلى آخر المستند .

وأما الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ففي سطر تحت المستند، كما في المكاتبات، يكتب فيها «الحمد لله وحده» ثم يحلّ بياضاً، ثم يكتب «وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه» .

وأما الحسبةُ ، ففى سطر تحت ذلك يكتب فيه « حَسْبُنَا اللهُ ونعم الوكيل » على ما تقدم فى المكاتبات .

الأمر العاشر — البياض الواقع فى كُتُب الولايات ، وله ستة مواضع :
الأول — فيما بين الطَّزَّة والبسملة ، وهى ثلاثة أوصال بالوصل الذى فيه الطَّزَّة ، لا يتجاوز ذلك فى مقدار قطع كبير ولا صغير . إلا أنه ربما أقتصر على وصلين فيما استُصغر شأنه من الرتبة الثالثة من التواقيع .

الثانى — الحاشية فيما على يمين البسملة وما بعدها . وأهل زماننا يعبرون عن ذلك بالهامش ، ولم أجد له أصلاً فى اللغة . وقد تقدم القول عليها فى المقالة الثالثة ، فى الكلام على متعلقات قطع الورق وما ينخرط فى سلكه . أما آخر الأسطر فإنه لا بياض فيه ؛ على أن ملوك الروم يعملون لكُتُبهم حاشية من أول الأسطر وحاشية من آخرها ، على ما تقدم القول عليها فى الكُتُب الواردة عن صاحب القسطنطينية .

الثالث — بيتُ العلامة ؛ وهو فيما بين السطر الأول : وهو الذى يل البسملة ، وبين السطر الثانى : وهو الذى يكون فى آخر وصل البسملة . وقد تقدم فى الكلام على مقادير الورق فى المقالة الثالثة أن مقداره فى الزمن القديم كان قدر شبر ، وقد شاهدناه دون ذلك بقليل فيما كُتِب به فى النولة الناصرية "محمد بن قلاوون"
على ما يشهد به الموجود من تواقيمهم ؛ ثم تناقص قليلاً . فلما غلا الورق وقُصرت الأوصال نقص مقداره حتى صار نحو شبر^(١) ، وهو على ذلك إلى الآن . ويزيد ذلك وينقص باعتبار قطع الورق فإنه فى القطع الكبير يكون الوصل أطول منه فى القطع الصغير .

(١) له نحو "نصف شبر" كما لا يخفى .

الرابع — ما بين الأسطر في متن الولاية . وهو على مقدار النصف من بيت العلامة في القطع الكبير والقطع الصغير ، لا يكاد ذلك يختلف إلا في التواقيع والمراسيم التي هي على هيئة أوراق الطريق ، والتي على ظهور القصص فإن ما بين السطرين منها يكون متضابقاً حتى يكون بقدر ثلاثة أصابع مطبوعة .

الخامس — ما بين أسطر اللواحق فيما بعد «إن شاء الله تعالى» فإنه يكون ما بين كل سطرين من ذلك قدر نصف ما بين السطرين في متن الولاية ، إلا في المستند إذا كان سطرين ، مثل أن يكون رسالة الدوادار ونحوها ، فإن السطرين يكونان متلاصقين .

السادس — ما بعد اللواحق في آخر الكتاب ، وهو قدر يسير يكون قدر إصبعين مطبوعين أو ثلاثة أصابع مطبوعات وما قارب ذلك .

المهمّنع الثاني

(في ذكر نسخ مما يكتب في متن الولايات من التقاليد والمراسيم المكتبة والتفاويض والتواقيع)

قلت : وقد كنت هممت أن أجعل آت التقاليد ، والتفاويض ، والمراسيم ، والتواقيع : من الاقتراح «الحمد لله» أو «أما بعد حمد الله» أو «رسم بالأمر الشريف» في فصل مستقل ، ومقاصدها المتعلقة بالوظيفة ... (١) ... الكاتب الذي لا يحسن الإنشاء ما أحب من الابتداء آت المناسبة للامر أو اللقب ونحوهما ثم يبين القصد المتعلق بالوصف . ثم أضريت عن ذلك وأتيت بالنسخ على صورتها لأمر : منها — أن في تضريح النسخة إفساداً لصورتها وضياح فضيلة المنشئين

(١) يابض بالأصل في غير نسخة ولله «في فصل على حدة ليعتار الكاتب الذي لا يحسن الإنشاء ما أحب الخ» .

وإشاعة ذكرهم . ومنها - أن يعرف أنَّ الصورة التى تُورَد مما كُتِب به فى الزمن السابق ، وأنها مصطلح قد أصطلح عليه أهل ذلك الزمان . ومنها - أن يعرف المنشئ ترتيب من تقدم لينسج على منواله . وإذا أراد من لادِّبَه له بالإنشاء أخذَ تمجيداً من تقليد أو توقيع وغيرهما ونقلها إلى مقصد من مقاصد الولاية لم يُعجزه ذلك .

ثم قسمته على ثلاثة أقسام .

القسم الأول

(ولايات وظائف الديار المصرية ، وهى على نوعين)

النوع الأول

(الولايات بالحضرة ، وهى على ستة أضرب)

الضرب الأول

(ولايات أرباب السيوف ، وهى على طبقتين)

الطبقة الأولى

(ذوات التقاليد ، وهى ثلاث وظائف)

الوظيفة الأولى

(الكفالة ، وهى نيابة السلطنة بالحضرة)

وقد تقدم فى الكلام على ترتيب وظائف المملكة فى المقالة الثانية أن الكفالة هى أعلى رتب نيابة السلطنة ، وأنَّ النائب الكافل يحكم فى كل ما يحكم فيه السلطان ، ويعلم فى التقاليد والتواقيع والمناشير وغير ذلك ؛ بخلاف غيره من التواب فإن كل نائب لا يعلم إلا على ما يختص بخاصة نيابته . وقد تقدم فى مقدمة الولايات أن لقبه «المقرَّ الكريم» على ما استقرَّ عليه الحال .

وهذه نسخة تقليد بكتابة السلطنة، كُتِبَ بها من إنشاء الشهاب محمود الحلبي رحمه الله، وهي :

الحمد لله الذي جعل ركن الدولة في دولتنا القاهرة ثابت القواعد، على فرقده
الفراقده، راقياً في رتب العلوة الآخذة من أفتى التأييد بالمطالع ومن نطق المزم بالمعاند؛
حالياً بسقوط المهابة التي لا تزال لرعيها على الأعداء طلائع خيل في المراقب وورائع
خيال في المراقده، حاوياً من أنواع المفاسد ما لو كثرته الداروى غدت وهي
لمجموعه قراقد، أو فاعرته الدرر تقبها الأفكار النواقد، مقلداً من سيوف الظفر
مالا تلبو في نصرة الإسلام مضاربته وكيف تنبو وأوامرنا لعقود حمايلها على عواتق
مجدده عواقد .

نحمد على نعمه التي صدقت أمور دولتنا بمن يرفع بأسه منارها، وعقدت قواعد
ملككتنا بمن يؤالى فضله أنوارها، وعضدت هم أولياتنا بمن إذا تحيلت أعداء الدين
مواقع صوارمه كان أمن ضوئها إسمارها وأنفع سلاحها فراها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُشرق الميم، بلوأمعها، وتُشرق
الكلم، بجوامعها، وتزكو الأمم، بما سقل الألسنة منها عن القلوب إلى مسامعها ؛
ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أقامنا الله لتصردينه، وألمنا تفويض مصالح
أمتيه إلى كل ولي ما رُفعت رأيه نصر إلا تلقاها عرابه مجده بيمينه ؛ وعضدنا
في جهاد أعدائه بأعز صنى ينوب بأسه للجيش عن طليعته ويقوم رأيه في الحرب
مقام كمينه ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين اختارهم لصحبته وأرضاهم،
وأرضاهم لإقامة ملته وانتضاهم، فمنهم من فاز بمزيتي سبقيه وتصديقه، ومنهم من
كان الشيطان ينكب عن طريقه، ومنهم من اختار الشهادة على الانتصار بغيره

ورَفِيقِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَقَامَهُ بِشَرَفِ الْأُخُوَّةِ مَعَهُ مُقَامَ شَقِيقِهِ، صَلَاةً يَبْلُغُهُ إِخْلَاصُ مُقِيمِهَا، وَيُعَرِّضُ عَلَيْهِ إِيْمَانُ مُدِيمِهَا، وَسَلَامٌ .

أما بعدُ، فإننا من حينَ أَوْرَثَنَا اللهُ مُلْكَ الْإِسْلَامِ لَاعِنِ كَلَالِهِ، وَالْهَسْنَا فِي مَوَاقِفِ الدَّبِّ عَنْ دِينِهِ حُلَّ الْعِزِّ الْمُعْلَمَةِ بِالْجَلَالَةِ، وَمَكَّنْ لَنَا فِي أَرْضِهِ، وَأَنْهَضَنَا بِمُسْنُونِ الْجِهَادِ وَفَرَضِهِ، وَنَشَرَ دَعْوَةَ مُلْكًا فِي طُولِ الْوُجُودِ وَعَرَضِهِ - لَمْ نَزَلْ نَرْتَادُ لِكِفَالَةِ الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ تَأْوِيلِ مَنْهُ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَرَأْيٍ سَدِيدٍ؛ وَحَزْمٍ يَقْرُبُ مِنْ مَوَاقِبِ النُّصْرَةِ كُلِّ بَعِيدٍ، وَعَزْمٍ إِذَا أَرَهَفَ صَوَائِرِمَهُ مِنْ أَدْنَى الصَّعِيدِ، وَجَفَّ لَهْوُلِ مَوَاقِعِهَا بِأَبِّ الْحَدِيدِ؛ فَهُوَ الْمَطْوِيُّ فِي أَشْيَاءِ ضَائِرِنَا وَإِنْ تَقَلَّدْنَا قَبْلَهُ سِوَاهُ، وَالْمُنَوَّى فِي أَحْيَاءِ سَرَائِرِنَا وَإِنَّمَا لِأَمْرِي مَا نَوَاهُ؛ قَدْ حَلَبَ قَدَمُ هَجْرَتِهِ، الدَّهْرُ أَشْطَرَهُ، وَكُتِبَ حُسْنُ خَبْرَتِهِ، مِنْ عُنْوَانِ السَّيْرِ أَشْطَرَهُ، وَتَمَثَّلَتْ مِرْآةُ الزَّمَانِ لِفِكْرِهِ فَاجْتَلَى صُورُ الْوَقَائِعِ فِي صَفَائِهَا، وَتَرَدَّدَتْ تَجَارِبُ الْأُمَمِ عَلَى سَمْعِهِ فَصَلِمَ مَا يَأْتِي وَمَا يَنْتَرِي فِي تَرْكِهَا وَأَقْتَفَائِهَا؛ وَأَسْتَقْبَلَ دَوْلَةَ أَسْلَافِنَا الشَّرِيفَةِ مِنْ فَوَائِحِهَا: فَكَانَ لِسَانُ مُحَاسِنِهَا، وَبَنَانُ مَيَامِنِهَا؛ وَخِزَانَةُ سَرِّهَا، وَكِنَانَةُ نَهْيِهَا وَأَمْرِهَا؛ وَطَلِيعَةُ تَأْيِيدِهَا، وَذَرِيعةُ أَوْلِيَائِهَا إِلَى عَوَارِفِهَا وَجُودِهَا؛ وَعُتُونِ أَخْبَارِهَا، وَعَيْنَانِ سَوَابِقِهَا الَّتِي لَا تُنْذِرُكَ مَا تَرُ مِنْ سَلَفِ شَقِّ غُبَارِهَا؛ وَبَيْنَ قَبْضَتِهَا الْمَصْرُفَةِ بَيْنَ الْبَاسِ وَالنَّسَدِ، وَأَمِينَ آرَائِهَا الْمُؤَيَّدَةِ بِالتَّوْفِيقِ اللَّدُنِيِّ عَلَى الْعَدَا؛ وَرُكْنَهَا الْمُشِيدَ بِالْأَسْلِ وَهُوَ مَا تُبْنِي عَلَيْهِ الْمَمَالِكُ، وَحَصْنَهَا الْمَصْفَحُ بِالْمَصْفَاحِ فَلَا تَسْتَطِيعُ الْأَهْوَاءُ أَنْ تُتَوَقَّلَ إِلَيْهِ تِلْكَ الْمَسَالِكُ؛ وَزَعِمَ جِيوشُهَا الَّتِي أَجْتَنَّتْ مِنْ قَصَبِ قَوَاضِيهِ ثَمَرَ النُّصْرِ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَمَقَدَّمَ عَسَاكِرَهَا الَّتِي أَجْتَنَّتْ بِهِ وَجُوهَ الظُّفْرِ الْحَلَوَةِ فِي أَيَّامِ الْكِرِيمَةِ الْمُتَرَةِ .

ولسا كان المقر الكريم (الفلاقي) هو معنى هذه الصفات المبهمة، ومبنى هذه القواعد المحكمه، وطراز حُل هذه الأحوال المعلمه؛ وسر المقاصد الظاهره، وسلك هذه [التجوم] الزاهية بل فلک هذه الدبرای الزاهره؛ مُتَحَلِّق صَوَائِح البراعة، فتقع دُونَ أوصافه بمراحل، وتفوض سوائج اليراعة، فيلقيا العجز عن أستخراج دُرر نُعُوتِه بالسواحل، فإوصافه تُذكر على وجه الإجمال لضيق نطاق الفصاحة عن تفصيلها، ومناقبه تُشكر بلسان الإجماع لعجز ألسنة الأقلام عن بلوغها إلى غايتها ووصولها؛ فلذلك اقتضت آراؤنا الشريفة أن نُفَسِّح مجال الهدى، بتفويض إيانا للمالك إليه، وأن تقطع آمال العدا، بالاعتماد في زمامة الجيوش الإسلامية عليه، وأن تُقَرِّعُونَ الرُعايا بإلقاء مَقَالِيدِ العَدَل والإحسان إلى يديه؛ وأن نُصَوِّنَ عقائِلَ المسالك من مهَابته بما يَفْدُو سُوراً لمَواصِمها، وسَوَاراً لمَعاصِمها؛ وشَدَّبا نُفُورُها عن بُرُوقه، أو لَهَا يَقْطَع طريق أمِل العِدَا عن تَحْيَل خيالها في طُروقِه؛ ليعتَصِدَ الذين منه بُرْكَته، ويتَغَلَّب [على] الشُّرْكَ في حَالَتِ حَرْبه ووَغته، ويتَقَلَّب كُلٌّ من رعايانا بين وَهَادِ يَمِينِه ومِهَادِ أَمِينِه - رُيَسَ بالأمر الشريف - لا زال مُلْكُه على الأركان، راقباً من أُنْفِ النصر إلى أعلى مكانة وأرفع مكان - أن تُفَوِّضَ إليه نيابة السلطنة الشريفة بالديار المصريه، والممالك الإسلامية؛ على أَكِلِ المَوَائِد، وأَجَلِ القَوَاعِد؛ تفويضاً تَمَيُّضِ أَحْكَامُه في المسالك الإسلامية شرقاً وغرباً، وبُعْدِ اقربا؛ فلا يخرج منها شَيْءٌ عن أوامره وأحكامه، ولا يُعَدَّل في سُلْمِها وحَرْبِها عن حُكْمِ سِيُوفِه وأَقْلَامِه .

فليستَقِرَّ في هذه الرتبة العالية أستقرار الأركان المَوَائِد، والأَطْوَادِ اللُّوَابِثِ؛ والأَصُولِ النَّوَابِثِ، والنجوم الثوابت؛ مؤثلاً قواعدها بأيه السديد ورايته، معوّداً كلماتها بسيف النصر وآيته، مبتدئاً في إعلاء منارها من العدل بأفصاه

ومن الإحسان بغايته ؛ مَكْتَرًا أعدادَ الجيوش الإسلامية برأيه السعيد ، مقربًا من مطامح النصر النائية كلَّ بعيد ؛ مُوَكَّلًا بحركات السدود وسككاته جَفَنًا لا يَأْلَفُ الْفِرَارَ ، وسيفًا لا يعرف الفِرَارَ ، وعِزًّا لا يَرْضَى من عدوه دُونَ أَصْطِلاَمِهِ الْفِرَارَ ؛ فلا تزال جيوش الإسلام بحِمَلِ تعامده مِرَاحَةِ العوائق ، مِرَالَةِ العلائق ؛ لا مانعَ لها عن الركوب ، ولا قاطعَ عن الثوب ؛ قد أعدتْها عزائمُها ، فكلُّ زمانها بالتأهب للقاء وقت إمكانه ، وأملتْ بأسها صوارمه ، فهي لا تسأل عن عددِ عدوها بل عن مكانه ؛ مقيمًا منارَ العدل الذى هو أساسُ الملكِ ودِعَامَتُهُ ، ورأسُ الحكمِ بأمر الله فى خلقه وهامته ، وتورُّ الخُصْبِ الكافل بمصالح العباد والبلاد وطامته ، ناشرًا له [فى] أقطار الممالك ، ماحيًا بنور إقامته آيةَ ليل الظلم الحالك ؛ معاضدًا أحكامَ الشريعة المطهرة بالانقياد إليها ، والاعتمادِ فى الحُلِّ والعقد عليها ، والاحتفالِ برُفَعِ منارها : فإنَّ ذلك من أفضل ما قدَّمته الدولُ الصالحةُ بين يديها ، مقدمًا عمارةَ البلادِ على كلِّ مهمٍّ ؛ فإنَّها الأصلُ الذى تنفُرجُ عنه المصالحُ على أقترافها ، والمادةُ التى تستطيلُ الجيوشُ الإسلاميةُ على العدا بتوسعها فى إتهادها وإنفاقها ، والأسبابُ التى تُعينُ النيوثَ على نساء ما بسطَ الله لعباده من أرزاقها ؛ وأكَّدُ مصالحها الرِّقَّ الذى ما كان فى شيءٍ إلا زانته ، والعدل الذى ما أنصف به مُلْكٌ إلا حَفِظَ وصانته ، فقد جعلنا أمره فى ذلك جميعه من أمرنا المطَّاع ، واقتصرنا عن ذكرِ الوصايا بما فى خصائصه الكريمة من حُسْنِ الاضْطِلاعِ وبحِملِ الاطِّلاعِ ، وأكتفينا بما فى خلائقه الجميلة من محاسنَ لو تخيَّرَ نفسه لم يَزِدْها على ما فيه من كَرَمِ الطَّبَاعِ ؛ والله تعالى يؤيِّدُه وقد فَعَلَ ، ويعمل رُكْنَه من أثبتِ قواعد الدين وقد جعلَ ؛ إن شاء الله تعالى .

(١) التبرار النعم القليل أو القليل من كل شيء . انظر اللسان ج ٦ .

(٢) العامة قُبُضُ الحَصْدِ إذا اجتمعت به حصدوا وجمعها عام . كذا يؤخذ من اللسان .



وهذه نسخة تقليد بكتالة السلطنة أيضا، وهي :

الحمد لله الذى زان دولتنا القاهرة من حُسامِها بتقليده ، وصانَ حِمَى ممالكنا
الشريفة من أوليائنا بمن تَقَلُّوا مواقعَ سيوفه من كل عتوقلائد جيده ، وزاد جلالته
الملك بمن إذا ركب في مواكب نيابته أوردَ جِسادَ رُعبه من كل مُتَوَجٍّ من ملوك
العدا مناهلَ وريده ، وفوضَ قَدِمةَ جُيوشنا المنصورة إلى مَنْ تُضَاضِفُ مهابته
في عُيون العدا عَدَدَ جُنُوده ، وتغزو سرايا خيله في يَفْقَظِهِ وتطلُعُ عليه طلائعُ خياله
في مُجُوده ، وإذا صَلَّتْ سيوفُهُ في مَوْقِفٍ وعَى أغرَتْ رأسَ كُلِّ مستكبر لم يعرف الله
قبل رُكُوعه بِسُجُوده ، مُشْرِفٌ أَقْدَارَ أوليائنا من المراتب بما تُشْرِفُ به أَقْدَارُ المراتب
في نفسها ، ومُفَضَّلٌ أيامَ دولتنا على النُؤُلِ بما أَلْفَنَهُ من جلالته مُلْكًا في أُنْسِها ،
وَمُجَمِّلٌ سِيرَ أَصْفِيائنا من المَعَدَّةِ بما إذا غرستَه في قلوب الرعايا كان الدماءُ الصالحُ
ثمرةَ غرسها ، ومَقَلَّدٌ خواصنا من إِيالةِ الملك ما إذا خطبتَ به الأَقْلَامُ على منابر
الأنامل ثقلت البلاغة في تلك الأوصاف عن قُصِّها ، ومُفِيضٌ حُلَّ الأنباء المرقومة
بأسنى الرتب على مَنْ إذا زانتَ حَبْرُها اللابسَ زانها بلبسها ، وإذا أشرقتَ به هالةُ
المواكب لو عَى سَقَطَتْ فوارسُ ملوك العدا عن مراكبها وأضطربتَ الأيسرةُ بملوك
فَرَسِها ، وإذا كتمته الأعداءُ أنباءَها نطقتَ السنةُ رِياحه بأسرار أهل الشرك ولا يرى
أُتَمِّعُ من صُفِّها ولا أَفصحُ من حُرْسِها ، وإذا تطاولتْ أبطالُ الوقائع لِقائِه أقرتْ
نفورَ سيوفه عن شَلَبِ النصر لِإِلْفِها بمعاينةِ الأعناقِ وأُنْسِها .

نَحْمَدُهُ على نِعَمِهِ التى أعادتْ شرفَ أسمائنا إلى أسماع المنابر ، وأنطقت بمضاعفة
الأنباء لأوليائنا السنةَ الأَقْلَامِ في أفواه المحابر ، وأعادت بسيف النصر حُقُوقَ مُلْكنا
الذى تلقيناه مع الأولوية والأولوية من أسلافنا الكرام كابرًا عن كابر .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال سيوفنا بإعلاء منارها
 ناهضة ، و جِيا دُ جهادنا لنشر دَعوتها فى الآفاق را كِضه ، وموادُ نِعْمنا ونِقْمنا لآمال
 حاملها باسطة ولأرواح جاحِديها قابضة ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى
 ايدته الله تعالى بنصره ، وآتاه من مِعْجَراته ما يَحُولُ البصر دونَ حَصْره ، وجعله أمام
 الأنبياء وإمامهم مع تأخر عصره ، ونصره بالرُعب الذى زحزح كلَّ مَلِكٍ عن سريره
 وأنزل كلَّ متوَجٍّ من قَصْره ؛ صَلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هَجَرُوا فى نصرته ،
 ما وَفَّ الأوطان والأوطار ، وركبوا فى إقامة مِلّته ، مَخَوَّفُ الأحوال والأخطار ،
 وقَتَحُوا بَيْنَ دَعَوته ، ما أَشْتَلَّتْ عليه المَشَارِقُ والمَغَارِبُ من الأرجاء المُنْتَدِ والاقطار ؛
 صلاة لا يزال سيفُ جهادنا للدوامِها مُقيماً ، وحُكْمُ جِلا دِنا لإقامتها مُديماً ؛ وسلم
 تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإنَّ أَوَّلِيَّ من سَمَتِ التقاليدُ بأوصافه ، وصُرِّفَتُ أمورُ الممالك بينَ رأسه
 وانصافه ؛ وحُلِّبَتِ مواقفُ الخِدْمَةِ الشريفةِ من جواهر مَهَابته ، بما هو جديرٌ بِمَحَلِّ
 السيف ، وزُيِّنَتِ مجالسُ العدل من إِيالته ، بما هو مبرأٌ من الميل والهوى متراً عن
 الظلم والحيف ؛ ومِلَّتِ القلوبُ من مَخافته ، بما يمنعُ ذا القُوَّةِ فى الباطل من توهم
 البطش وذا الصُّبُوَّةِ فى الهوى من استِزاره (٩) ويُحَسِّنُ لها الفِرار ، ويَهْوُنُ عليها
 فى جَنبِ ما تُنَوِّقُهُ من مواقعِ سُيوفه النَّبِيِّ والإِسار ، وعُدُّقُ به من مصالحِ الأقاليم
 ما يصرفُه بيمينِ دَأْبِها ائِمنُ ويسارِ شَأْنِها اليَسار ؛ وفُوضَتِ زُعامةُ الجيوش منه إلى هُمَامٍ
 يقومُ بأمرها على ما يجب ، وليتِ لو لم يَنْهَضْ بألوفها المؤلِّفة فى الوقائع لكان من
 نَفْسِهِ وحْدَها فى تَجَفُّلِ لِحَبِّ ؛ ومِقْدَامِ آلافِ العِدا فى شِجَاعته آحاد ، وضِرْغَامِ
 قَسُورِ أَهْلِ الكُفْرِ بينَ يَدَيِ وَثْبَاتِهِ وَثْبَاتِهِ وَأُسُودِهِمْ نُقَاد ؛ من لم تَزَلْ نَعْدُهُ فى أركانِ
 البيت الشريف المنصورى بالخصاصر ، ونَعْدُهُ للواقف التى ليس للدين فيها غير تأييد

الله وحده السيف ناصر؛ وتذخره من معادن أوليائنا الذين تمسكوا من الانتماء إلينا
بأمكن الأسباب وأقوى الأواصر، وتقلد أعطاف الأواصر منه سيفاً يرى منه يتت
العدا ومعانئهم بأفك حاصد وأقل حاصر؛ فكم من مواقف شفع فيها الشجاعة
بالخضوع لربه ، ومواطن ليس فيها قلبه على الدرع إذا ليس غيره الدرع على قلبه ،
ومسالك سلكها في طاعة الله وطاعتنا والسيوف تنفر من قلوبها ، ومشاهد شهدها
في طاعة الله وطاعتنا والقلوب تنفر من حجبها ، وليسا قطعها في خدمتنا لم يصحب
غير السنة أسننه وأعين شهبها ومقاصد للذين بلتها والسهام لائحها من الفرق قوائم
النسور ، وسرايا وقف بينها وبين العدا فضرب بينهم من شجاعة بسور ، وبحار
حرب لم تجاسر السوايح على قطعها حتى مد عليها من موجات سيوفه فناطروا
ومن مقومات ذوابه جسور ، وكم أنام الرعايا في مهاد عدله فلم يطرهم طيف ظالم
في الكرا ، ولا روع يربهم خيال مغير أوهمهم السرى ؛ بل كانوا محفوظين
بمهابته مخفوفين بمواهبه ، وادعين في ظله الذي مادجا عليهم ليل خطب إلا أطلع
لم بدور الأمن في غياهبه .

ولما كان (فلان) هو الذي سار يذكروا به المثل ، وصار له في قلوب الأعداء
من الرعب ما تشابه فيه القاتلان الوجل والنجل ، وجمع محاسن الصفات فما أخذ
عنه أو ينطق به أو ينظر إليه إلا وجد (ملء المسامع والأفواه والمقل) ؛ ولا جرد على
العدا سيفاً إلا ودعت أرواحهم الأجساد ، ولا أزهر في مجالس العدل
والإحسان قلباً إلا وضحت له الآجام التي نشأ بها (كرم السيول وسطوة الآساد) ؛
ولا طلع في أفق مواكب إلا وهالت العدا هالة بذره ، ودلت على عظم سلطانتنا
رفعة قدره ، وشهدت له بحسن طاعتنا طاعة أشرائنا لأمره ؛ وأسلف من خدمة
والدنا السلطان الشهيد ما لم تر له به عندنا حقوق مرعيه ، وسوابق مرضيه ،

ورتبةٌ تقديمُ سيئه ، ومزيةٌ تَهْرِيبُ جعلته مُشَاهِدًا بِالْعِيَانِ مُقَدِّمًا فِي النَّيِّهِ - أَقْتَضَتْ
 آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةُ أَنْ تُرَوِّجَ الْعِدَا بِسَيْفِهِ ، وَتُرِيَهُمْ مِنْ تَقْدِمَتِهِ عَلَى الْجُيُوشِ يَقْطَعَةً
 مَا كَانُوا يَرَوْنَهُ حُلْمًا مِنْ طَيْفِهِ ؛ وَلْيَعْلَمْ الْأَعْدَاءُ مَعَاجِلَةَ أَخْذِهِم بِالْعُنْفِ وَالْحَيْفِ ،
 وَأَنْتَا لَا تَأْخُذُنَا فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَا تَمُوتُ قَلِيلٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ (صلى الله عليه
 وسلم) إِلَّا السَّيْفُ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتْ مَمَالِكُ الْإِسْلَامِ بِهِ مُفْتَرَّةً الْمَبَاسِمَ ، عَالِيَةً
 مَدَى الْمَهَابَةِ إِذَا طَرَقَتْهَا عَوَاصِفُ رِيَّاحِ الْعِدَا وَقَفَتْ دُونَ بُلُوغِهَا دَائِمِيَةَ الْمَتَّاسِمِ -
 أَنْ تُفَوِّضَ إِلَيْهِ نِيَابَةُ السُّلْطَانَةِ الشَّرِيفَةِ بِالْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى الْعَادَةِ فِي ذَلِكَ
 وَالْقَاعِدَةِ تَفْوِيضًا يُقْبِضُ عَلَى الْمَمَالِكِ حُلَّالَ الْمَهَابَةِ ، وَيَسْلُبُ أَعْدَاءَ الدِّينِ رِذَاءَ
 الْأَمْنِ فَلَا يَنْفَعُهُمُ الْخُضُوعُ وَلَا الْإِنَابَةُ ، وَيُضَاعِفُ لَنَا أَدْعِيَةَ الرِّعَايَا الصَّالِحَةِ بِإِحْرَاسِهِمْ
 عَلَى مَا أَلْفَوْهُ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ فَهَنَّهُمُ الدُّعَاءُ الصَّالِحُ وَمَنْ كَرَّمَ اللَّهُ الْإِجَابَةَ .

فَلْيَقْبَلْ هَذِهِ الرُّتْبَةُ الدَّالَّةُ عَلَى أَرْتِفَاعِ قَدْرِهِ لَدُنِنَا ، الشَّاهِدَةُ لَهُ بِاحْتِفَالِنَا بِمَا أَوْجَبَهُ
 إِخْلَاصُهُ مِنْ حَقُوقِ الطَّاعَةِ وَالْوَلَاءِ عَلَيْنَا ؛ الْمُنْهَبَةُ عَلَى أَنَّهُ سَيَفْنِي الذِّى نَصَوْنُ الْمَمَالِكِ
 بِحُدُودِهِ ، وَنَصُونُ عَلَى الْعِدَا بِمَضَائِهِ الذِّى تَهْلُلُ وُجُوهَ النَّصْرِ كُلَّمَا أُسْفِرَ مِنْ غَمْدِهِ ؛
 وَلَيْسَتْ تَقْرَفِي ذَلِكَ نَافِدًا فِي الْمَصَالِحِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَمْرُهُ ، مُغِيرًا عَلَى جُيُوشِ الْأَعْدَاءِ
 ذِكْرُهُ ، مَعْمَلَةٌ فِي حِمَايَةِ الدِّينِ بِيَضِهِ الْمُرْهَقَةِ وَثُمَرِهِ ، مَجْمَلَةٌ بِإِسْرَاقِ طَلْعَتِهِ مَطَالِحُ
 الْمَوَاكِبِ ، مَسِيرَةٌ نَجُومُ أَسْتَنَتْهُ إِلَى قُلُوبِ أَعْدَاءِ الدِّينِ مَسِيرَ الْكَوَاكِبِ ، مُحَقِّقَةٌ
 بِحُقُوقِ رَايَتِهِ مَسَاعِيَ الْكُفْرِ الصَّادِرَةِ عَنْ آهَالِهِمُ الْكَوَاذِبِ ؛ لِيَعْلَمَ عَدُوُّ اللَّهِ أَنَّهُ أَشَدُّ
 طَلَبًا لَهُ مِنْ أَجَلِهِ ، وَأَزْمُ لِمَقْدِهِ مِنْ عَمَلِهِ ؛ وَأَسْبَقُ إِلَيْهِ مِنْ رَجْعِ صَوْتِهِ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ
 مِنْ مُفَاجَأَةِ مَوْتِهِ . وَلْيَجْمِلِ النَّظَرُ فِي مَصَالِحِ الْجُيُوشِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِمَا يُضَاعِفُ حِسَّتَهَا ،

ويبقى على توالى الأحقاب حثتها وحثتها؛ ويأخذهم بإدامة الترن في الحروب، وإطالة عنان التأهب للركوب؛ ويؤمن كلاً منهم بملاحظة حاله على استدامه قوته وإمكانه؛ ويعملهم بالاعتباس من شجاعتهم من القوم الذين لا يسألون عن عدد عدوهم بل عن مكانه. وليكن لكلمة الشريعة الشريفة رافعا، ولشبهه من يمنع عن الانقياد إلى الأحكام دافعا؛ وعلى يد من يتطرق إلى الخروج عن أحكامه أخذا، ولن لم يسلك الأدب بين يدي حكمه بما يقتضيه تعظيم الحكيم العزيز مؤاخذا. وليأمر النواب بإقامة منار العدل الذى يومئ منه خير للأرض من أن تمطر أربعين يوما، ويصرف إلى مصالح الثنور الإسلامية وحمايتها فكراً لم يختار دعة ونظراً يأنف أن يألف نوماً؛ وملاك الوصايا تهوى الله وهى من خصائص نفسه الكريمه، وراحة روجه التى هى للفكر فى مصالح الإسلام مديمه؛ فليجتهد فى المحافظة عليها ما استطاع، ويؤمن بها فى مصالح الإسلام أمره الذى جعلناه من أمرنا مطاع.



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة أيضاً، كتبت به عن السلطان الملك أبى بكر ابن الناصر محمد بن قلاوون للأمير طغزدمش أمير مجلس، فى سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة، بعد أن بطلت النيابة فى دولة أبيه الملك الناصر عتة سنين، وهى :

الحمد لله الذى أصطفى لسلطاننا المتصور من يؤوب عنا فى رعاية الجمهور أحسن مناب، وأضفى على ملكنا المعمور من رياسته أسر سربال ومن حراسته أجل جلباب، وكفى دولتنا الشريفة بسياسته مهمات الأمور فتأيد بها قيامه دوام ولتشيد بها اهتمامه استصحاب، وشفى الصدور بصنوبر إشارته المباركة التى لها بأوامرنا العالية اقتران ومن ضمائرنا الصافية اقتراب، وأوفى له من رنا العمم بحقه

الذى [له] بعنده استحقاق للتقديم وإيجاب ، وسبقه القديم الذى له من سعيد المصاهرة أكرم أنشاج ومن حيد المظاهرة ألزم أنساب .

نحمده على أن بصر آراءنا بطرق الوفاق وسبل الصواب ، ونشكره على أن نغز راياتنا فى الآفاق : فقلوب العدا من خوفها إرهاب وإرهاب .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مترهنة عن الشك والارتباب ، موجهة إلى قلوبنا التى ترضاها الأبواب ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى أظهر عزمه بالثبات وقهر خصمه بالتباب ، ووفر قسمه من الإنجاد وبسر حربه للإنجاب ، وأظهر اسمه بعد اسمه خلا فى الأفواه ذكروه وطاب . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين سلکوا من بعده فى رعاية عهده أحسن الآداب ، صلاة متصلة الأسباب ، موصلة إلى خير مآل متكفلة بنعم باب (؟) لا يزال لسحب جودها فى الوجود أنصباب ، ولتقريب وفودها ورود إلى مظان الرضوان من غير إغباب ، ما جرد انتقامنا على الأعداء سيف سطا يهد الرقاب ، وأورد إنعامنا الأولياء بحر ندى زانير الثباب ، وجدد قيامنا بعلم هدى مرت عليه الأعوام وما لمع له أثر ولا فتح له باب ، وأعمد مقامنا الشريف ، فى الجمع للقلوب والتأليف ، على أعلى ولوى وأعلى جناب ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد ، فإن أولى من اعتمدنا فى الإنجاب والإنجاح على ديانته ، وأنجبتنا فيما أردنا من الاستصحاب للصالح بإعانتة ، واعتصمنا فى تقطين الممالك وتأمين المسالك بصيائنه وصيائنه ، ورعينا عند الدنا الشهيد - سقى الله عهده صوب الرضوان - على علو مكانه ودنو مكانته ، فاكثفينا فى كفالة الأمة وإيالة النعمة بخشيته من ربه واستكائته - من حيدت تجاياه ، وتمددت مزاياه ، واستندت

إلى ما أمر الله تعالى به من العدل والإحسان في الأحكام قضاياه ، ووجدت منه الزهد والرفق رعاة الإسلام ورعاياه ؛ فهو المدحوخ فعله ، من جميع الألسنة ، الممنوح فضله ، في سائر الأزمنة ، الممنوح عليه آثار القبول الظاهر من عناية الله لما نواه من الخير لخلق الله وأبطنه ؛ فهو عاضد السلطنة الذي حل من العلياء موطنه ، وكافل الملكة ، الذي سبق إلى كل مجد فأدركه ؛ وسيف الدولة ، الحامي الخوذة البادية الصولة ؛ ومن له أشمائل على العلياء ، ومن يقرر التحقيق له رأيا ، ولا يبين التوفيق له سعيًا ، ويعاون الهدى والنهى على طول المدى له أمرا ونهيا ، ويعين الورى لسلطاننا المنصور منه مهديًا يجعل لدولتنا حفظا ويحسن للملكا رعيا .

وكان فلان هو الذى لم يزل متعبن المحاسن ، متبين الميامين ، متمكن الرئاسة فى كل الأماكن ؛ فحلمه إذا اضطربت الجبال الرواسى ثابت ساكن ، وعلمه الزائد بأوضاع السياسة وأنواع النقابة للوجود من بهجت زائن ، ورأيه الصائب للبلاد والعباد صائين ، ورعيه الخلق بالخلق : القوى منه خائف والضعيف إليه راكن ، وشهره هادى للرأى وبادى للعائن ، وذكره الجميل سائر فى الآفاق والأقطار والمدائن ؛ حتى أظهر الله تعالى بإمداد نيرنا الأعظم من إشراق بدره الكامل ما هو فى سر الغيب كامن ، وشهر سيفه الذى يغدو الإيمان من مهابة فى كنف منيع وحرم آمين .

ولما مضت على منصب النيابة الشريفة فى أيام والدنا الشهيد يضع مسنين ، وأتقصت الأيام والليالي والدهر بموهبتهما ضنين ؛ ولا وطبت لها ربوه ، ولا أمتطبت لها صهوه ؛ وكانت فى سلك ملكه مندرجه ، وبصفو سلطته متمرجه ؛ إلى أن قضى عليه الرضوان النجب ، وأفضى من الحنان إلى الحمل الرحب ، رأينا بعده بمن كان يحقق وده أن نستأنس ، وأمضينا وصيته المباركة فى اختيار ثمرة الإخلاص بمن

كان له الاختصاص بفارس ، وأفضينا إليه بالمتاب عما لما كان من أنوار والدنا الشهيد فى كل تسديد يقتبس ، ومن الاستثثار بحالسته يفوز فيحوز حكم الحكم لأنه كان أمير ذلك المجلس ، وقضينا باعتماد أمره الكريم بعد أمرنا الشريف : لأنه الخبير الذى لا ينهم عليه شيء من خفايا القضايا ولا يلتبس - أقتضى حسنُ الرأى الشريف إلقاء ما فى أيدينا من مقاليد الممالك إلى يده ، وإبقاء وديعة هذا الأمير العظيم إلى صونه وعونه وتشدده ، وإيفاء جنابه إلى حميد هذه الغاية التى هى للناسبة مناسبة لسؤدده .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لازال يجمع شمل الإسلام بتعيينه وتفزيده ، ويرجع أمر الأنام منه إلى ماأمون الرأى رشيده سَفَاح السيف مهتده ، منصور العزم مؤيده ؛ ويوسع الخليفة إذا وليهم بالرافة والرحمة ومن أولى من أبى بكر بأن يخص أصحاب عهد عند الخلافة بإعذاب منهل الجود ومورده - أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالممالك الإسلامية - أعلاها الله تعالى - نيابة شاملة مُحِيطَة ، كاملة بتسيطه ؛ تعنى كل أمير ومأمور ، وتُدْفى أمرها الذى يعاسل بالإجلال ويقابل بالسرور ؛ برأ وبحرا ، وسهلا وعسرا ، غورا ونجدا ، بُعدا وقربا ، شرقا وغربا ؛ وما منحه الله تعالى لوالدنا الناصر من الممالك ويُدْخِر لسلطاننا المنصور ويُنْجِي : تستوعبُ أمر ما نأى من هذه الأقاليم ودنا ، وتجب طاعته فيها على كل من كان مؤمنا ، ويمتثل فى ذلك كله أمره ، وتعمل فيه الروية فيجمل فكره ؛ ويُؤمَل فيه فتحه ونصره ، وينقل به مدحه وشكره ، ولا ينفصل منه وبره ؛ ناظرا فى هذه النيابة الشريفة بفكره التام ، سائرا فيها السير الجميل من الدربة والإلهام ؛ ناشرا ظلال المعدلة على من سار أو أقام ، مظاهرا بجنابه منا أجل مقام . ونحن وإن كنا نتحقق من خلاله الحسنى ، كل وصف يُسنى ؛ ويتق من بذى الصدر السليم الذى هو على

المقاصد يَمان وبالحامد يُعنى ، فلما نُحِلَّ بالوصية التى تقسم أن له منها أَسْتَيْغْنَاهُ ؛
ولكننا لا تترك بها التبرك ولا ندع ماسن الله تعالى منها وشرع ، ولا نُفَقِّل ، مايجب به
أن يحتفل ؛ فقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، وأمضى أمره
المسموع كل ذى رجوع إلى الله تعالى منهم وإنا به ؛ فقد أولاه الله تعالى كل جميل
قبل أن ولّاه ، وحلّاه بالسّماء والمكرّمات قبل أن رَفَعَ عُلَاهُ ؛ وأعطاه ما أَرَبَب
العِدا من سَطَاهُ ، وهداه إلى كل رُشد تأمّم به الهداه .

فأهم ذلك تقوى الله تعالى وهو عليها مجبول ، وأمرها عنده متلقٍ بالقبول .
والعدل فهو منه مأمول ، والاكتصاف بالإنصاف فهو دأبه فيما يفعل ويقول ؛
والجهاد : فعزائمه فى ميدانه تجول ، وصوّارمه بها من قِرَاع قُرْسانه قُلُول . والزعماء
والأكابر فلهم من محافظته اعتناءً وبملاحظته شُمول . والعساكر الإسلامية فبناييده
تَبْطِش أيديهم بالعِدا وتُصُول . وزعماء البلاد فلهم إلى ظلّ رحمة إيواءً وبكنف
نعمته مُكَلُول . وبمالك الإسلام فما منها : إلا منعموب بما أوتيه كَفَالته ما هوول ؛ وتُفَوِّره
فكلها بِسَام بَفَتَكَاته التى ألقى رُغْبها فى البحر فهو يَن كل فاجر ويَن البحر يُجُول ،
وما هو بذلك من حميد المسالك مَوْصُول ، وعمله المقدم لأنه أهم الأصول : من اكرام
الحُكّام ، وإبرام الأحكام ؛ وأسْتِغْناء الحُدُود ، واقتفاء السّنن المعهود : من إنباج
الوُعود ، وإحراز السُّعُود ؛ والإجهاز على كل كُفُور وِجْهُود ، والاحتراز من قَظاظَة
الناس بإفاضة الجُود ؛ فكل ذلك على خاطره مشرُود ، ولما آثره مَورُود ؛ وفى ذخائره
مَوْجُود ، ومن خبرته معلوم معهود ، وعن فكرته مشهور ومن فِطْرته مشهود ، فليسع
أمرنا هذا جميع الأُمراء والجُنُود ، وليرجع إليه كل من هو من جملة المِلَّة معدود ؛
وليقابل مرسُومنا بالسمع والطاعة ، أهل السنة والجماعة ؛ ساعة الوقوف عليه وحالة
الوُورُود ؛ وآله تعالى يُصلح ببقائه الوُجُود ، ويمتّع باهتمامه المقصُود ، ويفتَح المعاقِل

باعترامه الذى ليس بمردود عن مراده ولا مقصود ، بل يُصبح الكفر من خوفه محصورا ويُمسى وهو بسيفه محصود ؛ والعلامة الشريفة أعلاه ، حجة بمقتضاه ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية لنائب سلطنة ، أوردها فى " التعريف " قال :

يوصى بتقوى الله تعالى وتنفيذ الأحكام الشرعية ، ومعاودة حُكَّامها ، واستخدام السيوف لمساعدة أعلامها ؛ وتفقد العساكر المنصورة وعرضها ، وإنهاضهم لنوافل الخدمة وفرضها ؛ والتخير للوظائف ، وإجراء الأوقاف على شرط كل واقف ؛ والملاحظة الحسنى للبلاد وعمارة أوطانها ، وإطابة قلوب سُكَّانها ، ومعاودة مباشرى الأموال مع عدم الخروج عما ألف من عدل هذه الأيام الشريفة وإحسانها ؛ وتحسين مآلديه ، وتحسين كل ما أمره إليه ؛ واستطلاع الأخبار والمطالعة بها ، والعمل بما يرد عليه من المراسيم المطاعة والتسليم بسببها ؛ وأنه مهما أشكل عليه يستضىء فيه ، بنور آرائنا العالية فهو يكفيه ، ومن قُتل من الجند أو مات وخلف ولدا يصلح لإقطاعه يعين له ليقوم بمخلفيه ، ويقال من هذا ما يقوم بتمام الغرض ويؤقيه .

الوظيفة الثانية

(الوزارة لصاحب سيف)

وأعلم أن أول من أطلق عليه لقب الوزارة فى الإسلام " أبو حفص الخلال " وزير أبى العباس السفاح أول خلفائهم كما ذكره القضاعى^(١) فى " عيون المعارف فى أخبار الخلائف " ثم صارت الوزارة بعد ذلك للخطباء والملوك دائرة بين أرباب السيوف

(١) أى خلفاء العباسيين .

والأقلام ، تارةً يليها صاحبُ سيفٍ وتارةً يليها صاحبُ قلمٍ ، إلا أنها في أرباب
الأقلام أكثر. وعلى ذلك برئ عُرف الديار المصرية من ابتداء الأمر وإلى الآن .

ومما يَبْه عليه أنَّ الوزير إذا كان صاحبَ سيفٍ ، كان في مجلس السلطان قائماً
في جملة الأمراء القائمين . وإذا كان صاحبَ قلمٍ ، كان جالساً كما يجلس أرباب
الأقلام : من كاتب السر وغيره .

وهذه نسخة تقليد بالوزارة ، كتب به للأمير سيف الدين بُكْتُمُر . وهى :

الحمد لله الذى شدَّ أزرَ دولتنا القاهرة ، من أولياتنا بامضى سيف ، وعضد أيامنا
الزاهرة ، من أصفىائنا بأعدل ولى لا يوجد فى حكمة حيف ، وعَدَقَ تديرَ أمورِ
ممالكنا الشريفة بمن تحجبُ مهابتُهُ ذوى الأَطَاع الطاعمة عما لا يُبَيِّب فلا يُلم بهم فيها
خاطر [ولا] يطرفُهم بها طيف ؛ جاعِل التأييد لآرائنا مصاحبا ، والتوفيق موافقا
لأوامرنا التى لا تُهمل من مصالح الإسلام مندوبا ولا تدعُ من مهمات الملك وإجبا ؛
والإقبال تالبا لراسمينا فى آرياد من يغدو قلبُ الحُق من حيفه سائغا وقلب المبطل
من خوفه واجبا ، واليمن تابعا لاستخارتنا فى انتخاب من لم يزل فى خدمتنا الشريفة
للأدعية الصالحة جالبا ، ولمنافع الإسلام والمُلك طالبا ، ولمضارهما حاجبا .

نحمده على نعمه التى عضدت أيامنا بمن جمعت أدواته ، رتقى السيف والعلم ،
وعَدَقَت تدير ممالكنا بمن أحرزت [صفاته] ، منقى العلم والعلم ، وشدَّ أزرَ دولتنا
بمن يبيض بمعدلته من صفائف أيامنا ما هو أحب إليها من حمر النعم .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نعتها للقائه ، ونؤمن بها
فى اعتقاد من نعتضد به فى مصالح أهلها وأتقائه ، ونقدمها أمام كل أمر ندنره
لاعتلاء ولىنا بالتقوى وأرقائه ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أرسله إلى الأمم

طُرًا، وخصه بالأمّة التي جعل أماره سبقتها إلى الخيرات أن غدت محبلةً غُرًا، وأيده بنصره وبالمؤمنين الذين ما منهم إلا من أعرّض عن زُخرف الدنيا وإن كان حُلُوًا وقال الحق وإن كان مُرًا؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ولّوا أمته فعدّلوا، والذين تمسكوا بسنّ سنّه فما حادوا عنها ولا عدّوا؛ صلاة لا تزال الألسن لإقامتها مديحه، والقلوب لإدامتها مُقيمه؛ وسلم تسليما كثيرا.

وبعد، فإن أولى من أبرزت الضائر، في الاعتضاد به مكنون طويّتها، واعتمدت الخواطر، في تصريح علانيتها بألويّته لمصالح الإسلام على نيتها، وتشوّفت البلاغة لرقم مقّاره، وتنافست المعاني في تخليد ماثره؛ وهنأت المعدلة نفسها، برفع لوائها، وأبدت الدولة أنسها، بتأثيرها في الاضطار والائها؛ وأفترت نفور الاقاليم المحروسة من تلّج بمصالحها السنّة أقلامه، وأخضرت رُبى آمال الأولياء بما يُسفر عنه من تهلّ بهاء غرر أيامه؛ من هزّنا منه لمصالح الإسلام بسيفا يصل ما أمر الله به أن يوصل، ويفصل من مهمات الممالك ما يقتضى الحق أن يفصل؛ ويبرز من معادن العدل والإحسان ما هو في سرّ خلافة كامن، ويترّل من استقامت سيرته في الحى الخصب والحرم الآمن؛ ويصون الأموال بمهابته فلا تمتد إليها هواجس الأطماع، ولا تجاسر أبصار غير الأمناء أن تقصّ نبأ رُوبتها على الأسماع؛ ويضعافها بخبرته التي تهديها الأمانة إلى معادنها، وتدكّها النزاهة على مواجعتها، وتبدي لها ظواهر الأعمال أسرار بواطنها، ويعمر بيوت الأموال بعمارة البلاد، ويثمر فروع الطواريف من مصالحها بحفظ أصول التلاد؛ ويكف أكف الظلم عن الرعايا فلا يمتشى يحق على حقه، ولا يخاف مستقيم على ما قسّم له من رزقه؛ ولا يطمح قوى إلى من يستضعف جانيه، ولا يطعم باغ في الحيف على أحد مغالطه في نسب كان أو مجانبه.

ولما كان الجَنَابُ العالى (الفلانى) هو الذى أُشِيرَ إلى مَنَاقِبِهِ ، وأَعْضِدَ مِنْهُ بِطِيعِ اللَّهِ فى السِّرِّ وَالْعَلَنِ وَمِرَاقِيهِ ؛ وَفُؤُوسِ تَدِيرِ الْمَمَالِكِ مِنْهُ إِلَى مَنْ لَا تَأْخُذُهُ فى الْحَقِّ لَوْمَةُ لَائِمٍ ، وَأَعْتَمَدَتْ أَيْمَانُ الزَّاهِرَةِ مِنْهُ عَلَى مَنْ طَالَمَا سَرَى فى مَصَالِحِهَا عَلَى جِيَادِ الْعِزَامِ ؛ وَشَدَّ أَرْزَ الْمَلِكِ مِنْ مَوَازِرَتِهِ بَيْنَ يَكْشُودَسْتَ الْوِزَارَةِ أَهْبَةً وَجَلَالًا ، وَيُلَيْسُ مِنْصَبُهَا سَنًا لَوْ مَلَكَتْهُ الشَّمْسُ مَارَامَتْ عَنْ بُرُوجِ شَرْفِهَا أَنْتَقَالًا ؛ وَيُمَدُّ عَلَى الرِّعَايَا لَوَاءَ عَدْلٍ لَا يُقَلِّصُ لَهُ هَجِيرُ الظُّلَمِ كَمَا تَقَلِّصُ الظَّلَالُ ظِلَالًا ؛ وَتَطْلُعُ بِهِ شَوْسُ الْأَرْزَاقِ عَلَى أَوْلِيَاءِ دَوْلَتِنَا لَكِنْ لَا تَرْتَبُ كَالشَّمُوسِ غُرُوبًا وَلَا زَوَالًا ؛ مَعَ مَهَابَةِ تُخَيِّفُ الْأُسْدَ فى أَجْمَاتِهَا ، وَمَعْدِلَةِ تُعَيِّنُ الْفَيْوُثَ عَلَى رَفْعِ مُحُولِ الْبِلَادِ وَدَفْعِ أَرْجَمَاتِهَا ؛ وَدِيَانَةِ زَانِهَا الثُّقَى ، وَخَبْرَةِ صَانِهَا الْوَرَعِ وَهِيَ أَفْضَلُ مَا بِهِ يُرْتَقَى .

وَكَانَتْ الْوِزَارَةُ الشَّرِيفَةُ نِظَامَ الْمَمْلَكَةِ وَقِيَامَهَا ، وَذِرْوَةَ الدَّوْلَةِ وَسَنَامَهَا ؛ وَتَاجَ الْمَرَاتِبِ وَإِكْلِيلَهَا ، وَعَتَادَ الْخِزَانِ الْجَامِعَ دَقِيقِ الْمَصَالِحِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَجَلِيلَهَا - أَتَقَضَّتْ أَرَاؤُنَا الشَّرِيفَةُ أَنْ تُزَيِّنَ هَذِهِ الرِّبَّةُ بِجَوْهَرِ فِرْنَدِهِ ، وَأَنْ يَصْدُرَ مِنْصَبُهَا عَنْ مَنَاقِبِ لَا تَصْدُرُ إِلَّا عَنْ جِهَتِهِ وَمَفَانِحِ لَا تَرِدُ إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ ؛ وَأَنْ يَطْلُقَ فى مَصَالِحِهَا قَلَمُهُ ، وَيُعِضَى فى قَوَاعِدِهَا إِشَارَاتُهُ وَكَلِمُهُ ؛ وَيُطْلِعَ فى أَفْقِهَا شَمْسَ تَدِيرِهِ ، وَيُعَدَّقَ بِهِ مَا يَرَاهُ فى أُمُورِهَا مِنْ صَغِيرِ الْأَمْرِ وَكَبِيرِهِ ؛ وَأَنْ نَجْعَلَ مَسَامِعَ الْأَقَالِمِ عَلَى سَعَتِهَا إِلَى أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ مُصْنِيهِ ، وَأَنْ نَصُدَّ بِسَمْعَتِهِ عَمَّنْ بَعْدَ عَوَارِضِ الْإِمْهَالِ الْمُلْهِمَةِ وَمَوَاقِعِ الْإِمْهَالِ الْمُطْغِيهِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالَتِ سَحَابِ رِيهِ مَسْتَهْلَةً ، وَرَكَائِبِ الْحَمْدِ إِلَى حَرَمِ نِعْمِهِ مُهْلَةً - أَنْ تَفُوزَ إِلَيْهِ الْوِزَارَةُ الشَّرِيفَةُ بِالْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى أَكْمَلِ الْقَوَاعِدِ ، وَأَجْمَلِ الْعَوَائِدِ ؛ تَفْوِضًا يُعْلَى مَرَامُهُ ، وَيُنْضَى مَضَاءُ أَلْسِنَةِ أَقْلَامِهِ ،

ويُسَـطُّ في مصالح الأقاليم المحروسة يَدَه ولسانه ، ويبقى إليه من مهمات كلِّ قُطر
أزِمته ليَصْرِفَ على ما يراه من المصالح عِناته .

فليستغفر في هذه الرتبة الانية استقرار الدرر في أسلاكها ، والدرايرى في أفلاكها ؛
نافذ الأمر في مصالح شرقها وغربها ، مُطاع القول في بُعد أماكنها منه وقربها ؛
ناشراً كلمة العدل في أرجائها ، محققاً بالإحسان آمال أُمِّ قَـصَـرت على كَرَمِنا بمُدود
رَـجائِها ؛ مُعِلياً منار الشريع الشريف بمعاوضة حُكَّامه ، والوقوف عند أوامره المُطاعة
وأحكامه ؛ حافظاً أقدار الرتب بأكفائها ، معتمداً على ذوى البيوت المحافظين على
اتباع سِير أسلافهم وأقتنائها ؛ موقلاً على ذوى الخبرة التامة مع الديانة ، مُراعياً
مع ظهور المعرفة جانب العقّة والزّاهة والصّيانة ؛ مُوَكِّلاً بمصالح بيوت الأموال
والخزائن المعمورة موادّ الأموال ومعيّنها ، صارفاً إلى عِمارة البلاد بحيل تدبير تعصّد
البحار والشُّب منهُ بمُساعدتها على رى الأرض ومعيّنها ؛ ميسراً موادّ أرزاق خدَم
دولتنا القاهرة وأولائها بحيل يسره وحسن روائه ، مسهلاً مطالب أبواب الرواتب
والصدقات بطلاقة وجهه لو تأمله أمرؤ صادى الجوانج لأرتوى من مائه ؛ ليتوقّر
أهل الوظائف على خدَمهم بقلوب منبسطة الآمال ، ويتناضل عنها الفقراء بسهم^(١)
الليل التى لا تطيش إذا طاشت النّبال ؛ فقد جعلنا أمره فى ذلك جميعه من أمرنا
فليكتب يمتثل ، وليقل فى مصالحنا بما يراه يسير كلامه يسرى الراح ويسر قوله
يسير المثل ؛ ولا يمتصّ عقد ولا حلّ ، ولا ولاية ولا عزل ؛ ولا رفع ولا خفض ،
ولا إبرام ولا نقض ؛ إلا عن رأيه وإشارته ، وبنصّ خطّه وعبارته .

وفى سيرته السّريّة ، وديانته التى هى من أسباب الهوى عريّه ، ما يغنى عن وصايا
تملّ على فكره ، وقواعد تُجلى على ذُكره ؛ وملاكها تقوى الله : وهى من أخصّ

(١) المراد دعوات الشّر كما لا يخفى .

أوصافه ، ونشر العدل والإحسان وهما من نتائج إنصاته لأموال الرعايا وإنصافه ؛
 لكن على سبيل الذِّكْرِ التي تنفع المؤمنين ، وترفع درجات المتقين ؛ فليجعلها نجيّة
 خاطره ، وقبلة ناظره ؛ والله تعالى يُعلي قدره وقد فعل ، ويصعله من عباده المتقين
 وقد جعل ؛ بمنّة وكرمه . والاعتماد [على الخط الشريف أعلاه] إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثالثة

(الإشارة) ، وهي وظيفة قد حدثت كتابتها ولم يُعهد بها كتابةً في الزمن القديم .
 وهذه نسخة تقليد أنشأته بالإشارة للأمير جمال الدين يوسف البشاشي استادار
 في الدولة الناصرية فرج ، حين فُوِّضت إليه الإشارة مضافةً إلى الإستدارية ،
 وكتب له به المقر الشمسي العمري كاتب الدست الشريف ، في شعبان سنة تسع
 وثمانمائة ، وهي :

الحمد لله الذي جعل للديار المصرية بالمخاض اليوسفية رونقاً جمالها ، وأعرّج جانبها
 بأجل عزيز ملأت هيئته الوافرة قسيح جمالها ، وأسعد جدتها بأسعد مشير أدارت
 آراؤه الصائبة متقاعس الأمور ما بين يمينها وشمالها ، وأكرم مآبها بأمثل كاف عاد
 حسن تدبيره بضروب من المصالح أنام الخلق في ظلالها ، وأجاب سُؤْلها بكل
 لم تعدل عن خطبتها له وإن أطال في مطالها .

نحمد على أن أغاثت الدولة القاهرة بن أخصب به بعد الإحمال ربّعها ، وطال
 بطلوه بعد القصور فرعها ، وحسن في المناظر بحسن تأتبه لدى التأمل ينعمها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي شرع المشورة وحث عليها ،
 وعلق أمور السيف والقلم بها فردّها عند اختلاف الرأي إليها ؛ شهادة ترفع قائمها إلى
 أسنى المراتب وتعليه ، وتحرّب المخلص في أتحالها من مقام الاستخلاص وتؤدّيه .

ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى ورد وأرد الأمة من مهل شرعته المطهرة
 ما عذب مشرعه وزدا وصدرا ، وألقت السيرة أحاديث فضله فصيرتها للرفاق
 سمرا ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تقلوا مساحب أذياله فى العدل فعدلوا ،
 ولزموا منهج سنته الواضح فاحدوا عن سواء السبيل ولا عدلوا ؛ صلاة تفوق العد
 خضرا ، وترفع بركاتها عن الأمة خضرا وتبذل العسريئرا ، فتعيد عجايب الزمان
 سمنا وسبلات الوقت بعد اليئس خضرا ؛ وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد ، فإن للملكة قواعد ثبتي عليها ، وأركان تستند إليها ؛ ودعائم يُستد
 بالاعتضاد بها بُنيانها ، وعمدا يعتمد عليها فى المهمات سلطاتها ، وهذه المباني وإن
 أوسع نطاقها ، وأمتد بامتداد الملكة رواقها ؛ فإن بالسيف والقلم قوامها ، وبالتعلق
 بحبالها بقاءها ودوامها ؛ إذ كانا قطبين عليهما مدار فللكما ، ونقطتين عنهما ينشأ
 الخط المستقيم فى تدبير ملكها ؛ وزعيمين يُترافع إليهما عند التخاصم ، وحَكَمَيْنِ يُرجع
 إلى حكمهما عند التعاكف ؛ إلا أنهما لا يستقلان بأنفسهما عند التحالف ، ولا يقوم
 أحدهما برأسه لدى التخالف ؛ بل لهما إمام يرجعان إليه ، ويعولان عند اضطراب
 الأمور عليه ؛ وهو الرأى الذى لا يُقطع أمر دون حكه ، ولا يهتدى سار فى مهامه
 المهمات إلا بتجهمه ؛ إذ كان على الشجاعة مقدما ، ودليله من المعقول والمنقول
 مسلما ، والمتئسم به لا يزال عند الملوك مبعلا معظما ؛ لا يقدمون عليه ولدا ولا ولدا ،
 ولا يؤثرون على معاصدته عضدا ولا ساعدا ؛ إن أشار برأى تمسك الملك منه بالحبل
 المتين ، أو تحضه كلام نصح قال : (إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ) .

ولما كانت الجناح العالى ، الاميرى ، الكبيرى (إلى آخر ألقابه) يُوسف
 الناصرى : ضاعف الله تعالى نعمته ، هو الذى حنكته التجارب و«حلب الدهر»

أَشْطَرَهُ» ، وَعَرَفَ بِتَقْلِيلِ الْأُمُورِ عَلَى مِزَاجِ الزَّمَانِ حَبْرَهُ ، مَعَ مَا أَشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنَ الرَّأْيِ الصَّائِبِ ، وَالْفِكْرِ الذِّى إِذَا أَبْدَتْ قَرِينَتُهُ فِي الْارْتِيَاءِ عَجَبًا أَتَتْ فِطْرَتُهُ السَّليمةُ بِالْعَجَائِبِ .

هذا وقد علّأ في الدولة القاهرة مقامه ، ورشقت أغراض مقاصدها باقتضاء الآجال في الوقائع سِهامُهُ ، وساس المساكر فاحسن في سياسيتها التدبير ، وبذل في نفعاتها الأموال فال فيها إلى الإسراف دون التقدير ، واستجلب الخواطر فأنفذ منها يجامع القلوب ، وأقتاد النفوس الأسيئة قهرا فاطاعه من بين الشمال والجنوب ، وقام من الميهمات الشريفة بما لم يسبقه إليه سابق ، وأتى من خوارق العادات في التنفيذ بما لم يلحقه فيه لاحق ، وبادر إلى ترتيب المصالح فرتبها ولم يعقه في آتهاز الفرصة عن دفع المفاسد عائق ، وأخذ في حط الأسعار فورد متعلا من المعروف صافيا ، وأمر بإبطال المعاملين فكان له عملا على توالي الأزمان باقيا ، ولازم بعد رضا الله تعالى رضا ملكه ففاز بأشرف المآثر في الحديث والقديم ، وتأسى في تعريفه بنفسه بيوسف عليه السلام فقال : ﴿ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ - أقتضى حسن الرأي الشريف توينها بذكره ، وتقديمه على غيره ممن رام هذه الرتبة فحجب دونها ﴿ والله غالب على أمره ﴾ .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، الناصرى ، الزينى - لا زال يجمع لأوليائه شمل العالى ، ويرقى أصفياه في درجات العز على مِزَاجِ الأيام والليالي - أن تُفوض إلى المشار إليه الإشارة الشريفة التى هى أسنى المقامات وأعلاها ، وأقصى المرامات لئنا وأغياها ، مع ما أنضم إلى ذلك من النظر في الوزارة الشريفة التى جل قدرها ، وعلا في المناصب ذكرها ، والخاص الذى آختص بمهماتنا

الشريفة، والديوان المفرد الذى غمّر من ممالك السعيدة ذا الوظيفة وغير ذى الوظيفة؛ وتعلقات المملكة شرقاً وغرباً، ولوازمها المفترقة بُعداً وقرباً .

فليتلق ما فوّض إليه يمينه التى طالما ربحت فى الطاعة صفقتها، ويقابلها بالقبول الذى محلّه من القلوب مُهجّتها، مقدّماً تقوى الله تعالى فيما خفى من مقاصده وظهر، مؤثراً رضاه فى كل ما يأتى ويدّر، معتمداً فى المصالح اعتماداً ذى اليقظة الساهر، آتياً من غرائب الرغائب بما يحقق قول القائل : «كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ» .

والوصايا كثيرة ومن بحرّه تُستخرج دُررها، ومن سوابق آرائه تُستوضح أوضاعها وغُررُها؛ والله تعالى يديم عليه نعم إقبالنا الباطنة والظاهرة، ويتولاه من العناية بما يحقق له دائم قوله : (أَنْتَ وَلِيُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) . والاعتماد على الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه، إن شاء الله تعالى .

الطبقة الثانية

(من يكتب له من أرباب السيوف ذوات التواقيع، وفيها وظائف)

الوظيفة الأولى

(نظر البيارستان لصاحب سيف)
(١)

الحمد لله رافع قدر من كان فى خدمتنا الشريفة كريم الخلال، ومُعلي درجة من أضفى عليه الإخلاص فى طاعتنا العلية مديد الظلال، ومجتدٍ نعم من لم يُحصّه اعتناؤنا بشاية إلا رفته مُممه فيها إلى أسنى رتب الكمال، ومفوّض النظر فى قرب

(١) فى بعض نسخ الأصل بياض ولعله كان متروكا لنسبة القول الى منشه كما يأتى فى نظيره بعد .

الملوك السالفة لما لم يلاحظ من خواصنا أمرا إلا سرنا ما نُسأله فيه من الأحوال الخوال .

نحمد على نعمه التي لا تزال تدرى إلى الأولياء عوارفها ، ومناهلها التي لا تترج تستعمل على الأصفياء عواطفها ، وآلائه التي تُسد آراءنا في تفويض القرب إلى من إذا بأمرها سر بسيرته السرية مستحقها وواقفها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة رغب الإخلاص لإمامها ، وأفاض الإيمان على وجوه حملتها إشراقها وضياءها ، ووالى الايقان إعادة أداها بمواقف الحق وإبداءها .

ونشهد أن هذا عبده ورسوله المخصوص بعموم الشفاعة العظمى ، المقصود في السنة ذكر حوضه الذي من شرب منه شربة فإنه بعدها لا يظلم ، المنصوص على نبوته في الصحف المنزلة وبشرت به الهوائف ثرا ونظما ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين فازوا من طاعته ، بالرئب الفاعر ، وحازوا بالإخلاص في محبته ، سعادة الدنيا والآخرة ، وأقبلوا على حظوظهم من رضا الله ورضاه فلم يلووا على خدع الدنيا الساحر ؛ صلاة دائمة الاتصال ، آمنة شمس دولتها من الفروب والزوال ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى الأمور بالنظر في مصالحها ، وأحقها بتوفير الفكر على اعتبار مناهجها واعتقاد مناهجها ، أمر جهات البر التي تقرب بها السلطان الشهيد الملك المنصور (قدس الله روحه) إلى من أفاض نعمه عليه ، وتتوع في إنسانها فأحسن فيها كما أحسن الله إليه ، ورغب بها فيما عند الله : لعلمه أن ذلك من أنفس الذخائر التي أعدها بين يديه ؛ وحل منها في أكرم بقعة قلبه الله بها عن سريره إلى مقعد صدق عند ربه ،

وعمرها مواطن العبادَةِ في يومِ سَلَمِهِ بعد أن عَفَى بها مَعَاوِلَ الكُفْرِ في يومِ حَرْبِهِ ؛
وأقام بها مَنَارَ العلومِ فَعَلَا مَنَاطِلَهَا ، وأَعَدَّ لِلضَّعْفَاءِ بها مِنْ مَوَادِّ الدِّرِّ وَالْإِلْطَافِ مَالُو
تَعَاوُنَهُ الْأَغْنِيَاءُ قَصُرَتْ عَنِ التَّطَاوُلِ إِلَيْهِ أُمُومًا ؛ وَأَنْ نَزَادَ لَهَا مَنْ إِذَا فُوضَتْ إِلَيْهِ
أُمْرًا تَحَقَّقْنَا صِلَاحَهُ ، وَتَيَقَّنَّا نَجَاحَهُ ، وَاعْتَقَدْنَا تَمِيمَةَ أُمُومِهِ ، وَاعْتَمَدْنَا فِي مِضَافَةِ
أَرْتِفَاعِهِ وَانْتِفَاعِهِ عَلَى أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ ، وَعَلِمْنَا مِنْ ذَلِكَ مَا لَا نَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى اخْتِبَارِ
وَلَا اعْتِبَارِ ، وَلَا يُنْتَاجُ فِي بَيَانِ الْخِيَرَةِ فِيهِ إِلَى دَلِيلٍ إِلَّا إِذَا أَحْتَاجَ إِلَيْهِ النَّهَارُ ،
لَنَكُونَ فِي ذَلِكَ بِمَنَاقِبَةٍ مِنْ ضَاعَفَ لِهَذِهِ الْقُرْبِ أَسْبَابَ ثَوَابِهَا ، أَوْ جَدَّدَ لَهَا وَقْفًا :
لَكُونَهُ أُنَى بَيُوتِ الْإِحْسَانِ فِي ارْتِيَادِ أَكْفَاءِ النَّظَرِ لَهَا مِنْ أَبْوَابِهَا .

ولما كان فلان هو الذى نهى أوصافه على أنه مولى أمرًا إلا وكان فوق ذلك
قدرا ، ولا اعتد عليه فيما يضيّق عنه هِمُّ الْأَوْلِيَاءِ إِلَّا رَحَّبَ بِهِ صَدْرًا ، وَلَا طَلَعَ
فِي أَفْقِ رُتَبَةٍ هَلَالًا إِلَّا وَتَأَمَّلَتْهُ الْعِيُونُ لِأَجْلِ رُتَبِ الْكَمَالِ بَدْرًا ؛ يَدْرِكُ مَا نَأَى مِنْ مِصَالِحِ
مَا يَلِيهِ بِأَذْنَى نَظَرٍ ، وَيَسِيقُ فِي سَدَادٍ مَا يَبَاشِرُهُ عَلَى مَا يَجِبُ سَدَادَ الْآرَاءِ وَمَوَاقِعَ
الْفِكَرِ . وَنَحْنُ نَزَادُ غِبْطَةً بِتَدْيِيرِهِ ، وَتَحَقُّقُ أَنَّ كُلَّ مَا عَدَقْنَا بِهِ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ جَلِيلٍ فَقَدْ
أَسَدَنَاهُ إِلَى حَارِفِهِ وَفُوضناه إِلَى خَيْرِهِ - أَقْتَضَتْ آرَأُونَا الشَّرِيفَةُ أَنْ تَعِدَّقَ بِجَمِيلِ نَظَرِهِ
هَذَا الْمُهِمُّ الْمُقَدَّمُ لَدَيْنَا ، وَأَنْ يُفَوَّضَ إِلَيْهِ نَظَرُ هَذِهِ الْأَوْقَافِ الَّتِي النَّظَرُ فِي مِصَالِحِهَا
مِنْ أَكْثَرِ الْأُمُورِ الْمُتَعَيِّنَةِ عَلَيْنَا .

فُرِسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ فَضْلُهُ عَمِيًّا ، وَبِهِ يَدْمُ فِي الرُّتَبِ مَنْ كَانَ مِنْ
خَوَاصِّ الْأَوْلِيَاءِ كَرِيمًا - أَنْ يُفَوَّضَ إِلَيْهِ كَيْتَ وَكَيْتَ .

فَلَيْلِ هَذِهِ الرُّتَبَةِ الَّتِي أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ وَمَا كَانَ اللَّهُ فَهُوَ أَعَمُّ ، وَقُصِدَ بِهَا النُّفْعُ
الْمُتَعَدِّ إِلَى الْعَالَمِ وَالْفُقَرَاءِ وَالضَّعْفَاءِ وَمِرَاعَاةُ ذَلِكَ مِنْ أَخْصِ الْمِصَالِحِ وَأَعَمِّ .

ولينظر في عموم مصالحها وخصوصها نظراً يستدّ خلاها ، ويُريح عَقلها ؛ ويعمر أصولها ، ويثمر محصولها ؛ ويحفظ في أمانها أموالها ، ويقم بها معالم العلوم في أرجائها ، ويستزل بها مواد الرحمة لساكنها باليسنة قُرائها ، ويستعيد صحة من بها من الضعفاء بإعداد الذخائر للملاطفة أسقامها ومعالجة أدوائها ؛ ويحافظ على شروط الواقف في إقامة وظائفها ، وأعتبر مصارفها ؛ وتقديم ما قدمه مع ملاءة تديره باستكمال ذلك على أكمل ما يجب ، وتميز حواصلها بما يستدعى إليها من الأصناف التي يميز وجودها ويحتجّب ؛ وضبط تلك الحواصل التي لا خزائن لها أو ثقل ، من أيدي أمانته وثقاته ، ولا مودع لها أوفى ، من أمانة من يتقي الله حق ثقائه ؛ فلذلك وكلناه في الوصايا إلى حسن معرفته وأطلاعه ، ويمن نُهوضه بمصلحتها وأضطلاعها ، إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثانية

(نظر الجامع الطولوني)

من إنشاء المقرّ البدرىّ ابن المقرّ العلّائى بن فضل الله صاحب ديوان الإنشاء الشريف ، في الدولة الظاهرية برقوق ، كتب به المقرّ الشمسى العمريّ كاتبُ الدّست الشريف لأبى يزيد الدّوادار ، وهى :

الحمد لله الذى أقام من أوليائنا خيرَ ناظر ، يقوّ به كل ناظر ، وأدام بنا بناء المعروف الزاهر وحُسنه الباهر ، وأنام الأنام في مهاد الأمن بانتقاء وليّ لسان الكون حامد له ومادح وشاكر ، وفتح أبواب السعادة بأصطفاء صنيّ طاب بسفارته كلّ خاطر من مُقيم وناظر ، ومنع أسباب السيادة بأوفى وفى عمّر بوجوده

الوجودَ وعمرَ بجلده كلَّ بادٍ وحاضرٍ، وأبصرَ بالدينِ المتينِ والفضلِ المينِ فاقنناه
للنظرِ على بُيوتِ الله تعالى لأولوئِته بذلك : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ .

نحمده على نعيمه التى ظهرت بالزيد فسرت السرائر، وظهرت بنور الرشد المديد
فاشرق بها الباطن والظاهر . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العزيز
القادر، شهادة صدقت فى الإخلاص بها الأئمة والضامر . ونشهد أن سيدنا محمدا
عبده ورسوله مبدئ الأسرار، وبمجر الجود الزاهر، ومنبع الأنوار، صاحب الآيات
الظاهرة والمعجزات الباهرة والمفاحر، الذى يبعثه الله مقاما محمودا بحمده الأوائل
والأواخر، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه النجوم الزواهر، الذين جاهدوا فى الله
حق جهاده فكان كل منهم للدين الحنيف أعظم مجتهد ومؤيد وناصر، وسلم
تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من ألقيت إليه مقاليد الأمور، وصرفناه فى جميع مصالح
الجمهور، وفوضنا إليه النظر فى بيوت الله تعالى ليعمرها بنظرة السعيد وتضاعف له
الأجور، ومكنا له فى دولتنا الشريفة حتى صار قطب فلكها عليه تدور، وبسطنا
يده ولسانه فهو يتنطق عنا ويأمر بالقضاء والقدر فى الورود والصدور، وقيدنا
الأرزاق بقلمه، والمهمات بكلمه، فلا فضل إلا من فيضه المنشور - من أمتاز
على غيره بفضيلتي السيف والقلم، وتقدم فى الطاعة الشريفة بأقرب قدم، كان بها
من السابقين الأولين من القدم، وأنصف بالشجاعة والشهامة والمعرفة التامة والحلم
والعدل والحكم، فهو الترجمان عنا الناطق بفضل الخطاب فى السر للترك والعرب
والعجم، وعريف بالرأى السديد، والنظر السعيد، والتدبير الحميد، والقول المفيد،

(١) ظهرت بالزيد قويت به وظهرت بنور الرشد وضحت وبانت .

والجُود والكَمِّ ؛ وطُيِّعَ على الخَيْرِ الجَزِيلِ ، والدِّينِ الجَمِيلِ ، عُمَرُ في الحقِّ قائمٌ ،
لا تَأْخُذْهُ في الحقِّ لَوْمَةٌ لَائِمٌ ، طَالَمَا أَحْيَا بِحُسْنِ السَّفَارَةِ مِنَ الْعَدَمِ .

هو واحدٌ في الفضل والنظرِ السعيد
لأبي سعيد .

فمن الذي يَحْكِيهِ في الشَّرَفِ العَتِيدِ
بطل الوغى أبو يزيد .

قد تَفَزَّدَ في العِصَّةِ والدِّيَانَةِ ، والثَّغَةِ والأَمَانَةِ ، وَأَتَحَفَّ بِالصَّفَا ، وَتَرَدَّى بِالوَفَا ،
وَشَفَى بِالنَّخِيرِ والجَلْبِ مِنْ كَانَ بِالْفَقْرِ عَلَى شَفَا فَخَصَلْ لَهُ الشَّفَا ؛ وَوَفَّى بِالْهَيْدِ والمَوَاقِيقِ
وذلك أمرٌ مَآخِضِي^(١) ، وَلِخِيقِ الجُودِ والدِّينِ بِسَمِيَّةِ أَبِي يَزِيدَ البُسْطَامِيِّ الْوَلِيِّ :

قالوا : الْوَلِيُّ أَبُو يَزِيدَ قَدْ مَضَى * وَهُوَ الْفَرِيدُ بِفَضْلِهِ وَالصَّادِقُ !

قُلْتُ : الْأَمِيرُ أَبُو يَزِيدَ مِثْلُهُ * هَذَاكَ سَابِقُهُ وَهَذَا الْآخِرُ !

ولمَّا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الْمَشَارُ إِلَيْهِ بِهِذِهِ الصِّفَاتِ الْحَسَنَةِ ، وَالْمَنَاقِبِ الَّتِي تَتَوَعَّتْ
فِي مَدَائِحِهَا الْأَلْسِنَةِ ، وَعُرِفَ بِالْجُودِ فَلَمَّا حُبُّهُ الْأَقْنَدَةُ فَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ بِالْإِدْعَاءِ
لَهُ مُعَلِّنَةً ؛ طَالَمَا أَنَالَ النَّعْمَ ، وَأَزَالَ النَّقَمَ ؛ وَجَبَرَ الْقُلُوبَ ، وَكَشَفَ الْكُرُوبَ ؛ وَجَلَّ
ظِلَامَ الْخُطُوبِ ؛ وَنَشَرَ الْمَعْرُوفَ ، وَأَغَاثَ الْمَلْهُوفَ ؛ وَأَنْقَذَ مِنَ الْمَهَالِكِ ، وَعَمَّرَ
بِتَسْدِيرِهِ الْمَمَالِكَ ؛ وَوَصَلَ الْأَرْزَاقَ ، وَأَجْرَى الْأُطْلَاقَ عَلَى الْإِمْلَاقِ - أَقْتَضَتْ
آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةُ أَنْ نَعْتَمِدَ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِ ، وَنُلْقِيَ مَقَابِلَةَ الْأُمُورِ إِلَيْهِ ، وَنَتَوَطَّأَ
بِهِ الْمِهْمَاتِ وَغَيْرَهَا : لِيَكُونَ الْعِلْمُ بِالْكُلِّيَّاتِ وَالْجُزْئِيَّاتِ لَدَيْهِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالِ يَتَحَفَّ بِالْمَزِيدِ مِنْ كَرَمِهِ ، وَيُسَبِّحُ جَلَالِهِ
نَعْمَهُ ؛ وَيَجْرَى بِحَرَفِ فَضْلِهِ الْوَاسِعِ ، وَيَعُمُّ بِنَظَرِهِ الْمُقْزِينَ مِنْ أَوْلِيَائِهِ كُلِّ جَامِعٍ لِلْخَيْرِ
جَامِعٌ ، أَنْ يَسْتَقَرَّ

(١) جرى على لغة طي . نظر السجع فنه .

(٢) يباض بالأصل والمراد "في نظر الجامع العلوي" الخ وكثيرا ما يفعل ذلك في مثل هذه المواضع .

فلتلق هذا التفويضَ الجليلَ بقبوله ، ويبلغ الجامعَ المذكورَ ما يرتقبه من عمارته
التي هي غايةُ مأموه . ومنه تؤخذ الوصايا لأمته لساننا الناطق ، وسفيرُ مملكتنا العالمُ
بالحقائق والدقائق ، فلا يحتاج أن يُوصى ولا أن نفتح معه في الوصية باباً ، وما يصلح
أن يقال لغيره لا يجوز أن يكونَ له خطاباً :

ومثلك لا يدلُّ على صوابٍ * وأنت تعلمُ الناسَ الصواباً !

والله تعالى يؤيده في القول والعمل ، ويممُّ بوجوده وجوده الوجود وقد فعل ؛
ويُقيمه مدى الدهر ، ويستخدم لسعوده الساعة واليوم والجمعة والشهر ؛ ويعملُ
بابه الطاهر مفتوحاً للقاصدين على الدوام ، ويُقيمه واسطة عقد الملك فإنه مبارك
أينما كان ورحمةً للأنام ؛ والاعتمادُ على الخط الشريف أعلاه حجة بمقتضاه ،
إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثالثة :

(قَابةُ الأشراف)

وقد تقدّم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية في المقالة الثانية أن
موضوعها التحدث على الأشراف ، وهم أولادُ أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى
الله عنه ، من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت : وقد جرت العادة أن الذى يتولّى هذه الوظيفة يكون من رؤوس
الأشراف ، وأن يكون من أرباب الأفلام ، وإنما أوردته مع أرباب السيف
لأن المقرَّ الشهابى بن فضل الله قد ذكر فى بعض دساتيره الشامية أنه يكتب
لقب الأشراف « الأميرى » ولا يكتب له « القضاى » ولو كان صاحب قلم .

وقد رأيت له عدة توقيع على ذلك مكتبة من الأبواب السلطانية وعن نائب الشام وحلب وغيرهما، معبرا عنه فيها : «الأميرى» وتوقيع في قطع الثلث مفتوح بخطبة مفتحة بـ «الحمد لله» .

(١) وهذه نسخة [توقيع] بنقابة الأشراف، وهى :

الحمد لله مشرف الأنساب، وموفى الأحساب، حقوق ملاحظتهم بغير حساب، وجاعل أيامنا الشريفة محمد الأكتساب :

فحمده بحامد حسنة الإيجاد والإيجاب . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا شك في مقالها ولا آزياب . ونشهد أن محمدا عبده ورسوله ونبيه الذى أنزل عليه الكتاب، وشرف به الدار من شجرته المباركة الأعقاب، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا تتوارى شمسها بحجاب .

وبعد، فإن خير ما صيرت المهم إلى تشيد مبانيه، وتقييد مهمل رواعيه وملاحظة قاصيه ودانيه، المحافظة على كل ما يرفع قدر الآل ويعليه، ويرد إليهم عنان الاعتناء ويثنيه .

ولما كانت العترة الطاهرة النبوية وزات الوحي الذين آل إليهم ميراثه، وأهل البيت الذين حصل لهم من السؤدد آياته؛ وقد سأل الله وهو المستول لهم القربى، وخصهم بمزايا حقيق بمثل متصرفهم أنه بها يُعجى وأنها لهم تُعجى : لما فى ذلك من بركات تُرضى سيد المرسلين وتُعجبه، ويُسطر الله [الأجر] لفاعله ويكتبه؛ وكان لابد من رئيس يُنضد سلكهم وينظمه، ويعظم غرهم ويفخمه؛ ويحفظ أنسابهم،

وَيُصْقَلُ بِمَكَارِمِهِ أَحْسَابُهُمْ ، وَيَتَمَتَّى بِتَدْيِيرِهِ رَبَقَتَهُمْ ، وَيَتَابَعُ تَحْتَ ظِلِّ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الزَّرَكِيَّةِ مَا ذُكِّيَ بِنِعْمَتِهِمْ ، وَيَحْفَظُهُمْ فِي وَدَائِعِ النَّسْلِ ، وَيَصُدُّ عَنْ شَرَفِ أَرْوَمَتِهِمْ مِنَ الْأَذْيَاءِ الْمَذْعِينَ بِكُلِّ بَسَلٍ^(١) ، وَيَحْرُسُ نِظَامَهُمْ ، وَيُوَالِي إِكْرَامَهُمْ ، وَيَأْخُذُهُمْ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، وَيُمَدِّهُمْ بِأَنْوَاعِ الْإِرْفَاقِ ، وَيَتَوَلَّى رِذْعَ جَانِبِهِمْ إِذَا لَمْ يَسْمَعْ ، وَيَتَدَبَّرُ فِيهِ قَوْلَهُ : « أَتُفَكُّ مِنْكَ وَإِنْ كَانَ أَجْدَعُ » .

وَلَسَّ كَانَ فُلَانٌ هُوَ الْمَشَارُ إِلَى مِنْ بَنَى هَذِهِ السُّلَالَةَ ، وَلَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ مِيزَةٌ بَاطِنَةٌ وَظَاهِرَةٌ وَإِنْ كَانُوا كُلُّهُمْ شَيْئًا وَاحِدًا فِي الْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ ، فَقَدْ تَمَيَّزَتْ مِنْ بَيْنِ الْأَنَامِلِ السَّبَابَةُ عَلَى الْخَنِصَرِ وَالْبِنَصْرِ وَالْوُسْطَى وَالْإِبْهَامِ ، وَكَمْ تَمَرَّ جَنَى فَضْلٍ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ وَهُوَ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ ، وَقَدْ آمَنَّا عَلَى بَنَى هَاشِمٍ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ - أَقْضَى حُسْنُ الرَّأْيِ الْمُنِيفِ ، أَنْ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا يَرِجُ يَخْتَارُ وَيَتَّقَى ، وَيَحْتَنِي مِنْ يَخْشَى اللَّهَ وَيَتَّقَى - أَنْ تَقُوضَ إِلَيْهِ نِقَابَةُ الْأَشْرَافِ الطَّالِبِينَ عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَ مِنَ الثُّبَاءِ السَّادَةِ .

فَلْيَجْمَعْ لَهُمْ مِنَ الْخَيْرِ مَا يُنْجِيهِمُ الزَّهْرَاءُ الْبَتُولُ فَعَلُهُ ، وَيَفْعَلُ مَعَ أَهْلِهِ وَقَرَابَتِهِ مِنْهُمْ مَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَلْيَحْفَظْ مَوَالِدَهُمْ ، وَيُحَرِّرْ أَسَانِيدَهُمْ ، وَيَضْبِطْ أَرْوَاقَهُمْ ، وَيَعْتَمِدْ أَنْصَافَهُمْ ، وَيَتَمَرَّ مَتَحَصِّلَاتِهِمْ ، وَيَكْتَرِّ بِالتَّدْيِيرِ غَلَاتِهِمْ ، وَيَأْخُذْ نَفْسَهُ بِمُسَاوَاتِهِمْ ، فِي جَمِيعِ حَالَاتِهِمْ ، وَلْيَأْخُذْهُمْ بِالتَّجْمُعِ عَنْ كُلِّ مَا يَشِينُ ، وَالْعَمَلِ بِمَا يَزِينُ ، حَتَّى يُضْفِيُوا إِلَى السُّؤْدَدِ حُسْنَ الشِّيمِ ، وَإِلَى الْمُنَافَرَةِ الْفَائِرِ الْقِيمِ ، وَكُلُّ مَا يَفْعَلُهُ مِنْهُمْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ غَيْرِهِ هُوَ لَهُ وَعَلَيْهِ ، وَمِنْهُ وَإِلَيْهِ ، وَاللَّهُ يَحْفَظُهُ مِنْ خَلْفِهِ وَمَنْ يَبْنِيهِ ، بِمَنْهُ وَكَرَمَهُ ! .

(١) البسل الشدة كما في اللسان . وقع في الاصل «نسك» بالنون والكاف وهو تصحيف .



وهذه نسخة وصية لتيب الأشراف أوردها في "التعريف" فقال :

ونحن نُحِبُّكَ عن الوَصَايا إِلَّا مَا تَسْبِرُكَ بِذِكْرِهِ ، وَيُسْرَكَ إِذَا أَشْمَلْتَ عَلَى سِرِّهِ ؛
 فَأَهْلَكَ [أَهْلَكَ ؛ رَاقِبٌ] ^(١) اللَّهُ وَرَسُولُهُ جَنَّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا أَنْتَ عَنْهُ مِنْ
 أُمُورِهِمْ مُسْتُولٌ ، وَأَرْفُقْ بِهِمْ فَهُمْ أَوْلَادُ أُمَّكَ وَأَيْكَ حَيْدَرَةَ الْبَتُولِ ؛ وَكُفَّ يَدَ مَنْ
 عَلِمْتَ أَنَّهُ [قَدْ] ^(١) اسْتَطَالَ بِشَرِّهِ فَذَلَّ إِلَى الْعِتَادِ يَدَا ، وَأَعْلَمَ أَنَّ الشَّرِيفَ وَالْمَشْرُوفَ
 سَوَاءٌ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا مِنْ أَعْتَدَى ؛ وَأَنَّ الْأَعْمَالَ مَحْفُوظَةٌ ثُمَّ مَعْرُوضَةٌ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ
 فَقَدِّمْ فِي الْيَوْمِ مَا تَفَرَّجُ بِهِ قَدَا ؛ وَأَزِلْ الْبِدْعَ الَّتِي يُنْسَبُ إِلَيْهَا أَهْلُ الْعُلُوِّ فِي وَلَاتِهِمْ ،
 وَالْعُلُوِّ فِيمَا يُوجِبُ الطَّعْنَ عَلَى آبَائِهِمْ ؛ : لِأَنَّهُ يُعْلَمُ أَنَّ السَّلَفَ الصَّالِحَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
 كَانُوا مَتْرَهِينَ عَمَّا يَدْعِيهِ خَلْفُ السُّوءِ مِنْ أَقْرَابِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ ، وَبِتَعَرُّضِ مِنْهُمْ أَقْوَامٌ
 إِلَى مَا يُجْزِمُهُمْ إِلَى مَصَارِعِ حَيْثِهِمْ ؛ فَلِلشَّيْخَةِ عَثْرَاتٌ لَا تُقَالُ ، مِنْ أَقْوَالٍ يُقَالُ ؛ فَسَدَّ
 هَذَا الْبَابَ سَدًّا لَيْبَ ، وَأَعْمَلْ فِي حَسَنِ مَوَادِّهِمْ عَمَلًا أَرِيبَ ؛ وَفُتِّمْ فِي نَهْيِهِمْ وَالسِّبْ
 فِي يَدِكَ قِيَامَ خَطِيبٍ ، وَخَوْفُهُمْ مِنْ قَوَارِعِكَ [مَوَاقِعِ] ^(١) كُلِّ سَهْمٍ مُصِيبٍ ؛ فَاذْهَبْ
 « بِحَيٍّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ » إِلَى خَيْرٍ مِنَ الْكَلْبِ وَالسِّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ [فَانْظِمْ فِي نَادِي
 قَوْمِكَ عَلَيْهَا عَقُودَ الْأَجْتِمَاعِ] . وَمِنْ أَعْتَرَى إِلَى أَعْتَرَالِ ، أَوْ مَالٍ إِلَى الزَّيْدِيَّةِ فِزْيَادَةِ
 مَقَالٍ ، أَوْ أَدْعَى فِي الْأَمَّةِ الْمَاضِينَ مَا لَمْ يَدْعُوهُ ، أَوْ أَقْنَى فِي طُرُقِ الْإِمَامِيَّةِ بَعْضُ
 مَا أَبْتَدَعُوهُ ؛ أَوْ كَذَّبَ فِي قَوْلٍ عَلَى صَادِقِهِمْ ، أَوْ تَكَلَّمَ بِمَا أَرَادَ عَلَى لِسَانِ نَاطِقِهِمْ ؛
 أَوْ قَالَ : إِنَّهُ تَلَقَّى عَنْهُمْ سِرًّا صَنُّوا عَلَى الْأَمَّةِ بَيِّنَاتُهُ ، وَذَادُوهُمْ عَنْ لَذَّةِ [مَسَاغِهِ] ^(١) ،
 أَوْ رَوَى عَنْ يَوْمِ السَّقِيفَةِ وَالْجَمَلِ غَيْرَ مَا وَرَدَ أَخْبَارًا ، [أَوْ تَمَثَّلَ بِقَوْلٍ مِنْ يَقُولُ :
 عَبْدُ شَمْسٍ قَدْ أَوْقَدَتْ لِنِّي هَاشِمٍ نَارًا] ^(١) أَوْ تَمَسَّكَ مِنْ عَقَائِدِ الْبَاطِنِ بِظَاهِرٍ ، أَوْ قَالَ

إِنَّ الذَّاتَ الْقَائِمَةَ بِالْمَعْنَى تَخْتَلِفُ فِي مَظَاهِيرَ؛ أَوْ تَعَلَّقَ لَهُ بِأَتَمَةِ السَّرَّجَاءِ، أَوْ أَنْتَظِرَ مُقِيمًا بِرَضْوَى عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءٌ، أَوْ رَبطَ عَلَى السَّرْدَابِ فَرَسَهُ لِمَنْ يَقُودُ الْخَيْلَ يَقْدُمُهَا اللِّوَاءُ؛ أَوْ تَلَقَّتْ بَوَجْهِهِ يَطْنُ عَلَيَا كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ فِي الْعَمَامِ، أَوْ تَفَلَّتْ مِنْ عِقَالِ الْعَقْلِ فِي اشْتِرَاطِ الْعِصْمَةِ فِي الْإِمَامِ . فعرفهم أجمعين أَنَّ هذا من فساد أذهانهم، وسوء عقائد أديانهم؛ فإنهم عدلوا في التقرب بأهل هذا البيت الشريف عن مطلوبهم، وإن قال قائل إنهم طلبوا فقل له : (كَلَّا بَلْ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ) .

وَأَنْظُرْ فِي أُمُورِ أَنْسَابِهِمْ نَظْرًا لَا يَدَعُ جَلَالًا لِلرَّيْبِ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ مَعَهُ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِمْ بِغَيْرِ نَسَبٍ ، وَلَا يَخْرُجَ مِنْهُمْ بِغَيْرِ سَبَبٍ ، وَسَاقِيِ الْمُتَصَرِّفِينَ فِي أُمُورِهِمْ فِي كُلِّ حِسَابٍ وَأَحْفَظَ لَهُمْ كُلَّ حَسَبٍ . وَأَنْتَ أَوَّلَى مِنْ أَحْسَنَ لِمَنْ طَعَنَ فِي أَسَانِيدِ هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ أَوْ تَأَوَّلَ فِيهِ عَلَى غَيْرِ مُرَادٍ قَائِلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَأْدِيبًا ، وَأَرَاهُمْ مِمَّا يُوَصِّلُهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَى رَسُولِهِ طَرِيقًا قَرِيبًا . وَنُكِّلَ بَيْنَ عَلِمَتِ أَنَّهُ قَدْ مَالَ عَلَى الْحَقِّ أَوْ مَالَ إِلَى فَرِيقِ الْبَاطِلِ فَرَقًا، وَطُوِيَ صَدْرُهُ عَلَى الْغُلِّ وَغَلَبَ مِنْ أَجَلِهِ عَلَى مَا سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ تَقْدِيمِ مَنْ تَقَدَّمَ حَقًّا ، [وَجَارَ وَقَدْ] ^(١) أَوْصَحَّتْ لَهُمُ الطَّرِيقَةُ الْمُثَلَّى طُرُقًا، وَارْدَعَهُمْ إِنْ تَعَرَّضُوا فِي الْقَدْحِ إِلَى نَضَالِ نَضَالٍ، وَامْتَنَعَهُمْ إِنْ فَرَقَهُمْ كُلُّهَا وَإِنْ كَثُرَتْ خَاطِئَةٌ فِي ظِلَامِ ضَلَالٍ ؛ وَقَدَّمَ تَقْوَى اللَّهِ فِي كُلِّ عَقْدٍ وَحَلٍّ، وَاعْمَلْ بِالشَّرِيعَةِ الشَّرِيفَةِ فَإِنَّهَا النَّسَبُ الْمَوْصُولُ الْحَبْلُ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمُقَرَّرَ الشَّاهِدَ بْنَ فَضْلِ اللَّهِ قَدْ ذَكَرَ فِي "التعريف" عِدَّةَ وَصَايَا لِمَجَاعَةٍ مِنْ أَرَبَابِ السُّيُوفِ ، لَمْ يَكْتَسِبْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي زَمَانِنَا، بَلْ رُفِضَ اسْتِعْمَالُهَا وَأَهْمَلُ . وَنَحْنُ نَذَكِّرُهَا حِفْظًا لِدِكْرُهَا، وَاحْتِيَاطًا إِنْ يَقْتَضِي الْحَالُ فِي زَمَنِ كِتَابَةِ شَيْءٍ مِنْهَا .

إحداها - وصية أتابك المجاهدين

وقد تقدم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أن أصله أتابك بالطاء المهمل ومعه الأب الأمير ، وأن أول من لُقّب بذلك زُنكي أتابك صاحب الموصل ، ثم غلبت فيه التاء المشناة بدل الطاء ، وهي :

وأنت ابنُ ذلك الأبِ حقيقه ، وولّد ذلك الوالد الذي لم تُعَمَلْ له إلا من دِماء الأعداء عقيقه ؛ وقد عُرِفَتْ مثله ببقات الجنان ، وصُلّتْ بيدك ووصلت إلى مالم يصل إليه رُخ ولا قدر عليه سِتَان ؛ ولم يُزاحمك عدوّ إلا قال له : أيها البادى المقاتل كيف تُزاحم الحديد ، ولا تُسمى أسْمُك لجَبَّار إلا قال له : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ . وأنت أولى من قام بهذه الوظيفة ، وألف قلوب هذه الطائفة التي ما حلّم بها حالمٌ إلا وبات يُرصد حقيقه ؛ فليأخذ هذا الأمر بزمّامه ، وليعَمَلْ لله ولإِماميه ؛ وليُرمِمْ في حُبِّ البقاء الدائم بنفسه على المنيّة ، ولينادِم على مُعَاوَرَةِ الدِّمَاء زُهور سكاكينه الحنيّة ؛ وأطع منهم زُبراً تطاول السيوف بسكاكينها ، وتأخذ بها الأسود في عيرينها ؛ وتمتدّ كأنها آمالٌ ، لما تُريد ، وتُرسل كأنها آجالٌ ، ولهذا هي إلى كلّ عدوّ أقرب من حبل الوريد ؛ وأذلك منهم شُعلاً إذا دُعيت بأحسابها لا تنجد إلا متحامياً ، وأرم منهم سهاماً إذا دُعيت (؟) بأنسابها الاسماعيلية فقد جاء أن إسماعيل كان رامياً ؛ وفرّج بهم عن الإسلام كلّ مضيق ، وألقع عن المسلمين من العوانية كلّ حجر في الطريق ؛ وصرف رجالك الميامين ، وتصيّد بهم فإنهم صُقُور ومنايرهم السكاكين ؛ وأخطف بهم الأبصار فبأيّمانهم كلّ سِكينة كأنها البرق الخاطف ، وأقطف الرؤوس فإنها ثمرات أينعت لقاطف ؛ وأعرف لهم حقهم وضائف لهم

تكرمنا ، وأدبهم بنا برأ عينا ، وقدم أهل النفع منهم فقد قدمهم الله (وقض الله
المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما) .

وأعلم أنهم مثل الوحوش فزد في تأنيبهم ، وأشكر إقدامهم فطالباً افتتحوا على
الملوك وما هابوا بقطة حرسهم ، وأرفع بعضهم على بعض درجات في نفقات تسافرهم
وقعود تجلسهم ، ولا تسو بينهم فاهم سواء (لا يستوى القاعدون من المؤمنين
غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) . وأصل هذه الدعوة
ما زالت تثقل بالواريث حتى آتت إلينا حرقها ، وأومضت بنا حيث خلعت
هياكلها بجرعاء الحمى بروقها ، والله تعالى يوقه ويرشده ، ويطول بآه لما قصرت
عنه سواعد الزمان ووصلت إليه يده .



الثانية — وصية أستاذ الدار .

وليتفق أحوال الحاشية على اختلاف طوائفها ، وأنواع وظائفها ، وليرتبها
في الخدمة على ما يجب ، وينظر في أمورهم نظراً لا ينفى معه شيء مما هم عليه
ولا يحتاج ؛ وليبدأ بهم السباط المقدم الذى يقيم ، وما يتنوع فيه من كل مظهر ؛
وما يمتد منه في كل يوم بكرة والعصر ، وما يستدعى معه من الطوارئ التى لا يتحدا
الحدة ولا يحصرها الحصر ، وأحوال المطبخ الكريم الذى منه ظهور تلك المخافى ،
ووفاء ذلك الكرم الوافى ، والتقدم إلى الأمانة والمشرفين فيه بأمانة الإتيان ، وصيانة
الملك كل ما يعاب على الإطلاق . ثم أمر المشروب وما تعلق عليه أبواب الشراب خاناه
السعيدة من لطائف مأكول ومشروب ، وشيء عزيز لا يوجد إلا فيها إذا

عزَّ المطلوب ؛ ومراجعة الأطباء فيما تجرى عليه قوانينها ، وتُسبُّ لطبخه من حُرِّ
 اليواقيت كواينها ؛ وإفراز ما هو لخاص الشريف منها وما هو للفرقة ، وما لا يصرف
 إلا بخط الطبيب ولا يسلم إلا إلى يقه . ثم الطشت خاناه السعيدة التي هي خزانة
 اللباس ، وموضع ما تبرز به من الزينة للناس ؛ وما يحتاج إليه من آلات التطيب ،
 وما يعين لها من الصابون وماء الورد والطيب ، وغير ذلك من بقية ما هي مستقره ،
 ويؤخذ منها مستدره ؛ ومن يُستخدم بها ممن يرى من الرب ، وعرف بالعقاف
 والأدب ؛ وعلم أنه من أهل الصيانة ، وعلى ما سلم إليه ومن خالطه الأمانة .
 ثم الفراش خاناه وما يُنصب فيها من الخيام ، وما يكون فيها من فرش سفر ومقام ،
 وتشمع يُفضض كأفور كافورته أبنوس الظلام . ثم غلمان الإصطبل السعيد والتجابة
 وإن كان إلى سواه استخدامهم ، ولدى غيره مستقرهم ومقامهم ، لكنهم ما رجوا
 من عديده ، ولا يروقهم ويروغهم إلا حسن عليه وخشن وعيبه . ثم المناجات
 السلطانية وما بها من جمال ، وما يترشح فيها من مال وجمال ؛ ومن يُستخدم فيها
 من سيروان ومهمرد ، وما فيها من قطار مُزدوج وفرد ؛ فيوفر لهذه الجهة نصيباً
 من النظر يشاهد أمورها وقد غابت في الأفطار ، وتفترقت كالسحب يلزمها القطار
 القطار ؛ وليكونوا على باله فإنهم يسرقون النرة^(١) من العين ومعهم النعب العين محلاً
 بالقطار ؛ فليحسن منهم الإرتياد ، وليتخير أرقهم أفئدة فإنهم بكثرة ملازميتهم للإبل
 مثلها حتى في غلط الأكل . وطوائف المعاملين ، والأبقار ومن عليها من العاملين ،
 وزرائب الغنم ونحوها ورعايتها ، وأصناف البيوت الكريمة وما تطلبه في استدعائها ؛
 وتفتقات الأمراء الممالك السلطانية في إهلال كل هلال ، وما يُصرف في كسام

على جارى عاداتهم أو إذا دعت إليه ضرورة الحال ؛ وما يؤخذ عليه خطئه من
وصلات تُكتب ، وأستدعأت تُحسب من لوازمه وهى الكثرة لا تُحسب ؛ فليكن
لهذا كله مراعىا ، ولأُمُورِهِ وإِيعا ، ولما يجب فيه دُونَ ما لا يجب مستَدِعِياً وإِليه
داعِياً ؛ وهو كَبِيرُ الْبَيْتِ وإِليه يرجع أمرُ كُلِّ مَمْلُوكٍ ومُسْتَعْدَمٍ ، وبأمرِهِ يؤتَرُ
من يؤتَرُ ويقَدَّمُ من يُقَدَّمُ ، ومثله يُتَعَلَّمُ منه ولا يُعَلَّمُ ؛ وَعَصَاهُ عَلَى الْكُلِّ مَحْمُولَةٌ
عَلَى الرُّقَابِ ، مَبْسُوطَةٌ فى الْعُقُوفِ وَالْعِقَابِ ، وَمَكَائِهِ بَيْنَ يَدَيْنَا حَيْثُ نَرَاهُ وَبِرَانَا وَلَدَيْنَا
قَابٌ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى مِنْ قَابٍ .

وعليه يتقوى الله فيها تمام الوصايا وكُلُّ الشُّرُوطِ ، والأمرِ بها فَعَصَاهُ مُحْكَمَةٌ
وأمرِهِ مَبْسُوطٌ ، وَكُلُّ مَا يُنَاطُ بِنَا : مِنْ خَاصَّةِ أُمُورِنَا فِي بَيْتِنَا - عَمَرَهُ اللهُ بِبَقَائِنَا وَزَادَ
تَعْمِيرَهُ - بِتَدْيِيرِهِ مُنَوِّطٌ .

الثالثة - وصية أمير اخور .

وقد تقدّم فى الكلام على الألفاظِ فى المَقَالَةِ السَّالِثَةِ أَنَّهُ سَرَكَبٌ مِنْ لَفْظَيْنِ :
عَرَبِيٍّ وَهُوَ أَمِيرٌ وَمَعْنَاهُ مَعْرُوفٌ ، وَأَخُورٌ فَارِسِيٌّ وَمَعْنَاهُ الْعَلَفُ ، وَالْمَعْنَى أَمِيرُ الْعَلَفِ .
وَكَانَ فى الْأَصْلِ كَانَ هُوَ الْمُتَوَلَّى لِعَلُوفَةِ الْخَيْلِ ، ثُمَّ أَرَضَعَتْ وَظِفَتُهُ حَتَّى صَارَ صَاحِبُهَا
مِنْ أَكْبَارِ الْأَشْرَاءِ الْمُقْسَدِينَ ، وَهُوَ يَتَحَدَّثُ فى الإِصْطِبَلَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ وَمَا حَوْتَهُ
مِنْ خَيْلٍ وَبِقَالٍ وَدَوَابٍّ وَجَمَالٍ وَأَتَاثٍ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ .

وهذه نسخة وصيته :

وَلْيَكُنْ عَلَى أَكْمَلِ مَا يَكُونُ مِنْ إِزَاحَةِ الْأَعْذَارِ ، وَالتَّأَهُبِ لِحُرَاكَتِنَا الشَّرِيفَةِ فى بَلَدٍ
كَأَنَّ أَوْتَارَهُ؛ مُقَدِّمًا الْأَهْمَ فَالْأَهْمَ مِنَ الْأُمُورِ ، وَالْأَبْدَأَ فَالْأَبْدَأَ مِنْ [تقديم] مَرَاكِبِنَا^(١)

(١) الزيادة من "التريف" وهى لازمة كما لا يخفى .

السعيدة وتَهَيَّئَةِ مَوَكِّنَا المنصور؛ وترتيب ذلك كله على ما جرت به العوائد، وتحصيل ما تدعو الحاجة إليه على قدر الكفاية والزوائد؛ والنظر في جميع اصطبلاتنا الشريفة، وإلحاشات السعيدة؛ وخيل البريد، والركائب المَعْتَمَدَة لقطع كل مَدَى بعيد؛ وما يجتمع في ذلك وينقسم، وما يركب منها ويُنْتَبِ بما يَسِم الأرض بالبُشُور والأهله من كل حافر ومنمٍ؛ وما هو برسم الإطلاق، وما يُعَدُّ لمالك الطباقي؛ وخيل التلاد، وما يُحْتَلَب من قود كل قبيلة من القبائل ويحى من كل بلد من البلاد؛ والمشتري مما يباع من الموارث ويُستعرض من الأسواق، وما يُعَدُّ لولاكب والسباق؛ ولِيُجَلَّ رأيَه في ترتيب ذلك كله في مراتبه على ما تقتضيه المهمات، والاحتراز في التلاد مما لعله يُبدل ويقال هو هذا أو يؤخذ بحجة أنه مات؛ وليجتهد في تحقيق ما تَفَقَّ، [وليحرره على حكم ما يتحقق عنده لا على ما أَتَفَقَّ^(١)]، وكذلك فليكن لخصه عن استخدام عنده من الغلمان، ولا يهمل أمورهم مع معاملتهم بالإحسان؛ ولا يستخدم إلا من تُشكر سيرته في أحواله، وتُعرف خبرته فيما يراد من أمثاله؛ وكذلك الركابة الذين تملك أيديهم أَعِنَّة هذه الكرائم، والصحُرُ في أمرهم ممن لعله يأوى إليهم من أرباب الجرائم والأوشاقية الذين هم مثل ممالكهم في الحقيقة إخوانه، وجماعة المباشرين الذين هم في مباشرة الإصطبلات السعيدة ديوانه؛ وكل هؤلاء يلزمهم بما يلزم أمثالهم من السلوك، ويُعَامَهُم بما يجب عليهم أن يتعلموه من خدمة الملوك؛ ولا يَسْمَح لأحد منهم في أمر يُفَضِي إلى إخلال، ولا يقتضي قَرَطَ إذلال، وثِقَم أودهم بالأدب فإن الأدب مافيه إذلال؛ وكل هؤلاء الطوائف ممن يتجنب العامة مخالطتهم لما طار في أيام من تقدم عن أمثالهم من سوء السُّمعة،

(١) في اللسان من معاني "القول الخليل" وهو المناسب هنا .

(٢) الزيادة عن "التعريف" (ص ١٠٠) وهي لازمة كما لا يخفى .

وَيُخَوِّفُ مِنْهُمْ السُّرْعَةَ ؛ فَلْيَكُنْ لِمَنْ مِنْكَ أَعْظَمُ زَاجِرٌ ، وَمَنْ شَكَّى إِلَيْكَ مِنْهُمْ فَسَارِعْ إِلَى التَّنْكِيلِ بِهِ وَابْدِرْ ؛ وَأَشْهَرُ مِنْ فَعْلِكَ بِهِمْ مَا يُوجِبُ مِنْهُمْ الطَّمَأْنِينَةَ ؛ وَلَا يَعُودُ أَحَدٌ بَعْدَهُ يَكْذِبُ يَقِينَةً ؛ وَأَمْرَاءُ أَخَوْرِيَةِ الَّذِينَ هُمْ أَتْبَاعُكَ ، وَبِهِمْ يَمْتَدُّ بِأَعْيُنِكَ ، هُمْ بِحَسَبِ مَا تَجْعَلُهُمْ بِصَدَدِهِ ، وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ يَقْدِرُ [أَنْ] يَتَعَدَّى حَدَّهُ فِي مَقَامِ قَدَمِهِ وَبَسْطِ يَدِهِ ؛ فَاجْعَلْ لِكُلِّ مِنْهُمْ مَقَامًا مَعْلُومًا ، وَشَيْئًا تَجْعَلُ لَهُ فِيهِ تَحْكِيمًا . وَتَحْتَمِينَ الْخِيُولَ الْمَشْتَرَاةَ وَالتَّقَادِمَ قَوْمَهَا بِأَهْلِ الْخَبْرَةِ تَهْوِيمَ عَدْلٍ ، وَقُلِ الْحَقُّ وَلَا يَأْخُذُكَ فِيهِ لَوْمٌ وَلَا عَدْلٌ ؛ وَمَا يُصَرَّفُ مِنَ الْعَلِيقِ بِرِسْمِ الْخِيُولِ السُّلْطَانِيَّةِ وَمَنْ لَهُ مِنْ صَدَقَاتِ الشَّرِيفَةِ عَلِيقٌ ، مُرْ بِصَرْفِهِ عِنْدَ الْأَسْتَحْقَاقِ وَأَضْيِطْهُ بِالتَّعْلِيقِ ؛ وَتَصَرَّفْ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ وَلَا تَصَرَّفْ إِلَّا تَصَرَّفَ شَفِيقٌ ، وَصُنْهُ بِأَقْلَامِ جَمَاعَةِ الدِّيَّانِ وَلَا تَنْتَقِصْ فِي غَيْرِ أَوْقَاتِ الضَّرُورَةِ بِرَفِيقٍ عَنْ رَفِيقٍ ؛ وَكَذَلِكَ الْبِرَاسِيمُ السُّلْطَانِيَّةُ أَصْلًا وَزِيَادَةً ، وَلَا تَصَرَّفْ إِلَّا مَا نَأْمُرُ بِهِ وَإِلَّا فَلَا تَخْرُجْ فِيهِ عَنِ الْعَادَةِ ؛ وَتُرْزَلُوكَ مِنْ أَمْرَاءِ الْعُرَبَانِ عَامِلُهُمْ بِالْجَمِيلِ ، وَزِدْ فِي أَخِذِ خَوَاطِرِهِمْ وَلَوْ بَسْطَ بِسَاطُ الْأَنْسِ لَمْ يَمَسَّ هُوَ قَلِيلٌ : لَتَتَضَاعَفَ رَغْبَتُهُمْ فِي كُلِّ عَامٍ ، وَلَيْسَتْ دِلُّوا بِشَاشَةٍ وَجْهَكَ لَمْ عَلَى مَا بَعْدَهُ مِنَ الْإِنْعَامِ ؛ وَفِي نَالَ الْكُؤُوسَاتِ السَّعِيدَةِ وَالْأَعْلَامِ الْمَنْصُورَةِ ، وَأَنْتَقَالَ الْخِزَانَةُ الْعَالِيَةِ الْمَعْمُورَةِ ؛ أَجْعَلْهَا مِنْ الْمَهْمَاتِ الْمَقْدَمَةِ ، وَالْمَقْدَمَاتِ لِنَتَائِجِ أَيَّامِ النُّصْرِ الْمُعْلَمَةِ ؛ وَرَتَّبْهَا فِي مَوَاقِفِهَا ، وَأَتَمَّهَا أَتَمَّ مَا يَكُونُ مِنْ وَظَائِفِهَا ؛ فَبِهَا تَنْتَبِهُ مَوَاقِفُ الْعِسْكَرِ الْمَنْصُورِ ، وَإِلَيْهَا يَأْوِي كُلُّ مُسْتَظِلٍّ وَرَحَى الْحَرْبِ تَدُورُ ؛ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ قُشَاشِ الْإِضْطِجَلَاتِ السَّعِيدَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَرِيرِ ، وَكُلِّ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ ؛ بِأَشْرِهِ مَبَاشَرَةً مِنْ لَا يَقْتَلُ ، وَاحْصِيهِ تَرْجَا وَدَخَلَا ؛ وَإِنَّا لَنَأْخُذُ بِالرَّخْصِ ، أَوْ إِهْمَالِ الْقُرْصِ ، أَوْ طَلَبِ فَائِزٍ جُرْمِ أَهْمَلَتِهِ حَتَّى نَكْصُ .

الرابعة - وصية مُقَدَّم الممالك .

وقد تقدّم في الكلام على أرباب الوظائف أنه يتحدّث في أمر الممالك السلطانية والحُكْم بينهم ، ويركّب خلقهم إذا ركب السلطان كأنه يحفظهم . والوصية هي :

وليُحَسِّن إليهم ، وليُعَلِّم أنه واحد منهم ولكنه مقدّم عليهم ، وليأخذ بقلوبهم مع إقامة المهابة التي يُحِبُّ إليهم بها أنه معهم وخلقهم وبين يديهم ، وليُزِم مقدّم كلّ طبقة بما يُلزِمه عند تقسيم صدقاتنا الجارية عليهم : من ترتيب الطّباق ، وإجراء ساقية جارية من إحساننا إليهم ولا ينس السّواق ؛ وليُكُنّ لأحوالهم متعهّدا ، ولأمورهم متفقّدا ؛ وليستلم أخبارهم حتّى لا يزال منها على بصيرة ، وليُعرف ما هم عليه بما لا يخفى عليه فإنهم وإن لم يكونوا له أهلا فإنهم جيّره ؛ وليأمر كلّا منهم ومن مقدّمهم والسّواقين لهم بما يُلزِمهم من الخدمة ، وليرتّبهم على حُكْم مكاتبتهم متا فإن تساووا فليقدّم من له قُدْمة ؛ وليعدل في كلّ تفرّقه ، وليُحسن في كلّ عرض ونفقة ، وليفرّق فيهم ما هم من الكسوى ويُسبِّل عليهم رِداء الشّققه ؛ وليُعدّ منهم لغنايا المحميّ سباعا تفرّس العاديه ، وليُجمل النظر في أمر الصّغار منهم واليكّار أصحاب الطّبقات العاليه ؛ وليأخذهم بالركوب في الأيام المعتاده ، والشّحول إلى مكان الخدمة الشريفة والخروج على العاده ، وليُدّرهم في أوقات البيا كبير والأسفار نطاقا دائر الدّهليز المنصور ، وليأمرهم أمرا عاما بأن لا يركب أحد منهم إلا بدُستور ولا يترى إلا بدُستور ، وليحتزّر عليهم من طوائف الغلمان ، ولا يستغيم منهم إلا معروفا بالخير ويُقيم عليهم الضّمان ؛ وليحرّر على من دخل عليهم وخرج ، ولا يفتح لأحد منهم إلا من علم أنه ليس في مثله حرج ؛ ولا يدع للرّيبة بينهم مجالاً للأضطراب ، وليؤوِّص مقدّمهم بتفقّد ما يَدْخُل إليهم فإن الغشّ أكثره من الدّعام والشراب ؛ وليُدّم مراجعتنا في أمرهم فإن بها يعرف الصواب ، وليعمل بما نأمره به ولا يجحد جوى في جواب .

الضرب الثانى

(مَنْ يُكْتَبُ لَهُ بِالْوِلَايَاتِ بِالدِّيارِ المِصرِيةِ أَرْبابُ الوِظائِفِ الدِّينيةِ،
وهو على طَبَقَتَيْنِ)

الطبقة الأولى

(أَصْحَابُ التَّقَالِيدِ مَنْ يُكْتَبُ لَهُ بِالْجَنَابِ العَالِىِّ)

وتشتمل على عدة وظائف

الوظيفة الأولى

(القضاء)

قد تقدّم في المقالة الثانية في الكلام على ترتيب الوظائف أن الديار المصرية كان عليها قاض واحد، إلى أن كانت الدولة الظاهرية «بيبرس» في أوائل الدولة التركية، وقاضى القضاء يومئذ القاضى تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعزّ الشافعى، فاضطرب الأمر لاختلاف المذاهب، فاقتضى رأى السلطان تقرير أربعة قضاة من كل مذهب قاض، وقرّر القاضى تاج الدين ابن بنت الأعزّ في قضاء قضاة الشافعية على حاله، وكُتِبَ لكلّ منهم تقليدٌ بذلك، ثم خُصّ قاضى القضاء الشافعية بالتولية في بلاد الريف دون غيره من القضاة الثلاثة، واستمر الأمر على ذلك إلى الآن. إلا أنه لما حدثت بديوان الإنشاء تنويع ما يُكْتَبُ لأرباب الأقاليم إلى تقاليد، في قطع الثنتين، وتقاويض، وتواقيع، في قطع النصف، فنقّر الحال على أن يُكْتَبَ للقضاة الأربعة تواقيع في قطع النصف بـ«المجلس العالى»، ولم يَزَ، الأمر على ذلك إلى أن ولّى القاضى عماد الدين أحمد الكرّكّى الأزرقى قضاء قضاة

الشافعية في أول سلطنة الظاهر « برقوق » الثانية ، وأخوه القاضي علاء الدين علي كاتب السر ، فني بأخيه عماد الدين المذكور ، فكتب له تقليدا في قطع الثنتين «الجناب العالي» . وبقي الثلاثة على ما كانوا عليه من كتابة التواقيع إلى أن ولي القاضي جمال الدين محمودا لولي القيسري المعروف بالعجمي رحمه الله قضاء الحنفية في الدولة الظاهرية أيضا ، مضافا إلى نظر الجيش ، فكتب له تقليد في قطع الثنتين بالجناب العالي أيضا ، وبقي المالكي والحنبلي على ما كانا عليه من كتابة التواقيع في قطع النصف . ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن ولي قاضي القضاة جمال الدين يوسف البساطي قضاء قضاة المالكية في الدولة الناصرية «فرج بن الظاهر برقوق» فأنشأت له تفويضا وكتبت له به ، ولم يكن أحد من عاصرناه كتب له تفويض غيره . ثم لما ولي الشيخ جمال الدين عبد الله الأقفهسي قضاء المالكية ، كتب له توقيع في قطع النصف ، إلا أنه كتب له «الجناب العالي» كما يكتب لأصحاب التقاليد ، وجرى الأمر فيمن بعده على ذلك . ولم يبق من هو على النمط الأول سوى قاضي القضاة الحنابلة ، ويوشك أن يكتب لكل من المالكي والحنبلي أيضا تقليد : لسواتهم بغيرهم من الأربعة . وقد ذكرت ما يكتب لهم من تقاليد وتواقيع هنا جمعا للفتري وتقريرا للأخذ .

وهنا أذكر ما يكتب للأربعة على الترتيب .

الأول (قضاء القضاة الشافعية)

وهذه نسخة تقليد بقضاء القضاة الشافعية ، كتب به لقاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز رحمه الله ، حين استقر أحد القضاة الأربعة بعد انفراد بالوظيفة على ما تقدم ، وهي من إنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر رحمه الله تعالى ، وهي :

الحمد لله مجرد سيف الحق على من آتدئ، وموسع مجاله لمن راح إليه وأغتدى،
وموضح طريقه لمن اقتاد وأتدئ، ومزين سمائه بججوم تستمد الأنوار من شمس
الهدى، الذى أعذب لشرعة الشريعة المحمدية ينبوعا، وأقامها أصلا مدينا
الرشد فروعا .

نحمده على نعمه التى أزمنا لتشييد مبانيها شروعا، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة تعمربها من القلوب والأفواه ربوعا . ونصل على سيدنا محمد الذى
أرسله الله إلى الخلائق جميعا، وقام بعبه الأمر يصنع حسنا ويحسن صليعا،
صل الله عليه وعلى آله صلاة لا يرح برقها ملموعا، ولا ينفك وترها بالتسليم مشفوعا .

وبعد، فإن أحق من جدد له شرف التقريض، وخلد له إرضاء الأحكام وإمضاء
التفويض، وریش جناحه وإن لم يكن المبيض، وفصح مجاله وإن كان الطويل
العريض، ورُفِع قدره على الأقدار، وتقسمت من صحابه الأنواء ومن أشعته
الأنوار، من غزير مدته فجرت منه في رياض الحق الأنهار، وغدا تخشع لتقواه القلوب
وتنصت لقوله الأسماع وتزود لحياه الأبصار، قد أوقد من إرشاده للأمة لطفًا فلفظًا،
وأوقد من علمه جذوة لا تحبو وقبسا بالهوى لا يطفى، وفات النظراء والنظار فلا يرسل
أحد معه طرفا ولا يتمد إليه من حياته طرفا، وأحتوى من علوم الشريعة على ما تفرق
في غيره، وغدا خير دليل إلى الحق فلا يقتدى في المشكلات إلا برأى أجهاده
ولا يهتدى في المذاهب إلا بسيره، وكان لفلک الشريعة المحمدية قطبا، ولجئنا
قلبا وليسوارها قلبا، ولدليلها برهانا، ولإنسانها عينا ولعينها إنسانا، فكم أرضى نبي
الأنام عن الأيام، وكم أغضى حياء مع قدرته على الانتقام، وكم أمضى الله حكما
لا انفصال لعروته ولا انفصام، وكم قضى بالخور في ماله وبالعدل في الأيتام،

فلو استعداه الليل على النهار لأنصفه من تعديه ، ولم يداجه لما ستره عليه من تعديه في دياحيه ، فهو الصادع بما أمر الله به ولو على نفسه ، والمسترد الحقوق الذاهبة من غير محابة حتى انده من يومه وليومه من أمسه .

ولما كان قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ممن هو فى أحسن هذه السمات قد تصور ، وكادت نجوم السماء بأنواره تتكثر ، وتجوهر بالعلوم فأصبح حقيقة هو التاج المجوهر ، وله مزايا السؤدد التى لا يئسك فيها ولا يرتاب ، وبجبايا الفضل التى إذا دخل [إليه] غيره من باب واحد دخل هو إليه من عدة أبواب ، وهو شجرة الأحكام ، ومصدق كل الحكم ، ومطلع أنجم شرائع الإسلام ، ومهيئ وحى المقدسات والإرتسام ، ومجتمع رفاق القضايا فى الحلال والحرام - خرج الأمر الشريف بتجديد هذا التقليد الشريف له بقضاء القضاة بالديار المصرية : فليستصحب من الحق ما هو ملى باستصحابه ، وليستمر على إقامة منار الحق الذى هو موثق عمره ومؤكده أسبابه ، وليحتلب من أخلاف الإنصاف ما حقله اجتاده ليد احتلابه ، علماً بأن كل إضاءة إنارتها من قبسه ، وإن استضاء بها فى دياحي المنى ، وكل ثمرة من مغترسه ، وإن مد إليها يد الإحينا ، وكل جذو هو من تجره وإن بسط إليه راحة الاعتراف ، وكل منبج هو من جاذبه وإن تنى إلى سلوكه عنان الانصراف لا الإنحراف ، وهو بحمد الله المجتهد المصيب ، والمادة للعناصر وإن كان نصيبه منها أوفر نصيب ، وبجباياه يتعلم منها ، كيف يوصى ويعلم ، ومزاياه تقوم الأود ، كيف تقوم ، والله الموفق بمنه وكرمه !

الثانى - قاضى قضاة الحنفية على ما استقر عليه الحال من لدن القاضى جمال الدين محمود القيسرى وإلى آخر وقت . وموضوعها النظر فى الأحكام

الشرعية على مذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه ، ويختص نظره بمصر والقاهرة خاصة .

وهذه نسخة تقليد بقضاء قضاة الحنفية كُتِبَ به لمن لَقِبَه شمس الدين، وهى :

الحمد لله الذى أطلع فى أفق الدين الحنيف شمسا مُبِينَةً ، ورفع درجة من جعله من العلم على شريعة ومن الحكم على بصيرة ، وقلد أمور الأمة لمن يعلم أن بين يديه كتاباً لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة ، ووفق لفصل القضاء من مثلى على قدم أقدم الأئمة فسار فى مذهبه المذهب أحسن سيرة ، الذى أذخر للحكم فى أيامنا الشريفة من نفائس العلاء أفضل ذخيره ، وقضى بإرجاء أمره لاختار له من تحلى به بعد العطل وكل قضاء خيره ، وأيقظ عنايتنا لمن رقد الدهر عن فضله فباتت عين الاستحقاق باستقرار رتبته قريه .

نحمده حمد من توافقت إليه النعم الغزيرة ، وتوالت عليه المنن الكثيرة فى المدد السيرة ، وأخصبت فى أيامه رياض الفضائل فهى بكل عالم عديم النظير نصيره ، وأفتح دولته برقع منار العدل فأمال أهل الظلم عن تعاطيه قاصرة وأيدى أهل الباطل عن الامتداد إليه قصيره ، وخمس المناصب فى ممالك بالأكفاء فإذا تلبست بها هم غيرهم عادت خاسئة أو امتدت إليها أبصار من دونهم رجعت خسيرة .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُصْلِحُ العلى والسريه ، وتُصْبِحُ بها القلوب موقنة والألسن ناطقة والأصابع مشيرة ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى بعث الله به الرسل محمداً وأنزل الكتب ببعثه بسيره ، وأجنتباه فى خيرات من أكرم أرومة وأشرف عسيرة ، وأظهر أنوار ملتته إلا لمن أعمى النى بصيرته وهل ينفع العمى شمس الظهيره ، وخصه بالأئمة الذين وفقهم للاستعانة بالصبر

والصلاة وإنها لكثيره، وجعل علماءهم ورثة الأنبياء فلو أديعت لأحكامهم العصمة لكانت بذلك جديره ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تنقرب بدوامها إلى الله فيضاعفها لنا أضغاثا كثيرة، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى الأمور بأن تُشاد قواعده ، وتُتمهد معاهده ؛ ويُعلّى مناره ، وتُفاض بطلوع شمسه أنواره ؛ ويُجلى به بعد العطل جيده ، ويُنظم في سلك عقود الأمة فريده ؛ وتُكَلَّ به قوئى الدين تكلّة الأجساد بقوئى الطباع الأربع ، وتُعمّر به ربوع الملة التى ليس بعدها من مصيف الملة ولا مربّع ، وتُثبت به قوائم الشرع التى ما للباطل فى إمالة بعضها من مطّمع ؛ وتُجلى به عمن ضاق عليه الحبال فى بعض المذاهب الغمّة ، ويستقرّ به عدد الحكماء على عدد الأئمة المستقرّ على عدد الخلفاء الراشدين من خلفاء الأئمة ؛ ويمتدّ به على الخلق جناح الرحمة وإفراق القوادم وإرراق الظلال ، ويجمع به عليهم مابحس الله فى أقوال أئمتهم من الحق وما ذا بعد الحق إلا الضلال ، - أمر القضاء على مذهب الإمام أبى حنيفة الثمان بن ثابت رضى الله عنه الذى أشقّ الله له من الملة الحنيفة نسبة سرّت فى الآفاق ، وأفاض عليه من مواد القياس الجلى - كنوزا تمت على الإتفاق ، وعصّد أيامه بوليّ عهد قولهما حجة فيما تفتردا به من الخلاف أو اجتمعا عليه من الوفاق ؛ وعُدّ من التابعين لقدم عهده ، وسُمى « سراج الأئمة » لإضاءة نوره بهما من بعده .

ولما خلا بانتقال مباشره إلى الله تعالى ، توقّف مئة على آرتياد الأكتفاء ، وآرتيائه من هو أهل الاصطفاء ؛ واختيار من تكلّل به رفعة قدره ، ويعيد لدنسته بتصدّره على يساط سليمان بهجة صدره ؛ ويغدو ليرامه بعد إماتة هذه الفترة باعنا ، ويصبح وإن كان واحد عصره لأبى يوسف ثانيًا ولمحمد بن الحسن ثالثًا ؛

وَيُسَبِّحُ بِهِ الْبَلَّخِيُّ زُهْدًا وَعِلْمًا ، وَالطُّحَاوِيُّ تَسْكًا بِالسُّنَّةِ وَفَهْمًا ؛ وَيُفْتَرِفُ الْقُدُورِيُّ
 مِنْ بَحْرِهِ ، وَيَعْتَرِفُ الْحَصْرِيُّ بِالْحَصْرِ عَنْ إِحْصَاءِ فَضْلِهِ وَحَصْرِهِ ؛ وَيَقِفُ مِنْ
 مَذْهَبِ ابْنِ ثَابِتٍ ، عَلَى أَثْبَتِ قَدَمٍ وَيَتِمِّي مِنْ فَهْمِ الثُّمَانِ إِلَى قَرَعِ زَالِكِ وَأَصْلِ
 ثَابِتٍ ، وَيَنْشُرُ مِنْ أَحْكَامِهِ مَا لَمْ يَافِقِ الْأَثَمَةَ فَهُوَ حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ وَحُجَّةٌ سَاطِعَةٌ ؛
 أَوْ خَالِفُهُمْ بِمَذْهَبِهِ فَهُوَ رَحْمَةٌ وَاسِعَةٌ ، وَنِعْمَةٌ [و] إِنْ كَانَتْ بَيْنَ الطَّرِيقِ فَارَقَةً فَأَنَّهَا عَلَى
 الْحَقِّ جَامِعَةٌ .

وَمَا كَانَ فَلَانٌ هُوَ الْمُتَنَظَّرُ لِهَذِهِ الرُّتْبَةِ أَنْتَظَارَ الشَّمْسِ بَعْدَ النَّسَقِ ، وَالْمُرْتَقِبَ
 لِبُلُوغِ هَذِهِ الْمُنْزَلَةِ الَّتِي تَقَلَّمَتْ إِلَيْهَا بَوَادِرُ اسْتَحْقَاقِهِ فِي السَّبْقِ ، وَالْمَعْطُوفَ عَلَى مَنْ
 وَصَفَ مِنَ الْأَثَمَةِ وَإِنْ تَأَخَّرَ عَنْ زَمَانِهِ عَطَفَ النَّسَقِ ؛ وَهُوَ الَّذِي مَادَامَ يَعْدِلُ دَمَ
 الشَّهَادَةِ مَدَادًا أَقْلَامِهِ ، وَتَضَعُ الْمَلَائِكَةُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ مِنْ نَقْلِ خَطَوَاتِهِ
 فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَسَعَى أَقْدَامِهِ ؛ وَدَخَلَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي زُمْرَةِ مَنْ حُصِرَ بِالْأَعْمَاءِ^(١) ،
 وَهَجَرَ الْمُضَاجِعَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ لِتَحْصِيلِ الْعِلْمِ فَلَوْ عُدَّتْ جَمْعَاتُهُ لَقَلَمًا ؛ وَهَجَرَ فِي إِخْرَازِ
 الْفَضَائِلِ قَفَيْدَ أَوَائِدِهَا ، وَأَحْرَزَ شَوَارِدَهَا ؛ وَبَلَغَ فِي بَحَارِ الْمَعَانِي فَنَاصَ عَلَى
 جَوَاهِرِهَا ؛ وَنَظَرَ نَظْرَةً فِي نُجُومِ الْمَعْلُومِ فَاحْتَوَى عَلَى زُهْرِهَا وَرَادَ حَمَائِلَ الْفَضَائِلِ
 فَاسْتَوَى عَلَى أَزَاهِيرِهَا ؛ وَأَتَمَّ إِلَيْهِ عِلْمُ مَنْهَجِهِ فَبَرَزَ عَلَى مَنْ سَلَفَ ، وَجَارَى عِلْمَاءَ
 عَصْرِهِ فَوَقَفَتْ أَبْصَارُهُمْ عَنْ رُؤْيَا غَيْبَارِهِ وَمَا وَقَفَ ، وَنَحَا نَحْوَ إِمَامِهِ فَلَوْ قَابَلَهُ
 يَعْقُوبُ مَعَ مَعْرِفَتِهِ فِي بَحْثٍ لَأَنْصَرَفَ ؛ وَتَعَيَّنَ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ وَإِنْ كَانَ فَرَضَ كِفَايَةٍ
 لَا فَرَضَ عَيْنٍ ، وَقَدَّمَ التَّرْجِيحَ الَّذِي جَعَلَ رُتْبَتَهُ هِمزَةً اسْتِفْهَامٍ وَرُتْبَةَ غَيْرِهِ يَنْ
 يَنْ - أَقْتَضَى رَأْيُنَا الشَّرِيفُ اخْتِصَاصَهُ بِهَذَا التَّمْيِيزِ ، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِهِ الْبَسِيطِ بِهَذَا
 الْإِلْفِظِ الْوَجِيزِ .

(١) يريد الإشارة إلى قوله تعالى : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » .

فلذلك رُسِمَ أن يفوض إليه كِت و كِت . فليتول هذه الرتبة التي أصبح فيها
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ناثبا وبشرعه قائما، ويتقلدها تقلدًا من يعلم أنه
قد أصبح على حكم الله مقدمًا وعلى الله قادمًا، ويتثبت تثبت من يعتصم بالله
في حكمه فإن أحد الخصمين قد يكون الحق بحجته وإن كان ظالمًا، ويلبس لهذا
المنصب حلة تمنع الميطل من الإقدام عليه، وتدفع الظالم عن التطاول إلى أمر تزع
الشرع من يديه، وتؤمن الحق من استداد يدي الجور والخياف إليه؛ وليسويين
الخصمين في مجلسه وحفظه، ويعيد بينهما في إنصاته ولفظه؛ ليعلم ذو الجاه أنه
ساوي في الحق لخصمه، مكفوف باستماع حجته عن الطمع في ظلمه؛ ولا ينقض
حكمًا لم يخالف نصًا ولا سنة ولا إجماعًا، وليشارك فيما لا يجهله من القضايا غيره من
العلماء ليريد بذلك مع اطلاعه اطلاعا، ولينغم في ذلك الاستعانة بأرائهم فإن الله
تعالى لا يترع هذا العلم إترابًا؛ وليست مسالك الهوى عن فكره، ويصرف دواعي
الفضب لغير الله عن المرور بذكره^(١)؛ وليجعل العمل لوجه الله نتيجة عمله، وليحكم
بما أراه الله (والله يحكم لا معقب لحكمه)؛ إن شاء الله تعالى .

الثالث - قاضي قضاة المالكية :

وهذه نسخة تقاليد قضاء قضاة المالكية ، لقاضي القضاة جمال الدين
يوسف البساطي المتقدم ذكره ، في العشر الأخير من رجب الفرد سنة أربع
وثمانمائة ، وهو :

الحمد لله الذي شفع جلال الإسلام بجماله ، وناط أحكامه الشرعية بمن أقرن
بعميد مقالته جميل فعاله ، وخص مذهب عالم المدينة بخير حاكم ما جرى حديثه

(١) الذكر والذكر أي بالضم والكسر التذكر .

الحَسَنُ يَوْمًا إِلَّا وَكَانَ مَعْدُودًا مِنْ رِجَالِهِ ، وَعَدَّقَ النَّظَرَ فِي أَحْكَامِهِ بِأَجَلٍ عَالِمٍ
لَوْ طُلِبَ لَهُ فِي الْفَضْلِ مِثْلُ لَعَجَزَ الزَّمَانُ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثَالِهِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ أَخْلَفَ مِنَ النَّبْعَةِ الزَّكِيَّةِ صِنُوعًا زَاكِيًا ، وَأَدَالَ مِنَ الْأَنْجِ الصَّالِحِ أَخَا
لِلْعُلُومِ شَافِيًا ، وَلَمَنِّصَهُ الْعِلْمِيَّ وَتَلَّهَ الْحَمْدُ وَافِيًا . وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ بِمَجْدُودِ سَيْفِ الْحَقِّ عَلَى كُلِّ مَبْطِلٍ مُعَانِدٍ ، وَمَرْهُفٍ حُدِّهِ الْقَاضِي
لِكُلِّ مُلْحِدٍ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ حَائِدٍ ، وَأَنْ سَيِّدَنَا مَعْدَا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَفْضَلُ نَبِيٍّ فَاقٍ
الْأَنْبَاءَ بِفَضْلِهِ وَعَمَّ الْبَرِيَّةَ بِعَدْلِهِ ، وَسُدَّ بَابُ التَّوْبَةِ عَلَى مَنْتَقِصِهِ فَلَمْ تَكُنْ تُقْبَلُ تَوْبَةُ
مِثْلِهِ ، وَكَانَ إِلَى مَالِكٍ مُصِيرُهُ فَلَا جَرَمَ قَضَى بِإِهْدَارِ دِمِهِ وَتَحْمَقِ قَتْلِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ ذَبُّوا عَنْ حِمَى الدِّينِ وَذَادُوا ، وَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُعْتَدِلَةِ إِذْ حَكَمُوا
فَمَا ضَلُّوا عَنْ سَنَنِ الطَّرِيقِ وَلَا حَادُوا ؛ صَلَاةٌ تَبْقَى بِبَقَاءِ الدُّهُورِ ، وَلَا تَزُولُ
بِهَيْجَةِ جَاهِلِهَا بِتَوَالِي الْأَعْوَامِ وَالشُّهُورِ ، وَسَلَامٌ تَسْلِيًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَا قَصِرَ عَلَيْهِ النَّظَرُ ، وَاسْتُغْرِقَتْ فِيهِ الْفِكْرُ وَعَرَا الْعِيُونَ فِيهِ
السَّهَرُ ، وَصُرِفَتْ إِلَيْهِ الْهِمَمُ ، وَرَغِبَتْ فِي الْبَرَاءَةِ مِنْ تَخْلُفِهِ الدِّمَمُ - النَّظَرُ فِي أَمْرِ
مَنْصِبِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ الَّذِي يَأْوِي الْمَلْهُوفَ إِلَى ظِلِّهِ ، وَيُلْجَأُ الْمُسْتَجِيرُ إِلَى عَدْلِهِ ،
وَيَتَعَلَّقُ الْعُقَاةُ بِوَيْثِيقِ عُزْوَتِهِ وَمَيِّينِ حَبْلِهِ ؛ وَبَرَهْنَتِهِ يَكْفُفُ الظَّالِمَ عَنْ ظُلْمِهِ ،
وَيَنْتَصِفُ الْخَصْمُ مِنْ خَصْمِهِ ، وَيُذْعِنُ الْعَاصِي إِلَى طَاعَتِهِ وَيَتَقَادُ الْآيُّ إِلَى
حُكْمِهِ ، وَيَأْتُمُّ بِهِ الْخَائِفُ دُبْحَى الْجَهْلِ فَيَسْتَضِيءُ بِنُورِهِ وَيَهْتَدِي بِنَجْمِهِ ؛ لَا سَمِيَّا
مَذْهَبُ مَالِكٍ الَّذِي لَمْ يَزَلْ لِلَّذِينَ مِنْ أَهْلِ الْإِلْحَادِ مُتَّيًّا ، وَلِلْقِصَاصِ مِنْ أَهْلِ الْعِنَادِ
مُسْتَبْدِرًا ، وَبَسَلُ سَيْفِ الْحَقِّ عَلَى الطُّغَاةِ الْمُتَمَرِّدِينَ مُسْتَبْتَرًا ؛ فَفَازَ مِنْ سَطَوَاتِ
الْإِرْهَابِ بِأَرْقَعِ الْمَرَاتِبِ ، وَعَلَا رِقَابَ الْمُلْحِدِينَ بِأَرْهَفِ الْقَوَاضِي ، وَخُصَّ مِنْ

سَفَكَ دِمَاءَ الْمُبْطِلِينَ عَلَى الْبَتِّ بِمَا لَمْ يَشَارِكْهُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنَ الْمَذَاهِبِ ؛ فَوَجَبَ أَنْ يُخْتَارَ لَهُ مِنْ يُنْصَحُ بِالْإِخْتِبَارِ عَلَى أَنَّهُ أَهْلٌ لِلِاخْتِيَارِ ، وَيَقْطَعُ الْمُنَافِسُ أَنَّهُ الرَّاجِحُ وَزَنَا عِنْدَ الْإِعْتِبَارِ ، وَتَأْخُذُ مَنَاقِبُهُ الْبَسِيطَةَ فِي الْبَسْطِ فَلَا تَقْدُ إِذَا تَهَدَّتْ مَنَاقِبُ غَيْرِهِ الْمَرْكَبَةُ عِنْدَ الْإِخْتِصَارِ ؛ وَيَشْهَدُ لَهُ ضِدُّهُ بِالْتَقَدُّمِ فِي الْفَضْلِ وَإِنْ لَمْ تَقْدَمْ مِنْهُ دَعْوَى ، وَيَعْتَرِفُ لَهُ بِالِاسْتِحْقَاقِ خَصْمُهُ فَيَتَمَسَّكُ مِنْ عَدَمِ الدَّافِعِ فِيهِ بِالسَّبَبِ الْأَقْوَى ، وَيَحْكُمُ لَهُ بَعْلُو الرُّبُوبَةِ مُنَاوَنُهُ فَيَرْتَفِعُ الْخِلَافُ وَتَقْطَعُ النُّجُوى ، وَيَسْجَلُ لَهُ حَاسِدُهُ بِثُبُوتِ الْمَفَاحِرِ الْمَحْكُومِ بِصِحَّتِهَا فَلَا يَنْقُضُهَا حَاكِمٌ وَإِنْ بَلَغَ مِنْ تَدْقِيقِ النَّظَرِ الْغَايَةَ الْقَضَوِيَّ ؛ وَتَنْفُذِ أَحْكَامِهِ فِي الْبَرِيَّةِ فَلَا يُوْجَدُ لَهَا مُخَالِفٌ ، وَتَحْدَرُ شَيْعَةُ الْبَاطِلِ سَطَوَتُهُ فَلَا يَرَى لِابْطِلِ مُخَالَفٍ ، وَيَشْتَهَرُ عَنْهُ مِنْ نُصْرَةِ الْحَقِّ مَا يَأْمَنُ مِنْهُ الْمُسْتَضْعَفُ الْخُلَافِ ، وَيَتَحَقَّقُ فِيهِ مِنْ قِيَامِ الْعَدْلِ مَا يَرْتَدِعُ بِهِ الظَّالِمُ الْخَافِ ؛ وَيَسْتَوِي عِنْدَهُ فِي لَزُومِ الْحَقِّ الْقَوَى وَالضَّعِيفُ ؛ وَلَا يُفَرِّقُ فِي لَازِمِهِ بَيْنَ الْمَشْرُوفِ وَالشَّرِيفِ ؛ وَلَا يُمَيِّزُ فِي حَمْلِ الْأَعْبَاءِ الشَّرْعِيَّةِ بَيْنَ الشَّاقِّ وَغَيْرِهِ وَلَا بَيْنَ الثَّقِيلِ وَالْخَفِيفِ ؛ وَلَا يُجَاهِي قَرِيبًا لِقَرَابَتِهِ ، وَلَا جَلِيلًا لْجَلَالَتِهِ ، وَلَا ظَالِمًا خَوْفَ ظَلَمِهِ وَلَاذَا أَسْتَطَالَةٍ لْأَسْتَطَالَتِهِ ، وَلَا يَسْتَرْهُ ذُولَسَنٍ لِّلْسَنَةِ وَلَا بَلِغٌ لِّبَلَغَتِهِ ، وَلَا يُخَالَفُ بَيْنَ الصَّدِيقِ الْمَلَاطِيفِ وَغَيْرِهِ إِلَّا فِي مَنَعِ قَبُولِ شَهَادَتِهِ .

وَمَا كَانَ الْمَجْلِسُ الْعَالِي الْقَاضِيَّ ، الْكَبِيرِي ، الْإِمَامِي ، الْعَالِي ، الصَّدْرِي ، الرَّئِيسِي ، الْأَوْحَدِي ، الْعَلَامِي ، الْكَامِلِي ، الْفَاضِلِي ، الْمُفِيدِي ، الْقَرِيدِي ، الْحُجِّي ، الْقُدُوي ، الْخَاشِعِي النَّاسِكِي ، الْحَاكِمِي ، الْجَمَالِي ؛ جَمَالُ الْإِسْلَامِ ، شَرَفُ الْأُمَمِ ، حَاكِمُ الْحُكَّامِ ، أَوْحَدُ الْأَيْمَةِ ، مُفِيدُ الْأُمَمَةِ ، مُؤَيِّدُ الْمَلِكَةِ ، مُعِزُّ السَّنَةِ ، شَمْسُ الشَّرِيعَةِ . سَيْفُ الْمَنَاطِرِينَ ، لِسَانُ الْمُتَكَلِّمِينَ ، حَكَمُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، خَالِصَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،

أبو المحاسن «يوسف البساطي» المالكي - أدام الله تعالى نعمته - هو المراد من هذه الصفات، التي وقعت من محله الكريم موقعها، والمقصود من هذه السمات، التي ألفت من سيرته الفاضلة موضعها؛ وقارع صفة هذه الذروة التي ما كان ينبغي لغيره أن يقرعها؛ وشمس الفضل الحقيقي بمثلها أن لا يتوارى بجمالها بحجاب الغروب، وفاصل مشكلات القضايا إذا اشتد إشكالها وعظمت في فصلها الخطوب، ومتعين الولاية التي إذا كانت في حق غيره على الإباحة كانت في حقه على الوجوب؛ وقد درّب الأحكام وخبرها، وعرف على التحقيق حالها وخبرها، وورد من مشاربها الرائقة أصنى المناهل فاحسن ورضاها وصدرها؛ ونفست جواهر فوائده ففاقت جواهر المعادن، وغطت محاسن فضله فضائل غيره ولا تشكر المحاسن لـ «يوسف» وهو «أبو المحاسن»، فعلموه المدونة بالبيان والتحصيل كإفله، وتقدمت شهبائه بنتائج النواذر الحسنة متواصلة؛ وتهذب ألفاظه المنقحة تؤذن بالتحريز، وعبون مسائله المتواردة لا تدخل تحت حصر ولا تقدير؛ فلوراه «مالك» لقال: ما أعظم هذه الهمة، وأدركه «أبى القاسم» لوفر من البناء عليه قسمه، أو عاصره «أبى عبد الحكم» لحكم له بأن سهمه قد أصاب الغرض وغيره أطاش الريح سهمه؛ أو عاينه «أشهب» لقال قد ركب هذا الشهباء أثى يلحق، أو سمع «أبى وهب» كلامه لقطع بأنه هبة ربانية وبمثل لم يسبق؛ أو بلغ «أبى حبيب» خبره لأحب لقاء، أو بصربه «مُحَنون» لتحقق أنه عالم المنهّب ما وراءه؛ أو استشعر بقدمه «أبى سيرين» لبشره، أو جاوره «أبى عوف» لعاف مجاورة غيره أو مجاوزة طنبه؛ أو جالسه «أبى يونس» لتأس بحالسته، أو حاضره «أبو الحسين بن القصار» لأشجى قلبه بحسن محاضرتيه؛ أو جاره «القاضي عبد الوهاب» لقضى بملوك مكانته، أو اتصل ذكره «بالمازري» لزرى على «مازور» لبئها عن دار إقامته؛ أو أطلع

«القاضي عياض» على تحقيقاته لاستحسن تلك المدارك، وأناطه «أبن عبد السلام»
 لسم أنه ليس له في المناظرة نظير ولا في تدقيق البحث مشارك؛ أو مر به
 «أبن الجلاب» جلب فوائده إلى بلاده، أو حضره «أبن الحاجب» لتحقيق أنه
 جامع الأموات على أقراده .

هذا وقد حُفَّ بجلال لا عهد لأحد بمثله ، ولا طاقة لفاضل بمقاومة فضله ،
 ولا يَسْمَحُ الزمان بنظيره من بعده كما لم يَسْمَحْ به من قبله ؛ فاجتمع من بحال الجلال ،
 وجلال الجلال ، ما لم يكن ليدخل تحت الإمكان ، وعُزِّزَ عدُّهُما من أعلام الأئمة
 بثالثٍ ورابعٍ فقام بناءُ الدين من المذاهب الأربعة على أربعة أركان ؛ ولا عبرة
 بما يذهب إليه الذاهبون من كراهة التربع تبعاً للنَّجَّين في اعتقادهم الفاسد ، فقد
 ورد أن زوايا الخوض على التربع وذلك فيه أعظم دليل وأقوم شاهد .

وكان مذهب مالك رحمه الله هو المراد من هذه الولاية بالتخصيص ،
 والمجلس الجمالي المشار إليه هو المقصود بهذا التنبؤ بالتخصيص - أقضى حسنُ
 الرأي الشريف أن نُوفِّيَ مرتبته السنية حقها ، ونُبَوِّئَ النعم مستحقها ، ونملك رقابَ
 المال مسترقها ، ونقدّم على طائفة المالكية من أخى لهم بحالاً ، ونُخَفِّهَمَ بمن
 أسى لِعِزِّهِمَ كالأ ، ونفوض قضاء مذهبهم إلى من إذا جرى في ميدان حكمه قالت
 محاسن قضايه : (هكذا هكذا وإلا فلألا) . ونُسِنَدَ الأحكام الشرعية إلى من هو
 بها أعرف ، ونَقِفْهَا على من عُرِفَ أنه على الحقائق ماضٍ وعند السنة يتوقف ،
 ونُعِدِّقَ أمرها بمن أَلِفَ التزاهة فنكرة المطامع عنده لا تتعرف ؛ وبكل النظر فيما
 إلى من أسى لشروط الاستيجاب جامعاً ، ونُقَدِّمَ في ولاية هذا المنصب من شفع
 له استحقاقه وكفى بالاستحقاق شافِعاً .

فلذلك رُسِمَ بالأمر الشريف - لازال يَبْسُطُ لأوليائه من بساط الأُنس ما كان مَطْوِيًّا ، وَيُنِيلُهُم من رَغَائِبِ الآمَلِ ما كان عَنْهُمْ في سَالِفِ الْأَزْمَانِ مَرْوِيًّا -
 أَنْ يُفَوِّضَ إِلَيْهِ قَضَاءُ قُضَاةِ مَذْهَبِ عَالَمِ الْمَدِينَةِ ، وَإِمَامِ دَارِ الْحِجْرَةِ ، مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ الْأَصْبَحِيِّ : قَدَّسَ اللَّهُ تَعَالَى رُوحَهُ . فَلْيَتَلَقَّ مَا فُؤُوزَ إِلَيْهِ بِأَفْضَلِ تَلَقٍّ يَلِيقُ بِمِثْلِهِ ،
 وَيَتَقَبَّلَهُ تَقَبُّلاً يَنْسَبُ رِفْعَةً مَحَلَّهُ ، وَيَلْتَمَحُّ بِأَجَلٍ تَفْوِيضَ لَمْ يُسَمَحْ بِتَمْنِيهِ لِآخِرِ
 مِنْ قَبْلِهِ .

وَمِنْ أَمَمٍ مَا نُوصِيهِ بِهِ ، وَنُوجِّهُ الْقَوْلَ إِلَيْهِ بِسَيِّدِهِ ، تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي هِيَ مِلَاكُ
 الْأَمْرِ كُلِّهِ ، وَقِيَامُ الدِّينِ مِنْ أَصْلِهِ ، وَالْإِسْتِمَالُ عَلَيْهَا فِي سِرِّهِ وَجْهِهِ وَالْعَمَلُ بِهَا
 فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ ، ثُمَّ يَرُ الْخَلْقَ وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِمْ ، وَالتَّجَاوُزُ عَنْهُمْ إِلَّا فِيمَا أَوْجِبَهُ الشَّرْعُ
 مِنَ الْحَقُوقِ عَلَيْهِمْ ، فَقِي التَّقْوَى رِضَا اللَّهِ وَفِي الْبِرِّ رِضَا الْخَلْقِ وَنَاهِيكَ بِجَمْعِهِمَا
 مِنْ رُتْبَةٍ فَانْهَرِ ، إِذْ لَا بُدَّ أَنْ تَنْ حَصَلَ رِضَا اللَّهِ وَرِضَا الْخَلْقِ فَقَدْ حَصَلَ عَلَى
 خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ قَاعِدَةٌ فِي الْوَصَايَا جَامِعَةٌ ، وَتَذَكُّرَةٌ لِلذُّوَى الذَّكْرَى
 نَافِعَةٌ ، وَهِيَ أَنْ يَتَأَمَّلَ أَحْوَالَ غَيْرِهِ تَأَمُّلَ مَنْ جَعَلَهَا لِنَفْسِهِ مِثَالًا ، وَلِنَسْجَةِ مِثْوَالًا ؛
 فَلَا اسْتَحْسَنَهُ مِنْهَا أَتَى مِثْلَهُ ، وَمَا اسْتَقْبَحَهُ تَجَنَّبَ فِعْلَهُ ؛ وَاقْفَا فِي ذَلِكَ عِنْدَ
 مَا وَرَدَتْ بِهِ . لِشَرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ بِنَصِّ صَرِيحٍ أَوْ تَأْوِيلٍ صَحِيحٍ ، مُعْرِضًا عَنِ الْعَقْلِيَّاتِ
 الْمُحْضَةِ فَلَا مَجَالَ لِلْعَقْلِ فِي تَحْسِينٍ وَلَا تَقْصِيحٍ .

وَأَمَّا آدَبُ الْقَضَاءِ الْجَارِي ذِكْرُ مِثْلِهِ فِي الْمُهْودِ ، وَالنَّظَرُ فِي أَمْرِ الثُّوَابِ وَكُتَابِ
 الْحُكْمِ وَالشُّهُودِ ؛ فَهُوَ بِهِ أَدْرَبُ وَأَدْرَى ، وَبِعَرَفَةِ ذَلِكَ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ أَجَقُّ وَأَحْرَى ؛
 غَيْرَ أَنَّا نُوصِيهِ بِالنَّثَبِ فِي أَمْرِ الدِّمَاءِ وَعَلَاقَتِهَا ، وَتَحَقُّقِ حُكْمِهَا قَبْلَ الْحُكْمِ بِإِرَائَتِهَا ؛
 فَإِنَّ ذَلِكَ لِمَا دَاغَ الْفَلَقُ فِيهَا أَحْسَمَ ، وَمَنْ تَبَاعَثَا فِي الدَّارَيْنِ أَسْلَمَ ، وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ

ولكنها منه تُستفاد، وعنه تُوخذُ وإليه تُعاد؛ والله تعالى يتولاه، ويحوطه فيها ولّاه، ويديم عليه هذه النعمة فما فوق منصبه منصبٌ يتمّاه ؛ والاغتادُ ... (١) ... إن شاء الله تعالى .

وكتبُ لستُ إن بقيتُ من شهر رجب الفردِ عام أربع وثمانمائة، حسب المرسوم الشريف، بمقتضى الخط الشريف .



وهذه نسخة توقيع بقضاء القضاة الحنفية بدمشق، من إنشاء القاضي ناصر الدين ابن النشائي، وهي :

الحمد لله الذى جعل منارَ الشرع الشريف مستعرا على الدوام، وتمثلَ منصب الحكم العزيز للعالم بعد العالم على ممرّ الأيام؛ وأجملَ انتخاب من يقوم بأعباء القضايا، ومن تدوم به مزايا السجيا، فيتخير لذلك الإمام بعد الإمام؛ وأقبل بوجهه آجنتائه على ولىّ نتأكد بإنصائه وإنصافه إحكام الأحكام، وعدل بأعتنائه إلى تعيين من ترتفع به فى العلوم أعلام الإعلام، ومن يتأيد به الحق فى كل تقض وإبرام .

نحمده على نعمه الوافرة الأقسام، السافرة [النسام] عن وجوه الزيادة الوسام، ونشكره على منته الحسام، ومواهبه التى لا تَبْرَحُ نُغورُ إحسانها لنوى الاستحقاق واضحة الأيتسام .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة كفيلة بالمرام، مُنيلة للإكرام، جميلة التلفظ والإيتام، جزيلة الكنف والإعتصام؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أقام الله به شعائر الإسلام، وأظهر شرائع الدين الحنيف بحسام نصره الحسام،

(١) أى لا أتر ما يكتب فى مثله، وحذف من باب الاختصار .

وأورث من أهله من أمته كنوز العلوم التي لا تسد فونئها مع كثرة الإنفاق مدى
السنين والأعوام، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هدوا المؤمنين بإلهام الكلام،
وعادوا على المشركين بيهام الكلام، وأبدوا من إرشادهم إلى خفايا القضايا ما يظهر
بتهديهم ظهور بذر النمام، صلاة دائمة باقية تجزل لقائلها الأبر التام، وترسل إليه
مخائب المواهب هاطلة الغمام، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من تذهب به مذهبه، وتحل به محل الشرع الشريف ومنصبه،
وأثار بنور إرشاده ليل الشك وغيبه، وسهل بتقريبه على فهم الطالب مطاؤه، وهى
به وإيل العلم وضيئه، وأتيح به استيفيد كثر الفوائد التي يدنو بها أربه، وشيم من
برق شيمه بالشام ما وجد في الجود صادق وقصد خله - من علا في العلوم نسبته،
وتأكد في الدين سببه، وشيد مبنى المعالي معربه، وصقل مرآيا الأنعام مهديه،
وزاحم منكب الجوزاء في ارتفاع القدر منكبه، وجمل مواكب المباحث في الأصول
والفروع موكبه، وصحت بدقائق الحقائق محبه، وأشتاق إلى قربه موطن الحكم
العزير فما زال يرتقبه، وأرتاح الزمان إلى عفافه وإنصافه فأرشد حيث تختاره
لذلك وننتخبه .

(١) أيد الله أحكامه هو الذى أرشد الطالبين
في البدايه ، وأفاد المتبين درجات النهايه ، وأفهم المستفدين صواب الهدايه ،
وغدا سابقا [في حلبة العلماء إلى أنهي غايه . كم قرب إلى الأذهان ذامض المشكل
وأوضح مفهومه ، وكم أشاع فرائد فوائده التي طبقت الأرض بها علومه ، وكم أباح لقط
ألفاظه المشحونه بالحكم فتحلى الناس بذررها المشررة والمنظومه ، مع ماله من دين

(١) ياضر بالأصل متركة لشككة الألفاظ المعلومة كالأمير الكبير الخ .

(٢) في المصباح ما نه : "والبداية بالياه مكان الهزعاى نص عليه ابن برى وجماعة" .

متين ، وأسحقاق للتقدم مبين ، وصلاحي بلغ به درجَاتِ المتقين المرتقين ، وأتباع
لسُننِ الحق في الحُكم بين الخلق عن يقين - أقتضى حُسنُ الرأى الشريف أن يُقرن
منصبُ القضاء بحاله ، وأن يُعَوّض عن إمامه المفقود بإمامه الموجود ليستمر
الأمر على حاله .

فلذلك رُسم ... - لا زالت أئمةُ العلم الشريف في أيامه يخلف بعضهم بعضاً ،
وأفادتهم تدوم رفعها مدى المد فلا تجد تقصاً ولا نقصاً - أن يُعَوّض ...
فليأشِرْ ذلك بعلمه المأثور، وحُكمه المشهور؛ وإنصافه الذي يعدل فيه ، وإنصافه
بالحق الذي ما يرح يوفيه ؛ قاضياً بين الخصوم بما أمر الله عز وجل ، مراقباً
لنخبة الله على عادته ، مديباً للآلة الحنبليّة أنواع إفادته ؛ قاطعاً بنصل نصه مُشكلاً
الإلباس ، جامعاً في أحكامه المستندة بمقتضى ملّعه بين الكتاب والسنة والقياس .
والوصايا كثيرة وملاكها التقوى وهي مآذنه ، وطريقه المستقيم وجائته ؛ وما زالت
عمدته التي يعتمد عليها ، وعدته التي يستند في إسناد أمره إليها ؛ والله تعالى يجل
الأيام بأحكامه ، ويبلغه من خير الدنيا والآخرة غاية مُرادِه ومُرامِه ؛ إن شاء الله
تعالى .



وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة المالكية أيضاً، أنشأته لقاضي القضاة جمال الدين
البساطي المذكور عند عودِه إلى الوظيفة، لأربع يقين من ذى القعدة سنة
سبع وثمانائة . وقد وافق عودُه عودَ شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن البقيني
إلى قضاء قضاة الشافعية أيضاً ، وهي :

الحمد لله الذى أعاد لرتبة القضاء رونق « جمالها » وأسعد جدها بأسعد قرآن
ظهرت آثارُ بُيِّنِهِ بما آثرته من ظهور « جلالها » ، وأجاب سُؤْلِها بأجل حاكم
لم تعدل عنه يوما فى سُؤالها ، وأسعد طليتها بأكل كُفٍّ لم تنفك عن خطبته وإن
أطال فى مطالها ، وأكرم مآبها بأكرم كافي ما فاتها منال ماض إلا أدركته به
فى مآلها .

نحمده على أن أعطيت القوس باربها ، وأعيدت مياه الاستحقاق إلى تجارها ،
ورُدَّتِ الشاردة إلى مالك ألفت منه بالآخرة مألِفَت من خيره فى مباديها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يَحْفَظُ بالإخلاص متأطفاً ،
ويزدادُ مع طول الأمد تأساطها ، ولا ينطوى على مَمَرِ الأيام - إن شاء الله تعالى -
بساطها . ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أفضل نبي رَفَعَ قواعد الدين وشاد ،
وقام فى الله حق القيام فحسم بسيف الشرع مائة الفساد ، وأحكم بسدِّ الدرائع
سداد الأمور بغوت أحكام شريعته المطهرة على السداد ؛ صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه الذين استنشق من معدنهم أطيب عَرَف ، وخصوا من صفات الكمال بأحسن
حلية وأكل وصف ؛ صلاة توهي عُرا الإلهاد ، وتقصيها ، وتبك أعناق أهل
النَّاد ، وتقصيها ، وسلم تسلياً كثيراً .

وبعد ، فلاخفاء فى أن الأبصار تنشوف لرؤية الهلال مع قرب الغيبة للأخذ منه
بنصيبها ، والشمس يُرَقَّب طلوعها فى كل يوم وإن قرب زمان مغيبتها ، والمسافر
يُسْرِّياها وإن تكرر قدومه من بعيد المسافة وقربها ، والسهرة يتطلع من ليلته
الطويلة إلى طلوع فجرها ، والمتأصب السنية تارز إلى مستحقها كما تارز الحية
إلى جحرها .

ولما كان المجلس العالى، القاضى، (إلى آخر ألقابه) أعز الله تعالى أحكامه هو الذى حُمدت فى القضاء آثاره، وسارت بحسن السيرة فى الآفاق أخباره، وحسن بحسن تأتية فى الورد والصدور إرادته وإصداره، وتنافس فى جميل وصفه الطرس والقلم، وظهرت فضائله (ظهور نار القرى ليلاً على علم)، ونشرت الأيام من علومه ما تطول إلى المراحل، وجادت مواطر فكره بما يُحصب به جناب المريع الساحل، وعمرت من منصب القضاء بولايته معاهدته، وجرت بقضايا الخير فى البدء والعود عوايده، ونفذت بنفاد أوامره فى الوجود أحكامه، ورُقم فى صحائف الأيام على توالى الدهور نقضه وإبرامه، وبُجل بنبوت أحقيته فانقطعت دون بلوغ شأوه الأطماع، وحُكم بموجب فضله فانهقد على حجة تقدمه الإجماع، ففرائد فوائده المندونة تؤذن بالبيان والتحصيل، ومُقدّمات تنبيهاته المحققة، تكفى نتائج إفصالها عن الإجمال والتفصيل، وجواهر أفاضله الرائقة، نعم الذخيرة التى تُغنى، ومدارك معانيه الفاتقة، حُسبك من ثمرة فكر تُجنى، وتهذيب إراداته الواضحة تُغنى فى إدراكها عن الوسائل، وتحقيق مسائله الدقيقة مُحقق فيها أنها عيون المسائل - وكانت وظيفة قضاء قضاة المالكية بالديار المصرية فى رفيع رتبها، ووافر حرمتها، قد ألقت إليه مقاليدها، ورفضت بالانتماء إلى مجلسه العالى أسانيدها، وعمرت محله الرفيع فخلعت منه بأعز مثال، وحظيت بجماله اليوسفى المرة بعد الأخرى فقالت: لا برّاح لى عن هذا الجمال، وعجمت بتكرّر العود عوده فأعرضت عن السوى، وقررت بالإياب إليه عيتاً «فألقت عصاها وأستقر بها النوى» - آقتضى حسن الرأى الشريف أن يُعيد الوظيفة المذكورة إليه، وتقول فى استكشاف مشكلات الأحكام على ما لديه، إقراراً للأمر فى نصابه، وردّاله بعد الشرد إلى مثابه، وإسعافاً للنصب بطلّيته وإن أتعّب غيره نفسه فى طلايه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال يُبدئ المعروف ويُعيدُه ، ويُوفّر نصيب الأولياء ويُزِيدُه - أن يفوض إلى المجلس العالى المشار إليه قضاء القضاة بمنزب عالم المدينة وإمام دار الهجرة «مالك بن أنس الأصبحي» رضى الله عنه، على إدارى عادته المتقدمة فى ذلك . وأن يُضاف إليه تدرّيس قبة الصالح والأنظارُ الشاهد بها توقيعهُ الشريف ، وأن لا يقرّر أحدٌ فى دروس المالكية من مدرّس ومُعيد إلا بتعيينه ، على أتم الموائد وأجملها ، وأعمّ القواعد وأكملها .

فليُبدأ إلى ربّته السنية برفع قدره وعلى همته ، ويقابل إحساننا بالشكر نُفَحِّفه بمزيد الإقبال إذ لا زيادة فى العلو على ربّته . ثم أول ما نُوصيه به ، وتؤكد القول عليه بسببه ، تقوى الله التى هى ملك الأمور كلّها ، وأولى المقرّضات فى عقد الأمور وحلّها ، فهى العِصْمة التى من لحا إليها نجاح ، والوقاية التى ليس لمن حاد عنها من لحاق قوّارِع الله مُلتجأ . ونُبيحُ ذلك بالتلويح إلى الاحتياط فى المسائل التى تفرد بها مذهبهُ الشريف ضيقاً وسعة ، واختصّ بها إمامهُ الأصبحي دون غيره من الأئمة الأربعة ، وهى مسائلٌ قليلة ، آثارها فى الورى كثيرةٌ جليّة ، منها سفكُ دم المتقيّ والسبّ ، وتحمُّ قتلهِ على البتّ وإن تاب ؛ فعليه أن يأخذ فى ذلك بالاهتمام ، ولا يُعطى رخصة فى حقّ أحدٍ من الأنبياء والملائكة عليهم السلام ، ليكون ذلك وسيلة إلى الخلوّص عن القذئ ، وذريعة إلى سلامة الشرف الرفيع من الأدنى ؛ إلا أنا نُوصيه بالتثبت فى الثبوت ، وأن لا يجعل بالحكم بباراقة الدم فإنه لا يمكنُ تداركهُ بعد أن يفوت . ومنها : الشهادة على الخطّ وإحياء مامات من كُتِب الأوقاف والأملّك ، وتقريبُ ماشطٍ فلا يقبل فيه إلا اليقظُ الواقف مع تحقّقه دونَ حَسَنه ، ولا يطابق عنان الشهود فإنّ الكاتب ربما اشتبه عليه خطُّ

نَفْسِه - ومنها : ثُبُوتُ الولاية للأوصياء ، فيُجْرِيها على اعتقاده ، ولكن إذا ظهرت المصلحة في ذلك على وفق مُرادِه - ومنها : إسقاطُ غَلَّةِ الوقف إذا اسْتُرِدَّ بعد بيعه مدةً بقائه في يد المشتري ، تحذيراً من الإقدام على بيع الوقف وعقوبة رادعة لبائعه المجترى . إلى غير ذلك من مسائل الأفراد ، وما شاركه فيه غيره من المذاهب لموافقة الاعتقاد ، فيُمِضِي الحكم فيه بأقوى العزائم ، ويُكْرِم فيها بما استبان له من الحق ولا تأخذه في الله لومة لائم .

وأما غير ذلك من الوصايا الراجعة إلى أدب القضاء فلديه منها الخبر والخبر ، ومنه تُستَمَلَى فوصيته بها كقتل الثمر إلى حجر ، والله تعالى يعامله بلطفه الجميل ، ويحفه بالعباية الشاملة في المقام والرحيل ؛ إن شاء الله تعالى ؛ والاعتماد



وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة الحنابلة ، وهى :

الحمد لله الذى أطلع فى أفق الدين القيم^(١) شمساً منيره ، ورفع درجة من جملة من العلم على شريعة ومن الحكم على بصيره ، وقلد أمور الأمة بمن يعلم أن بين يديه كتاباً لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة ، ووفق لفصل القضاء من مشى على قدم إمامه الذى أذخر منه للحكم فى أيامنا الشريفة من تفانى العلماء أفضل ذخيره ، وقضى بإرجاء أمره لاختار له من تحلى به بعد العطل وكل قضاء خيره ، وأيقظ عايتنا لمن رقد الدهر عن فضله فباتت عين الاستحقاق باستقرار رتبته قريره .

نحمده حمد من توافت إليه النعم الغزيرة ، وتوالت عليه المِنَّة الكثيرة فى البُعد اليسير ، وأخصبت فى أيامه رياض الفضائل فهى بكل عالم عليم النظم نَصيره ،

(١) تقدمت فى تقليد حنفى بأطول من هذا ويصح تنقيح .

وأفتح دولته برفع منار العدل فأمال أهل الظلم عن تعاطيه قاصرةً وأبدى أهل الباطل عن الامتداد إليه قصيره ، وخَصَّ المناصب في ممالكه بالأكفاء فإذا تلبَّست بها همٌ غيرهم عادت خاسئةً أو امتدت إليها أبصارٌ من دُونهم رجعت حسيره .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُصلحُ العَلَنَ والسُّرُورَ ، وتُصِّحُ بها القلوبُ موقنةً والألسُنُ ناطقةً والأصابعُ مُشيرَه . ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى بعث الله به الرسلَ خيرةً وأنزل الكتبَ بمبعثه بشيره ، وأجابه في خير أئمةٍ من أكرم أرومةٍ وأشرف عَشيره ، وأظهر أنوارِ ملته إلا لمن أعمى النُّيُ بصرته وهل تنفع العمى شمسُ الظَّهيره ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاةٌ تتقربُ بدوامها إلى الله فيضاعفها لنا أضعافاً كثيرة ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى الأمور بأن تُشاد قواعده ، وتُعهد معاهدُه ؛ ويُعلَى مناره ، وتُفاض بطلوع شمسِه أنواره ؛ وتُكَلَّلَ به قُوى الدين تكلمة الأجساد بقُوى الطباع الأربع ، وتُعمَّرَ به ربوعُ الملة التى ليس بعدها من مصيفِ لَمْلَمَةٍ ولا مَرِيع ، وتُثَبَّتَ به قوائمُ الشرع التى ما للباطل فى إمالةِ بعضها من مطمع ، أمرُ القضاء على مذهب الإمام الرِّافِئِ « أحمد بن حنبل » رضى الله عنه ، وكان قد خلا بانتقال مباشره إلى الله تعالى ، وتوقف مدة على آرتياد الأكفاء ، والإرشاد إلى من هو أهل الاصطفاء ؛ واختيار من تكمل به رفعة قدره ، ويُعيد لدستِهِ على إساطِ سُلَيْمانِهِ بهجةً صدره .

ولما كان فلانٌ هو المنتظر لهذه الرتبة آتظار الشمس بعد الفسق ، والمرقب لبُلوغ هذه المنزلة التى تقدمت إليها بؤادر استحقاقه فى السَّبق ، والمعطوف على الأئمة من أصحاب إمامه - وإن تأخر زمانه - عطف النَّسَق ؛ وهو الذى ما زال

يَعْدِلُ دَمَ الشَّهَدَاءِ مِدَادُ أَقْلَامِهِ ، وَتَضَعُ الْمَلَائِكَةُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ مِنْ تَقْلِ
خُطُواتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَسَعَى أَقْدَامِهِ ، وَدَخَلَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي زُمرَةٍ مِنْ
حُصَرِ بِلَاقِمَا ، وَهَجَرَ الْمُضَاجِعَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ لِتَحْصِيلِ الْعِلْمِ فَلَوْ عُدَّتْ جَمَعَاتُهُ لَقَلَّمَا ؛
وَهَجَرَ فِي إِحْرَازِ الْفَضَائِلِ قَفَيْدَ أَوَائِدِهَا ، وَأَحْرَزَ شَوَارِدَهَا ؛ وَلَجَّ فِي بِحَارِ الْمَعَانِي
فَنَاصَ عَلَى جَوَاهِرِهَا ، وَنَظَرَ نَظْرَةً فِي نُجُومِ الْعُلُومِ فَاحْتَوَى عَلَى زُهرِهَا وَزَارَ نَحَائِلَ
الْفَضَائِلِ [فَاستوى] عَلَى أَزَاهِرِهَا ؛ وَاتَّهَى إِلَيْهِ عِلْمُ مَذْهَبِهِ فَبَرَّزَ عَلَى مَنْ سَلَفَ ،
وَجَارَى عِلْمَاءَ عَصْرِهِ فَوْقَتْ أَبْصَارَهُمْ عَنْ رُؤْيَةِ غُبَارِهِ وَمَا وَقَفَ ؛ وَتَعَيَّنَ عَلَيْهِ
اِقْتِضَاءُ وَإِنْ كَانَ فَرَضُ كِفَايَةٍ لَا فَرَضَ عَيْنَ ، وَقَدَّمَهُ التَّرْجِيحُ الَّذِي جَعَلَ رَبَّتَهُ هِمَّةَ
اِسْتِفْهَامٍ وَرُبْنَةً غَيْرَهُ بَيْنَ يَنْ - اِقْتَضَى رَأْيُنَا الشَّرِيفَ اِخْتِصَاصَهُ بِهَذَا التَّمْيِيزِ ،
وَالْتَنِيَّةَ عَلَى فَضْلِهِ الْبَسِيطِ بِهَذَا اللَّفْظِ الْوَجِيزِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ . فَلْيَتَوَلَّ هَذِهِ الرُّبَّةَ الَّتِي أَصْبَحَ فِيهَا
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَائِبًا وَبَشْرَةً قَائِمًا ، وَيَتَقَلَّدُهَا تَقَلُّدًا مِنْ يَعْلَمُ
أَنَّهُ قَدْ أَصْبَحَ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى مُقَدِّمًا وَعَلَى اللَّهِ قَادِمًا ، وَيَتَبَيَّنُ تَبَيُّنٌ مِنْ يَعْنِيهِمْ
بِحُكْمِ اللَّهِ فِي حُكْمِهِ فَإِنْ أَحَدَ الْخَصْمَيْنِ قَدْ يَكُونُ الْحَقُّ بِحُجَّتِهِ وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا ،
وَيَلْبَسُ لِهَذَا الْمُنَاصِبِ حُلَّةً تَمْنَعُ الْمُبْطِلَ مِنَ الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ ، وَتُدْفَعُ الظَّالِمَ عَنْ التَّطَاوُلِ
لِلْحَقِّ أَمْرٍ نَزَعَهُ الشَّرْعُ الشَّرِيفُ مِنْ يَدَيْهِ ، وَيُؤَمِّنُ الْحَقُّ مِنْ اِمْتِدَادِ يَدِ الْخَوَرِ وَالْخَيْفِ
إِلَيْهِ ؛ وَلْيُسَوِّبِ الْخَصْمَيْنِ فِي مَجْلِسِهِ وَلِحِظِهِ ، وَيَعْدِلْ بَيْنَهُمَا فِي اِنْصَافِهِ وَلَقِظِهِ :
لِيَعْلَمَ ذُو الْحِجَاهِ أَنَّهُ مُسَاوٍ فِي الْحَقِّ لَخَصْمِهِ ، مَكْفُوفٌ بِاسْتِمَاعِ حُجَّتِهِ عَنْ الطَّمَعِ
فِي ظُلْمِهِ ؛ وَلَا يَنْقُضُ حُكْمًا لَمْ يَخَالَفْ نَصًّا وَلَا سُنَّةَ وَلَا إِجْمَاعًا ، وَلِيُشَارِكْ فِيهَا لَا يَجْهَلُهُ
مِنَ الْقَضَايَا غَيْرَهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ لِيَتَرَدَّدَ بِذَلِكَ مَعَ اِطْلَاعِهِ اِطْلَاعًا ، وَلِيَعْتَمِدَ فِي ذَلِكَ اِسْتِمَاعًا .

بآرائهم : فإن الله تعالى لا يتزعزع هذا العلم انتزاعاً ؛ وليسد مسالك الهوى عن فكره ،
ويصرف دواعى القصب لغير الله عن المرور بذكره ؛ وليجعل العمل لوجه الله
نتيجة علمه ، وليحكم بما أراه الله (والله يحكم لا معقب لحكمه) .



وهذه نسخة وصية أوردها فى " التعريف " تشمل القضاة الأربعة ، قال :
وصية جامعة [لقاط] من أى مذهب كان ، وهى :

وهذه الرتبة التى جعل الله إليها منتهى القضايا ، وإنهاء الشكاي ، ولا يكون
صاحبها إلا من العلماء ، الذين هم ورثة الأنبياء ؛ ومتولى الأحكام الشرعية بها
كما ورث عن نبي الله صلى الله عليه وسلم علمه ، كذلك ورث حكمه ؛ وقد أصبح بيده
زمام الأحكام ، وفصل القضاء الذى يعرض [بعضه] بعده على غيره من الحكماء ؛
وما منهم إلا من ينقد قد الصيرفى ، وينقد حكمه نفاذ المشرقى ؛ فليترقى أحكامه
[قبل إمضائها ، وفى المحاكمات إليه] قبل فصل قضائها ؛ وليراجع الأمر مرة بعد
مرة حتى يزول عنه الالتباس ، ويعاود فيه بعد التأمل كتاب الله وسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم والإجماع والقياس ؛ وما أشكل عليه بعد ذلك فليجئ ظلمه
بالاستخاره ، وليحل مشكله بالاستشارة ، ولا يرقصا عليه إذا استشار فقد أمر الله
رسوله صلى الله عليه وسلم بالشورى ، ومر من أول السلف من جعلها بينه وبين
خطا الاجتهاد سورا ؛ فقد يسنح للره ما عيا غيره وقد أكثر فيه الدأب ، ويتفطن
الصغير لما لم يفتن إليه الكبير كما فطن ابن عمر رضى الله عنهما للنخلة [و] مأنعه
أن يتكلم إلا صغر سنه وزووما مع من هو أكبر منه للأدب ؛ ثم إذا صح له الحق

قضى به مستحقه ، وتجبل له به وأشهد على نفسه بثبوت حقه ؛ وحكم له به حكما يسره يوم القيامة أن يراه ، وإذا كتب له به ، ذكر بغير إذا يلي وبقى الدهر ما كتبت يده . وليسو بين الخوصوم حتى في تقسيم النظر ، ويجعل كل عمله على الحق فيما أباح وما حظر ؛ وليجد النظر في أمر الشهود حتى لا يدخل عليه زيف ، وليتحرر في استبداء الشهادات فرب قاض دُجج بغير سكن وشاهد قيل بغير سيف ؛ ولا يقبل منهم إلا من عُرف بالعدالة ، وألف منه أن يرى أوامر النفس أشد العدا له - وغير هؤلاء ممن لم يتحرله بالشهادة عادة ، ولا تصدئ للأرتاق بسعته ومات وهو حى على الشهادة ، فليقبل منهم من لا يكون في قبول مثله ملامه ، فرب عدل بين منطقية وسيف وفاسق في قرجة وعمامة - ولينقب على ما يصدر من العقود التي يؤسس أكثرها على شفا جرف هار ، ويوقع في مثل السفاح إلا أن الحدود تدرأ بالشبهات ويبقى العار - وشهود القيمة الذين يقطع بقولهم في حق كل مستحق ومال كل يتيم ، ويقلد شهاداتهم على كل أمر عظيم ؛ فلا يقول منهم إلا على كل رب مال عارف لا تخفى عليه القيم ، ولا يخاف معه خطأ الحدس وقد صقل التجريب مראה فهمه على طول القسدم . ولينان في ذلك كله أناة لا تقضى بإضاعة الحق ، ولا إلى المطاولة التي تقضى إلى ملل من استحق . وليرهد لرئسه ، ولا يتعلل بأن القاضى أسير الشهود وهو كذلك وإنما يسعى لخلاص نفسه - والوكلاء هم البلاء المبرم ، والشياطين المسئولون لمن توكلوا له الباطل ليقضى لهم به وإنما تقطع لهم قطعة من جهنم ، فليكنف بمهابته وساوس أفكارهم ، وساوى لجوارهم ؛ ولا يدع تجنى أحد منهم ثمرة إلا ممنوعه ، ولا يذ اعتداء تمتد إلا مغلولة إلى عنقه أو مقطوعة . وليطهر بابه من دس الرسل الذين يمشون على غير الطريق ، وإذا رأى واحد منهم درهما ودلو حصل في يده ووقع في نار الحريق ؛ وغير هذا مما لا يحتاج به مثله أن يوصى ،

ولا أن يُحصى عليه منه أفراد عمَله وهو لا يُحصى، ومنها النظر في أمور أوقاف أهل مذهبه نظرَ العموم، فليعمرها بجمل نظره فربَّ نظرة أنفع من مواقع القُيُوم؛ وليأخذ بقلوب طائفته الذين خُصَّ من بينهم بالتقديم، وتفاوت بُعد ما بينه وبينهم حتى صار يُزيلُ عارضَ الرجل منهم النظرة [منه] ويأسو حراحه منه التكليم . وهذه الوصايا إنما ذُكرت على سبيل الذِّكْرَى ، وفيه - بحمد الله - أضعافها ولهذا وليناه والحمد لله شكراً ؛ وقد جعلنا له أن يستنيب مَنْ يكون بمثل أوصافه أو قريباً من هذه المثابه ، ومن يرضى له أن يحمل عنه الكلَّ ويتأسمه ثوابه ؛ وتقوى الله تعالى هي جماع الخير ولا سبباً لصاحب هذه الوظيفة ، ولنَّ وليها أصلاً وفرعاً لا يستغنى عنها ربُّ حكم مطلق التصريف ولا خليفه .

ويزاد الشافعى :

وليعلم أنه صدر المجلس ، وأنه أدنى القوم وإن كانوا أشباهه منا حيثُ تجلس ، وأنه ذو الطَّيْلَسَانِ^(١) الذى يخضع له ربُّ كلِّ سيفٍ ويُنسبُ ؛ وليتحقق أنه إنما رفعه علمه وثقاه ، وأنَّ سببَ دينه لادّتيّاه هو الذى رَقاه ؛ فليقدّر حقَّ هذه النعم ، وليقف عند حدِّ منصبه الذى يودُّ لو اشترى سوادَ مداده بمجر النعم .

ويقال فى وصيته : وأمرُ دعاوى بيت المال المعمور ، ومحاكماته التى فيها حقُّ كل فردٍ فردٍ من الجمهور ؛ فليحتَرِزْ فى قضايأها غايةَ الاحتراز ، وليعمل بما يقتضيه لها الحقُّ من الصَّيانة والإحراز ؛ ولا يقبل فيها كلَّ بينة للوكيل عن المسلمين فيها مدفع ، ولا يعمل فيها بمسألة ضعيفة يظن أنها ما تضرُّ عند الله فإنها ما تنفع ؛ وله حقوق فلا يجحد من يسعى فى تملك شيء منها بالباطل منه إلا الياس ، ولا يلتفت إلى مَنْ رخص لنفسه وقال : (هو مالُ السلطان) فإنه مالنا فيه إلا ما لواحدٍ من الناس .

(١) ذكر فى "القاموس" أن لام الطليسان مفتحة .

وأموال الأيتام الذين حذر الله من أكل مالهم إلا بالمعروف لا بالشبهات ، وقد مات
 آبائهم ومنهم صغار لا يتدون إلى غير الثدي للرضاع ومنهم حمل في بطون الأمهات ؛
 فليأمر المتحذرين لهم بالإحسان إليهم ، وليعرفهم بأنهم سيجزون في بينهم بمثل
 ما يعملون معهم إذا ماتوا وتركوا ما في أيديهم ، وليحذر منهم من لا ولد له :
 ﴿ وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ ﴾ . وليقص عليهم
 في مثل ذلك أنباء من سلف تذكيرا ، ولينزل عليهم القرآن ويذكرهم بقوله تعالى :
 ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكُونُ أَمْوَالُ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ .
 والصدقات الموكولة إلى تصرف قلبه ، المأكولة بصدق أمانة المبشرين وهي
 في ذممه ، يتيقظ لإجرائها على السداد في صرفها في وجوه استحقاقها ، والعمل بما
 لا يجب سواه في أخذها وإنفاقها . والمسائل التي تفرد بها مذهبه وترجح عنده بها
 العمل ، وأعد عنها الجواب لله إذا سأل ، لا يعمل فيها بمرجوح إلا إذا كان نص
 مذهب إمامه أو عليه أكثر الأصحاب ، ورآه قد حكم به أهل العلم ممن تقدمه لرُجحانه
 عنده والاستصحاب . وتؤاب البر لا يقلد منهم إلا من تحقق استحقاقه ، فإنه إنما
 يوليه على مسلمين لا علم لأكثرهم فهم إلى ذى العلم أشد فاقه ؛ هذا إلى ما يتعترف
 من ديانتهم ومن عقافتهم الذى يقبزع المرء منهم به مرارة الصبر من الفاقة وهو به
 يتحلى ، ثم لا يزال له عين عليهم فإن الرجال كالصناديق المقلقلة لا يعرف الرجل ما هو
 حتى يتولى .

ويزاد الحنفى :

ولعلم أن إمامه أول من دون الفقه وجمعه ، وتقدم وأسبق العلماء من تبعه ؛
 وفي مذهبه ومذاهب أصحابه أقوال في المذهب ، ومسائل ماله فيها مالك وهو أول

مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ وَمَنْ يُعَدُّ مِنْ سَوَابِقِهِ أَشْهَبُ ؛ وَمِنْ أَهْمِهَا تَرْوِيجُ الصَّغَايِرِ ، وَتَحْصِينُهَا
بِالْأَكْفَاءِ مِنَ الْأَزْوَاجِ خَوْفًا عَلَيْهِمْ مِنَ الْكِبَارِ ؛ وَشَفْعَةُ الْحَوَارِ الَّتِي لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ
رَأْيِهِمْ لَمَّا أَمِنَ جَارُ السُّوءِ عَلَى رَغَمِ الْأَثُوفِ ، وَلَأَقَامَ الرَّجُلُ الدَّهْرَ سَاكِنًا فِي دَارِهِ
بَيْنَ أَهْلِهِ وَهُوَ يَتَوَقَّعُ الْخَوْفَ ؛ وَكَذَلِكَ نَفَقَةُ الْمَعْتَدَةِ الَّتِي هِيَ فِي أَمْرٍ مِنْ طَلْقِهَا وَإِنْ
بُنْتُ مِنْ حِبَالِهِ ، وَبَقِيَتْ لَا هُوَ بِالَّذِي يُنْفِقُ عَلَيْهَا وَلَا هِيَ بِالَّتِي تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَرَوَّجَ
مِنْ رَجُلٍ يُنْفِقُ عَلَيْهَا مِنْ مَالِهِ ؛ وَمَنْ أَسْتَدَانَ مَالًا فَأَكَلَهُ وَأَدْعَى الْإِعْسَارَ ، وَلَفَّقَ لَهُ
بَيْنَةً أَرَادَ أَنْ تُسْمَعَ لَهُ وَلَمْ يَدْخُلِ الْحَبْسَ وَلَا أَزْهَقَ مِنْ أَمْرِهِ الْأَعْسَارَ ، وَأَهْلَ
مَذْهَبِهِ عَلَى أَنَّهُ يُسَجَّنُ وَيَمُكَّتُ مَدَّةً ، ثُمَّ إِذَا أَدْعَى أَنَّ لَهُ بَيْنَةً أُحْضِرَتْ ثُمَّ هَلْ تُقْبَلُ
أَوَّلًا . فَهَذَا وَأَمثالُهُ مِمَّا فِيهِ عُمُومُ صِلَاحٍ ، وَعَظِيمُ نَفْعٍ مَا فِيهِ جُنَاحٌ ، فَلْيَقْضَ فِي هَذَا
كُلُّهُ إِذَا رَأَى بِمَقْنَضِي مَذْهَبِهِ ، وَلِيَهْتَدِ فِي هَذِهِ الْآرَاءِ وَسِوَاهَا بِقَمَرِ إِمَامِهِ الطَّالِعِ أَبِي حَنِيفَةَ
وَتُشَبِّهَ ؛ وَلِيُحْسِنَ إِلَى فُقَهَاءِ أَهْلِ مَذْهَبِهِ الَّذِينَ أَذْنَى إِلَيْهِ أَكْثَرُهُمُ الْاِعْتِرَابُ ، وَحَلَّقَ
بِهِمْ إِلَيْهِ طَائِرَ النَّهَارِ حَيْثُ لَا يَحِلُّ الْبَازِي وَجَنَاحُ اللَّيْلِ حَيْثُ لَا يَطِيرُ الْغُرَابُ ؛ وَقَدْ
تَرَكُوا وَرَاءَهُمْ مِنَ الْبِلَادِ الشَّامِ ، وَالْأَمْدَادِ الْوَاسِعَةِ ؛ مَا يُرَاعَى لَهُمْ حَقُّهُ إِذَا عُدَّتْ
الْحُقُوقُ ، وَيَجْمَعُهُ وَإِيَّاهُمْ بِهِ أَبُوهُ أَبُو حَنِيفَةَ وَمَا مِثْلُهُ مِنْ يُنْسَبُ إِلَى الْعُقُوقِ .

ويزاد المالكي :

ومذهبه له السيِّفُ الْمُصَلَّتْ عَلَى مَنْ كَفَرَ ، وَالْمُذْهَبُ بِدَمٍ مِنْ طُلِّ دَمُهُ وَحَصَلَ
بِهِ الظُّفَرُ ؛ وَمَنْ عَدَا قُدْرَةَ الْوَضِيعِ ، وَتَعَرَّضَ إِلَى أَنْبَاءِ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمُ بِالْقَوْلِ
الشَّيْعِ ؛ فَإِنَّهُ لَأَمَّا يُقْتَلُ بِسِيفِهِ الْمَجْرَدِ ، وَيُرَاقُ دَمُهُ تَعْزِيرًا بِقَوْلِهِ الَّذِي بِهِ تَفُودُ ؛ وَلَمْ
يَزَلْ سَيْفُ مَذْهَبِهِ لَهُمُ بَارِزَ الصَّفْحَةِ ، مَسَلَمًا لَهُمُ إِلَى مَالِكٍ خَازِنِ النَّارِ مِنْ مَذْهَبِ
مَالِكٍ الَّذِي مَا فِيهِ فَسْحُهُ ؛ وَفِي هَذَا مَا يُصْرَحُ غُدْرُ الدِّينِ مِنَ الْقَذَى ، وَمَالِمُ تُطْلَلُ دِمَاءُ

هؤلاء (لا يسلّم الشرف الرفيع من الأذى)؛ وإنما نُوصيه بالتحريّ في الثبوت ،
 [والبيئة التي لا يستدرك بها ما يفوت^(١)] ، وإنما هو رجلٌ يحيا أو يموت ، فليتمهل
 قبل بتّ القضاء ، وليُعذر إليهم لاحتمال ثبوت تفسيق الشهود أو بغضاء ؛ حتى
 لا يُعجلَ تلافًا ، ولا يُعجلَ بما لا يُتلافى ، فكما أننا نُوصيه أن لا ينقضّ في شدّة الوثائق
 عليهم إرما ، فهكذا نُوصيه أن لا يُضرب بغير حقّه دما حراما ؛ وكذلك قبول الشهادة
 على الخطّ ، وإحياء مامات من الكتب وإدناء ما شطّ ؛ فهذا مما فيه فُسحة للناس ،
 وراحةٌ ما فيها باس ؛ إلا أنه يكون الثبوت بهذه البيئة للاتصال ، لا لتزع يد ولا إزارم
 يجردها بال ؛ وهكذا ما يراه من ولاية الأوصياء وهو مما تفرد به هو دون البقية ، وفيه
 مصلحة وإلا فامعنى الوصية ؛ وهو زيادة احتراز ما تضرّ مراعاة مثلها في الأمور
 الشرعية ؛ وسوى هذا مثل إسقاط الرّبع في وقف أسرتد وقد بيع ، وعطل المشتري
 من التّكسب بذلك المال مدة لا يشتري ولا يبيع ؛ وهذا مما يبتّ قضاءه في مثله ،
 ويجعل عقاب من أقدم على بيع الوقف إحرامه مدة البيع من مثله ؛ وسوى ذلك
 مما عليه العمل ، وما إذا قال فيه قال بحقّ وإذا حكم عدل . ونقهاء مذهبه في هذه
 البلاد قليل ما هم ، وهم غرياء فليُحسن مأواهم ، وليكرم بكرمه متواهم ؛ وليستقرّ بهم
 النّوى في كنفه فقد ملأوا طول الدّرب ، ومعاناة السفر الذي هو أشدّ الحرب ،
 وليُنمهم أوطانهم بيرة ولا يدع في مآقيهم دما يفيض على القرب .

ويُزاد الحنبلي :

والمهمّ المقدم - وهو يعلم ما حدث على أهل مذهبه من الشّاعة ، وما رموا به
 من الأقوال التي نثرها لما فيها من البشاعة ؛ وتكتفى به في تفيّة آثارها ، وإمالة

أَذَاهَا عَنْ طَرِيقِ مَذْهَبِهِ لِثَأْمَنِ السَّالِكَةِ عَلَيْهِ مِنْ عِثَارِهَا ؛ فَعَالَى اللهُ أَنْ يُعْرِفَ
بَكَيْفٍ ، أَوْ يُجَاوِبَ السَّائِلُ عَنْهُ بِهَذَا إِلَّا بِالسَّيْفِ ؛ وَالْأَنْصِيَامُ إِلَى الْجَمَاعَةِ وَالْحَذَرُ مِنَ
الْإِنْفِرَادِ ، وَإِقْرَارُ آيَاتِ الصِّفَاتِ عَلَى مَا جَاءَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِعْتِقَادِ ، وَأَنَّ الظَّاهِرَ غَيْرُ
الْمُرَادِ ، وَالْخُرُوجُ بِهِمْ إِلَى النُّورِ مِنَ الظُّلُمَاءِ ، وَتَأْوِيلُ مَا لَا بُدَّ مِنْ تَأْوِيلِهِ مِثْلُ حَدِيثِ
الْإِمَّةِ الَّتِي سُئِلَتْ عَنْ رَبِّهَا : أَيْنَ هُوَ فَقَالَتْ فِي السَّمَاءِ ؛ وَإِلَّا فَفِي الْبَلْبَلَةِ بِإِثْبَاتِ الْجَهَةِ
مَافِيهَا مِنَ الْكَوَارِثِ ، وَيُزَمُّ مِنْهَا الْحَدُوثُ وَاللهُ سَجَّاهُ وَتَعَالَى قَدِيمٌ لَيْسَ بِحَادِثٍ
وَلَا مَحَلًّا لِلْحَوَادِثِ ؛ وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الْقِرَاءَانِ وَنَحْوِهَا تُحَذَرُ مَنْ تَكَلَّمَ فِيهِ بِصَوْتٍ
أَوْ حَرْفٍ ، فَمَا جَزَاءُ مَنْ قَالَ بِالصَّوْتِ إِلَّا سَوْطٌ وَبِالْحَرْفِ إِلَّا حَتْفٌ ؛ ثُمَّ بَعْدَ هَذَا
الَّذِي يَزْعُمُ بِهِ الْجُهَالُ ، وَيَرُدُّ دُونَ غَايَتِهِ الْفِكْرَ الْجَوَالَ ، يَنْظُرُ فِي أُمُورِ مَذْهَبِهِ وَيَعْمَلُ
بِكُلِّ مَا مَحَعَّ نَفْلُهُ عَنْ إِمَامِهِ وَأَحْبَابِهِ : مَنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي زَمَانِهِ وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْ أَيَّامِهِ ؛
فَقَدْ كَانَ رَحِمَهُ اللهُ إِمَامًا بِحَقِّ نَهْضٍ وَقَدْ قَعَدَ النَّاسُ تِلْكَ الْمُدَّةَ ، وَقَامَ نَوْبَةُ الْحِجْنَةِ مَقَامَ
سَيِّدِ تَيْمٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - نَوْبَةَ الرَّدِّ ؛ وَلَمْ تَهَبَّ بِهِ زُعَاغُ الْمُرَيْسِيِّ وَقَدْ هَبَّتْ
مَرِيْسَا ، وَلَا أَبْنَى أَبِي دُوَادٍ وَقَدْ جَمَعَ لَهُ كُلُّ دَوْدٍ وَسَاقَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ قَطْرِ عَيْسَا ؛
وَلَا نَكَّتْ عُهُدَةً مَا قَدَّمَ لَهُ الْمَأْمُونُ فِي وَصِيَّةِ أَخِيهِ مِنَ الْمَوَاتِقِ . [وَلَا رَوْعَهُ سَوْطُ
الْمَعْتَصِمِ وَقَدْ صَبَّ عَلَيْهِ عَذَابُهُ وَلَا سَيْفُ الْوَاتِقِ] ^(١) .

فَلْيَقِفْ عَلَى أَثَرِهِ ، وَلْيَقِفْ بِمُسْنَدِهِ - [عَلَى مَذْهَبِهِ] كُلَّهُ أَوْ أَكْثَرِهِ ، وَلْيَقِضْ بِمَفْرَدَاتِهِ
وَمَا آخْتَارَهُ أَحْبَابُهُ الْأَخْيَارَ ، وَلْيَقْلُدْهُمْ إِذَا لَمْ تَخْتَلِفْ عَلَيْهِ الْأَخْبَارُ ؛ وَلْيَحْتَرِزْ لِدِينِهِ
فِي بَيْعِ مَا دَثَرَ مِنَ الْأَوْقَافِ وَصَرَفَ ثَمَنَهُ فِي مِثْلِهِ ، وَالْإِسْتِبْدَالَ بِمَا فِيهِ الْمَصْلَحَةُ
لِأَهْلِهِ ؛ وَالْفَسْخَ عَلَى مَنْ غَابَ مَدَّةً يُسَوِّغُ فِي مِثْلِهَا الْفَسْخَ ، وَتَرَكَ زَوْجَةً لَمْ يَتْرَكْ لَهَا

نفقة وخلأها وهي مع بقائها في زوجيته كالمعلقة ؛ وإطلاق سراحها لتتزوج بعد ثبوت الفسخ بشروطه التي يبقى حكمها به حكم المطلقه ؛ وفيما يمنع مضارة الجار ، وما يتفرع على قوله صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار » ، وأمر وقف الإنسان على نفسه وإن رآه سيئ أهل مذهبه ، وطلعت به أهلة علماء لولاهم لما جلا الزمان جنت غيبه ؛ وكذلك الجوانح التي يخفف بها عن الضعفاء وإن كان لا يرى بها الإلزام ، ولا تجرى لديه إلا تجرى المصلحة بدليل الإلزام ؛ وكذلك المعاملة التي لولا الرخصة عندهم فيها لما أكل أكثر الناس إلا الحرام المحض ، ولا أخذ قسم الغلال والمعايل هو الذي يزرع البذور ويحرث الأرض ؛ وغير ذلك مما هو من مفرداته التي هي للرفق جامعته ، وللرعايا في أكثر معاشهم وأسبابهم نافية ؛ فإذا استقرت الفروع كانت الأصول لها جامعته . وبقها مذهبهم هم الفقهاء لقلّة الحصول وضعت الأوقاف ، وهم على الرقة كالرياح المعدة للنفق ؛ نخذ بنواطيرهم ، ومذ آمالم في غائب وقيهم وحاضيرهم ؛ وأشتملهم بالإحسان الذي يرغبهم ، ويقل به طلبهم لوجوه الفنى ويكثر طلبهم .

الطبقة الثانية

(من أرباب الوظائف الدينية أصحاب التواقيع ، وتشمل على مراتب)

المرتبة الأولى

(ما كان يكتب فى النصف بـ «المجلس العالى» كما كان يكتب

للقضاة الأربعة أولاً ، وقد تقدم)

المرتبة الثانية

(ما يكتب فى قطع الثلث بـ «السامى» بالياء)

وأعلم أن الأصل فيما يكتب من التواقيع أن يفتح بـ «أما بعد» إلا أن الكُتاب تسامحوا فيه فافتحوا لمن علّت رتبته حيث اقتضى الحال الكتابة له فى الثلث بـ الحمد لله ، وأبقوا من انحطت رتبته عن ذلك على ما كان عليه من الافتتاح بـ «أما بعد» وهذا ما أورد ما سرح من ذلك مما أنشأه الكُتاب فى ذلك من الافتتاحين جميعاً . ويشمل على وظائف .

الوظيفة الأولى

(قضاء العسكر)

وقد تقدم فى المقالة الثانية أن موضوعها التحدث فى الأحكام فى الأسفار السلطانية وأن له مجلساً يحضره بدار العدل فى الحضر . وقد جرت العادة أن يكون قضاء العسكر أربعة : من كل مذهب قاض .

وهذه نسخة توقيع شريف بقضاء العسكر المنصور بالحضرة السلطانية ، وهى :

الحمد الذى رَفَعَ للعِلم الشريـف فى أَيْمانِ الزاهرة مَنارة ، وزاد بإِعلاء رُتب أهله
دولتنا القاهرة رِفعةً ونقارا ، وزان أحكامه الشريفة بِحُكَّامه الذين علّموا فى غِيَاب
مُشكلاتِهِ بُدُورا وتدفّقوا فى إفاضتِهِ فى الأحكام الشرعية بِحِمارا .

نحمده على نِعَمِهِ الّتى حَلَّتْ لَحَلَّتْ ، وَمِنَنِهِ الّتى أَهَلَّتْ اِلْجُودَ فاستَهَلَّتْ .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون لقائلها ذُخرا ، وتُملِّ
لِتَمَسِّكِهَا فى المَلَأِ الأعلى ذِكْرا ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى هو أَسْبَقُ
الأبدياء رُتبة وإن كان آخرهم عَصرا ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ أُخْتِصُوا
لِلقُتْدِينَ بِهِمْ شُمُوسًا منيرة وللهندين بِمُلُومِهِمْ نُجُوما زُهرا ؛ صلاة لا تَزَالُ الأَلْسُنُ
تُحْمِيها ، والأَسْمَاعُ تَسْتَدِيحُها ، وسَلَّمَ تسليما كثيرا .

وبعد ، فإنَّ أَوَّلَى مَنْ تَوَهَّنَا بِذِكْرِهِ ، وَتَبَهَّنَا على رِفْعَةِ قَدْرِهِ ، وَأَطْلَقْنَا لِسِنَةَ الأَقْلَامِ
فى وَصِفِ مَقَانِرِهِ وشُكْرِهِ ، وَأَثْنًا قَوَاعِدَ مَجْدِهِ الّتى لَوِ رَامَ بَنانُ اليانِ أَنْ يَقْصَاها حال
الْحَصْرُ دُونَ حَصْرِهِ ، وَنَقَدْنَا كَلِمَ حُكْمِهِ وَرَفَعْنَا فى أُنْدِيَةِ الْفَضَائِلِ أُلُويَةَ فُتُونِهِ وَأَعْلَامَ
نَصْرِهِ ؛ مَنْ لَمْ يَزَلْ دَمُ الشَّهَادَةِ يَمِيدُ مِدَادَ أَقْلَامِهِ ، وَتَقِيْمُ مَنَارُ الْهَدْيِ أدْلُهُ فُضائلُهُ
وَشَوَاهِدُ أَحْكَامِهِ ، وَتَوْصُّحُ الْحَقِّ حَتَّى يَكَادَ الْمُتأملُ يَلْحَظُ الْحُكْمَ لَوْضُوهِهِ وَيُصَرِّهُ ،
وَيُنْصِرُ الشَّرْعَ بِأَمْدَادِ عِلْمِهِ وَيَنْصُرُنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ؛ وَشَيْدَ مَذْهَبِ إِمَامِهِ الإِمامِ
الْفَلَائِي نَاصِحِ فَسِيحِ الأَرْجاءِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فُسْحَةٌ ، وَجَدْتَ قَوَاعِدَ الْعَدْلِ فى قُضايَا
عِسا كَرْنَا الْمَنْصُورَةَ فَهُوَ مُشَاهِدٌ مِنْ كَلِمِهِ وَمِنْ نَظَرِهِ فى لَمَعِهِ مَلْمَحُهُ .

ولما كان فلان هو الذى نَعَتْنَا بِما تَقَدَّمَ مِنْ الْخُطابِ خَلاتِقَهُ الْحُسْنَى ، وَأَتَيْنَا
على ما هو عليه مِنَ الإِقْبالِ على جَوْهرِ الْعِلْمِ دُونَ التَّعَرُّضِ لِمَنِ الْعَرَضُ الأَدْنَى ؛ مَعَ
ما جَواها مِنْ مَوادِّ فُضائلٍ تَزْكُو على كَثْرَةِ الإِنْفاقِ ، وَفَرائِدِ فَوائِدَ مُجَلِّبِ على أَيْدِي

الطَّلَبَةُ إِلَى الْآفَاقِ ، وَقُوَّةٌ فِي الْحَقِّ ، الَّذِي لَا تَأْخُذُهُ فِيهِ لَوْمَةٌ لَّائِمٌ ، وَعَدْلٌ أَحْكَامٌ فِي الْخَلْقِ ، الَّذِي مِنْ سِنَةِ الْكُرَى فِي جَنِّ نَائِمٍ - أَقْنَضَى حُسْنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ نُوَطِّدَ فِي عَسَاكِرِنَا الْمَنْصُورَةِ قَوَاعِدَ أَحْكَامِهِ ، وَنُوَطِّنَ كُلًّا مِنْهُمْ عَلَى أَنَّهُ تَحْتَ مَا يُمِيزُهُ فِي أَقْضِيَتِهِ النَّافِذَةِ مِنْ تَقْضِيهِ وَإِبْرَامِهِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ قَضَاءُ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ الشَّرِيفَةِ : عَلَى أَجْمَلِ الْعَوَائِدِ ، وَأَكْمَلِ الْقَوَاعِدِ ؛ وَأَنْ يُنَسِّطَ كَلِمَتُهُ فِي كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ مِنْ أَحْكَامِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ . فَلْيَحْكَمْ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِمَا أَرَاهُ اللَّهُ مِنْ عِلْمِهِ ، وَأَنَاهُ مِنْ حِكْمِهِ وَحُكْمِهِ ، وَيَبَيِّنْ لَهُ مِنْ سُبُلِ الْهُدَى ، وَعَيْنَهُ لِبَصِيرَتِهِ مِنْ سُنَنِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي مِنْ حَادِّ عَنِهَا فَقَدْ جَارَ وَاعْتَدَى ؛ وَلْيَقِفْ مِنَ الْأَحْكَامِ عِنْدَ مَا قَرَّرْتُهُ الشَّرِيعَةُ الْمُطَهَّرَةُ مِنْ أَحْكَامِ اللَّهِ الَّتِي لَا يَسْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ، وَيَأْمُرُ كُلًّا مِنَ الْمُتَقَاضِيْنَ بِالْوُقُوفِ عِنْدَ مَا حُدِّدَ لَهُ : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ . وَالْوَصَايَا وَإِنْ كَثُرَتْ فَمِنْ مِثْلِهِ تَفَادٍ ، وَإِنْ جَلَّتْ فَسَمْعُهُ فِي غَنَى عَمَّا يُدِّأُ لَهُ مِنْهَا وَيُعَادُ ؛ وَمِلَاكُهَا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي هِيَ شِعَارُ أَنْسِيهِ ، وَحِلْيَةُ يَوْمِهِ وَأَمْسِهِ ؛ وَانَّهُ تَعَالَى يَسْتَدُهُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَيُوقِّعُهُ لِمَا يَرْضَاهُ وَيُصَوِّنُهُ مِنَ الْخَطَا وَالْخَطَلِ .



وهذه وصية لقاضى العسكر، أوردناها في "التعريف" وهي أن يُقال :

وهو الحاكم حيث لا تُسْفَذُ إِلَّا أَقْضِيَةُ السُّيُوفِ ، وَلَا تَرْدِيحُ الْغُرَمَاءِ إِلَّا فِي مَوَاقِفِ الصُّفُوفِ ؛ وَالْمَاضَى قَلْبُهُ وَكُلُّ خَطَى يُمَدُّ بِاللَّهْمَاءِ ، وَالْمَضَى سَجِيْلُهُ وَقَدْ طَوَى الْعَجَاجُ كَالْكَتَابِ سَجِيْلَ السَّمَاءِ ؛ وَأَكْثَرُ مَا يُنْجَحُ إِلَى إِلَيْهِ فِي الْغَنَائِمِ الَّتِي لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَفِي الشَّرَكَةِ وَمَا يُطْلَبُ فِيهِ الْقِسْمَةُ ؛ وَفِي الْمِيْعَاتِ وَمَا يُرَدُّ مِنْهَا بِبَيْتٍ ،

وفي الديون المؤجلة وما يُحْكَم فيها بغيّب؛ وكلّ هذا مما لا يحتمل طول الأناة في القضاء،
وأشتغال الجند المنصور عن مواقف الجهاد بالتردد إليه بالإمضاء؛ فليكن مستحضرا
لهذه المسائل ليثبت الحكم في وقته، ويُسارع السيِّف المُصَلَّت في ذلك الموقف بته؛
وليعلم أن العسكر المنصور هم في ذلك الموطن أهل الشهادة، وفيهم من يكون جرحه
تعديلا له وزيادة؛ فليقبل منهم من لا تخفى عليه سيمى القبول، ولا يردّ منهم من
لا يضره أن يردّه هو وهو عند الله مقبول؛ وليجعل له مستقرا معروفا في المعسكر يقصد
فيه إذا نُصِبَت الخيام، وموضعا يمشى فيه ليقضى فيه وهو سائر وأشهر ما كان
على يمين الأعلام؛ وليزَم ذلك طول سفره وفي مُدد المُقام، ولا يخالفه ليُهم على
ذوى الحوائج فما هو بالصلحية بمصر ولا بالعادية بالشام؛ وليتخذ معه كتابا تكتب
للناس وإلا فمن أين يوجد مركز الشهود، وليسجل لذي الحق بحقه وإلا فما أنسد
باب الجحود؛ وهوى الله هي التي بها تنصر الجنود، وما لم تكن أعلى ما يكون على
أعلام الحرب والا فما الحاجة إلى نشر البُود .

الوظيفة الثانية

(إنشاء دار العدل)

وموضوعها الجلوس بدار العدل حيث يجلس السلطان لفصل الحكومات،
والإنشاء فيما لعله يطرأ من الأحكام بدار العدل . وهي وظيفة جليلة ، لصاحبها
يجلس بدار العدل يجلسه مع القضاة الأربعة ومن في معانهم .

وهذه نسخة توقيع لمن لقبه « جمال الدين » يُنسج على منوالها، وهي :

الحمد لله جاعل العلم للذين بحالا، وللدنيا عصمة وشمالا ، ولأسباب النجاة
والنجاح شارة إذا تحلى بها ذو التميز كان أحسن ذوى المراتب حالا ، وأجلهم

فى الدارين مبدءاً ومآلاً ، وأحقهم رتبة التفضيل التى ضرت لها السنة المطهرة
فضل البدر على الكواكب مثالا .

نعمه على نعيمه التى خصت دار عدلنا الشريف من العلماء بأكفائها ، وأصطفت
بها قرب من مجلسنا المعظم من دل على أن التأييد قرين أصطفاها .

ونشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة يفتر عن شنب الصواب ،
تفرها ، ويتفتح عن فصل الخطاب ، زهرها ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله
المخصوص بحكم التنزيل ، المنصوص فى الصحف المنزلة على ذكر أمته الذين
علمواهم كانباء بنى إسرائيل ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هم كالنجوم
المشرقة ، من اقتدى بهم أهتدى ، وكالنجوم المحرقة ، من اعتدى وجد منها شهابا
رصدا ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى ما أرتدنا له من رياض العلم من سما فيه فرعه ، ورحب بتلقى أنواع
العلوم ذرعه ؛ وبسقت فى فنون الفضائل أفنانه ، ونسقت فرائد الفوائد فى سلك
الطروس بئانه - فتيا دار عدلنا الشريف التى أحكامنا لها تابعه ، وأغصان العدل
بشار فتاويها موروقة بانه ، وأعينا إلى أفواه مفتيها رامقة وأذانتا لمقالاتهم سامعة .

ولما كان فلان هو ثمره هذا الإرتياد ، ونجته هذا الاستقاد ؛ المعقود عليه فى اختيار
العلماء بالحناءصر ، والعريق فى أصالة العلوم بأصالة ثابتة الأواصر ؛ والذى إذا أجاب
تدفقت أنواء الفوائد ، وتألقت أضواء الفرائد ، وأججنت مسائل فقهه قواعد
ترتب الأحكام الشرعية عليها ومصادر وجيه موارد - اقتضت آراؤنا الشريفة
أن نزين بهجة هذه الوظيفة بجماله ، وننتزه إشراقها بنور فضائله التى لو قابلها بدر الإثنى
نازعته حلة كماله .

فلذلك رُسِمَ بالأمر الشريف - لا زالت أحكامه مع أوامر الشرع الشريف واقفه ، ومعدلته الشريفة باقتفاء آثار الحق لمُشْتَكَاكَاتِ الظُّلَمِ كاشفه - أن يفوض إليه كذا : فليأشِرْ هذه الوظيفة السنية مَفَجَّرًا يَنَابِيعَ العلوم في أُرْجَائِهَا ، مُحَقِّقًا لِلْفَتَاوَى بِتَسْهِيلِ مَوَارِدِهَا وَتَقْرِيبِ أَوْحَائِهَا ؛ مَوْضِعًا طُرُقَهَا بِإِقَامَةِ بَرَاهِينِهِ وَأَدْلَتِهِ ، مُبْدِيًا دَقَائِقَهَا الَّتِي يُشْرِقُ بِهَا أَفَقُ الْفِكْرِ إِشْرَاقَ السَّيَاءِ بِمُجُومِهَا وَالْأَفَقُ بِأَهْلَتِهِ ؛ مُظْهِرًا مِنْ غَوَامِضِهَا مَا يُقَرِّبُ عَلَى الْإِفْهَامِ مَنَالَهُ ، وَيُفَسِّحُ لِحِيَادِ الْقِرَائِعِ مَجَالَهُ ، وَيَنْقَحُ لِكُلِّ ذِي تَرَوُّرٍ رِيَّتَهُ وَلِكُلِّ مَرْتَبِلٍ بَدِيَّتَهُ وَآرْتَجَالَهُ ؛ فَإِنَّهُ الْكَامِلُ الَّذِي قَطَعَ إِلَى بُلُوغِ الْغَايَةِ مَسَالِكَ اللَّيَالَى ، وَالْإِمَامُ الَّذِي غَاصَ فِكْرُهُ مِنْ كُلِّ بَحْرِ لُجَجِ الْمَعَانِي فَاسْتَخْرَجَ مِنْهَا مَكْنُونَ اللَّأَلَى ؛ مَعَ أَنَّ عِلْمَهُ الْمَهْدَبَ غَنَى عَنْ تَتْبِيعِ الْوَصَايَا ، مَلِيٌّ بِمَا يَلْزَمُ هَذِهِ الْوِظِيْفَةَ مِنَ الْخِصَائِصِ وَالْمَزَايَا ؛ فَإِنَّ الْبَحْرَ يَأْبَى إِلَّا تَدَفُّقًا ، وَالْبَدْرَ إِلَّا تَأَلُّقًا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَزِيدُهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَيُزَيِّنُ بِهِ أَفَقَ الْعِلْمِ وَيَزِيدُ مِثْلًا دُتُوًا قُرْبَ مَحَلِّهِ .

الوظيفة الثالثة

(الحسبة)

وقد تقدم أن موضوعها التحدث على أرباب المعاش والصنائع ، والأخذ على يد الخارج عن طريق الصلاح في معيشتِهِ وصِنَاعَتِهِ . وحاضرة الديار المصرية تشتمل على حُسْبَتَيْنِ :

(١) الأولى - حِسْبَةُ الْقَاهِرَةِ : وهى أعلاهما قَدْرًا ، وَأَنْفَحُهُمَا رُتْبَةً ؛ وَلِصَاحِبِهَا مَجْلَسٌ بَدَارُ الْعَدْلِ مَعَ الْقَضَاةِ الْأَرْبَعَةِ وَقَضَاةِ الْعِسْكَرِ وَمُقْتِي دَارِ الْعَدْلِ وَغَيْرِهِمْ . وَهُوَ يَتَحَدَّثُ فِي الْوُجْهِ الْبَحْرِيَّ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي وَلايَةِ التَّوْبَابِ وَصَرْلِهِمْ .

(١) أى والثانية حِسْبَةُ الْفَسْطَاطِ الَّتِي سَيَأْتِي لَهَا تَوْقِيعٌ بَعْدَ صَفَحَاتٍ .

قلت : ولم تزل الحسبة تُؤتى للتمميين وأرباب الأقاليم إلى الدولة المؤيدية شيخ ،
فولّاها للأمر سيف الدين منكلى بغا الفقيه أمير حاجب مضافة إلى المجبوبة . على
أنّ في سجلّات الفاطميين ما يشهد لها في الزمن المتقدم . وربما أُسندت حسبة
القاهرة إلى والى القاهرة ، وحسبة مصر إلى والى مصر .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، وهى :

الحمد لله مجدّد عوائد الإحسان ، ومجرى أولياء دولتنا القاهرة ، فى أيامنا الزاهرة ،
على ما ألقوه من الرتب الحسان ، ومضاعف نعمنا على من آجنى لنا بحسن سيرته
الدعاء الصالح من كل لسان .

نحمده على نعمه التى لا تحصى بعثها ، ولا تحصر بحدها ، ولا تستراد بغير شكر الآله
المنعم ومحمّدها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يُقيمها فى كلّ حكم ، ونحاول
سيوفنا جاحديها فننص فتنتق بالجهة عليهم وهم بكم ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله
أشرف من أثمر بالعدل والإحسان ، وأعدل أمر أمته بالوزن بالقسط وأن لا يُخسروا
الميزان ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أحسبوا فى سبيل الله جلّ عتادهم ،
وأحسبوا أنفسهم فى مقاطعة أهل الكفر وجهادهم ؛ فلا تنهب جنائبها فى الوجود ،
وتسرى نجائبها فى التهايم والنجود ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإنّ أولى من دعاء إحساننا لرفع قدره ، وإارة بذره ، وإعلاء رتبته ،
وإدناء منزلته ؛ وإعلام مخلص الأولياء بمضاعفة الإحسان إليه أن الله لا يضيع أجر
من أحسن عملا ، وأنّ كرما لا يُحيب لمن أسلف سوابق طاعته فى أيامنا الشريفة
أملا ؛ من لم تزل خدمته السابقة إلى الله مقربة ، وعن طرق الهوى منكبه ، وبالله

مُدَّكَرْهُ، وعلَى الباقيات الصالحات من الأعمال مَوْفَرُهُ؛ مع ما أضافه إلى ذلك من أمرٍ
بمعروف، وإغاثة ملهوف، ونهي عن منكر، واحتساب في الحق أنى فيه بكل ما محمد
خلائقه وتُسْكِرْهُ، واجتناب لأعراض الدنيا الدنيَّة، واجتهاد لما يُرضى الله ويرضينا
من أتباع سِيرَتِنَا السَّيْرَةِ؛ وَشِدَّةٍ في الحق حَتَّى يُقَالَ بِهِ وَيُقَام، ورفق بالخلق
إلا في يَدَعِ تُنتَهَك بها حرمة الإسلام، أَوْعِشْ إِنْ لَمْ يَخْصُضْ ضَرَرُهُ الْخَاصُّ فَإِنَّ ذَلِكَ
يُمْ الْعَامُ .

وَلَمَّا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي اخْتَصَّ مِنْ خِدْمَتِنَا، بِمَا رَفَعَهُ لَدَيْنَا، وَأَسْلَفَ مِنْ
طَاعَتِنَا، مَا أَقْتَضَى تَقْرِيبُهُ مِنَّا وَاسْتِدْعَاؤُهُ إِلَيْنَا، وَنَهَضَ فِيهَا عَدَقَتَاهُ بِهِ مِنْ مَصَالِحِ
الرَّايَا وَكَانَ مُشْكُورَ الْمَسَاعِي فِي كُلِّ مَا عَرِضَ مِنْ أَعْمَالِهِ فِي ذَلِكَ عَلَيْنَا - أَقْتَضَى رَأْيُنَا
الشَّرِيفُ أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ كَذَا، فَلْيَسْتَقِرْ فِي ذَلِكَ بِجَهْدِهِ فِي كُلِّ مَا يُمْ الْبَرَايَا نَفْعُهُ،
وَيُجَلِّ لَدَيْهِمْ وَقْعُهُ؛ وَيَمْنَعُ مِنْ يَتَعَرَّضُ بِالْيَسَارِ، إِلَى مَا لَمْ يَغِيرْ حَقَّ، أَوْ يَضِيقَ
بِالْإِحْكَارِ، عَلَى ضَعْفَانِهِمْ مَا بَسَطَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ رِزْقٍ؛ وَيَذُبُّ عَنْهُمْ بِإِقَامَةِ الْحُدُودِ شُبَّةَ
تَعْطِيلِهَا، وَيَعْرِفُهُمْ بِالْمَحَافِظَةِ عَلَى الْحَقِّ فِي الْمَعَامِلَاتِ قَوَاعِدَ تَحْرِيمِهَا وَتَحْلِيلِهَا؛ وَيُرِيهِمْ
بِالْإِنْصَافِ مَنَازِلَ الْقِسَاطِ الْمُسْتَقِيمِ لَعَلَّهُمْ يُبْصِرُونَ، وَيُؤَدَّبُ مِنْ يَجِدُ فِيهِمْ مِنْ
الْمُطَفِّفِينَ: (الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ)
وَيَأْمُرُ أَهْلَ الْأَسْوَاقِ بِإِقَامَةِ الْجَمَاعَاتِ وَالْجَمْعِ، وَيَقَابِلُ مِنْ تَخَلُّفٍ عَنْ ذَلِكَ بِالنَّادِبِ
الَّذِي يَدَّعِ مِنْ أَصْرِفِهِ عَلَى الْخَالِفَةِ وَبَزَعٍ؛ وَيُلْزِمُ ذَوِي الْهَيْئَاتِ بِالصِّيَانَةِ الَّتِي تُنَاسِبُ
مَنَاصِبَهُمْ، وَتُؤَافِقُ مَرَاتِبَهُمْ، وَتَقَرُّهُ عَنِ الْأَدْنَسِ مَكَايِسِهِمْ، وَتُصَوِّنُ عَنِ الشَّوَابِ
شَاهِدَهُمْ وَغَايِبَهُمْ؛ وَلَا يَمَكِّنُ ذَوِي الْبُيُوعِ أَنْ يَقْنُونُوا ضُعَفَاءَ الرَّايَا وَأَغْيَاءَهُمْ،
وَلَا يُفْسَحَ لَهُمْ أَنْ يَرْفَعُوا عَلَى الْحَقِّ أَسْعَارَهُمْ وَيَخْتَصُّوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ .

وليحملُ كلاً منهم على المعاملات الصحيحة ، والعقود التى غدت لها الشريعةُ
 الشريفةُ مُيسرةً ؛ ويحتجهم العقودُ الفاسدةُ ، والحيلُ التى تُفتر بتدليسِ السلعِ الكاسدةِ ؛
 وهو أخبر باليوعِ المنصوصِ على فسادِها فى الشرعِ الشريفِ ، وأدركَ بما فى عدمِ
 تحريرِهم المكاييلَ والموازينَ من الإخسارِ والتطفيفِ ؛ فليُفعلَ ذلك فى كلِّ
 ما يجبُ ، ويحتسبُ فيه ما يدعِره عند الله ويحتسبُ ؛ ولتكن كلمته فى ذلك مبسوطه ،
 ويدُ تصرفه فى جميع ذلك مُحيطه وبما يستند إليه من أوامره مُحوطه ، ويؤوصُ توابه
 بمثل ذلك ، ويوضحُ لم بيانارة طريقته كلِّ حالٍ حالِكٍ ؛ ويقدمُ تقوى الله على كلِّ
 أمرٍ ، ويتبعُ فيه رضا الله تعالى لارضاهُ زيد وعمرو ؛ والخطُ الشريفُ أعلاه .



وهذه نسخةُ توقيع من ذلك بحسبةِ القُسطاطِ المعبر عنه الآن بمصر عوداً
 إليها ، وهى :

الحمد لله الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكر ، الشاهدِ بالعدل الذى تقوى به كلمةُ
 الإيمانِ وتُتصر ؛ والغامرِ بالجود الذى لا يُحصى والفضل الذى لا يُحصَر ، العامرِ
 ربوعِ دوى البيوت بتقديم من أعقدت الخناصرُ على فضله الذى لا يُحمد ولا ينكر .
 نحمده على نعمته التى لا تزال السنةُ الأقسامَ ترقمُ لها فى مُحفِ الإنعامِ ذكراً ،
 ونجند لها بإصابةِ مواقع الإحسان العامِّ شكراً .

ونشهد أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريكَ له شهادةً تصدعُ بنورها ليلَ الشركِ
 فيشولُ بجرأ ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبدهُ ورسوله الذى قعَ الله به من آفةٍ بالمعاصي
 وغُور ، وأقام بشريةً لواءَ الحقِ الأطهرَ وبتارَ العدلِ الأنظهر ، وعلى آله وصحبه

الذين سلّكوا من الهداية بإرشاده مَنَهِجَ الحقِّ الأنور ، وأَحَبَّسُوا نفوسهم في نُصْرته
فَفَارَزُوا من رضاه بالخطِّ الأوفى والنصيب الأوفر .

وبعدُ ، فإن الله تعالى لما جعل كلمتنا المبسوطة على العدل والإحسان مقصودة ،
وأوامرنا الشريفة بإقامة منار المعروف مؤيدة منصورة ، وأحكامنا المشهورة
بالإنصاف في صحائف الدهر بالمحاسن مسطوره ، وألهمنا من أتباع الشريع الشريف
ما غدَّتْ به قلوبُ الرعايا أمانةً ممروره - قصدا أن نختار لمراتب الديانة والعفاف
من لم يزل بيته بالصدارة علياً ، ووصفه بأنواع المحامد والمناجح ملياً .

ولما كان فلان هو الذي ورث السيادة ، عن سلف طاهر ، وتلقى السعادة ،
عن بيت فرومه التقوى فازرت بالروض الزاهي الزاهر ؛ وسرت سرأته بحسن سيرته
وسيره ، وأبطن من الديانة ما أظهرته أدلة خيره ، وتقل في المراتب الدينية فازرئ
في حُسن السلوك على غيره ؛ وسلك من الأمانة الطريق المثلى ، وأعتمد ماعدهم به
مضاهيا ومثلا ؛ وجنى ما نطق بإنصافه فضل الكيل والميزان ، ورجاه من أهل
الخير كل ذي إحسان وخشيته أهل الزينج والبهتان ؛ وكانت الحسبة المباركة بمصر
المحروسة قد ألفت قضاياه وأحكامه ، وعرفت بالخبر معروفه وشكرت نقضه
وإبرانه ؛ وفارقتها على رغمها منه اختيارا ، وعادت له خاطبة عفيفة زاهته التي
لا تجارى .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف العالى أن يفوض إليه كذا . فليقدم خيرة الله
في مباشرة هذه الوظيفة ، وليقيم منارها بإقامة حدودها الشريفة ؛ ولينظر في الكيل
والميزان اللذين هما لسان الحق الناطق ، ولينشر لواء العدل الذى طالم خفقت
بنوده في أيامنا حتى غدا قلب المجرم وهو خافق ؛ وليحسرين النظر في المطاع

والمشارب ، وليردع أهل الدّع من هو مستخف بالليل وسارب ؛ وفيه - بحمد الله تعالى - من حسن الألعية ما يغنى عن الإسهاب فى الوصايا ، ويعين على السداد فى نفاذ الأحكام وقصل القضايا ؛ وكيف لا وهو الخبير بما يأتى ويذر ، والصدر الذى لا يعدو الصواب إن ورد أوصدر ؛ والله تعالى يعمر به للعنل معلما ، ويكسوه بالإقبال فى أياها الشريفة ثوبا بالثواب معلما ، وانلطف الشريف أعلاه ، حجة بمقتضاه .



وهذه وصية محتسب أوردها فى "التعريف" وهى :

وقد ولى أمر هذه الرتبة ، وكل بعينه النظر فى مصالح المسلمين لله حسبه ؛ فلينظر فى الدقيق والجليل ، والكثير والقليل ؛ وما يخصر بالمقادير وما لا يخصر ، وما يؤمر فيه بمعروف أو ينهى عن منكر ؛ وما يسترى ويبيح ، وما يقرب بتحريه إلى الجنة ويبعد من النار ولو لم يكن قد بقى بينه وبينها إلا قدر باع أو ذراع ؛ وكل ما يعمل من المعاش فى نهار أو ليل ، وما لا يعرف قدره إلا إذا نطق لسان الميزان أو تكلم فم الكيل . ويعمل لديه معدلا لكل عمل ، وعيارا إذا عرضت عليه المعايير يعرف من جار ومن عدل ؛ وليتفقد أكثر هذه الأسباب ، ويحذر من الغش فإن الداء أكثره من الطعام أو الشراب ؛ وليتعرف الأسعار ويستعلم الأخبار ، فى كل سوق من غير إعلام لأهله ولا إشعار ، وليقيم عليهم من الأمانة من ينوب عنه فى النظر ، ويطمئن به وإن غاب إذا حضر ؛ ويأمره بإعلامه بما أعضل ، ومراجعتها مهما أمكن فإن رأى مثله أفضل . ودار الضرب والثمود التى منها تنبت ، وقد يكون فيها من الزيف ما لا يظهر إلا بعد طول اللبث ؛ فليصعد لمهمات ما يصدره الذى لا يخرج ،

وليمرض منها على الحثك من رأيه مالا يحوز عليه بهرج ، وما يُعلق من الذهب
المكسور ويروى من الفضة ويخرج ، وما أكلت النار كل لحامه أو بعضه فليقيم
عليه من جهته الرقباء ، وليقيم على شمس ذهبه من يرقب منه ما ترقب من الشمس
الحرباء ، وليقيم الضمان على العطارين والطرفية من يسع ضرائب العفاقر إلا ممن
لا يستراب فيه وهو معروف ، ويحط متطبب ماهر لمريض معين في دواء موصوف .
والطرفية وأهل النجامة وسائر الطوائف المنسوبة إلى سامان ، ومن يأخذ أموال
الرجال بالحيلة ويأكلهم باللسان ، وكل إنسان سوء من هذا القليل هو في الحقيقة
شيطان لا إنسان ؛ امنعهم كل المنع ، وأصدعهم مثل الزجاج حتى لا يجبر لهم
صدع ، وصب عليهم النكال وإلا فإي تحدى في تأديبهم ذات التأديب والصفع ؛
وأحسم كل هذه المواد الخبيثة ، وأقطع ما يمتد ضعفاء الناس من هذه الأسباب
الرئيسية ؛ ومن وجدته قد غش مسلما ، أو أكل بباطل درهمها ؛ أو أخبر مشترا
بزائد ، أو خرج عن معهود العوائد ؛ أشهره في البلد ، وأركب تلك الآلة ففاه حتى
يضعف منه الجسد ؛ وغير هؤلاء من فقهاء المكاتب وعالمات النساء وغيرهما من
الأنواع ممن يخاف من ذنبه العائث في سرب الظباء والجنادر ، ومن يقدم على ذلك
ومثله وما يحاذر ، أرسقهم بسهامك ، وزلزل أقدامهم بإقدامك ؛ ولا تدع منهم
إلا من آخبرت أمانته ، وأخترت صيانتته . والنواب لا ترض منهم إلا من يحسن
نفاذا ، ويحسب لك أجر استناجه إذا قيل لك من استنبتت فقلت هذا ؛ وتقوى
الله هي نعم المسالك ، وما لك في كل ما ذكرناه بل أكثره إلا إذا عملت فيه
بمذهب مالك .

الوظيفة الرابعة

(وَكَالَةُ بَيْتِ الْمَالِ)

وهى وظيفة عظيمة الشأن رفعة المقدار ، وقد تقدم أن موضوعها التحدث فيما يتعلق بمبيعات بيت المال ومُشْتَرَوَاتِهِ^(١) من أرض وأدُر وغير ذلك مما يجرى هذا التجرى، وأن متوليها لا يكون إلا من أهل العلم والديانة، وأن له مجلساً بدار العدل: تارة يكون دون مجلس المحتسب ، وتارة فوق مجلسه ، بحسب رفعة قدر كل منهما فى نفسه . وقد أضيف إليها فى المباشرة نظير كسوة الكعبة الشريفة وصاروا كالوظيفة الواحدة .

وهذه نسخة توقيع بوكالة بيت المال :

الحمد لله جامع المناصب الدينية، لمن خطبته لها رتبتان : العلم والعمل، ومكّلي الرتب السيئة، لمن وجدت فيه أهبتان : الورع والتقوى وعُدِمَت منه خلتان : الخِرُصُ والأمل، جاعل اختصاص الرتب بأكفائها حلية الدول، والنظر فى مصالحها الخاصة والعامة زينة أيامنا التى تنقلت إلى محاسنها أجياد الأيام الأول .

نحمده على نعيمه التى عصمت آراءنا من اعتراض الخلل، وأمضت أوامرنا من مصالح الأمة بما تسرى به المحامدُ سِرِّ النجوم ويسير به الشكر سِرَّ المثل .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لم تزل نستنطق بها فى الجهاد، ألسنة الأسل، ونوقظ لإقامتها عيون جلاذ، لها الفؤود جفون والسهام أهدابُ والسيف مقل، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى أظهر الله دينه على الأديان وشرف ملته على الملل، وأسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إلى سِدْرَةِ

(١) جرى على اللغة العامة والافصواب العربية مشترياته بالياء .

المتنبى وعاد ولم يَكلُ الليلَ بينَ السَّيرِ والقَفَلِ ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هَجَرُوا في المَهاجِرِ إليه الأحياءَ والحُللَ ، وَشَفَوْا بِأسنةِ سنَةِ العِلِّ والْعَلِّ ، وتَفَرَّدُوا بِكَمالِ المَفانِرِ إذا حَلَمَتِ الأَقلامُ على أوصافِهِم حُللاً غَدَتَ منها في أبهى من الحُلِّ ، صلاةٌ تتوالى بالعِشى والإبكار وتواترُ في الإِشراقِ والطُّلِّ ، وسَلَّمَ تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإنَّ أَوَّلَى الرُّتبِ بِانعامِ النظرِ في آرتيادِ أَكفائِها ، وأَنتقادِ فرائدِ الأعيانِ لها وأَنتقائِها ، وأَسْتِخارةِ الله تعالى في أَختيارِ من يكونُ أمرُ دينِهِ هو المِهمُّ المَقْدَمُ لَدَيْهِ ، وأَسْتِئارةِ التوفيقِ في أَصطفاءِ من يكونُ مِهمُّ آخِرِيهِ هو المُرْتى المَصوَرُ بينَ عَيْنَيْهِ ؛ مع ما أَتَصَفَّ به من محاسِنِ تَجَايَا جُبِلَتْ عليها طِباعُهُ ، وَخُصَّ به من سوابِقِ مزايا رَحَبَ بها في تَلَقُّ المِصالحِ الدِينِيَّةِ صَدْرُهُ وباعُهُ ، رَبَّتْنا بِعَمِّ نَفْعِها وبِخُصِّ ، وبِحُسْنِ وَقْعِها بِما يُؤَيِّدُهُ من أوصافِهِ وَيَقْصُ ؛ ويتعلَّقُ كُلُّ منهما بِجماعةِ الأُمَّةِ قَرْدًا قَرْدًا ، وَيَسْتَمِلانِ على مِنافِعِهِم على أَختلافِها بَدَأً وإِعادةً وَعَكْسا وطَرْدًا ؛ ويكونُ المتصدى لها مَنافِئًا على حَقُوقِهِم وهم سَاهُونَ ، ومُفْتَشَنّا عن مِصالحِهِم وهم عنها لاهُونَ ؛ ومَناضِلًا عَنْهُمْ وهم غافِلُونَ ، ومُشْمَرّا للسعى في مِصالحِهِم وهم في حِبرِ الدِّعةِ رافِلُونَ ، ومُتَكَلِّفاً لِمِسماعِ الدَّعوى عَنْهُمْ جَوِبَ فُلُواتِ الجَوابِ ، ومُتَكَفِّلاً بِالْتَحَرُّزِ في المِحاوَرَةِ عَنْهُمْ وإِصابةِ شاكِلَةِ الصَّوابِ ، ومؤدِّياً في نَصَحِهِم جُهدَهُ قَرَبًا إلى مَرَاضِينا وَلَهُ عِندنا الرِّضا وَابْتِغاءُ ثَوابِ الله : (وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوابِ) وهما وَكالةُ بَيْتِ المالِ المَعْمُورِ والحِسْبَةُ الشَّرِيفَةُ بالقاهرةِ المَحْرُوسَةِ : فإنَّ مَنافِعَ وَكالةِ بَيْتِ مالِ المِسامِينِ عائدةٌ عَلَيْهِم ، آئِلَةٌ بِأحكامِ الشَّرِيعَةِ المِطْهَرَةِ لِإِلِهِم ؛ راجِعَةٌ إلى ما يُعْمَلُ مِساَرُهُ ، مُعَدَّةٌ لِمَا تُدْفَعُ بِهِ عَنْهُمْ من حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ مَضارَهُ ؛ صائِنَةٌ حَقُوقِهِم من تَعَدَّى الأَيْدِي الفانِصِبَةَ ، حافظةٌ بِيوتِ أُمُوالِهِم من أَعتراضِ الآمالِ

العالمية الناصبه ؛ وكذلك نظر الحسبة : فإنه من أخص مصالح الخلق وأعمها ،
 وأكد الوظائف العامة وأكملها استقصائية للمصالح الدينية والدنيوية وأتمها ، يحفظ
 على ذوى الهيئات أقدارهم ؛ ويبين بتجنب المناس في الصدر مقدارهم ، ويصون
 بتوق الشبهات إيرادهم وإصدارهم ؛ ويتره معاملاتهم عن فساد يعارضها ، أو شبه
 تنافي كمال الصحة وتناقضها ؛ ويحفظ أقواتهم من غش مثلف ، أو غلو مجحف ؛
 إلى غير ذلك من أدوية لا بد من الوقوف على صحة ترتيبها وتركيبتها ، وتبع الأقوال
 التي تجرى بها الثقة إلى غاية تجريبها ؛ ولذلك لا تجمعان إلا لمن أوقفه علمه على جادة
 العمل ، وأقتصر به ورعه على مادة الحق فليس له في التعرض إلى غيره أمل ؛
 وسمت به أوصافه إلى معالم الأمور فوجد التقى أفضل ما يتوقى ، وعرضت عليه
 أدواته جوهر الذخائر فوجد العمل الصالح أكمل ما ينتقد منها وما ينتقى ؛ وتحلى
 بالأمانة ، فصارت له خلقا وصحبه ، وأيس بالزاهة ، فكانت له في سائر الأحوال للنجاة
 نجيته ؛ وأرته فضائله الحق حيث هو فتمسك بأسبابه ، وتشبهت بأهدابه ، وأتصف
 به في سائر أحواله فإن أخذ أخذ بحكمه وإن أعطى أعطى به ؛ وأحترز لدينه
 فهو به ضنين ، وأستوثق لأمانته وإن لم يكن فيها بحمد الله متهما ولا عليها بظنين ،
 وأجتنى حمار المحامد الحلو من كرام الأمانة المره ، وعلم أن رضا الله تعالى في الوقوف
 مع الحق فوقف معه في كل ماساءه للخلق وسره .

ولما كان فلان هو الذى أمسكت الفضائل بما كملها من آداب نفسه ونفاسه
 آدابيه ، وتجاذبت الرتب للتحلى بمكانته فلم تكن هذه الرتبة بأحق به من مجالس العلم
 ولا أولى به ؛ وشهدت له فضائله معنى بما شهدت له به الأئمة الأعلام لفظا ،
 وتوهمت يذكره المعلوم الدينية التي أتقنها بحثا وأكملها دراية وأثبتها حفظا ؛ فأوصائه
 كالأعلام المشتقة من طباعه ، الدالة بدوامها على انحصار سبب الاستحقاق فيه

وآجتماعه ؛ المنبهة على أنه هو المقصود بهذه الإشارات التي وراءها كل ما يحد من
 اضطلاله بقواعد هذه الرتب وأطلاعه ؛ فهو سر ما ذكر من نوت وأوصاف ،
 ومعنى ما شير من معدلة وإنصاف ، ورقوم ما حبر من حلل أفيضت منه على أجمل
 أعطاف - ريس ^(١) أن يفوض ^(١) تفويضاً يقع به الأمر في أحسن
 مواقعها ، ونضع به الحكم في أحمد مواضعه ؛ ويحل من أيجاد هذه المناصب محل
 الفرائد من القلائد ، ويقع من رياض هذه المراتب وقوع الحيا الذي سيعده به
 رأى الرائد .

فليأشرف هاتين الوظيفتين مرهفاً في مصالحهما همة غير همة ، مجتهداً من قواعدهما
 فيما تبرأ به عند الله منا ومنه الذمة ، محققاً على حقوق بيت المال حيث كانت
 محافضة من يعلم أنه مطلوب بذلك من جميع الأئمة ؛ متحرراً للحق فلا يغدو لما يجب
 له مهماً ، ولا لما يجب عليه مما طلاً ، واقفاً مع حكم الله تعالى الجلي في الأخذ
 والعطاء فإنه بيان من ترك حقاً أو أخذ باطلاً ؛ مجرياً عوائد الحسبة على ما ألف من
 تدبيره ، وعريف من إقتانته وتحريره ، وشير من أعتاده للواجب في سائر أموره ؛
 مكنتياً بما أطلع عليه قديماً من مصالحها ، متنبياً إلى ما سبقت معرفته به من
 أسبابها ومناجحها ؛ والله تعالى يوفقه في آجتهاده ، ويعينه على ما يدبره لمآده ،
 إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية وكل بيت المال أوردتها في "التعريف" :

وهو الوكيل في جميع حقوق المسلمين وماله معهم إلا حق رجل واحد ، والمكلف
 بالمخاصمة عنهم حتى يُقَرَّ الجاحد ؛ وهو القائم للدعوى لهم وعليهم ، والمطلوب من الله

(١) يياض في الموضوعين والفرض منه الاختصار والميض له مفهوم مما تقدم مراراً . (٢) أى غير ضيقه .

ومأ بما يُؤخذ لهم أو يُؤخذ من يديهم ؛ والمُعَدّ لتصحيح المُقوّد ، وترجيح جهة بيت المال فى المقار المبيع واثن المتقوّد ؛ والمتكلم بكتاب الوكالة الشرعية الثابتة ، والثابتُ القَدَم والأقدام غيرُ ثابتة ؛ والمقسوح المجال فى مجالس الحُكّام ، والمجادلُ بلسان الحقّ فى الأحكام ؛ والموقوفة كلّ دعوى لم تُسمع فى وجهه أو فى وجه من أذن له فى سماعها ، والمرجوعُ إليه فى إمامة كلّ خاصمة حصل الضجر من طول نزاعها ؛ وإبداء الدوافع ، ما لم يحدّ بدا من الإشهاد عليه بصدَم الدافع ، والانتهاؤ إلى الحق كان له أو عليه ولا يقف عند تثقيل مثقّل ولا شفاعة شافع ، وبوقوفه مُحدّد الحدود [ومُتمنّح الشهود ^(١)] ويمشّى على الطُرُق المستقيمة ، ويُحفظ لأصحابها الحقوق القديمة ؛ وبه يتم عقد كل بيع وإيجار إذا كانت المصلحة فيها لعمامة المسلمين ظاهره ، ولم فيما يؤكّل عنهم فيه الخطّ والغلبة بحسب الأوقات الحاضرة .

ونحن نُوصيه فى ذلك كلّه بالعمل بما علم ، والانتهاؤ فى مقتضى قولنا إلى ما فيهم ؛ وتقديم تقوى الله فإنه متى قدّمها بين يديه سلّم ، والوقوف مع رضا الله تعالى فإنه متى وقف معه غنم ؛ والعمل بالشرع الشريف كيفما توجّهت به أحكامه ، والحذر من الوقوف فى طريقه إذا تفلّت سبامه ؛ ومن مات وله ورثة معروفة تستكمل بحقها ميراثه ، وتحوز بحفظها ثرائه ؛ لا يكلفهم ثبوتاً يكون من باب العنت ، والمدافعة بحق لا يحتاج [مستحقّه ^(١)] إلى زيادة ثبّت ؛ وإنما أنت ومن كانت قضيته منكّره ، والمعروف من مستحقّ ميراثه نكّره ؛ فأولئك شدّد فى أمرهم ، وأوطّ شهادتهم فى الاستفسار منهم على جرمهم ؛ وتنبّع باطن الحال لعله عنك لا يسترّ ، ولا يمشى عليك فيه الباطل ويمشى شاهد الزور بكّيه ويتبخّر ؛ فإن تحققت صحة شهادتهم

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٣٢ .

والأفاشيزهم في الدنيا ودفعهم في الآخرة لا يُخَفَّف عنهم العذاب ولا يَفْتَر؛ وكل ما يُباع أو يُؤجَّر أَرَج فيه إلى العوائد، وتقلد أمر الصغير، ووجد لك أمراً مناً في الكبير، وذلك بعد مراعاة ما تجب مراعاته، والتأني كل التأني حتى يثبت ما ينبغي إثباته؛ وشهود القيمة عليهم المآل، وبشهادتهم يُقدَّر المقدار؛ وما لم يكونوا من ذوي الأقدار، ومن أهل الخبرة بالبر والحدار، ومن أشرى العقار وأسفله وبني الدار؛ وإلا فاعلم أنَّ مثله لا يرجع إليه، ولا يعول ولا سيما في حق بيت المال عليه؛ فاتفق مع ولادة الأمور من أهل الأحكام، على تعيين من تعين لتقليد مثل هذه الشهادة، وتعرف منهم من له كل الخبرة حتى تعرف أنه من أهل الزهادة؛ ولك أن تدعي بحق المسلمين حيث شئت ممن ترى أن حقه عنده يترجح، وأن بيتهم تكون عنده أَوْحى؛ فأما الدعوى عليك فمن عاداتها أن لا تُسمع إلا في مجلس الحكم العزيز الشافعي - أجله الله تعالى - ونحن لا نغير العوائد، ولا نقض ما بنت الدول السالفة عليه القواعد؛ فليكن في ذلك المجلس سماعها إذا تعينت، وإقامة البنات عليها إذا تيسرت؛ والله في حق بيت المال، ثم الله في الوقت الحاضر والمآل؛ ومن تستنبهم عنك بالأعمال لا تهمز منهم إلا من تهر به عينك، ويوق به عند الله لا بما تحصّله من الدنيا دينك؛ ومن كان لعمله مصلحاً، ولأمله منجهاً، لا تعبر عليه فيما هو فيه، ودعه حتى يتبين لك خفيه؛ ولتستقص في كل وقت عنهم الأخبار، ولتستعلم حقائق ما هم عليه بمن تستصحبه من الأخيار، ولا تزال منهم على يقين، وعمل بما فيه خلاص دنيا ودين.

(١) كذا في التعريف أيضاً والمراد أن المقومين بشرط فهم أن يكونوا بتلك الصفات والا فلا يؤخذ

بتقويمهم ولا يعول على كلامهم.

الوظيفة الخامسة

(الخطابة)

وهى من أجل الوظائف وأعلها رتبة فى نفس الأمر . وموضوعها معروف .
وتختص هذه الطبقة من التواقيع بخطابة الجامع .

وهذه نسخة توقيع بخطابة الجامع بقلمة الجبل المحروسة ، حيث مصلّى السلطان ،
من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

الحمد لله الذى أنار بالذكر قلوب أوليائه ، وكشف بالذكرى بصائر أصفياه ،
وأناهل أهل العلم بالإبلاغ عنه إلى خلقه وراثته أنبيائه ، وأختار لإدكارنا بالآلاء الله
من قرسان المتأخر من يُجاهد الأعداء بدُعائه ، ويُجاهر الأعداء من مواعظه بما يعلم
كلّ منهم أنّ فى مؤلّم صَوَادِمِهِ دَوَاءَ دَائِهِ ، فإذا أَفْتَحَ بِحَمْدِ اللَّهِ أَقْنَى عليه بمواد عليه
حقّ ثَنائه ، وزمّه بما يبنى لُسُحات وجهه وجلالِ قُدْسِهِ وتقدّس أسمائه ، وأقْنَى
كما يحبّ على نبيه صلى الله عليه وسلم الذى آدمُ وَمَنْ بعده من الرسل تحت لوائه ،
وإذا تليت على خيل الله حُطْبَتُهُ تشوّقت بقاء أعداء الله إلى لقائه ، وخطبتِ الحنّان
من بذل نفوسها ونفائسها بما أفتته فى سبيل الله لأشقائه .

نحمده على أن جعلنا لذكره مستمعين ، ولأمره ونهيه متبعين ، وعلى حمده فى كل
ملا من الأولياء مجتَمعين .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال تحلّل بذكرها أعطاف
المتأخر ، وتنعطر ألسنة الأقدام بما تنقله منها عن أفواه المخابر ، ونشهد أنّ هذا
عبده ورسوله الذى هدى الله من هدم من الأمة بغيره ومن تأثر بغيره ، وجعل
روضة من رياض الجنة بين قبره ومبثّره ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هم

أَوَّلُ مَنْ عَقِدَتْ بِهِمُ مِنَ الْجَمْعِ صَلَوَاتُهَا، وَأَكْرَمَ مَنْ رُهِبَتْ بِهِ مِنَ الْجِهَادِ وَالْمَنَابِرِ صَمَوَاتُهَا؛ صَلَاةٌ لَا تَزَالُ تُقِيمُهُمَا عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ، وَتُنْدِيهِمَا فِي كُلِّ مُتَّهِمٍ فِي الْآفَاقِ وَمُنْجِدٍ، وَسَلَّمٌ تَسْلِيًا كَثِيرًا .

وبعدُ، فَإِنَّ أَوَّلِي الْمَنَابِرِ أَنْ يُرَادَ لَهُ مِنْ أَمَّةِ الْعُلَمَاءِ عَلَامَةُ عَصْرِهِ، وَرُحْلَةُ مِصْرِهِ؛ وَإِمَامٌ وَقْتُهُ الَّذِي يَصْدَعُ بِالْحَقِّ وَإِنْ صَدَعَ، وَعَالِمُ زَمَانِهِ الَّذِي يَقُومُ فِي كُلِّ مَقَامٍ بِمَا يَنْسِبُ بِهِ مَا يَأْخُذُ فِي الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَمَا يَدْعُ، مِنبَرٌ نَذَرُ بِلَاءِ اللَّهِ عَلَى أَعْوَادِهِ وَإِنْ لَمْ تَزَلْ لَهَا مِنَ الذَّاكِرِينَ، وَنُذْبَةٍ فِيهِ عَلَى شُكْرِ اللَّهِ بِالرَّأْفَةِ عَلَى خَلْقِهِ وَإِنْ لَمْ يَنْجِ لَهَا بِذَلِكَ وَضِيْرُهُ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَتُسَوِّقُ عَلَيْهِ إِلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ النَّصْرِ وَالْإِجْرِ وَإِنْ كُنَّا عَلَى الْأَبَدِ إِلَيْهِ مُبَادِرِينَ، وَإِلَى إِقَامَةِ دَعْوَةِ الْحَقِّ بِهِ مُبَاكِرِينَ .

ولما كَانَ فَلَانِبٌ هُوَ الَّذِي تَعَيَّنَ لِرُقِيِّ هَذِهِ الرِّتَبَةِ نَحْطُبُ نَحْطَابَهَا، وَتَبَيَّنَ أَنَّهُ كُفُوُهَا الَّذِي تَنْشَوُقُ الثُّغُوسُ إِلَى مَوَاعِظِهِ فَتَرْغَبُ فِي إِطَالَتِهَا لِإِطَالَتِهَا - أَقْضَيْتُ أَرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نَحْلِيَ بِفَضَائِلِهِ أَعْطَافَ هَذَا الْمِنْبَرِ الْكَرِيمِ، وَأَنْ نَخْتَصَّ نَحْنُ وَأَوْلِيَائُنَا بِسَمَاعِ مَوَاعِظِهِ الَّتِي تَرْغَبُ فِيهَا عِنْدَ اللَّهِ بِجِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ (وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ يُطْلَعُ فِي أَفْقِ الْمَنَابِرِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ شَمْسًا مُنِيرَةً، وَيُقِيمُ شَعَائِرَ الدِّينِ مِنَ الْأَمَّةِ الْأَعْلَامِ بِكُلِّ مُشْرِقٍ الْعَلَانِيَةِ طَاهِرٍ السَّرِيرَةِ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ كَذَا: فَلِيَحْلِلْ هَذِهِ الرِّتَبَةَ الَّتِي لَمْ تُقَرَّبْ لغيرِهِ جَيَادُهَا، وَيَحْلِلْ هَذِهِ الْعَقِيلَةَ الَّتِي لَا تُزَانُ بِسِوَى الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ أَجْيَادُهَا، وَيَرْقَ هَذِهِ الْمَهْضِبَةَ الَّتِي يَطُولُ إِلَّا عَلَى مِثْلِهِ صُعُودُهَا، وَيَلْقَ تِلْكَ الْمَصِيبَةَ الَّتِي تَجْتَمِعُ لِلْأَوْلِيَاءِ بِهِ (؟) حُشُودُهَا. وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ فِي مَوْقِفِ الْإِبْلَاحِ عَنِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ، وَالْإِعْلَامِ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ لِمَنْ

جاهد فى الله حقَّ جهاده ، والإنذار لمن قَصَرَ فى إعدادِ الأُنبىة ليومِ معادِهِ ؛ وهو
 بِمُخَصَّرٍ من حُماة الإسلام ، ومُشَهِدٍ من قُلْدانِهِ أَمَرَ أُمَّةَ سَيِّدِنَا عِندَ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ
 وَالسَّلَامِ ؛ فَلْيَقْصُرْ خُطْبُهُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ بِحُضِّ عَلَيْهَا ، وَعَزْمَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُسَوِّقُ
 إِلَيْهَا ، وَمَعْدَلُهُ يَصِفُ مَا عَدَّ اللَّهُ لَوْلَاةِ أَمْرٍ قَدَّمْتَهَا بَيْنَ يَدَيْهَا ؛ وَتَوْبَةٍ يَبْعَثُ إِلَيْهَا ، عَلَى
 تَعَجُّلِهَا ، وَأَوْقَاتٍ مَكْرُومَةٍ يَنْبَغُ الْأَنْمَ ، عَلَى أَحْتِرَافِهَا بِتَقْوَى اللَّهِ وَتَجَلُّلِهَا ؛ وَدُنْيَا يُنْذِرُ مِنْ
 خِدَاعِهَا ، وَيَبَيِّنُ لُغْطَ بِهَا مَا عُرِفَ مِنْ خِلَافَتِهَا الْمُنْعُومَةِ وَالْأَلْفِ مِنْ طِبَاعِهَا ؛ وَأُخْرَى
 يُوَسِّعُ لِلْعُرْضِ عَنْهَا وَشَكَ قُدُومَهَا ، وَيَحْذَرُ الْمُقْصِرَ فِي طِلَابِهَا مِنْ عَذَابِهَا وَيَبَشِّرُ الْمُسْتَعِزَّ
 لَهَا بِبَيْعِهَا . وَلْيَعْلَمْ أَنَّ الْمَوْعِظَةَ إِذَا خَرَجَتْ مِنَ الْأَلْسِنَةِ لَمْ تَعُدْ الْأَسْمَاعَ ، وَلَمْ
 يُحْصَلْ مِنْهَا عَلَى غَيْرِ تَعَقُّلِ الْقَرَائِنِ وَالْإِنْجِمَاعِ ؛ وَإِذَا خَرَجَتْ مِنَ الْقُلُوبِ وَقَعَتْ
 فِي مِثْلِهَا ، وَأَثْمَرَتْ فِي الْحَالِ بِالْمَحَافِظَةِ عَلَى قُرْصِ الطَّاعَةِ وَفَقْلِهَا ؛ وَسَكَنَتْ فِي السَّرَائِرِ
 طِبَاعَ طَاعَةٍ تَأْتِي عَلَى مُحَاوَلِ قَلْبِهَا ، وَقَدَحَتْ فِي الْبَصَائِرِ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَعْرِفَةِ مَا لَمْ يُعْهَدْ
 مِنْ قَبْلِهَا . وَلْيَجْعَلْ خُطْبُهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ مَنَاسِبَةً لِأَحْوَالِ مُسْتَمْعِيهَا ، مُنَاسِبَةً
 فِي وَضُوحِ الْمَقَاصِدِ بَيْنَ إِدْرَاكِ مَنْ يَبْقَى غَوَامِضَ الْكَلَامِ وَمَنْ لَا يَبْقَى ؛ فَخَيْرُ الْكَلَامِ
 مَا قَلَّ وَدَلَّ ، وَإِذَا كَانَ قِصْرُ خُطْبَةِ الرَّجُلِ وَطُولُ صَلَاتِهِ مُنْبِئِينَ عَنْ فَقْهِهِ فَمَا قَصَرَ
 مَنْ حَافِظٌ عَلَى ذَلِكَ وَلَا أَخْلَى ؛ وَلْيُوسِّعْ خُطْبُهُ مِنَ الْبَدْعِ لَنَا وَلِلْمُسْلِمِينَ بِمَا يُرْجَى
 أَنْ يُوَافِقَ مَسَاعِدَ الْإِجَابَةِ ، وَإِذَا تَوَسَّعَ الْفَرَضُ بِدَعَائِهِ لِمُؤْمَرِ الْأُمَّةِ فَهِيَ تَعَيَّنَتْ
 - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - الْإِصَابَةُ ؛ وَهَذِهِ الْوَصَايَا عَلَى سَبِيلِ الذِّكْرِ الَّتِي تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ،
 وَتَرْفَعُ الْمُحْسِنِينَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُهُ - وَقَدْ فَعَلَ - مِنْ أَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! ،
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه وصية خطيب أوردتها في "التعريف" :

وليرتق هذه الرتبة التي رُفِعَتْ له ذُرا أعوادِها ، وقُدِّمَتْ له من المنابر مُقَرَّبَاتُ
جِياذِها ، وليصعد منها على أعلى دَرَجِه ، وليسعد منها بصهوة كأنما كانت له من
بُكَرة يومه المشرق مُسْرَجِه ؛ وليترع حق هذه الرتبة الشريفه ، والذروة التي
مأعنت إلا لإمام فرد مثله أو خليفه ؛ وليقف حيث تحقُّق على رأسه الأعلام ،
ويتكلم فتخرس الألسنة وتجب في فم الذرأ الأعلام ، وليفرج المسامع بالوعد
والوعيد ، ويُذكر بأيام الله من (كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) .
وليكن القلوب القاسية وإن كان منها ما هو أشد قسوة من الحجارة والحديد ؛ وليكن
قد قدم لنفسه قبل أن يتقدم ، وليسئل عليه درع التوبة قبل أن يتكلم ، وليجعل
لكل مقام مقالا يقوم به على رؤس الأشهاد ، ويقوِّ منه سبما لا يخطئ موقعه كل
فؤاد ؛ وليقيم في المحراب مقام من ينشئ ربه ، ويخاف أن يتخطف الوجل قلبه ؛
وليعلم أن صدفة ذلك المحراب ما انفلتت عن مثل دُرته المكنونه ، وصناديق
الصدور ما أطيقت على مثل جوهرته المخزونه ؛ وليؤم بذلك الجمل العفير ، وليتقدم
بين أيديهم فإنه السفير ؛ وليؤد هذه الفريضة التي هي من أعظم الأركان ، وأول
الأعمال التي توضع في الميزان ، وأقرب القرب التي يجمع إليها داعي كل أذان ؛
وليقيم بالصلاة في أوقاتها ، ويرشح بها الناس في أول ميقاتها ، وليخفف مع الإتمام ،
وليتحمل عن وراءه فإنه هو الإمام ؛ وعليه بالتقوى في عقد كل نيّة ، وأمام كل
قضيّة ؛ والله تعالى يجعله ممن يتقلب إلى أهله وهو مسرور ، وينصب له مع الأئمة
المقسطين يوم القيامة عن يمين الرحمن مناير من نور ؛ بمنه وكرمه .

الوظيفة السادسة

(الإمامة بالجموع ، والمساجد ، والمدارس الجكار التى تصدر التولية
عن السلطان فى مثلها)

وهذه نسخة توقيع بالإمامة :

أما بعد حمد الله على نعمه التى جعلت أيا منا الشريفة تزيد أهل الفضائل إكراما ،
وتخص بالسيادة والتقديم من أنشأه الله تعالى قوة أعين وجعله لليقين إماما ، وقدمه
على أهل الطاعة الذين يبيتون لهم سجدا وقياما .

والشهادة له بالوحدانية التى تكسو محليها جلالاتها ، والصلاة والسلام على
سيدنا محمد الذى أم الناس وعلّمهم الصلاة وأظهر فى إقامة الدين مقالا محمودا
ومقاما ، وعلى آله وصحبه الذين تمسكوا بسنته توثقا واعتصاما - فإن خير الرتب
فى هذا العصر وفيما تقدم ، رتبة الإمامة حيث تقدم سيد البشر فى محرابها على الأمة
وأم ، فاختارها من أتبع الطريق المحمدية وشرعها ، وعلم سنامها ورفعها ، فزاد بذلك
سموا إلى سموه ، وحصل على تصاعف الأجر وثمّوه ، وهو فلان .

رسم - لا زالت أيامه الشريفة تشمل ذوى الأصالة والصدارة بيزيل فضليها ،
وعوائد إنعامه تجرى بآتمام المعروف فتبني الرتب الدينية بيد مستحقها وتسارع
إلى تخليد النعم عند أهلها - أن يستمر فلان فى كذا جاريا فيه على أجل العادات ،
إعانة له على اكتساب الأجور بما يعتمد منه من تأهيل مهّد العبادات ، ورعاية
لنكثير المآثر ، وترجيحا لما أشتمل عليه من حسن النظر فى كل إيراد وإصدار ،
وتوفيرا للنأج التى عرفت من بيته الذى كم ألف منه فعل جميل وعمل بار ، ووثوقا

بأنه يعتمد في عمارة مساجد الله سبحانه وتعالى أنه تشهد به الملائكة المتعاقبون بالليل والنهار، والله تعالى يجعل النعم عنده مؤبدة الاستقرار، إن شاء الله تعالى .

الوظيفة السابعة

(التدريس ، وموضوعه إلقاء المسائل العلمية للطلبة)

وهذه نسخة توقيع بتدريس كُتِبَ به للقاضي عز الدين ابن قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ، عوضاً عن والده ، في جمادى الآخرة سنة ثلاثين وسبعائة ، وهي :

الحمد لله مِمَّ فَضَّلَهُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ ، وَمُقَرَّ النَّعْمَةَ عَلَى كُلِّ وَالِدٍ وَوَلَدٍ ، الَّذِي خَصَّ أَوْلِيَاءَنَا بِبُلُوغِ الْغَايَاتِ فِي أَقْرَبِ الْمُدَدِ ، وَاسْتَصْحَابِ الْمَعْرُوفِ فَمَا يُتَرَعُ مِنْهُمْ خَاتَمٌ مِنْ يَدٍ إِلَّا لِيَدٍ .

نَحْمَدُهُ بِأَفْضَلِ مَا يَحْمَدُهُ بِهِ مَنْ حَمِدَ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً بَاقِيَةً عَلَى الْأَبَدِ ، وَنُصَلِّي عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي جَعَلَ شَرِيعَتَهُ وَاحِدَةً الْجَدِّ ، قَائِمَةً بِأَعْلَامِ الْعُلَمَاءِ قِيَامَ الْأَمَدِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ شَبَّهَهُمْ فِي الْهُدَى بِالنُّجُومِ وَهُمْ مِثْلُهَا فِي كَثْرَةِ الْعَدَدِ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيماً كَثِيراً .

وبعد ، فَإِنَّ نِعْمَتَنَا الشَّرِيفَةَ لَا تَحْتَوَى ، وَمَوَاهِبَتَا الْجَزِيلَةَ ... (١) ... تَحْتَوَى ، وَكَرَمَاتُهَا مُنْهَدٌ مِنْ زَلِّ السُّعُودِ لِكُلِّ بَدْرٍ يَنْتَقِلُ ، وَشِيمَتَا الشَّرِيفَةِ رَعَى الدِّمَمَ لِكُلِّ مَنْ أَتَقَى عُمْرَهُ فِي وَلايَتِهَا ، وَتَحْفَظُ مَا لَهَا مِنَ الْمَآثِرِ الْقَدِيمَةِ بِإِبْقَائِهَا فِي نُجَبَاءِ أَبْنَائِهَا ، مَعَ مَا نَلَا حِفْظَهُ فِي اسْتِحْقَاقِ التَّقْدِيمِ ، وَاتِّخَاذِ مَنْ تَرَفَّى مِنْهُمْ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ ، وَحَصَلَ

(١) بياض بالأصل ولعله لا تزال لأوليائنا نحول . وفي اللسان "النحول التمدد وحسن الرعاية" .

فى الزمن القليل العلم الكبير، واستمد من نور والده وهو البدر المتيّر، وطُلم بأنّه فى الفضائل سرُّ أبيه الذى شاع، وخليفته الذى لو لم يتَّص عليه لما أعمَّد [إلا] عليه الإجماع، والواحد الذى صاد فى رتبة أبيه وما خلَّت من مثله - لا أخلى الله منه البقاع ! .

وكان المجلس السامى، القضائى، الفلانى، هو المراد بما قدمنا من صفاته الجليسه، وتوسَّنا أنه لَمعة البدر وهى لا تخفى لأنها لا تردُّ العيون كليله؛ ورأى والده المشار إليه من استحقيقه ما اقتضى أن ينوّه بذكره، وينبّه على المعرفة بحق قدره، فآثر التزول له عمّا باسمه من تدريس الزاوية بجامع مصر المحروسة ليُقوم مقامه؛ ويُقرّر فوائده وينشر أعلامه، ويعلم أنه قد خلّق فى العلياء حتى لحق البدر وبلغ تمامه؛ فليُنا أن البركة فيما اشار، وأنّ الأيمن بحمد الله فيما ربحه من الاختيار.

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - زاد الله فى شرفه، وجعل أقطار الأرض فى تصرفه - أن يُرتب فى هذا التدريس عوضاً عن والده، أطل الله بقاءه على عادته وقاعدته إلى آخر وقتٍ لأنه أحقُّ من استحق قدره الرفيع التمييز، وأولى بمصر ممن سواه لما عرفت به مصر من العزيز ثم من عبد العزيز.

ونحن نوصيك أيها العالم - وفقك الله - بالمداومة على ما أنت بصديده، والمذاكرة للعلم فإنك لا تكاثر العلماء إلا بعمده؛ والعمل بتقوى الله تعالى فى كل قصد وتصدير، وتقريب وتقرير، وتأثيل وتأثير، وتقليل وتكثير؛ ونصّ وتأويل، وترتيب وترتيب؛ وفى كل ما تردّد به وفعتك، وتطير به سمعتك؛ ويحسن به الشاء على دينك المين، ويقوم به الدليل على ما وضع من فضلك المين .

وأعلم بأنك قد أدركت بحمد الله تعالى وبكرمنا وبإيالك وباستحقاقك ما أردت به كثير عن مقامك ، ووصلت في السداية إلى المشيخة في زاوية إمامك ؛ فاعمل في إفادة الطلبة بما يرغب الرافعي لك به الراية ، ويأتم بك إمام الحرمين في النهاية ؛ فقد أسيت جار البحر فاستخرج جماته ، واجتهد لتصيب في فتاويك فإن أوليك سهام رميها من مكانه ؛ وسبيل كل واقف عليه العمل بمقتضاه والاعتناء^(١)



وهذه نسخة توقيع بتدريس زاوية الشافعي بالجامع العتيق أيضا ، من إنشاء المولى زين الدين بن الخضر موقع الدست ، كُتب به لتاج الدين محمد الإخنائي شاهد خزانة الخصاص ، بالنياحة عن عمه قاضي القضاة تقي الدين المالكي في أيام حياته ، مستقلا بعد وفاته ، وهي :

أما بعد حمد الله على أن زان مجالس المدارس في أيماننا الشريفة بتأجها ، وأقربها من ذوي الإنابة من يستحق النيابة عن تقي قوى الأحكام بإحكامها وإتاجها ، ورفع قدر بيت مبارك طالما أشتهر علمه وصدر عن صدره فكان مادة مسرة النفس وأبتاجها ، وجعل عوارفنا ترى الدررية الصالحة في عقبها وتولي كل رتبة من أضحى لأهلها بوجاهته مؤاجها ؛ والشهادة له بالوحدانية التي تنفي شرك الطائفة الكافرة ومعلول احتجاجها ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي استقامت به أمور هذه الأمة بعد أعوجاجها ، وتشرفت به علمؤها حتى صارت كأنبياء بني إسرائيل بحسن استنباطها للجمل وجميل استخراجها ؛ وعلى آله وصحبه الذين علموا وعملوا وأوضحوا لهذه المسئلة قويم منهاجها - فإن أولى الأولياء ببلوغ الأمل ، وتعاهد

مدارس العلم بصالح العمل ، وإظهار سرّ الفوائد للطالين ، وحلّ عقود مشكلاتها
بجمل الأطلاع وحسن اليقين ، من حوى معرفة الفروع والأصول ، وحاز من
مذهبه المذهب خير محصول ، ونشأ في حجب الفضائل ، وأقندى بحكم بيته الذين لهم
في العلوم بمصر والشام أوضح البراهين وأقوى الدلائل ، وله في الآباء والأبوة ،
الديانة التي بلغ بها من الإقبال مرحّجه ، طالما سارت أحكام عمه - أجله الله -
في الأقطار ، وحكم فابدى الحكم بين أيدينا أوفى الأمصار ، وله العفاف والثقي والمآثر
الجميلة وجميل الآثار ، والفتاوى التي أوضح بها مشكلاتها ، وقنع مقفلا ، والفصل بين
الخصوم بالحق المجتلي ، والبركة التي لدولتنا الشريفة منها نصيب وافر ، والتصميم
الذي أقترن بفزارة العلم والوقار الظاهر ، فهو - أعز الله أحكامه - من العلماء
العالمين ، وله البشري بما قاله أصدق القائلين ، في النبأ الذي تنم به الزيادة والثناء :
﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ .

ولما كان المجلس السامى هو الذى استوجب التصدير لإلقاء الدروس ، وأضحى
مالكيا مالكا أزمه الفضائل حائرا من أنواعها أغر ملبوس ، وله بخزانة خاصنا
الشريف وإصطبلاته السعيدة الشهادة البيّنة ، والكتابة التي هي العز الحاضر
فلا يحتاج معها إلى إقامة بيّنة ، والكفالة التي نطق بها الأفواه مسرة ومعلنة ،
والأمانة التي حدّا فيها حذو أبيه وآتبع سنته .

فلذلك رُسم - لا زال يُديم النعم لأهلها ، ويُنبي المراتب الدينية لمن أضحى عمله
مناسبا لمحلها ، أن يستقر ... (١) ... فلينب عن عمه في هذا التدريس ،
وليُقَف ما يُسر النفوس من أثره النفيس ، وليُفد الطلبة على عادته ، وليُسد لهم من

(١) يياض بالأصل ومراده في تدريس زاوية الشافى الخ -

القول ما يظهر غزير مادته ؛ وليستنبط المسائل ، وليجِب بالأدلة المسائل ؛ وليرجح
المباحث ، وليكن لوالده - رحمه الله - أحق وارث ؛ وليستقل بهذه الوظيفة المباركة
بعد وفاة عمه أبقاه الله تعالى ، وليترد من العلوم ليبلغ من صدقاتنا الشريفة آمالاً ،
والله تعالى يسدّد له بالتقوى أقوالاً وأفعالاً ؛ بمنّه وكرمه .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة الصلاحية المجاورة لثربة الإمام الشافعي
رضي الله عنه ، كُتِب به لقاضي القضاة تقي الدين ، ابن قاضي القضاة تاج الدين
ابن بنت الأعز . من إنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر ، وهي :

الحمد لله شافي عني البحث بخير إمام شافعي ، والآتي منه في الزمان الأخير بمن
لو كان في الصدر الأول لا تخفى على ورعه ودينه كل صحابي وتابعي ، ومفيد الأسماع
من وجيز قوله المحرر ما لولا السبق لما عدل إلى شرح وجيز سواء الرافعي .

نعمه على نعم ألهمت وضع الأشياء في محلها ، وأستيداعها عند أهلها ، وتأثيرها
بما يزيل الإشكال بانجذاب من شكله مناسب لشكلها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يترن بها المقال ، ويتن بها
الحق من الضلال ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ونبيّه موضح الطرق إلى الحق
المبين ، ونأجها إلى حيث مجتمع الهدى ومرتبج الدين ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
صلاة تهدي إلى صراط الدين ، ورضى الله عن أصحابه الذين منهم من جاء بالصدق
وصدق به فقوى سبب الدين المتين ، ومنهم من فرق بين الحق والباطل وكان إمام
المتقين ومثي أمير المؤمنين ، ومنهم من جهز جيش العسرة فتبت جأش المسلمين ،

ومنه من أعطاه صلى الله عليه وسلم الـراية فأخـلها منه باليمين ، ورضى الله عن بقية الصحابة أجمعين .

وبعد ، فلما كان مذهب الإمام الشافعى « محمد بن إدريس » رضى الله عنه هو شهنة المتلفظ ، وكفاية المتحفظ ، وهبة المتلحظ ، وطرار ملبس الهدى ، وميدان الاجتهاد الذى لا تقف أعنة جواده عن إدراك المدى ؛ وقد تجملت ديار مصر من بركة صاحبه بمن نُسدت إليه الرحال ، وتَحَرَّجَ جَنَانُهُ فيها حال ، وجيد هو بجواهر علومه حال ؛ ومن يَحْسُنُ إلى ضريحه المنيّف الاستناد ، وإذا قُرِئَتْ كُتُبُهُ لَدَيْهِ قيل ما أبعد هذا المرمى الأسنى ! وما أقرب هذا الإسناد ! ؛ وما أسعد حلقة تُجمع بين يدي جَدِّهِ يتصدّر فيها أجل حبر ، ويتصدّى لنشر العلوم بها من عُرف بِحُسْنِ السيرة عند السبر ، ومن لولا خرق العوائد لأجاب بالشكر والثناء عليه صاحب ذلك القبر كلما قال : « قال صاحب هذا القبر » - حَسَنَ بهذه المناسبة أن لا ينتصب في هذا المنصب إلا من يَحْمَدُ هذا السيد الإمام بجواره ، ومن يُرِضِيهِ منه - رضى الله عنه - حَسُنَ العيارة ، ومن يستحق أن يتصدّر بين نجوم العلماء يدارة تلك الخطة فيقال قد جمل الله به دارة هذا البدر وعمره من هذا المدرس داره ؛ الذى يفتقر إلى تنويل نعمه ، وتنويه قلمه ، من الأئمة كل غنى ؛ ويُعْجَبُ ببلاغة خطبه ، وصياغة كُتُبِهِ ، من يَحْتَمِلُ ومن يَحْتَنِي ؛ ومن يَهْتَمُّ المستفيئون من عبوبة ألفاظه وصفاء معانيه بالموارد الهني ، ومن إذا صحَّ بحابه المَطَّالُ اعترف له بالهُمُومِ والهُمُولِ المزني ؛ والذى لسعد جَدُّهُ من أبيه ليث أكرم به من ليث وأكرم بيليه من أشبال ! ؛ وأعزّز به من فائج أبواب إشكالات عجز عن فتحها الفقّال ! ؛ ومن إذا قال سكت الناس ، ومن إذا قام قد كل ذى شماس ، وإذا أخذ بالنصّ ذهب الاقتياس ، وإذا قاس قيل هذا بحر المذهب المشار إليه بالأصابع في مِصرِهِ جلالته ولا يُنْكَرُ لبحر المِصرِ الإشارة

بالأصابع ولا القياس؛ ومن رُؤُوسِهِ بَقِيَ قَلْبُهُ وَرُقَى جَوَابُهُ لِسَانُ التَّعْوِيلِ وَلِسَانُ التَّعْوِيدِ،
 كَمَا يَمِيسُ بِإِحَاطَتِهِ وَجِبَاطَتِهِ قَلَمُ الْفَتْوَى وَقَلَمُ التَّنْفِيزِ، وَمَنْ يَفْخَرُ [بِهِ] كُلُّ عَالِمٍ
 مَفِيدٍ إِذَا قَالَ : أَنَا بَيْنَ يَدَيْهِ طَالِبٌ وَأَنَا لَهُ تَلْمِيزٌ ؛ وَمَنْ حِينَئِذٍ أَلْتَفَتَ وَجَدَتْ لَهُ
 سُودًا جَمًّا ، وَكَيْفًا نَظَرَتْ رَأَتْ لَهُ مِنْ هُنَا وَزَارَةً ، وَمِنْ هُنَا خَطَابَةً ، وَمِنْ هُنَا
 مَشِخَةً ، وَمِنْ هُنَا تَدْرِيسًا ، وَمِنْ هُنَا حُكْمًا ! ! ! ؛ فَهُوَ الْأَصْلُ وَمِنْ سِوَاهُ قُرُوعٌ ،
 وَهَمُّ الْأَثْمَادُ وَهُوَ الْيَتُّوعُ ؛ وَهُوَ مَجْمُوعُ السِّيَادَةِ ، الْمُخْتَارُ مِنْهُ الْإِفَادَةُ ، فَمَا أَحْسَنَهُ مِنْ
 اخْتِيَارِ وَمَا أَتَمَّهُ مِنْ مَجْمُوعٍ ، وَكَانَ قَاضِي الْقَضَاةِ ، سَيِّدُ الْعُلَمَاءِ ، رَئِيسُ الْأَصْحَابِ ،
 مُقْتَدِي الْفِرَقِ ، قُدُّوَةُ الطَّوَائِفِ ، الصَّاحِبُ تَقَى الدِّينِ «عَبْدُ الرَّحْمَنِ» وَلَدُ الصَّاحِبِ
 قَاضِي الْقَضَاةِ تَاجُ الدِّينِ بْنِ [بَنَاتٍ] الْأَعْرَضِ أَدَامَ اللَّهُ شَرَفَهُ ، وَرَحِمَ سَلَفَهُ ، هُوَ مُنْتَهَى
 رَغْبَةِ الرَّائِبِ ، وَمُنْتَهَى مُنِيَةِ الطَّالِبِ ؛ وَمَنْ إِذَا أَضَاعَتْ لِيَالِي النُّفُوسِ بِأَقْمَارِ فِتَاوِيهِ
 قِيلَ (بِيَاضِ الْعَطَايَا فِي سَوَادِ الْمَطَالِبِ) ، وَمَنْ تَتَفَقَّ الْأَرَاءُ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ الْكُھُولَةُ
 شَيْخُ الْمَذَاهِبِ ؛ وَمَنْ عَلَيْهِ يَحْسُنُ الْإِتِّفَاقُ ، وَبِهِ يَجُلُ الْوِفَاقُ ، وَإِذَا وَلَّى هَذَا
 الْمَنْصِبَ أَتْبَعَ بِوَلَايَتِهِ إِيَّاهُ مَالِكٌ فِي الْمَدِينَةِ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَأَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
 فِي الْعِرَاقِ ؛ وَأَهْتَرَتْ بِهِ وَبِجَاهُورَةِ فَوَائِدِهِ مِنْ ضَرِيحِ إِمَامِهِ جَوَانِبُ ذَلِكَ الْقَبْرِ طَرَبًا ،
 وَقَالَتْ «الْأُتَمُّ» لَقَدْ أَهْبَجَتْ - رَحِمَ اللَّهُ سَلَفَكَ - بِحَدِّكَ وَإِبَائِكَ جَدًّا وَأَبَا ، وَلَقَدْ
 اسْتَحَقَّيْتُ أَنْ يَقُولَ لَكَ مَنْصَبُ سَلَفِكَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ : أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا ،
 وَهَذِهِ تَسْمَاتُ صَبَاً ، كَانَتْ الْإِفَادَةُ هُنَاكَ تَعْرِفُهَا مِنْكَ مِنَ الصَّبَا .

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنْ أُعْطِيَ قَوْسَ ذَلِكَ الْمَحْرَابِ بَارِيهَا ، وَخَصَّ بِشَقِّ سِهَامِهَا مِنْ
 لَا يَزَالُ سَعْدُهُ مُبَارِيهَا ، وَجَمَلُ مَطْلَعِ تِلْكَ السَّمَاءِ بِبَدْرِكُمْ بَاتَتْ [عَلَيْهِ] الدَّرَرُ تَحْسُدُ
 دَرَارِيهَا ؛ وَالْهَمُّ حَسَنَ الْاخْتِيَارِ أَنْ يَجْرَى الْقَلَمُ بِمَا يَحْسُنُ بِالتَّوْقِيعِ الشَّرِيفِ مَوْقِعُهُ ،
 وَيَجْمَلُ فِي أَثْنَاءِ الطُّرُوسِ وَضْعُهُ وَمَوْضِعُهُ .

فُرِّسَ بالأمر الشريف العالى المولوى ، السلطانى : - أخرج الله بالصواب ،
وكشف بآرئياته كلَّ آرئياب ، ولا زال يختار وينتقى للناصب الدينية كلَّ عالم
بأحكام السنة والكتاب - أن يفوض إليه تدريس المدرسة الصلاحية الناصرية
المجاورة لصريح الإمام الشافعى بالقرافة رضى الله عنه . فليخول وليتول كلَّ
ذى استفاد ، وليجمل منه بذلك العقْد الثمين من علماء الدين بأخف واسطة تنفخر بها
تلك القلادة ؛ وليذكر من الدروس ما يهيج الأسماع ، ويرضى الانتجاع ، ويحاد به
الانتفاع ، ويحتلبه من أخلاف الفوائد آرتضاء الارتضاع ، ويتناقل الرواة
فوائده إلى علماء كلِّ أفق من البقاع ؛ وليقل فإنَّ الأسماع لفوائده منصته ،
والأصوات لمباحثه خاشعة والقلوب لمهابته محمته ؛ ولينض قوى المسائل بما
يحصل لها أعظم انتعاش ، وليثبت ما أماته إمامه من اليدع فيقال به له : هذا محمد
أبن إدريس مدققت أنت عاش ؛ وليسمع بعلومه من به من الجهل صمم ، وليستنطق
من به من الفهاهة بكم ، وليحقق عند الناس بتعصبه لهذا الإمام أنه قد قام بالتنويه
به الآن الحاكم ابن الحاكم أخو الحاكم كما قام به فيما سلف بنو عبد الحكم .

وأما غير ذلك من الوصايا فهو بحمد الله صاحب إلهامها ، وجالب أفساسها ؛
وجهيئة أخبارها ، ومطلع أنوارها ؛ فلا يعاد ، عليه ما منه يُستفاد ، ولا يثتر عليه دثر
هو منظمه في الأجياد ؛ والله تعالى يعمر بسيادته معالم الدين وأكفافه ، ويزين بفضله
المتين أوساط كلِّ مصر وأطرافه ، ويضيف إليه من المستفيدين من بإرفاقه
وإشفاقه يكون عيشه خفضا بتلك الإضافة ، ويعمله لا يحصى حثوه بمعهد دون
معهد ولا بمسافة دون مسافة ، ويثقيه ومنفعته إلى سارية سارية الإطافة واللطافة ،
والطافة بهذه الولاية تقول لكلِّ طالب في القرافة التى رافه .

قلت : ولما توفى قاضى القضاة بدر الدين بن أبي البقاء - نغمده الله تعالى برحمته - وكان من جملة وظائفه تدريس هذه المدرسة ، كان السلطان قد سافر إلى الشام في بعض الحركات ، فسافر أبوه أفضى القضاة جلال الدين حتى ادرك السلطان بالطريق ، على القرب من غزة ، فولاه الوظيفة المذكورة مكان أبيه ، وكان القاضى نور الدين بن هلال الدولة الدمشقى حاضراً هناك ، فأشار إليه القاضى فتح الدين فتح الله كاتب السر الشريف - عامله الله بلطفه الخفى - بإنشاء صدر توقيعه ، يسطر به للعلامة الشريفة السلطانية ، فأنشأ له تيجتين ، هما :

الحمد لله الذى أظهر جلال العلماء الشافعية بحضرة إمامهم ، وأقام سادات الأبناء مقام آبائهم فى بث علومهم وصلاتهم وصيامهم . ولم يحاوز ذلك إلى غيره ، فسطر التوقيع بهاتين السجعتين ، وعلم عليه العلامة السلطانية .

وكان من قول نور الدين بن هلال الدولة للقاضى جلال الدين المذكور : إن هذا التوقيع يبق أبىض : فإنه ليس بالديار المصرية من ينهض بتكليفه على هذا الأسلوب . فسمع القاضى كاتب السر كلامه ، فكتب لى بتكليفه على ظهره ، وعاد به القاضى جلال الدين فأعطانيه ، وأخبرنى بكلام ابن هلال الدولة وما كان من قوله ، فطكأت عن ذلك ، ثم لم أجذبُ بدا من إكمالهِ وإن لم أكن من قرسان هذا الميدان ، فأنشأت له على تينك السجعتين ما أكلته به ، بغاء منه تلوا السجعتين السابقتين اللتين أنشأهما ابن هلال الدولة :

وخص برئاسة العلم أهل بيت رأت كهولهم فى اليقظة ما يفتى شيوخ العلماء أن لورأوه فى متاهم .

وجاء من وسطه :

أَقْنَضَى حُسْنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفُ أَنْ تُتَوَّهَ بِذِكْرِهِ ، وَتَقْدِّمَهُ عَلَى غَيْرِهِ مِمَّنْ رَامَ هَذَا
الْمَقَامَ فَحُجِبَ دُونَهُ (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ) .

وجاء فى آخره :

وَاللَّهُ تَعَالَى يَرْفَعُهُ إِلَى أَرْفَعِ الدَّرَجَاتِ ، وَهَذِهِ الرِّبَّةُ وَإِنْ كَانَتْ بِدَايَتِهِ فَهِيَ نِهَائُهُ غَيْرُهُ
(وَأَنَا لَتَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَقْطُورًا) .

وَقَدْ أَعَوَّزَنِي وَجِدَانُ النُّسخَةِ عِنْدَ إِيرَادَةِ إِثْبَاتِهَا فِي هَذَا التَّالِيفِ لَصِّيَابِ مُسَوِّدَتِهَا
وَلَمْ يَحْضُرْنِي مِنْهَا غَيْرُ مَا ذَكَرْتُهُ . وَفِيهَا هَتَمٌ مِنْ إِثْنَاءِ التَّقَاضَى عَمِّي الدِّينِ بْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ
مِنْ تَوْقِيعِ التَّقَاضَى تَقَى الدِّينِ ابْنِ بَنْتِ الْأَعْمَرِ مَا لَا يَنْظُرُ مَعَ وُجُودِهِ إِلَى غَيْرِهِ .



وَهَذِهِ نُسْخَةُ تَوْقِيعِ بَتَدْرِيسِ الْمَدْرَسَةِ الصَّلَاحِيَّةِ بِمِصْرَ ، الْمُخْتَصَّةُ بِالسَّالِكِيَّةِ ،
الْمَعْرُوفَةُ بِالْقَمْعِيَّةِ ، بِمِصْرَ الْمَحْرُوسَةِ ، أَنْشَأَتْهُ لِقَاضِي الْقَضَاةِ جَمَالُ الدِّينِ الْأَقْنَهْسِيّ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي زَيَّنَ مَعَالِمَ الْمَدَارِسِ مِنْ أَعْلَامِ الْعُلَمَاءِ بِجَمَالِهَا ، وَمَيَّزَ مَرَاتِبَ الْكَلِمَةِ
بِإِجْرَاءِ سَوَائِقِ الْأَفْكَارِ فِي مَيَادِينِ الدُّرُوسِ وَفَسَّحَ بَحَالِمَهَا ، وَعَمَّرَ مَعَاهِدَ الْعِلْمِ بِأَجَلٍ
عَالِمٍ إِذَا ذُكِرَتْ وَقَائِعُ الْمُنَاطَرَةِ كَانَ رَأْسُ قُرْسَانِهَا وَرِيسَ رَجَالِهَا ، وَنَاطَ مَقَاصِدَ
صَلَاحِ الدِّينِ بِأَكْلِ حَبْرٍ إِذَا أُورِدَتْ مَنَاقِبُ الْمُنَافِرَةِ تَمَسَّكَ أَهْلُ الدِّيَانَةِ مِنْهَا بِوَثِيقٍ
جَبَالِهَا .

نَحْمَدُهُ عَلَى اخْتِيَارِ الْجَوْهَرِ وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الْعَرَضِ ، وَالتَّوْفِيقِ لِإِدْرَاكِ الْمَرَامِ
وَإِصَابَةِ الْغَرَضِ .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذى خص أهل العلم بكریم حَبَّاته ،
وشرف مقامهم فى الخليفة فجعلهم فى محل الشريعة ورثة أنبيائه ؛ شهادة تُصَنِّبُ
لقائلها بحسن الإبراد وردا ، وتُجَدِّدُ لمتحليها بمواطن الذكر عهدا فيتخذ بها عند
الرحمن عهدا ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أفضل نبي علم وعلم ، وأكرم
رسول فصل الأحكام إذ شرع ونذب وأوجب وحلل وحرم ؛ صلى الله عليه وعلى
آله وصحبه الذين عنوا بتفسير كتاب الله تعالى فأدركوا دقيق معانيه ، وأهتَمُوا
بالحديث روايةً ودرايةً فغَاوَرُوا بتأسيس فقه الدين وإقامة مبادئه ؛ صلاة يُحِيطُ من
بحار العلم بزائريها ، وتأخذ من الدروس بطريقها فتقارن الحمد فى أولها وتصحَّب
الدعاء فى آخرها ؛ ما تُتَّبَعُ بالمنقول مواقع الأثر ، وعُولُ فى المعقول على إجابة الفكر
وإجادة النظر ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى ما صرفت النفوس إليه هممها ، وأخلصت فيه نيّتها وخلصت
من تبعات ذمّتها ؛ وتبعّت فيه آثار من سلف من الملوك الكرام ، وأعارته كلّ نظرها
وقامت بواجبه حق القيام - أمر المدارس التى هى مسقط حجر الاشتغال بالعلم
ومستقر قاعدته ، وقطب فلك تطلّابه ومحيط دائرته ؛ وميدان قرّان المشايخ ومدار
رجائها ، ومورد ظمأ الطلبة وعط رحاها ؛ لاسيّما المدارس الأيوّبية التى أُسِّس
على الخير بناؤها ، وكان عن صلاح الدين منشؤها فتألّق برقها وأستطار ضياؤها .

ومن أئمتها وشيخه ، وأمثلها فى الترتيب طريقه ؛ المدرسة القمحية بالفسطاط
الآخذة من وجوه الخير ب نطاقها ، والمخصوص بالسادة المالكية آتسداد رواقها ؛
إن أُعْطِرَتْ رعاية المذاهب قالت : مالك وما مالك ، وإن عُملَتْ حِسْبة المدارس
فى البر ، كانت لها قدالك ؛ قد رتب بها أربعة دُروس فكانت لها كالأركان الأربعة ،
وجعلت صدقتها الجارية بُرا فكانت أعظم بُرا وأعم منفعه .

ولما كان المجلس العالى، القاصوى، الشيخى، الكبرى، العالمى، العالمى،
الأفضل، الاكلى، الأحدث، البلى، الفرى، المفى، النجى، القدى،
الحجى، المحقق، الإمامى، الحالى: جمال الإسلام والمسلمين، شرف العلماء
العالمين، أوجد الفضلاء المفسدين؛ قدوة البقاء زين الأمة، أوجد الأئمة؛
رحلة الطالبين، نحر المدرسين؛ مفتى الفرق لسان المتكلمين، حجة المناظرين؛
خالصة الملوك والسلطين، ولي أمير المؤمنين؛ أبو محمد «عبد الله الأقفهسى»
المالكي - ضاعف الله تعالى نعمته - هو عين أعيان الزمان، والمحدث بفضل
في الآفاق وليس الخبر كالبيان؛ ما ولي منصباً من المناصب إلا كان له أهلاً، ولا أراد
الانصراف من مجلس علم إلا قال له مهلاً؛ ولا رمى إلى غاية إلا أدركها، ولا أحاط
به منطقة طلبية إلا هزها بدقيق نظره للبحث وحركها؛ إن أطال في مجلسه أطاب،
وإن أوجز قصر محاوره عن الإطالة وأثاب؛ وإن أورد سؤالاً عجز مناوئته عن
جوابه، أوقع باباً في المناظرة أحجم مناظره عن سدّ باب؛ وإن ألمّ ببحث أربى
فيه وأثاب، وإن أفتى بحكم أنفع عنه المعارض وأرتفع فيه الخلاف؛ فنوادره
المدونة فيها البيان والتحصيل؛ ومقدماته المبسوطة إحكاماً يغني عن التفصيل؛
ومشاركته النيرة لا يأفل طالعهما، ومداركه الحسنة لا يسأم سامعها؛ وتهذيبه المهذب
جامع الأهمات، وجواهره الثينة لا تقاوم في القيمة ولا تضاهي في الصفات -
أقتضى حسن الرأي الشريف أن نتوه بذكره، ونقدمه على غيره، ممن حاول ذلك
فامتنع عليه (والله غالب على أمره) .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف العالى، المولى، السلطانى، الملكى، الناصرى،
الزيتى - لا زالت مقاصده الشريفة في مذاهب السداد ذاهبه، ولا غراض الحق
والاستحقاق صائبه - أن يستقر المجلس العالى المشار إليه في تدريس المدرسة

الصِّلَاحِيَّةُ بِمَصْرِ الْمَحْرُوسَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْقَمَحِيَّةِ عَوَضًا عَنْ فُلَانِ الْفُلَانِي ، عَلَى عَادَةِ مَنْ تَقَدَّمَ .

فَلْيَتَلَقَّ ذَلِكَ بِالْقَبُولِ ، وَيَسْطُ في مَجَالِسِ الْعِلْمِ لِسَانَهُ فَمَنْ كَانَ بِمَتَابَتِهِ فِي الْفَضْلِ حَقٌّ لَهُ أَنْ يَقُولَ وَيَطُولَ ؛ وَمِلَاكُ الْأَمْرِ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فَهِيَ خَيْرُ زَادٍ ، وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَعَنْهُ تُؤْخَذُ وَمِنْهُ تُسْتَفَادُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُلْغِيهِ مِنْ مَقَاصِدِهِ الْجَمِيلَةِ غَايَةَ الْأَمَلِ ، وَيَرْقِيهِ مِنْ هِضَابِ الْمَعَالَى إِلَى أَعْلَى مَرَاتِبِ الْكَمَالِ وَقَدْ فَعَلَ ؛ وَالْاعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ ، حُجَّةٌ بِمُقْتَضَاهُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة توقيع أيضا بتدريس المدرسة الصِّلَاحِيَّةِ المذكورة ، أنشأته للقاضي شمس الدين محمد آبن المرحوم شهاب الدين أحمد الدَّفَوِيِّ المَالِكِيِّ ، فِي شَعْبَانَ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِمِائَةٍ ، وَهُوَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُطَّلِعِ شَمْسِ الْفَضَائِلِ فِي سَمَاءِ مَعَالِيهَا ، وَمُبَلِّغِ دَرَارِي الدَّرَارِيِّ النَّبِيَّةِ الذِّكْرَ بِسَعَادَةِ الْجَدِّ غَايَةَ غَيْرِهَا فِي مَبَادِيهَا ؛ وَجَاعِلِ صَلَاحِ الدِّينِ أَفْضَلَ قَصْدٍ فَوْقَ الْعَنَاءِ سِبْهَاتِهَا بِإِصَابَةٍ غَرَضُهُ فِي مَرَامِيهَا ، وَمَجْدِدِ مَعَالِمِ الْمَدَارِسِ الدَّارِسَةِ بِتَغْيِيرِ نَظَرٍ يَقْضِي بِتَشْيِيدِ قَوَاعِيدِهَا وَإِحْكَامِ مَبَانِيهَا .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ صَرَفَ إِلَى الْقِيَامِ بِنَشْرِ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ أَهْتِمَامًا ، وَجَعَلَ بِخَيْرِيَةِ الْعَائِدَةِ إِلَى التَّوْفِيقِ فِي حُسْنِ الْأَخْتِيَارِ اعْتَصَامًا .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ مُفِيضُ نَتَائِجِ الْأَفْكَارِ مِنْ وَافِرِ إِمْدَادِهِ ، وَغَضَّصُ أَهْلِ التَّحْقِيقِ بِدَقِيقِ النَّظَرِ تَخْصِصُ السَّامِ بِقَصْرِهِ عَلَى بَعْضِ أَرْزَادِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَوْفَرُ الْبَرِيَّةِ فِي الْفَضْلِ سَهْمًا ، وَالْقَائِلُ

توحيًا بفضيلة العلم : « لا بُورِكَ لِي فِي صَبِيحَةِ يَوْمٍ لَا أَزْدَادُ فِيهِ عِلْمًا » صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين حلُّوا من الفضل جواهره الثمينه ، والتابعين وتابى التابعين الذين ضُربت آباطُ الإبل منهم إلى عالمِ المدينه .

وبعد ، فإنَّ أولى ما صُرفت إليه الهِمَم ، وبرزت بتأدية حقِّه الذم ، وضلت النفوس بالنظر في مصالحه مشتغله ، والفكر لشرف محله منه إلى غيره متقله ، النظر في أمر المدارس التي جُعِلت للاستغفال بالعلم سببًا موصولًا ، ولطَلَبته ربعا لا يزال يجالس الذكر مأهولا ؛ لاسيما المدارس التي قد قدَّم في الإسلام عهدُها ، وعُدَّ بِاستمرار المعروف على توالى الأيام ورُدُّها .

ولما كانت المدرسة الصلاحية بفسطاط مصر المحروسة قد أُسس على التقوى بُنيانها ، ومُهِّدت على الخير قواعدها وأركانها ، واختصت طائفة المالكية منها بالخصيصة التي أغنى عن باطن الأمر عنوانها ؛ وكان المجلس السامى هو الذى خطبته الرُتب الجليلة لنفسها ، وعيَّته لهذه الوظيفة فضائله التى قد آن والله الحمد بُزوغ شمسها ، وعهدت منه المعاهد الجليلة حسن النظر فتأقت في يومها إلى ما ألفت منه في أمسيها - آقتضى حُسن الرأى الشريف أن تُفرد به هذه الوظيفة التى يقوم أفرادها فيها مقام الجمع ، ويجمع له من طرفيها ما يتفق على حُسْنه البصر ويقضى بطيب خبره السَّمْع .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف ، العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، الناصرى ، الزينى : - لا زال يُقيم للدين شعارا ، ويرفع لأهل العلم الشريف مقدارا - أن يستقر في الوظيفة المذكورة لما أشتهر من علمه وديانته ، وبأن من عفته المشهورة وزنايته ؛ واتصف به من الإفاده ، وعُرف [عنه] من نشر العلوم في الإبداء

والإعاده ، وشاع من طريقته المعروفة في إيضاحه وبيانه ، وذاع من فوائده التي قدّمته على أبناء زمانه ، ورفّعت إلى هذه المرتبة باستحقاقه على أقرانه .

فليأشّر تدريسها مظهرًا من فوائده الجليلة ما هو في طيّ ضميره ، مضمرا من حسن بيانه ما يستغنى بقليله عن كثيره ؛ مقربا إلى أذهان الطلبة بتنهذيب ألفاظه الرائقة ما يفيد ، مُوردا من علومه المدوّنة ما يجمع له بين نَوادر المقدمات ومدارك التمهيد ؛ مُوفيا نظرهما بحسن التدبير حقّ النظر ، موفرا رزقها بما يصدق الخبر فيه الخبر ؛ قاصداً بذلك وجه الله الذي لا يُحْتَبَرُ لراج آملا ، معاملا فيه الله معاملة من يعلم أنه لا يُضَيِّعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا . وملاك الوصايا هو الله تعالى فليجعلها إمامه ، ويخيلها في كل الأحوال أمامه ؛ والله تعالى يستدّه في قوله وعمله ، ويبلّغه من رضاه نهاية سؤله وظاية أمليه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بالتدريس بقبّة الصالح ، أنشأته اتقاضى القضاة بجمال الدين «يوسف البساطي» بعد أن كُتِبَ له بها مع قضاء القضاة المالكية ، في العشر الأخير من شعبان سنة أربع وثمانمائة ، وهي :

الحمد لله الذي جعل للعلم بجمالا تنهأت على دركه محاسن الفضائل ، وتوارد على ثبوت محامده المتواردة قواطع الدلائل ، وتحقق شواهد الحال من فضله ما يتلّح فيه من لوائح الخفايل .

نحمده على نعمه التي ما استهلّت على وليّ فأفلق عنه غمامها ، ولا استقرّت بيد صغىّ فأثّرت من يده حيث تصرفت زمامها ؛ ونشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُزهِرُ بعالم الدين غروبها ، وتُنِيعُ بثمار الفوائد المتابعة دروسها ؛

وأن سيدنا هذا عبده ورسوله أشرف الأنبياء قدرا ، وأولم في تلو المرتبة مكانا وإن كان آتوهم في الوجود عسرا ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الخاترين بقربه أغر المناقب ، والفائزين من درجة الفضل بأرفع المراتب ؛ صلاة تكون لخلق الذكر نظاما ، ولأولها آفتاحا ولآخرها ختاماً ؛ وسلم تسلياً كثيرا .

وبعد ، فإن من شينا الشريه ، وحمأنا الزاكية المنيه ؛ أنا إذا منحنأ منأ لا نستعبد ، وإذا أعطينا عطاء لا ننقصه بل نزيده ؛ وإذا قربنا وليا لا نقصه ، وإذا أنعمنا على صفي أنعاما لا نعدده عليه ولا نحصيه .

ولما كان تدريس المدرسة المالكية بقبة الصالح من أعلى دروسهم قدرا ، وأرفعها لدى التحقيق ذكرا ، وأعظمها إذا ذكرت الدروس فخرا ؛ إذ يجال جداله تنفطر المراتب ، ويميدان مباحثه تشهر البلق من مضمرات الضمائر ؛ ويسوق مناظرته يميز النصار عن الشبه ، ويحكك مطارحته تبيين الحقائق من الشبه ؛ وبمطآن مجلسه يعرف العالى والسافل ، وبمركة فرسانه يعرف من المفضول والفاضل ؛ ومن ثم لا يليه من علمائهم إلا الفحول ، ولا يتصدئ لتدريسه إلا من أمسى بحسام لسانه على الأقرب يصول ؛ ولم يزل في جملة الوظائف المضافة لقضاء القضاة في الأول والآخر ، تابعا لمنصب الحكم في الولاية كل زمن إلا في القليل النادر ؛ وكان المجلس العالى ، القاضوى ، الكبيرى (إلى آخر ألقابه) أدام الله تعالى نعمته قد أشتمت ولايته عليه لأبداء الأمر استحقاقا ، وحفظه كرمنا عليه فلم يحيد الغير إليه استطرافا - اقتضى حسن رأى الشريف أن ننبع ذلك بولاية ثانية تؤكد حكم الولاية الأولى ، وزدقه بتوقيع يجمع له شرف القسمة والجمع ولو بوجه أولى .

فلذلك رُسِمَ بالأمر الشريف العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، الناصرى ، الزينى - لا زال يعتمد فى مشاهد الملوك أتم المصالح ، ويخص الصالح منهم بمزيد النظر حتى يقال ما أحسنَ نظرَ الناصر فى مصالح الصالح ! - أن يستمر المجلس العالى المشار إليه على ما بيده من الولاية الشريفة بالتدريس بقبة الصالح المذكورة ، ومنع المعارض وإبطال ما كُتِبَ به وما سيُكُتَبُ مادام ذلك فى يده ؛ على أتم العوائد وأكملها ، وأحسن القواعد وأجلها .

فلتلق ما فُوض إليه بكنائديه ، ويشكر إحساننا الشريف على هذه المنعة فإنها نعمة جديدة توجب مزيد الشكر عليه ؛ ولتصدر بهذا الدرس الذى لم تزل القلوب تتقطع على إدراكه حشرات ، ويتصد لإلقاء فوائده التى إذا سمعها السامع قال : هنا تُسَكَّبُ العبرات ، ويُرزَقُ لقرسان الطلبة من صدره من كينته ، ويُفيض على جدأولهم الجافة مائع به فكره من يتابع معينه ؛ مستخرجاً لهم من قاهوس قريحته دُرر ذلك البحر الزاخر ، مظهرها من مكنون علمه مالا يعلم لِمَتَه أوَّل ولا يدرك لَمَدَاهُ آخر ؛ وينفق من ذخائر فضله ما هو بإتفاقه ملي ، متفقداً بفضل غنائهِ من هو عن فوائده المُرِيحة غير قتي ؛ مقررّاً للبحث تقريراً يزول معه الإلتباس ، مستندا فروعه النامية إلى أثبت الأصول من الكتاب والسنة والإجماع والقياس ؛ معتمدا لما عليه جادة مذهبه فى الترجيح ، جارياً على ما ذهب إليه جهابذة محققيه من التصحيح ؛ مُقبِلاً بطلاقة وجهه فى درسه على جماعته ، باذلاً فى آسمانهم طاقة جهده محسناً إليهم جهد طاقته ؛ مربياً لهم كما يُربى الوالد الولد ، مُوفياً من حقوقهم [فى] التعليم ما يبيح له ذكره على الأبد ، مُمِياً ناشتهم بالتدريب الحسن تيمم الفروس ، جاهداً فى ترفيعهم بالتدريج حتى يؤهل من لم يكن تُظَنُّ فيه أهلية الطلب لأن يتصدى

لِلْفَتَاوَى وَإِلْقَاءِ الدُّرُوسِ ؛ سَالِكًا مِنْ مَنَاجِجِ التَّقْوَى أَحْسَنَ الْمَسَالِكِ ، مُورِدًا مِنْ تَحْقِيقَاتِ مَذْهَبِهِ مَا إِذَا لَحَظَ اللَّاخِجُ لَمْ يَشْكُ أَنَّهُ لَزِمَ الْمَذْهَبَ مَالِكٍ ؛ وَانَّهُ تَعَالَى يُعْرِيه عَلَى مَا أَلْفَهُ مِنْ مَوَارِدِ إِتْمَامِهِ ، وَيَتِمُّعُ [هَذِهِ الرِّبَّةُ] السَّنِيَّةُ : تَارَةً بِمَجَالِسِ دُرُوسِهِ وَتَارَةً بِمَجَالِسِ أَحْكَامِهِ ؛ وَالْإِعْتَادُ



وهذه نسخة توقع بتدريس الحديث بالجامع الحارثي، من إنشاء الشهاب «محمود الحلبي» للشيخ قطب الدين «عبد الكريم» وهى :

الحمد لله الذى أطلع فى أَفْقِ السَّنَةِ الشَّرِيفَةِ مِنْ أَعْلَامِ عِلْمَائِهَا قُطْبًا ، وَأَنْظَهَرَ فِي مَطَالِعِهَا مِنْ أَعْيَانِ أَعْمَتِهَا مُجْمُوعًا أَضَاءَ بِهِمُ الْوُجُودُ شَرْقًا وَغَرْبًا ؛ وَأَقَامَ لِحِفْظِهَا مِنْ أُمَّةٍ أَعْلَامُهَا أَعْلَامًا أَحْسَنُوا عَنْ سَنَدِهَا دِفَاعًا وَأَجْلَلُوا عَنْ مُتُونِهَا ذَبًّا ، وَشَرَّفَ بِهَا أَهْلَهَا فَكَلَّمَا بَعْدَتْ رَاحِلَتُهُمْ فِي طَلِبِهَا أَزْدَادُوا مِنْ اللَّهِ قُرْبًا ؛ وَأَخَارَ لِحَمَلِهَا أُمْنَاءَ شَفَقَتْ حَاسِنُهُمْ قُلُوبَ أَهْلِ الْفِرَقِ عَلَى اخْتِلَافِهَا حُبًّا ، وَسَلَكُوا بِاتِّبَاعِهَا سَنَنَ السُّنَنِ فَأَمِنُوا أَنْ تُرَوِّعَ لَهُمُ الشُّبُهَةُ سِرْبًا ؛ وَالْهَمْنَا مِنْ تَعْظِيمِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ مَا مَهَّدَ لَهُمْ فِي ظِلِّ تَقَرُّبِنَا إِلَيْهِ مَقَامًا كَرِيمًا وَمَتَرِلًا رَجَا ، وَعَصَمَ آرَاءَنَا فِي الْإِرْتِيَادِ لَهُ مِنْ انْخِلَالٍ فَلَا تَخْتَارُ لَهُ إِلَّا مِنْ تُسَرُّ بِاخْتِيَارِهِ طَلَبَةٌ وَتَنْقُطُ بِتَعْيِينِهِ أُمَّةٌ وَتُرِضَى بِإِرْتِيَادِهِ رِبَا .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي صَانَتْ هَذِهِ الرِّبَّةَ السَّنِيَّةَ بِأَكْفَانِهَا ، وَزَانَتْ هَذِهِ الْمُرْتَبَةَ الشَّرِيفَةَ بِمَنْ لَمْ يَمِيلْ عَيْنُهُ فِي تَأْنِيلِ قَوَاعِدِهَا إِلَى إِغْفَانِهَا ، وَجَعَلَتْ هَذِهِ الدَّرَجَةَ الْعَلِيَّةَ فَلَكَا تُشْرِقُ فِيهِ لِأُمَّةِ الْحَدِيثِ أَنْوَارُ عُلُومِ تَقْنَى الدُّهُورِ دُونَ إِطْفَائِهَا .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مجادل عن سُنتِهِ الشَّرِيفَةِ بِأَلْسِنَةِ أَسْنَتِهِ ، مَجَالِدٍ عَنْ كَلِمَتِهَا الْعَالِيَةِ بِقَبْضِ مَعَاقِدِ سَيُوفِهِ وَإِطْلَاقِ أَعْيَتِهِ ، بَاعَثَ

بالجهاد دعوته إلى كل قلب كان عن قبولها في حُبِّ أِكْتَنَه . ونشهد أن محمدا عبده
ورسوله الذي أوتى جوامع الكلم ، ولوامع السنة التي من اعتصم بها عصم ومن سلم
بها سلم ؛ فهي مع كتاب الله أصل شرعه القويم ، وحبل حكه الذي لا يتمكن يد
الباطل من [حل] عقده النظيم ، وكنوز دينه التي لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم ؛ صلى
الله عليه وعلى آله وصحبه الذين عَضُّوا على سُنَّتِه بالنواجذ ، وذَبُّوا عن شريعته بسُيُوف
الجلاد القواطع وسِهَامِ الجِدَالِ التوافذ ؛ صلاة لا يزال يُقام فرضها ، ويُملأ بها طوَلُ
البسيطة وعَرْضُها ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى ما توجَّهت إليه إلى آرتياد أُمْنِيَّتِه ، وتوفرت السواعى على
التقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتفويض مناصبه إلى البررة الكرام من
أُمَّتِه - علم الحديث النبوى صلوات الله وسلامه على قائله ، وحفظه بدروسه التي
جعلت أواخر زمنه في صحبة ثقله ومعرفة أسرارهِ كأوائله ؛ وأن تختار لذلك من نشأ
في طلبه حتى آكتهل ، وسرى في تحصيله سرى الأهلَّة حتى آكتمل ؛ وقُدِّى بلبان
التبعر فيه حتى آمترج بأديمه ، وجدَّ في تحصيله وأجهد حتى ساوى [في] الطلب بين
حديث عُمره وقديمه ؛ وحَفِظ من مُتُونِه ، ما بمثله يستحق أن يدعى حافظا ، وغلب
على قُنُونِه ، حتى قل أن يرى [غير] علومه والنظر في أحكامه لافظا ؛ فإنه بعد كتاب
الله العزيز مادة هذا الدين الذي يُحكَّم بنُصُوصِه ، وتتفاوت رتبُ العلماء في حُسن
العمل بمطلقه ومقيده وعمومه وخصوصه ؛ وعنهما تفرعت أحكامُ الملة فلا تُت
علومُها جميع الآفاق ، وزكَّت أحكامُها الشرعية على كثرة الإنفاق ؛ وسرى الناس منها
على المحبة التي آستوى في الإشراف ليُها ونهارها ، وعلا على الملل بالبراهين القاطعة
نورها ومَنَارُها ؛ وكفى أهلها شرفا أنهم يذُبُّون عن سنة نبيهم ذبَّ اللُيُوث ، ويمُجِدُّون

(١) لم يتقدم ما يطف عليه لعل الأمل «فوجب أن نهتم به أجل اهتمام ، وأن نخار الخ» .

على الأسماع بما ينفع الناس في أمر دينهم ودنياهم منها جودُ النُبوت ، ويُحافظون على ألفاظها محافظةً من سَمِعها منه صلى الله وسلم عليه ، ويعظّمون مجالس إيرادها وتقلّوها حتّى كأنهم لحسن الأدب جلوس بين يديه ؛ ويُسألون في العلوّ طلباً للقرب منه وذلك من أسنى المطالب ، ويرحلون لضمّ شوارده من الآفاق فيأقرب المشارق عندهم من المنارب ! .

ولما كان المجلس السامى الفلانى : هو الذى غنى بكلّ ما ذكر من وصف كريم ، وحديث ورع قديم ، وقدم هجرة في علم الحديث اقتضت له حسن أولوية ووجوب تقديم ؛ وتلقّى هذا العلم كما وُصف عن أئمة حتّى صار من أعيانهم ، ولقى منهم علماء أضحى باقتفائهم كما كانوا رُحلة زمانهم ؛ ونظر في علومه فائقها فكانه ينطق فيها بلسان ابن الصلاح ، وأحرز غايات الكمال ، في أسماء الرجال ، فإلى أطلاعه يُرجع في تجميع المبرّج وتعديل الصّحاح ؛ وكان منصبُ تدريس الحديث الشريف النبوى الذى أنشأناه بالجامع الحاكى تكثيراً لنشر أحاديث من لا ينطق عن الهوى ، ونوينا به لأرتواء الرواة من بحر هذا العلم الشريف بالإعانة على ذلك وإنما لكلّ أمرئ ما نوى ، قد استغرقت أوقات مباشره بتفويضنا الحكم العزيز على مذهبه إليه ، وتوفير زمانه على

قلت : وتختلف أحوال التواقيع التى تُكتب بالندائيس باختلاف موضوعاتها : من تدريس التفسير ، والحديث ، والفقه ، واللغة ، والنحو ، وغير ذلك ، في براعة الاستهلال والوصايا ، وهو في الوصايا أكّد .

(١) ترك هنا بياضاً البقية ولله لم يكله انكالا على ما هو معروف ومشهور مثله .

وهذه تُسَخَّ وصايااً أوردتها في التعريف :

وصية مدرّس — وَلْيَطَّلْ فِي نَحْوِهِ كَالْبَدْرِ وَحَوْلَهُ هَالَةٌ تَلَكُ الْخَلْقَ ،
وقد وَقَّتْ أَهْدَابُ ذَلِكَ السَّوَادِ مِنْهُ أَعْظَمَ آسُودَادًا مِنَ الْحَدَقَةِ ، وَلِيَرَقَّ تَجَادُّهُ الَّتِي
هِيَ لَيْدَةُ جَوَاهِدِهِ إِذَا اسْتَنَّ الْجِدَالَ فِي الْمَضَامِرِ ، وَلِيُخَفِّفَ [أَضْوَاءَ] أُولَئِكَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ
هَمُّ كَالْتَّجُومِ كَمَا تَتَضَامَلُ الْكَوَاكِبُ فِي مَطَالِيعِ الْأَنْقَارِ ؛ وَلِيُرْزَلُمْ مِنْ وَرَاءِ الْحِرَابِ
كَيْبَنَهُ ، وَلِيُقْضَ عَلَى جَدَاوِلِهِمُ الْخَافَةُ مَعَيْنَهُ ؛ وَلِيَقْدَفَ لَهُمْ مِنْ جَنَابَاتِ مَا بَيْنَ جَنَّتَيْهِ
دُرَرُ ذَلِكَ الْبَحْرِ الْعَجَاجِ ، وَلِيُرْهِمَ مِنْ غُرَرِ رِيَّادِهِ مَا يُعَلِّمُ بِهِ أَنَّ سَوَاقِيهَ لَا يُوْهَلُهَا قَطْعُ
الْفِجَاجِ ؛ وَلِيُظْهِرَ لَهُمْ مِنْ مَكُونِ عِلْمِهِ مَا كَانَ يُخْفِيهِ الْوَقَارُ ، وَلِيَهَبَ مِنْ مَمْنُونِ فَضْلِهِ
مَا يَهَبُ مِنْهُ عَنْ ظَهْرِ غِيٍّ أَهْلَ الْإِنْتِقَارِ ؛ وَلِيَقَرَّرَ تِلْكَ الْبُعُوثِ وَيَبَيِّنَ مَا يَرُدُّ عَلَيْهَا ،
وَمَا يَرُدُّ بِهِ مِنْ مَتَمَعِهَا وَتَطَرَّقَ بِالْإِنْقِضِ إِلَيْهَا ؛ حَتَّى لَا تَتَفَصَّلَ الْجَمَاعَةُ إِلَّا بَعْدَ ظُهُورِ
الترجيح ، وَالْإِجْمَاعِ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ عَلَى الصَّحِيحِ ؛ وَلِيُقْبَلَ فِي الدَّرُوسِ طَلَقُ
الْوَجْهِ عَلَى جَمَاعَتِهِ ، وَلِيَسْتَمْلِمْهُمْ إِلَيْهِ بِجُحْدِ اسْتَطَاعَتِهِ ؛ وَلِيُرَبِّهِمْ كَمَا يُرَبِّي الْوَالِدُ الْوَلَدَ ،
وَلِيَسْتَحْسِنَ مَا يَجِيءُ بِهِ أَفْكَارُهُمْ وَالْأَفْكَامُ رَجُلٌ بِالْجَبْنِ لَيْتَ فِكْرٍ وَأَد ؛ هَذَا
إِلَى أَخِيهِمْ بِالْإِسْتِغْفَالِ ، وَقَدْ حُذِّعْتُهُمْ لِلْإِسْتِغْفَالِ ؛ وَلِيُنَشِّئُ الطَّلَبَةَ حَتَّى يَتِمَّ مِنْهُمْ
الْقُرُوسُ ، وَيُوْهَلَ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ لَا يُظَنَّ مِنْهُ أَنَّهُ يَتَعَلَّمُ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ وَيُلْقِي الدَّرُوسَ .

وصية مقررئ :

وَلْيَدِّمْ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ تَلَاوَةِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ مُصْبِحُ قَلْبِهِ ، وَصَلَاحُ قُرْبِهِ ، وَصَبَاحُ
الْقَبُولِ الْمُؤَذِّنِ لَهُ بِرِضَا رَبِّهِ ؛ وَلِيَجْعَلَ سُورَهُ لَهُ أَسْوَارًا ، وَأَيَّاتِهِ تَطْهِيرِينَ عَيْنِهِ

(١) جرى في تحريك لام الحلقة هل ما رواه يونس عن أبي عمرو بن العلاء من كونه لغة في السكون
أنظر "المصباح" .

أنواراً ؛ ولَيْتُ الثَّرَءَانَ بِحُرُوفِهِ وَإِذَا قَرَأَ اسْتَعَاذَ ، وَاجْتَمَعَ طُرُقُهُ وَهِيَ الَّتِي عَلَيْهَا
الْجُهُورُ وَيَتْرَكَ الشَّوَادَ ؛ وَلَا يَرْتَدُّ دُونَ غَايَةِ الْإِقْصَارِ ، وَلَا يَقِفُ فَبَعْدَ أَنْ أَتَمَّ لَمْ يَبْقَ
بِحَمْدِ اللَّهِ إِحْصَارُ ، وَلِيَتَوَسَّعَ فِي مَذَاهِبِهِ وَلَا يَخْرُجَ عَنْ قِرَاءَةِ الثَّرَاءِ السَّبْعَةِ أُمِّهِ
الْأَمْصَارِ ؛ وَلِيَبْذُلَ لِلطَّلَبَةِ الرِّغَابَ ، وَلِيُشْبِعَ فَإِنَّ ذَوِي النَّهْمَةِ سَفَابٌ ، وَلِيُثِرَ النَّاسَ
مَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنَ الْإِقْتِدَارِ فَإِنَّهُ أَحْتَضَنَ السَّبْعَ وَدَخَلَ الْغَابَ ؛ وَلِيَتِمَّ مَبَارِي مَا أَتَمَّ
« أَبْنُ عَامِرٍ » وَ« أَبُو عَمْرٍو » لَهُ التَّعْمِيرُ ، وَلَقَدْ « الْكِسَائِيُّ » فِي كِسَائِهِ وَلَمْ يَقُلْ جَدِّي
« أَبْنُ كَثِيرٍ » ؛ وَحُمِّ بِهِ « لِحِزَّةٌ » أَنْ يُعَوِّدَ ذَاهِبُ الزَّمَانِ ، وَعُلِمَ أَنَّهُ لَا « عَاصِمَ »
مِنْ أَمْرِ اللَّهِ يُلْجَأُ مَعَهُ إِلَيْهِ وَهُوَ الطُّوفَانُ ؛ وَطَفِيقٌ يَتَفَجَّرُ عَالِمًا وَقَدْ وَقَفَتِ السُّيُولُ
الدَّوَافِعُ ، وَضُرَّ أَكْثَرُ قَرَاءِ الزَّمَانِ لِعَدَمِ تَفْهِيمِهِمْ وَهُوَ « نَافِعٌ » ؛ وَلِيُقْبَلَ عَلَى ذَوِي
الْإِقْبَالِ عَلَى الطَّلَبِ ، وَلِيَأْخُذَهُمُ بِالْتَّرْبِيَةِ فَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ هُوَ إِلَيْهِ قَدْ آتَنَسَبَ ؛
وَهُوَ يَعْلَمُ مَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بِحِفْظِ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ مِنَ النَّعْيِ ، وَوَصَلَ سَبَبَهُ مِنْهُ بِحَبْلِ اللَّهِ
الْمُتَدِّدِ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ ؛ فَلْيَقْدِرْ حَقَّ هَذِهِ النِّعْمَةِ بِحَسَنِ إِقْبَالِهِ عَلَى التَّعْلِيمِ ،
وَالْإِنْصَافِ إِذَا سُئِلَ فَعِلِمُ اللَّهِ مَا يَنْتَاهِي (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) .

وصية محدث :

وقد أصبح بالسنة النبوية مضطرباً ، وعلى ما جمعت طرُق أهل الحديث مُطْلِعاً ؛
وَصَحَّ [فِي] الصَّحِيحِ أَنَّ حَدِيثَهُ الْحَسَنَ ، وَأَنَّ الْمُرْسَلَ مِنْهُ فِي الطَّلَبِ مَقْطُوعٌ عَنْهُ
كُلُّ ذِي لَسَنٍ ؛ وَأَنَّ سَنَدَهُ هُوَ الْمَأْخُودُ عَنِ الْعَوَالِي ، وَسَمَاعُهُ هُوَ الْمَرْقُصُ مِنْهُ طُولُ
الْيَالِي ؛ وَأَنَّ مِثْلَهُ لَا يُوجَدُ فِي نَسَبِهِ الْمُعْرَقُ ، وَلَا يُعْرَفُ مِثْلُهُ لِلْحَافِظِينَ « أَبْنُ عَبْدِ الْبَرِّ »
بِالْمَغْرِبِ وَ « خَطِيبُ بَغْدَادَ » بِالْمَشْرِقِ ؛ وَهُوَ يَعْلَمُ مِقْدَارَ طَلَبِ الطَّالِبِ فَإِنَّهُ طَالَمَا
شَدَّ لَهُ النَّطَاقَ ، وَسَعَى لَهُ سَعْيُهُ وَتَجَنَّمَ الْمَشَاقَّ ؛ وَأَرْتَحِلُ لَهُ يَشْتَدُّ بِهِ حِرْصُهُ وَالْمَطَايَا

مُرَّزِمَهُ ، وَيَنْبَهُ لَهُ طَلَبُهُ وَالْجُنُونَ مُقْفَلَةٌ وَالْعُيُونُ مُهَوَّمَةٌ ؛ وَوَقَفَ عَلَى الْأَبْوَابِ لَا يُضْجِرُهُ طَوْلُ الْوَقُوفِ حَتَّى يُؤَدِّنَ لَهُ فِي وُلُوجِهَا ، وَقَعَدَ الْقُرُفَصَاءُ فِي الْمَجَالِسِ لَا تَضِيقُ بِهِ عَلَى قِصَرِ قُرُوجِهَا .

فَلْيُعَامِلِ الطَّلِبَةَ إِذَا آتَوْهُ لِلْفَائِدَةِ مَعَامَلَةً مِنْ جَرِّبَ ، وَلْيُنَشِّطِ الْأَقْرِبَاءَ مِنْهُمْ وَيُؤْنِسِ الْغُرَبَاءَ فَمَا هُوَ إِلَّا مِنْ طَلَبِ آوِنَةٍ مِنْ قَرِيبٍ وَآوِنَةٍ تَقَرَّبَ ؛ وَلْيُسْفِرْ لِمَنْ صَبَّاحُ قَصْدِهِ عَنْ النَّجَاحِ ، وَلْيَتَّقِ لِمَنْ عُقُودُهُ الصَّاحِ ؛ وَلْيُوتِحْ لِمَنْ الْحَدِيثِ ، وَلْيُرَخِّ خَوَاطِرَهُمْ بِتَقْرِيبِهِ مَا كَانَتْ يُسَارُّ إِلَيْهِ السَّيَرُ الْحَنِيثِ ؛ وَلْيُوتِهِمْ مِمَّا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِيهِ الْمَجَالَ ، وَيَعْلَمُهُمْ مَا يَجِبُ تَعْلِيمُهُ مِنَ الْمُتَوْنِ وَالرَّجَالِ ؛ وَيُبَصِّرْهُمْ بِمَوَاقِعِ الْجَرَحِ وَالتَّعْدِيلِ ، وَالتَّوَجِيهِ وَالتَّعْلِيلِ ، وَالصَّحِيحِ وَالْمَعْتَلِّ الَّذِي تَنَاقَرَتْ أَعْضَاؤُهُ سُقْمًا كَالْعَلِيلِ ؛ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لِرَجَالِ هَذَا الشَّانِ بِهِ عِنَايَهُ ، وَمَا يُنْقَبُ فِيهِ عَنْ دَرَايَةِ أَوْ يُفْتَحَ فِيهِ بِجَمْدِ رِوَايِهِ ؛ وَمِثْلُهُ مَا يُزَادُ حَلَسًا ، وَلَا يُعْرَفُ بِمَنْ رَخَّصَ فِي حَدِيثِ مَوْضُوعٍ أَوْ كَتَمَ عِلْمًا .

وصية نحوي :

وَهُوَ زَيْدُ الزَّمَانِ ، الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ ، وَعَمَرُو الْأَوَانِ ، وَقَدْ كَثُرَ مِنْ سَبِيهِهِ الْمَثَلُ ، وَمَا زَيْدُ الْوَقْتِ وَلَكِنَّهُ الَّذِي لَمْ تُسْتَبَجْ مِنْهُ الْإِبِلُ ؛ وَكَسَانِي الدَّهْرِ الَّذِي لَوْ تَقَدَّمَ لِمَا اخْتَارَ غَيْرُهُ الرَّشِيدُ لَأَمُونَ ، وَذُو السَّوْدَدِ ، لَا أَبُو الْأَسْوَدِ ، مَعَ أَنَّهُ ذُو السَّابِقَةِ وَالْأَجْرُ الْمُنُونُ ؛ وَهُوَ ذُو الْبِرِّ الْمَسْأُورُ ، وَالْقَدَرُ الْمَرْفُوعُ وَلَوْ أَوَّاهُ الْمَنْصُوبُ وَذَيْلُ نَخَارِهِ الْمَجْرُورُ ؛ وَالْمَعْرُوفُ بِمَا لَا يُنْكَرُ لِمَثَلِهِ مِنَ الْحَزْمِ ، وَالذَّاهِبُ عَمَلُهُ الصَّالِحُ بِكُلِّ الْعَوَامِلِ الَّتِي لَمْ يَبْقَ مِنْهَا لِحْسُودُهُ إِلَّا الْجَزْمُ ؛ وَهُوَ ذُو الْأَيْبَةِ الَّتِي لَا يُفْصَحُ عَنْ مِثْلِهَا الْإِعْرَابُ ، وَلَا يُعْرَفُ أَنْفَصَحُ مِنْهَا فِيمَا أَخَذَ عَنْ الْأَعْرَابِ ؛

والذى أصبحت أهدأه فوق عمام الغائم ثلاث ، ولم يزل طول الدهر يُسكّر منه
 أمسه ويومه وغدّه وإنما الكلمات ثلاث . فليتصدّ للإفاده ، وليعائتهم مثل
 ما ذكر فيه من علم النحو نحو هذا وزيادة ؛ ولكن للطلبة تجعّاه به يهتدى ، وليرفع
 بتعليمه قدّر كل حبر يكون خبراً له وهو المبتدأ ؛ وليقدّم منهم كلّ من صلح
 للتبريز ، وأستحقّ أن يُنصب إماماً بالتميز ؛ وليردّ من مواريده أعذب الطّاف ،
 وليجزّ إليه كلّ مضاف إليه ومُضاف ؛ وليؤفّفهم على حقائق الأسماء ، ويعزّفهم
 دقائق البحوث حتى اشتقاق الأسم هل هو من السّم أو من السياء ؛ وليبين لهم
 الأسماء الأعجميّة المنقولة والعربيّة الخالصة ، وليدلّم على أحسن الأفعال لا ما يُستبه
 فيه بصفات كان وأخواتها من الأفعال الناقصة ؛ وليحفّظهم المثل وكلمات
 الشعراء ، ولينصب نفسه لحدّ أذهان بعضهم ببعض نصب الإغراء ؛ وليعامل
 جماعة المستفيدين منه بالعطف ، ومع هذا كلّهم فليفرّق بهم فما بلغ أحد علماً بقوة
 ولا غايةً بحسب .



وهذه وصية لنفوى أوردتها فى التعريف^(١) .

(١) يباض بأصله ، ولم تذكر هذه الوصية فى نسخة "التعريف" التى بيدنا .

الوظيفة الثامنة

(التصدير)

وموضوعة الجلوس بصدر المجلس بجامع أو نحوه . ويجلس متكلم أمامه على كرسي كأنه يقرأ عليه ، يفتح بالتفسير ثم بالرقائق والوعظيات ، فإذا انتهى كلامه وسكت ، أخذ المتصدر في الكلام على ما هو في معنى تفسير الآية التي يقع الكلام عليها ، ويستدرج من ذلك إلى ماستح له من الكلام . وربما أفرد التصدير عن المتكلم على الكرمي .

وهذه نسخة توقيع بتصدير أنشأته للشيخ شهاب الدين « أحمد الأنصاري » الشهير بـ « الشاب الثائب » بالجامع الأزهر ، وهي :

رسم ... لا زالت صدقاته الشريفة تخص المجالس بمن إذا جلس صدر مجلس (١)
كان لرتبه أجل صدر يحتي من علماء التفسير ، ومن إذا دقق لم يفهم ... عنه (٢)
وإذا سلك سبيل الإيضاح كان كلامه في الحقيقة تفسير تفسير ؛ وتصطفي من سراء
الأماثل من دار نعته بين « الشاب الثائب » و « الشيخ الصالح » فكان له أكرم
نعت على كل تقدير - أن يستمر المجلس السامي أدام - الله تعالى رفعتة - في كذا
وكذا ، لأنه الإمام الذي لأسمائ علومه ولا تُسام ، والعلامة الذي لا تُدرك مداركه
ولا تُرام ، والخبر الذي تتعبد على فضله الخناصر ، وفارس الحلبة الذي يعترف
بالقصور عن مجارة جواده المناظر ؛ وآية التفسير التي لا تُنسخ ، وعقد حقيقته الذي
لا يُفسخ ، والماهر الذي استحق بمهارته التصدير ، والجامع لفنونه المتقنة

(١) أي بالامر الشريف الخ .

(٢) يياض بالأصل ولعله « لم يفهم شرحه إلا عنه » أو نحو ذلك .

جمع سلامة لاجمع تكسير؛ وترجمات معانيه الآتى من غرائب تأويله بالعجب العجائب، والعارف بهدى طريقه الذى إذا قال قال الذى عنده علم من الكتاب؛ وزاهد الوقت الذى زين بالعلم العمل، وناسك الدهر الذى قصر عن مبلغ مداه الأمل .

فليتلق ما ألقى إليه بالقبول ، وليستند إلى صدر مجلس يقول فيه ويطول ؛ وليبين من معانى كتاب الله ما أجمل ، ويوضح من خفى مقاصده ما أشكل ، وليسلك فى تفسيره أقوم سنن ، ويعلن بأسراره الخفية فى كتاب الله أجدر أن يكون عن علن ، وليجري فيه على ما ألف من تحقیقاته فإنه إذا لم يحقق المناظرة فمن ؟ ، وليأخذ مشايخ أهل مجلسه بالإحسان ، كما أحسن الله إليه فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ، ويخص شبابهم على التوبة ليحبهم الله فيتصل فى المحبة سننهم فإن « الشاب السائب » حبيب الرحمن ؛ والله تعالى يرقبه إلى أرفع الذرا ، ويرفع مجلسه السامى على محل الثريا (وإنا نرجو فوق ذلك مظهرا) . إن شاء الله تعالى .

الوظيفة التاسعة

(النظر)

وموضوعه التحدث فى أمور خاصة بإباحة ضروراتها ، وعمل مصالحها ، واستخراج متحصل جهاتها ، وصرفه على الوجه المعتبر ، وما يجرى بجرى ذلك .
وتشتمل على عدة أقطار :

منها - نظار الأحباس : جمع حبس^(١) وهو الوقف : فقد تقدم فى المقالة الثانية أنه كان أصل وضعه أراضى اشتراها (الإمام الليث بن سعد رضى الله عنه)

(١) فى المختار «والحبس كالقفل ماوقف» وهو المراد هنا .

وَوَقَّفَهَا عَلَى جِهَاتٍ بَرٍّ، ثُمَّ تَبِعَهُ النَّاسُ فِي إِضَافَةِ الْأَوْقَافِ إِلَى ذَلِكَ ، إِلَى أَنْ كَانَتْ
وِزَارَةُ الصَّاحِبِ بَهَاءِ الدِّينِ أَبِي حَنَّا فِي سُلْطَنَةِ الظَّاهِرِ بَيْبَاسِ الْبُنْدُقَادَرِيِّ ، فَأَفْرَدَ
لِلجَوَامِعِ وَالْمَسَاجِدِ وَالرُّبُطِ وَالزُّوَايَا وَنَحْوِ ذَلِكَ رِزْقًا ، وَقَصَّرَ تَحَدُّثَ نَاطِرِ الْأَحْبَاسِ
وَمُبَاشَرَتِهِ عَلَيْهَا ، وَأَفْرَدَتْ الْأَوْقَافُ بِنَاطِرِ وَمُبَاشِرِينَ كَمَا سَيَأْتِي :

وهذه نسخة توقع بتدريس الطب بالبيمارستان المنصوري^(١) ، كُتِبَ بِهَا «لَمُهْدَبِ
الدِّينِ» وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي دَبَّرَ بِحِكْمَتِهِ الْوُجُودَ ، وَعَمَّ بِرَحْمَتِهِ كُلَّ مَوْجُودٍ ، وَحَالَ بِنَفْعِ الدَّوَاءِ
بَيْنَ ضَرِّ الدَّاءِ كَمَا حَالَتْ عَطَايَاهُ دُونَ الْوُعُودِ ؛ نَحْمَدُهُ وَنُشْكِرُهُ وَهُوَ الْمَشْكُورُ الْمَحْمُودُ ،
وَنُثْنِي عَلَيْهِ خَيْرَ الثَّنَاءِ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى الْجَنُوبِ وَفِي السُّجُودِ ، وَنَسْتَرْيِدُهُ مِنْ فَضْلِهِ
فَإِنَّهُ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْجُودِ .

وَنُشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً اللَّهُ بِهَا وَالْمَلَائِكَةُ وَأَوَّلُوا الْعِلْمَ
شُهُودًا ؛ وَنُشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُبَشِّرُ لِأُمَّتِهِ بِالْجَنَّاتِ وَالْخُلُودِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً دَائِمَةً إِلَى يَوْمِ الْوُعُودِ .

وبعد ، فَإِنَّا لَمَّا أَقَامَ اللَّهُ بِنَا شَعَائِرَ الْإِيمَانِ ، وَأَصْبَحَ دِينُهُ بِحَمْدِ اللَّهِ مَنْصُورًا بَنَّا
عَلَى سَائِرِ الْأَذْيَانِ ، وَجَاهَدْنَا فِي اللَّهِ حَقَّ الْجِهَادِ بِالْيَدِ وَالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ ، وَشَيْدْنَا لِعُلُومِهِ
وَشَرَانِمِهِ كُلِّ بَدِيحِ الْإِمْتِحَانِ ، وَرَبَّنَا فِيهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأَعْيَانِ كُلِّ رَفِيعِ الشَّانِ ، وَآخَرَتَنَا
لَهُ الْأَخْيَارِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالطَّبِّ وَالْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالْقُرْآنِ ؛ وَرَأَيْنَا كُلَّ مَنْ تَقَدَّمَ
مِنَ الْمُلُوكِ ، وَإِنْ سَلَكَ فِي سِيَاسَةِ الرَّعِيَةِ أَحْسَنَ سُلُوكٍ ، قَدْ أَهْتَمَّ بِعِلْمِ الْأَذْيَانِ وَأَهْمَلَ

(١) حق هذا التوقيع أن يذكر في مواقع الوظيفة السابقة الخاصة بالتدريس

علم الأبدان؛ وأنشأ كل منهم مدرسة ولم يُخْفَل ببيمارستان، وغفل عن قوله صلى الله عليه وسلم: «العلم عُمان»؛ ولم يأخذ أحدا من رعيته بالاشتغال بعلم الطب المُضْطَرَّ إليه، ولا وقف وقفا على طلبة هذا العلم المنصوص عليه، ولا أعد له مكانا يحضر من يشتغل بهذا الفن فيه، ولا نصب له شخصا يمثل هذا المشتغل لديه - علمنا نحن بحمد الله تعالى من ذلك ما جهلوه، وذكرنا من هذه القرية ما أهملوه، ووصلنا من هذه الأسباب الدينية والدنيوية ما فصلوه؛ وأنشأنا بيمارستانا يهر العيون بهجه، ويقوق الأبنية بالدليل والحجة، ويحفظ الصحة والمافية على كل مُهْجِه؛ لو حلّه من أشفى لَعُوْجِل بالشفا، أو جاءه من أكدّه السقم لاشتفى، أو أشرف عليه العُمر بلا شفاء لعاد عنه شيقا؛ ووقفنا عليه من الأوقاف المبرورة ما يملأ العينين، ويُطْرِف سماع جملته الأذنين، ويبعد عنه من أمّه مملوء اليدين؛ وأبجنا التداوى فيه لكل شريف ومشروف وأمور وأمير، وساويننا في الانتفاع به بين كل صغير وكبير، وعلمنا أن لانظير لنا في ملكنا ولا نظير له في إبقائه فلم نجعل لوقفه وشرطه من نظير؛ وجعلنا فيه مكانا للاشتغال بعلم الطب الذى كاد أن يُجْهَلَ، وشرعنا للناس إلى ورد بحره أعدب منهل، وسهلنا عليهم من أمره ما كان الحُسلُ به من البقطة أسهل؛ وأرتدنا له من علماء الطب من يصلح لإلقاء الدروس، وينفع به الرئيس من أهل الصناعة والمروءة، ويؤتمن على صحة الأبدان ويحفظ النفوس؛ فلم نجد غير رئيس هذه الطائفة أهلا لهذه المرتبة، ولم نرض لها من لم تكن له هذه المنقبه، وعلمنا أنه متى وليها أسى بها مُعْجِبا وأضحت به مُعْجِبه .

ولما كان المجلس السامى «مهذب الدين» هو الرئيس المشار إليه، والوحيد الذى تُعَدُّ الخناصِرُ عليه؛ وكان هو الحكيم «بقراط»، بل الجليل «سقراط»؛ بل الفاضل «جالينوس»، بل الأفاضل «ديسقوريدوس» - أفتضت الآراء

الشريفة أن تُزاد جَلالُهُ بتولية هذا المنصب الجليل جَلالَهُ ، وأن تُرَفَّ إليه تجرُّ أذيالَهُ ، وأن يقال : (لم يَكُ يَصْلُحْ إلَّا لَهَا ولم تَكُ تَصْلُحْ إلَّا له) .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال للدين ناصرا ، ولأعلام العلوم نائرا - أن يفوض إليه تدريس الطب بالبيارستان المبارك المنصوري ، المستجدة الإنشاء بالقاهرة المحروسة ، علما بأنه المتمهر في هذا الفن ، وأنه عند الفِراسة فيه والظن ، وأنه سقراط الإقليم إذا كان غيره سقراط الدك ، وثقة بآنا للجواهر قد آلتقطنا ، وبالحير قد آغبطنا ، وعلى الحير قد سَقَطنا .

فليتق هذه النعمة بالشكر الجليل ، والحيد الجزيل ، والثناء الذي هو بالثناء والزيادة كيفيل ؛ ولينتصب لهذا العلم المبارك انتصاب من يقوم بالفرض منه والسنة ، ويعرف له فيه الفضل ويتقلد له فيه المنه ، ويُنَى على آثاره الجيلة فيه ويُنَى إليه الأعت ، وليطيل بتقويمه الصحة ما ألفه ابن « بطلان » ، وليرنا بتديده جيلة البر فإنه « جاليوس » الزمان ، وليذل النجاة من الأمراض والشفاء من الأسقام فإنه « ابن سينا » الأوان ؛ وليجمع عنده شمل الطلبة ، وليمط كل طالب منهم ماطله ، وليبلغ كل ممن من الاشتغال أربه ؛ وليشرح لهم صدره ، وليبذل لهم من عمره شطره ، وليكشف لهم من هذا العلم المكنون سره ، وليرهم ماخفي عنهم منه جهره ؛ وليجعل منهم جماعة طبائيه ، وطائفة كتابين وجرانجيه ؛ وقوما مجبرين ، وبالحديد عاملين ، وأخرى باسماء الحشائش وقوى الأدوية وأوصافها عالين ؛ وليأمر كل منهم بحفظ مايجب حفظه ، ومعرفة مايزيد به حفظه ؛ وليأخذ بما يصلح به لسانه ولفظه ، ولا يفتر عنهم في الاشتغال لحظه ؛ وليفرد لكل علم من العلوم طائفته ، ولكل فن من فنونه جماعة بحاسيته عارقه ؛ وليصرف إليهم من وجوه فضائله ككل عارقه ،

وَلْيَكْتَسِفْ لَهُمْ مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ غَوَامِضِهِ فَلَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ إِضْبَاحِهِ كَاشِفَةٌ ؛
 لِيُنْشَرَفَى هَذَا الْمَكَانَ الْمُبَارَكُ مِنْ أَرْبَابِ هَذِهِ الْعُلُومِ قَوْمٌ بَعْدَ قَوْمٍ ، وَيُظْهَرُ مِنْهُمْ
 فِي الْغَدِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - أَضْعَافُ مَا هُوَ ظَاهِرٌ مِنْهُمْ الْيَوْمَ ؛ وَلَيُقَالُ لِكُلِّ مَنْ طَلَبْتَهُ
 إِذَا شُرِعَ فِي إِجَازَتِهِ وَتَرْكِتِهِ : لَقَدْ أَحْسَنَ شَيْخُهُ الَّذِي عَلَيْهِ تَأْدِيبٌ ، وَإِنْ مَن نَرَجُ
 هَذَا « الْمُهَنْدِبِ » ؛ عَامِلًا فِي ذَلِكَ بِشُرُوطِ الْوَاقِفِ أَعَزَّ اللَّهُ نَصْرَهُ ، وَاقِفًا عِنْدَ أَمْرِهِ
 أَمْضَى اللَّهُ أَمْرَهُ ؛ وَخَلِيقٌ يَكُونُ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة توقيع بنظر الأحياس مفتحة بـ «أما بعد» وهي :

أما بعد حمد الله الذى أَدِنَ أَنْ تُرْفَعَ بِيَوْمُهُ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ ، وَيُكْتَفَرُ فِيهَا قَسَمُ
 ثَوَابِهِ وَيُجْزَلَ قِسْمُهُ ، وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِى عَظَّمَ بِهِ قَطْعُ دَابِرِ الْكُفْرِ وَكَثُرُ
 حَسْمِهِ - فَإِنَّ خَيْرَ مَنْ عُوِلَ عَلَيْهِ فِي تَأْسِيسِ بَيْوتِ اللَّهِ وَعِمَارَةِ رُبُوعِهَا ، وَلَمْ شَعْبُهَا
 وَشَعْبَ صُدُوعِهَا ، وَالْقِيَامَ بِوُضَائِفِهَا ، وَتَسْهِيلَ لَطَائِفِهَا ؛ وَتَاهِيلَ نَوَاحِيهَا ، مُتَبَوِّطَ
 الْمَلَائِكَةَ لَتَلْقَى الْمُصَلِّينَ فِيهَا ، مَنْ كَانَ ذَا عَزَمٍ لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَاتِمٌ ، وَحَزَمٌ لَا يُلِيمُ
 بِأَفْعَالِهِ لَمْ يَلَمْ الْمَآئِمَ ؛ وَنَظِيرَ تَائِقِبَ ، وَرَغْبَةَ فِي اخْتِيَارِ جَمِيلِ الْمَآئِمِ وَالْمَنَاقِبِ ، وَمُبَاشَرَةَ
 تَرْغَى قَوَانِينِ الْأُمُورِ وَتَكْتِفُهَا أَكْتِنَافَ مُرَاقِبَ .

ولما كان فلانٌ مِّنْ هَذِهِ الْأَوْصَافِ شِعَارُهُ ، وَإِلَى هَذِهِ الْأُمُورِ بِدَارُهُ ؛ وَكَمْ كَتَبَ
 اللَّهُ بِهِ لِلدَّوْلَةِ أَجْرًا كَيْحَ وَسَاجِدَ ، وَكَمْ شَكَرْتَهُ وَذَكَرْتَهُ أَلَيْسَتْهُ أَعْلَامُ الْجَوَامِعِ وَأَفْوَاهُ
 حَمَارِيبِ الْمَسَاجِدِ - أَقْتَضَى مُنِيفَ الْمَلَاظِمِ وَالْمَحَافِظَةِ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ مِنْ بَيْوتِ
 اللَّهِ وَشَاهِدَ ، أَنْ نَخْرُجَ الْأَمْرَ الشَّرِيفَ - لَا يَرِجَ يَكْشِفُ الْأَوْجَالَ ، وَيَدْعُو لَهُ
 فِي الْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ رِجَالٌ - أَنْ يَفُوضَ لِفُلَانٍ نَظَرُ دِيْوَانِ الْأَحْيَاسِ وَالْجَوَامِعِ
 وَالْمَسَاجِدِ الْمَعْمُورَةِ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى .

فليأشرها مباشرة من يُراقب الله [إن] وقع أو توقع ، وإن أطاع أو تطوع ؛
وإن عزل أو ولي ، وإن أدب من نهى عبدا إذا صلى ؛ وليجتهد ككل الاجتهاد
في [صرف] ريع المساجد والجوامع في مصارفها الشرعية ، وجهاتها المرعية ؛ وليأخذ
أهلها بالملازمة في أحيائها وأوقاتها ، وعمارتها بمصاييحها وآلاتها ؛ وحفظ ما يحفظون
به لأجلها ، ومعاملتهم بالكرامة التي ينبغي أن يعامل مثلهم بمثلها ؛ وليحترز في إخراج
الحالات إذا تخرجت وأخرجت ، وفي مستحقات الأجائر إذا استحققت وإذا
تجملت ؛ وفي التواقيع إذا أنزلت وإذا نُزلت ، وفي الاستثنائات التي أُهملت وكان
ينبغي لو أُهلت ؛ وإذا باشر [و] ظهر له بالمباشرة خفايا هذا الديوان ، وفيهم
ما محتويه جرائد الإحسان ، فليكن إلى مصالحه أول مُبادر ، ويكفيه تدبر قوله
تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ .

قلت : وقد كنت أنشأت توقعا بنظر الأحياس ، للقاضى « بدر الدين حسن »
الشهير بابن البداية ، مفتحا بالحمد لله ، جاء فردا في بابه . إلا أن مسودته غُيبت
عنى ، فلم أجدها لأنتيتها هاهنا كما أثبت غيرها مما أنشأته : من البيعات والعهود
والتواقيع والرسائل وغير ذلك .

ومنها - نظر الأوقاف بمصر والقاهرة المحروستين ، ويدخل فيه أوقاف الحرمين
وغيرهما .

وهذه نسخة توقيع بنظرها ، وهى :

الحمد لله الذى حفظ معالم الدِّين من الدُّثور ، وأحيا آثار المعروف والأجور ، وصانَ
الأوقاف المحبسة من تبديل الشروط على توالى الأيام والشهور .

نَحْمَدُهُ عَلَى فَضْلِهِ الْمَوْفُورِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً لَهَا فِي الْقُلُوبِ نَوْرٌ عَلَى نُورٍ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُؤَيَّدُ الْمَنْصُورُ ، الطَّالِعُ الْبُدُورُ ، الْمُبْعُوثُ بِالْفُرْقَانِ وَالنُّورِ ، الْمَنْعُوتُ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا كَرِهَتِ الدُّهُورُ ، وَطَلَعَتْ كَوَاكِبُ شَمْسِ تَقْوَرِ .

وبعدُ ، فَإِنَّ أَهْلَ الْخَيْرِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ تَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ طَبِيبَاتِ أَمْوَالِهِمْ بِأَوْقَافٍ وَقَفُّوا عَلَى وَجْهِهِ الْبَرِّ وَعَرَّفُوهَا ، وَجَعَلُوا لَهَا شُرُوطًا وَوَصَفُوهَا ؛ فَقَبِلَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ ، ثُمَّ مَاتُوا فَانْقَطَعَ عَمَلُهُمْ بِهَا وَهُمْ فِي بَرَزَخِ الْمَهَالِكِ ؛ وَلِيَّهَا بَعْدَهُم الْأَمْنَاءُ مِنَ النَّظَارِ ، فَقَامُوا بِحَقُوقِهَا وَحَفِظَ الْآثَارَ ؛ وَأَجْرُوا رِبَّهَا الدَّارَ فِي كُلِّ دَارٍ ، وَصَانُوا مَعَالِمَهَا مِنَ الْأَغْيَارِ ، وَشَارَكُوا وَاقِفِيهَا فِي الصَّدَقَةِ لِأَنَّهُمْ خُرَّانُ أُمْنَاءِ أَخْيَارِ .

ولمَّا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي لَا يَتَدَنَسُ عِرْضُهُ بِشَائِيهِ ، وَلَا يُتَمَسِّحُ بِالصَّالِحِ وَهِيَ عَنْ فِكْرِهِ غَائِبَةٌ ، وَلَا تَبْرَحُ نَجْمُ السُّعُودِ طَالِعَةً عَلَيْهِ غَيْرَ ذَائِبَةٍ ؛ وَهُوَ أَهْلٌ أَنْ يُنَاطَ بِهِ التَّحَدُّثُ فِي جِهَاتِ الْبَرِّ الْمَوْقُوفَةِ ، وَأَمْوَالِ الْخَيْرِ الْمَصْرُوفَةِ ، لِأَنَّهُ نَزَّ نَفْسَهُ عَمَّا لَيْسَ لَهُ فَلَوْ كَانَتْ أَمْوَالُ غَيْرِهِ غَنَمًا مَا اخْتَصَّ مِنْهَا بِصُوفِهِ ؛ فَلِذَلِكَ رُسِمَ ... (١) ...

فَلْيَبْشِرْ هَذِهِ الْوَلِيْفَةَ مَبَاشَرَةً حَسَنَةً التَّأْيِيدِ ، جَمِيلَةً التَّثْمِيرِ ، مَأْمُونَةً التَّغْيِيرِ ، مَخْصُوصَةً بِالْتَّمِيرِ ؛ وَلِيَنْظُرَ فِي هَذِهِ الْأَوْقَافِ عَلَى اخْتِلَافِهَا مِنْ رُبُوعٍ وَمَبَازٍ ، وَمَسَاكِنَ وَمَقَاتٍ ؛ وَخَانَاتٍ مَسْبُلَةٍ ، وَحَوَانِيتٍ مُكَلَّجَةٍ ؛ وَمُسَقَّفَاتٍ مَعْمُورَةٍ ، وَسَاحَاتٍ مَاجُورَةٍ غَيْرِ مَهْجُورَةٍ . وَلِيَبْدَأَ بِالْعَامَّةِ فَإِنَّهَا تَحْفَظُ الْعَيْنَ وَتَكْنِي الْبَنَاءَ دُثُورَهُ ، وَلِيَتَّبِعَ شُرُوطَ الْوَاقِعِينَ وَلَا يَعْدِلَ عَنْهَا فَإِنَّ فِي ذَلِكَ سُورَةً ، وَيَتَدَرِّجُ فِي هَذِهِ

الأوقاف مأهول على المساجد ومواطن الذكر : فليقم شعارها ، وليحفظ آثارها ، وليرقع منارها ، والوصايا كثيرة والتقوى ظلها المخطوب ، ومراقبة الله أصلها المطلوب ووصلها المحبوب ، والله تعالى يجمع على محبة القلوب ، بمنه وكرمه ! .

ومنها - نظر البيارستان المنصوري بين القصرين لأرباب الأعلام ، وهو من أجل الأنظار وأرفعها قدرا ، ما زال يتولاه الوزراء وكُتاب السرومن في مناهم .
[وهذه نسخة توقيع] من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهي :

الحمد لله رافع قدر من كان في خدمتنا الشريفة كريم الخلال ، ومعلمي درجة من أضفى عليه الإخلاص في طاعتنا العلية مديد الظلال ، ومجدد نعم من لم يخصه اعتناؤنا بناية إلا ورقته همته فيها إلى أسنى رتب الكمال ، ومفوض النظر في قرب سلفنا الطاهر إلى من لم يلاحظ من خواصنا امرا إلا سرنا ما نساخده فيه من الأحوال الحوال .

نحمده على نعمه التي لا تزال تسرى إلى الأولياء عوارفها ، وميته التي لا تبرح تشمل الأصفياء غواطفها ، وآلائه التي تستد آراءنا في تفويض قربنا إلى من إذا باشرها [سبر] بسيرته السرية مستحقها وواقفها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة رفع الإخلاص لواءها ، وأفاض الإيمان على وجوه حملتها إشراقها وضياءها ، ووالى الإيقان إعادة أدائها بمواقف الحق وإبداءها ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المخصوص بمعموم الشفاعة العظمى ، المخصوص في السنة ذكر حوضه الذي من شرب منه شربة فإنه بعدها لا يضما ، المنصوص على نبوته في الصحف المتزلة وبشرت به الهوائف نقرأ ونظما ؛ صلى الله

عليه وعلى آله وصحبه الذين فازوا من طاعته ، بالزُّبِّ الفانحه ، وحازوا بالإخلاص
 فى محبته ، سعادة الدنيا والآخرة ، وأقبلوا على حظهم من رضا الله ورضاه فلم يُلُوا
 على خَدَعِ الدنيا الساحره ؛ صلاة دائمة الاتصال ، آمنة شمس دَوْلَتِها من الغروب
 والزوال ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإنَّ أولى الأمور بإتعام النظر فى مصالحها ، وأحقها بتوفير الفكر على
 اعتبار مَنَاجِها وأَعْتاد مَنَاجِها - أمرُ جهات البر التى تقرب والدنا السلطان الشهيد -
 قدس الله رُوحه - بها إلى مَنْ أفاض نِعَمه عليه ، وتتَوَّع فى إنشائها فأحسن فيها
 كما أحسن الله إليه ، ورغب بها فيما عند الله لعلمه أنَّ ذلك من أنس الذخائر التى
 أعطاها بين يديه ؛ وحل منها فى أكرم بقعة نقله الله بها عن سريره إلى مقعد صدق
 عند ربِّه ، وعمرها مواطنُ العبادة فى يومِ سَلَمه بعد أن عفى على معاقل الكفر
 فى يومِ حربِه ؛ وأقام بها منار العلوم فعلا مناهُ ، وأعد للضعفاء بها من مواد البر
 والإلطف مالو تعاطته الأغنياء قُصرت عن التناول إليه أموالها ؛ وأن نَرادَ لها
 مَنْ إذا فوضنا إليه أمرا تحققنا صلاحه ، وتيقنا نجاحه ؛ واعتقدنا تنمية أمواله ،
 وأعتمدنا فى مضاعفة آرتفاعه وارتفاعه على أقواله وأفعاله ؛ وعلمنا من ذلك
 مالا يحتاج فيه إلى إخبار ولا اختيار ، ولا يحتاج فى بيان الخيرة فيه إلى دليل إلا إذا
 احتاج إليه النَّهار ؛ لنكون فى هذا بمثابة مَنْ ضاعف لهذه القرب أسباب ثوابها ،
 أو جدد لها وقفا لكونه أنى بيوت الإحسان فى آرتياد الأكفاء لها من أبوابها .

ولذلك لما كان فلان هو الذى صان أموال خواصنا ، وأبان عن يمين الآراء
 فى استئثارنا به لمصالحنا الخاصة واختصاصنا ؛ واعتدنا بحجج نظره فى أسباب التدبير
 التى تملأ الخزائن ، وتدل على أنَّ من الأولياء من هو أوقع على المقاصد من سهام

الكَائِنَ ، وَتَحَقَّقَ أَنَّهُ كَمَا فِي الْمَنَاصِرِ الْأَرْبَعَةِ مَعَادِنٌ فَكَذَلِكَ فِي الرِّجَالِ مَعَادِنٌ ؛ وَنَبَّهَتْ أَوْصَالُهُ عَلَى أَنَّهُ مَا وَلِيَ أَمْرًا إِلَّا وَكَانَ فَوْقَ ذَلِكَ قَدْرًا ، وَلَا أَعْتَمِدَ عَلَيْهِ فِيمَا تَضِيقُ عَنْهُ هِمَمُ الْأَوْلِيَاءِ إِلَّا رَحَّبَ بِهِ صَدْرًا ، وَلَا طَلَعَ فِي أَفْقٍ رَتْبُهُ هَلَالًا إِلَّا وَتَأَمَّلْتَهُ الْعِيُونَ فِي أَجَلٍ دَرَجَ الْكَمَالِ بَدْرًا ؛ يُدْرِكُ مَا نَأَى مِنْ مَصَالِحِ مَا يَلِيهِ بِأَذْنٍ نَظَرٍ ، وَيَسْبِقُ فِي سَدَادٍ مَا يَبْشُرُهُ عَلَى مَا يَجِبُ سَدَادُ الْآرَاءِ وَمَوَاقِعُ الْفِكَرِ ؛ فَتَحَنَّنَ تَزَادَ كُلِّ يَوْمٍ غِبْطَةً بِتَدْيِيرِهِ ، وَتَحَقَّقَ أَنَّ كُلَّ مَا عَدَقْنَا بِهِ إِلَيْهِ : مِنْ أَمْرِ جَلِيلٍ فَقَدْ أَسْتَدْنَاهُ إِلَى عَارِفِهِ وَفَوَّضْنَاهُ إِلَى خَيْرِهِ - أَقْتَضَتْ آرَأُونَا الشَّرِيفَةُ أَنْ نَعْدُقَ بِجَمِيلِ نَظَرِهِ أَمْرَ هَذَا الْمُهِمِّ الْمَقْدَمِ لَدَيْنَا ، وَأَنْ نَفُوضَ إِلَيْهِ نَظَرَ هَذِهِ الْأَوْقَافِ الَّتِي النَّظَرُ فِي مَصَالِحِهَا مِنْ أَكْثَرِ الْأُمُورِ الْمُتَعَيِّنَةِ عَلَيْنَا .

فرسم بالأمر الشريف - لا زال فضله عيما ، ويزه يقدم في الرتب من كان من الأولياء كريما - أن يفوض إليه كيئت وكيئت .

فَلَيْلِ هَذِهِ الرِّتَبَةِ الَّتِي أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ وَمَا كَانَ اللَّهُ فَهُوَ أَعَمُّ ، وَقَصِدَ بِهَا النِّفْعُ الْمُتَعَدَّى إِلَى الْعُلَمَاءِ ، وَالْفُقَرَاءِ ، وَالضُّعَفَاءِ وَمِرَاعَاةُ ذَلِكَ مِنْ أَخَصِّ الْمَصَالِحِ وَأَعَمِّ ؛ وَلِيَنْظُرَ فِي عُمُومِ مَصَالِحِهَا وَخُصُوصِهَا نَظْرًا يَسُدُّ خَلَالَهَا ، وَيَزِيحُ عِلَالَهَا ، وَيُعَمِّرُ أَصُولَهَا ؛ وَيَتَمَرَّ مَحْصُولَهَا ، وَيَحْفَظُ فِي أَمَّا كُنْهَا أُمُوهَا ؛ وَيُقِيمُ مَعَالِمَ الْعُلُومِ فِي أَرْجَائِهَا ، وَيَسْتَزِيلُ بِهَا مَوَادَّ الرَّحْمَةِ لِسَاكِنِهَا بِالسَّنَةِ قُرْآنَهَا ؛ وَيَسْتَعِيدُ صِحَّةَ مَنْ بَهَا مِنَ الضُّعَفَاءِ بِإِعْدَادِ الدُّخَانِ لِلْمَلَاظِفَةِ أَسْقَامَهَا وَمِعَالَجَةِ أَدْوَانِهَا ؛ وَيَحَافِظُ عَلَى شُرُوطِ الْوَاقِفِ - قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ - فِي إِقَامَةِ وِظَائِفِهَا ، وَأَعْتَابِ مَصَارِفِهَا ؛ وَتَقْدِيمِ مَا قَدَّمَهُ مَعَ مَلَاةٍ تَدْيِيرِهِ بِاسْتِكْمَالِ ذَلِكَ عَلَى أَكْمَلِ مَا يَجِبُ ، وَتَمْيِيزِ حَوَاصِلِهَا بِمَا يَسْتَدْعِي إِلَيْهَا مِنَ الْأَصْنَافِ الَّتِي يَبْزُ وَجُودُهَا وَيَتَحَلَّبُ ؛ وَضَبْطِ تِلْكَ الْحَوَاصِلِ الَّتِي لَا خَزَائِنَ لَهَا أَوْثَقُ مِنْ أَيْدِي

أمانته وثقاته، ولا مُودَع لها أوفَق من أمانة من يتقي الله حقُّ ثقاته؛ وليفعل في ذلك جميعه ما عرَفناه من تديره الجليل خُبراً وخبراً، وحِداً في كل ما يليه ورُداً في المصالح وصَدراً؛ فإنه - بحمد الله - الميمونُ نظراً وتصرفاً، المأمونُ نزاهةً وتعفُّفاً؛ الكريمُ سجيّةً وطباطاً، الرحيبُ في تلقى المهمات الجليّة صَدراً وباعاً؛ فلذلك وكلّناه في النوصايا إلى حُسْن معرفته وأطلاعه، ويؤمن نُهوْضه بمصالحنا وأَضْطِلاعه؛ والله تعالى يُسَدِّده في قولهِ وعَمَلِهِ، ويحقِّق بالوقوف مع مَراضى الله تعالى ومَراضينا غايةً أمله؛ إن شاء الله تعالى.



ومنها - نظر الجامع الناصري بقلعة الجبل .

وهذه نسخةٌ توقيع بنظره، كُتِبَ به للقاضي جلال الدين القزويني وهو يومئذ قاضي قضاة الشافعية بالديار المصرية، وهي :

الحمد لله الذي زادني الدين رفعةً وجلّلاً، وجعل لنا على إعلاء منار الإسلام إقبلاً، وأحسن لنظرنا الشريف في كلِّ اختيارٍ مآلاً، ووفّق مَرامِي مَرامنا لمن أخلصنا عليه أنكالا .

نعمه حمداً يتواتر ويتوالى، ويُقَرَّب من المُنَى مآلاً، وتُتَبَرِّه معاهدُ نِعَمه عندنا وتَتَلالَا، ونُدِيْمه إدامةً لا تُبْغِي عنها حَوَلاً ولا أنْتِقالاً .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نصبتُها نيةً ومَقْلاً، وزَجَّجُوْا بالثغالي فيها القبولَ منه تعالى، ويراوَسَلُ عليها القلبُ واللسانُ فلا يعتري ذاك سهوٌ ولا يخاف هذا كَلالاً؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي كَرَّم صحابته وآلا، ودلَّهم على الرُّشد فوزَّوْهُ من علماء الأُمَّة رجالاً، صَلَّى الله عليه وعليهم صلاةً تُسْتَرعى عليها

من الحَفْظَةِ أَكْثَبَاءُ أَكْفَالًا ، وَنَسْتَمَدُّ لُفْقَهَا الْمُنْهَبَاتُ بُكَرًا وَأَصَالًا ، وَتَسْمُو إِلَيْهِ
الْأَنْفَاسُ تَسْمُو حَبَابَ الْمَاءِ حَالًا خَالًا ، مَا مَدَّتِ اللَّيَالِي عَلَى أَيَّامِهَا ظِلَالًا ، وَمَا بَلَغَ
سَوَادُ شَبَابِهَا مِنْ بَيَاضِ صُبْحِ اكْتِهَالَا ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ مِنْ بَحَى حَقِّ عَلَيْهِ أَنْ يُشِيدَ ، وَمَنْ أَرَادَ [أَنْ] اسْتَهَ الْحُسْنَى تَبْقَى فَلْيَتَخَذْ
مُعِينًا عَلَى مَا يُرِيدُ ، وَمَنْ أَنْشَأَ رَأً فَلَا بُدَّ مِنْ مَبَاشِيرٍ عَنْهُ يَضْمَنُ لَهُ التَّجْدِيدَ ، وَيُظَنُّ
بِهِ مَعَ تَأْيِيرِهِ التَّحْلِيدَ ، وَمَنْ تَابَعَ اللَّهَ بِمَعْرُوفٍ فَمَا يَسْخَرُ بِالْمُشَارَكَةِ فِيهِ إِلَّا لِمَنْ يَقُومُ
مَقَامَ نَفْسِهِ أَوْ يَزِيدُ ، وَمَنْ بَدَأَ بِجَمِيلٍ فَشَرَطَ صَلَاحَهُ أَنْ يُسَيِّدَهُ إِلَى مَنْ لَهُ بِالْمُرَاقَبَةِ
تَقْيِيدٌ ، فَيَا يُبْدَى وَبُعِيدُ ، وَأَيُّ إِشَادَةٍ أَقْوَى ، مِنْ التَّاسِيسِ عَلَى التَّقْوَى ، أَوْ مَعِينِ
أَجَلَ مِنْ حَاكِمِ اسْتِخْطِصْنَاهُ لَنَا وَإِخْوَانِنَا الْمَسَامِينِ ، أَوْ مَبَاشِيرِ أَنْفَعِ ، مِنْ سَيِّدِ أَرْتَدَى
بِالْمَحْدِ وَتَلَفَعَ ، وَتَرَوَى بِالْعُلُومِ وَتَضَلَّعَ ، أَوْ مُشَارِكِ فِي الْخَيْرِ أَوْلَى مِنْ وَلِيِّ قُلْدَانِهِ دِينَنَا
قَبْلَ الدُّنْيَا ، وَأَعْلِيَانِهِ بِالْمَنْصِبَيْنِ : الْحُكْمِ وَالْخَطَابَةِ فَتَصَرَّفَ مِنْهُمَا بَيْنَ الْكَلِمَةِ الْعَالِيَةِ
وَالدَّرَجَةِ الْعُلْيَا ، أَوْ أَحْسَنُ مِرَاقَبَةٍ مِنْ حَبَرٍ يَعْبُدُ اللَّهَ كَأَنَّهُ يَرَاهُ ، وَإِمَامٍ يَدْعُو إِلَيْهِ
دُعَاءَ أَوَائِبِ أَوَاهٍ ، قَدْ أَفْرَدَ يَجْمُوعَ الْحَاسِنِ يَقِينًا ، وَأَصْبَحَ قَدْرُهُ الْجَلَّى الْجَلِيلَ يَعْينُنَا
وَعَنِ الْمَدَائِحِ يُفَنِّينَا ، فَحَسْبُنَا الْوَصْفُ لِإِضَاحًا وَتَيْنِينَا ، وَلَكِنْ نُصَرِّحُ بِاسْمِهِ تَتَوَيَّسُ
وَتَعِينُنَا ، وَتَحْسِنُنَا لِسِيرَةِ أَيَّامِنَا الشَّرِيفَةِ بِعَالِمِ زَمَانِهَا وَتَزِينُنَا ، لَا حُدْرَ لِفِكْرٍ لَمْ يُنْقَضْ
مِنَاقِبِهِ وَقَدْ تَمَثَّلَتْ مَعَالِيهِ جَوَاهِرُ ، وَقَلَمٌ لَمْ يُؤَسَّسْ الطُّرُوسَ بِمَعَانِيهِ بَعْدَ مَا زَانَ مِنْ فَنُونِهَا
أَنْوَاعَ الْأَزَاهِرِ ، هُوَ الْمَجْلِسُ الْعَالِي الْقَضَائِي ، الْإِمَامِي ، الْعَالِمِي ، الْعَامِلِي ، الْعَلَامِي ،
الْكَامِلِي ، الْفَاضِلِي ، الْقُدْوِي ، الْمُتْقِدِي ، الْخَاشِعِي ، النَّاسِكِي ، الْوَرَعِي ، الْحَاكِمِي ،
الْجَلَّالِي : حُجَّةُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، قُدْوَةُ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ فِي الْعَالَمِينَ بِبُرْكَهُ الْأَمَّةِ ،

عَلَامَةُ الْإِثْمِ ، عِزُّ السَّنَةِ ، مَوْيِدُ الدَّوْلَةِ ، سَيْفُ الشَّرِيعَةِ ، شَمْسُ النُّظَرِ ، مُنْفَى
 الْغَرَرِ ، خَطِيبُ الْخُطَبَاءِ ، إِمَامُ الْبُلَنَاءِ ، لِسَانُ الْمُتَكَلِّمِينَ ، حَكَمُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينَ ،
 وَلِيُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَبُو الْمَعَالَى مُحَمَّدُ بْنُ قَاضِي الْقَضَاةِ سَعِيدِ الدِّينِ أَبِي الْقَاسِمِ
 عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُمَرَ بْنِ أَحْمَدَ الْقَزْوِينِي قَاضِي الْقَضَاةِ الشَّافِعِيَّةِ : أَدَامَ اللَّهُ عِزَّةَ الشَّرْعِ
 الشَّرِيفِ بِأَحْكَامِهِ ، وَتَرْفِيَةِ سُيُوفِ الْجِلَادِ وَأَسْلِحِهِ بِلِسَانِ جِدَالِهِ وَأَقْلَامِهِ ؛ قَاضٍ
 يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُهْتَرِجِينَ بِرَأْيٍ لَا يَطِيشُ حَامِلُهُ وَلَا يَزِلُّ حُكْمُهُ ، وَيَتَّقِي الشُّبُهَاتِ بِوَرَعٍ
 يَتَّبِعُهُ عَمَلُهُ وَيَهْدِيهِ عِلْمُهُ ؛ مَا لَحَظَ جِهَةً إِلَّا حَظَّتْ بِرِكَهٍ دَاوِمَةٍ مُزْنُهَا ، سَارِيَةٍ
 مَنَاجِحُهَا سَارٍ يُنْتَهَى ؛ وَلَا أَقْبَلَ عَلَى بَيْتٍ مِنْ بِيُوتِ اللَّهِ إِلَّا حَنَّ مِنْهُ إِلَى سُبُحَاتِ
 الْجَلَالِ ، وَلَا تَكَلَّمَ فِي وَفَيْهِ إِلَّا أَجْرَاهُ فِي صَالِحِ الْأَعْمَالِ عَلَى أَقْوَمِ مِثَالٍ ؛ وَنَحْنُ لِهَذِهِ
 الْمَزَايَا نُرَدُّ إِلَى نَظَرِهِ الْكَرِيمِ مَا أَهْمْنَا مِنْ عِمَارَةِ مَسْجِدٍ وَجَامِعٍ ، وَتَهْلُدُهُ مِنْ أَوْقَافِنَا
 مَا يَحْتَلِفُنَا فِيهِ خَيْرًا فَإِنَّ الْأَوْقَافَ وَدَائِعَ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي الْمَوْلَوِيِّ ، السُّلْطَانِي ، الْمَلِكِي ، النَّاصِرِي -
 لَا زَالَ يُصِيبُ الصُّوَابَ ، وَلَا يَعْثُو أَوْلَى الْأَثَابِ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ نَظْرُ الْجَامِعِ
 النَّاصِرِي الْمَعْمُورِ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَأَوْقَافِهِ ، وَالنَّظَرُ عَلَى التَّرْبَةِ
 وَالْمَدْرَسَةِ الْأَشْرَفَيْنِ وَأَوْقَافِهِمَا .



ومنها - نَظَرُ مَشْهَدِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ .

وقد تقدّم في الكلام على خِطَطِ الْقَاهِرَةِ فِي الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ أَنَّ الصَّالِحَ طَلَائِعَ
 ابْنِ رُزَيْكَ حِينَ قَصَدَ تَقْلَ رَأْسِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، بَنَى لَذَلِكَ جَامِعَهُ

خَارِجَ بَابِ زُوَيْلَةَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْخَلِيفَةُ فَأَوَدَّ لَهَا هَذِهِ الْبَقَاعَةَ مِنْ قَاعَاتِ الْقَصْرِ وَأَمَرَ بِتَقْلِيلِهَا .

وهذه نسخة توقيع بنظره ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهي :
الحمد لله الذي جعل مَوَاطِنَ الشَّرَفِ في أَيَّامِ الزَّاهِرَةِ ، مَحْصُورَةً في أَكْفَانِهَا ،
وَمَشَاهِدَ السِّيَادَةِ في دَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ ، مَقْصُورَةً عَلَى مَنْ حَبَّتْهُ أَوَامِرُنَا بِاعْتِنَائِهَا ،
وَحَصْنَتَهُ آلاؤُنَا بِاصْطِفَائِهَا ، الَّذِي أَجْرَى حُسْنَ النِّظَرِ فِي مَقَانِ الْآبَاءِ الطَّاهِرَةِ عَلَى يَدِ
مَنْ طَلَعَ فِي أَفْقِ الْعِلْيَاءِ مِنْ أَبْنَائِهَا ، وَعَمَّرَ مَعَاهِدَ الْقُرْبَاتِ بِتَدْيِيرِ مَنْ بَدَأَ بِقَوَاعِدِ دِينِهِ
وَأَجَادَ إِحْكَامَ تَسْيِيدِهَا وَإِتْقَانَ نِسَائِهَا .

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا حَصَّنَتْ بِهِ أَيَّامُنَا مِنْ رَفْعِ أَقْدَارِ ذَوِي السِّيَادَةِ وَالشَّرَفِ ، وَأَتَصَوَّفُ بِهِ
إِنْعَامُنَا مِنْ مَزِيدِ رِعْائِهِ بِحُسْنِ ظُهُورِهِ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ أَنَّ الْخَيْرَ فِي الشَّرَفِ .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يعرف بها من اعترف ،
ويُشَرِّفُ قَدْرَ مَنْ لَهُ بِالمَحَافَظَةِ عَلَيْهَا شَغَفٌ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي طَهَّرَ
اللَّهُ بَضْعَتَهُ الزَّهْرَاءَ وَبَيْنَهَا ، وَخَصَّمَهُمْ بِمِزْيَةِ الْقُرْبَى الَّتِي نَزَّهَهُ أَنْ يُسَالَ عَلَى الْهِدَايَةِ
أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِيهَا ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الَّذِينَ هُمْ أَجْدَرُ بِالْكَرَمِ ، وَأَحَقُّ بِمَحَاسِنِ
النِّسَمِ ، وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ (تَعْرِيفُ الْبَطْحَاءِ وَطَائِفَةُ *) وَابْتِئَتْ بِعَرَفِهِ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ) ؛
وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ ، وَأَتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ فَمِنْهُمْ الَّذِينَ
أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَالَّذِينَ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ زُيِّنَتْ لَهُ مَوَاطِنُ الشَّرَفِ ، وَعُدِدَتْ لَهُ الْعِزَّةُ بِمُغْدَمَةٍ مِنْ دَرَجٍ
مِنْ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَسَلَفٍ ، وَعُمِّرَتْ بِهِ مَشَاهِدُ آثَارِهِمُ الَّتِي هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ لَهُمْ عُزْرٌ ،

[وَنَالَتْ الدَّوْلَةُ] مَنْ تَدِيرُهُ الْجَمِيلُ بِمَضِّ حَظِّهَا ، وَخَصَّصَتْ بُقْعَتَهُ الْمُبَارَكَةَ مِنْ نَظَرِهِ بِمَا يَنْبُؤُ فِي خِدْمَةِ عَهْلِهِ الشَّرِيفِ عَنْ مَوَاقِعَ لِحْظِهَا ؛ وَجَعَلَتْ بِهِ لِابْنِ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ خِدْمَةِ أَبِيهِ مَعَهَا نَصِيبًا ، وَفَعَلَتْ ذَلِكَ إِذْ خَبِرَتْ خِدْمَتَهُ أَجْنَبِيًّا عَلِمَا أَنَّهَا تَتَضَاعَفُ لَهُ إِذَا كَانَ نَسِيبًا ، وَحَكَمَتْ بِمَا قَامَ عِنْدَهَا مَقَامَ الثَّبُوتِ ، وَأَمَرَتْهُ أَنْ يَبْدَأَ بِخِدْمَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ [فَإِنْ] لَازِمَهَا لِنِسْبَتِهَا مُقَدِّمٌ عَلَى الْبُيُوتِ - مَنْ طَلَعَ شِهَابُ فَضْلِهِ مِنَ الشَّرَفِ السَّنَى فِي أَكْرَمِ أَتَقَى ، وَأَحَاطَتْ بِهِ أَسْبَابُ السُّودِّ مِنْ سَائِرِ الْوُجُوهِ إِحَاطَةَ الطُّوقِ بِالْمَتَّقِ ؛ وَزَانَ الشَّرَفَ بِالسُّودِّ وَالْعِلْمَ بِالْعَمَلِ ، وَالرِّيَاسَةَ بِاللُّطْفِ فَاخْتَارَتْهُ الْمَنَاصِبُ وَاخْتَالَتْ بِهِ الدُّوَلُ ، وَتَقَدَّمَ بِنَفْسِهِ وَتَقَاسَى أَصْلَهُ فَكَانَ شَوْطُ مَنْ تَقَدَّمَهُ وَرَاءَ خَطَاوِهِ وَهُوَ يَمْشِي عَلَى مَهَلٍ ؛ وَأَصْطَفَتْهُ الدَّوْلَةُ الْقَاهِرَةُ لِنَفْسِهَا فَنَمَسَكَ مِنَ الْمَوْلَاةِ بِأَوْثَقِ أَسْبَابِهَا ؛ وَاعْتَمَدَتْ عَلَيْهِ فِي بَثِّ نِعَمِهَا ، وَبَعَثَتْ كَرَمَهَا ، فَعَزَّزَتْ فِي ذَلِكَ الْأُمُورَ مِنْ وَجْهِهَا وَأَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ؛ وَحَدَّثَتْ وَقُودَ أَبْوَابِهَا الْعَالِيَةِ لِحَسَنِ سَيْرَتِهِ فِي إِكْرَامِهِمُ السَّرَى ؛ وَاكْتَفَتْ [حَتَّى] مَعَ تَرْكِ الْكِرَامَةِ إِلَيْهِمْ بِبَشَاشَةٍ وَجْهِهِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ مِنَ الْقِرَى ؛ وَصَانَ الْبُيُوتَ عَنِ الْإِقْوَاءِ بِتَدِيرِهِ الَّذِي هُوَ مِنْ مَوَادِّ الْأَرْزَاقِ ، وَزَادَ الْحَوَاصِلَ بِتَثْمِيرِهِ مَعَ كَثْرَةِ الْكُلْفِ الَّتِي لَوْ حَاطَتْهَا الْعَائِمُ لِأَمْسَكَتْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ .

وَلَمَّا كَانَ فَلَانُ هُوَ الَّذِي تُبْلِغُ مَنَاقِبَ بَيْتِهِ الطَّاهِرِ ، وَجُلِّيَتْ مَفَاضِيرُ أَصْلِهِ الزَّاهِرِ ، وَتَجَلَّتْ بِشَرَفٍ خِلَالِهِ خِلَالُ الشَّرَفِ الَّتِي تَرَكَهَا الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ ؛ وَكَانَ مُشْهَدَ الْإِمَامِ السَّيِّدِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ بَقْعَةً هِيَ مُتَجَعِّجُ الرَّحِمِ ، وَمَظِنَّةُ إِبَاجَةِ الْأُمَّةِ ، وَرَوْضَةُ مَنْ شُرِفَتْ بِإِنْتِقَالِهِ إِلَيْهَا ، وَتَرَبُّهُ شَهِيدَ الزَّهْرَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَى أَيْهَا وَعَلَيْهَا ؛ وَبِهِ الْآنَ [مِنْ] رَوَائِبِ الْقُرْبَاتِ وَوُضَائِفِ الْعُلُومِ وَجِهَاتِ الْخَيْرِ مَا يَحْتَاجُ إِلَى اخْتِيَارٍ مِنْ يُجِلُّ النَّظَرَ فِيهِ ،

ويسلك نَجَسَ سَلَقِهِ فِي الإِعْرَاضِ عَنْ عَرَضِ الدُّنْيَا وَيَقْتَنِيهِ - رَأَيْنَا أَنْ نَخْتَارَ لَئِنْكَ
مِنْ آخِرَتَاهُ لِأَنفُسِنَا فَكَانَ الْكُفَّاءَ الْكَرِيمَ ، وَآخِثَنَا لِمَصَالِحِنَا نَخْبِرُنَا مِنْهُ الْحَفِيفَ
الْعَلِيمَ ، وَأَنْ تُقَدِّمَ مُهِمَّ ذَلِكَ الْبَيْتِ عَلَى مُهِمَّ بِيوتِنَا فَإِنَّ حَقَّ آلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَقُّ بِالْمَعْظَمِ .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زالت مكارمه بتقريب ذوى القربى جديره ،
ومراسمه على إقدار ذوى الرتب على ما يجب قديره ، - أن يفوض إليه النظر على مشهد
الإمام الحسين ابن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهما السلام بالقاهرة
المحرومة ، على قاعدة من تقدمه في ذلك ، بالمعلوم الشاهد به ديوان الوقف : لما
قدمناه من أسباب ربحته لذلك ، وبناء من أمور أوضحت في اختيارنا له المسالك ،
ومن أولى منه بهذه الرتبة التي شهدت له باستحقاقها مناصبه ومتاسبه ، أو أقدر
منه على أمثال هذه الوظيفة وقد أقرت بكاله وكرم خلاله مراتب الباب الشريف
وروايته .

فليؤمن النظر في مباشرة أوقاف هذه البقعة المباركة مظہراً ثمرة تفويضها إليه ،
مبيناً نتيجة تعرضها له وعرضها عليه ، منبهاً على سِرِّ التوفيق فيما وضع أمرنا من
مقاييد أمرها في يديه ، مجتهداً في تمييز أموال الوقف من كل كاتب [حديث] ، موجهاً
من شفقة الولد [على] ما أنسب إلى الوالد ما شهدت به في حقها الأحاديث ، سالكا
من خدمة ذلك المشهد ما يشهد له به غدا عند جدّه ، ناشراً من لواء^(١)
فضيل رقعته في الحقيقة رفع لجمده ، وليلاحظ تلك المصالح بنظره الذي يزيد أموالها
تتميرا ، ورابعها تعميراً ، وحواصلها تمييزاً وتوفيراً ، وأرجأ أيها السيد الشريف

عند الله تعالى بذلك عن كل حسنةٍ عشرًا إن ذلك [كان] على الله يسيرًا . وصنَّ ما بيديك عن شوائب الأدناس : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) . وقد خبرنا من سيرتك وسريرتك ما لا تحتاج أن تزاد به خبرًا ، ولا أن نبلوه بعد ما سلف مرةً أخرى ؛ ولكن نذكرك بتقوى الله التى أنت بها متصف ، وبوجودها فيك معروف وبوجودها عليك تعترف ؛ فقدّمها بين يديك ، وأجعلها العُمدة فيما أعتمدنا فيه عليك ؛ إن شاء الله تعالى .

المرتبة الثالثة

(من الوظائف الدينية ما يكتب فى قطع العادة الصغير ، مفتاحاً
بـ «رسم بالأمر الشريف»)

وهو لمن كانت رتبته مجلس القاضى ، ورُبَّمَا كُتِبَ فيه بالسامى بغيرياء لمن قُصِدَ تعظيمه وهو قليلٌ ، وبه يُكْتَبَ لأرباب الوظائف الصَّغار من الخُطبَاء ، والمدرِّسين ، ونظار الأوقاف ، وغيرهم ممن لا يَنْحَصِرُ كثرةً .

وهذه نسخة توقيع بنظر البِيَارِستَان العتيق الذى رتبته السلطان صلاح الدين «يوسف بن أيوب» فى بعض قاعات قصر الفاطميين ، وهى :

رُسم بالأمر الشريف - لا زالت أيامه تُفِيدُ عِلَاءً ، وتستفيدُ أَكْفَاءً ، وتُضْفَى ملايس النماء على كلِّ على فتكسوه بهجةً وبهاء - أن يستقر فلان فى نظر البِيَارِستَان الصَّلاحيّ بالقاهرة المحروسة ، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت ، لكفائه التى آشتهر ذكرها ، وأمانته التى صدق خبرها خبرها ؛ وزايتها التى أضحت بها

على النفس فغدا بكل ثناء ملياً ، ورياسته التي أحلت قدره أسمى رتبة فلا غرو أن يكون «علياً» .

فليأشر نظر البيارستان المذكور مباشرة يظهر بها انتفاعه ، وتميزها أوضاعه ؛ ويضحى عامر الأرجاء والنواحي ، ويقول لسان حاله عند حسن نظره وجميل تصرفه : الآن كما بدأ صلاحى ؛ ولجعل همته مصروفة إلى ضبط مقبوضه ومصرفه ، ويظهر نهضته المعروفة بشمير رعبه حتى تتضاعف مواد معروفه ؛ ويلاحظ أحوال من فيه ملاحظة تذهب عنهم الباس ، ويراج مصالح حاله في تنميته وتركيبه حتى لا يزال منه شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ؛ وليتناول المعلوم الشاهد به الديوان المعمور من استقبال تاريخه بعد الخط الشريف أعلاه .

وأعلم أن من تواقع أرباب الوظائف الدينية ما يكتب فى هيئة أوراق الطريق ، أو على ظهور القصاص ، وقد تقدم .

وهذه نسخة توقيع بالتحدث فى وقف :

رسم بالأمر الشريف العالى المولى السلطانى الملكى الفلانى - أعلاه الله تعالى وشرفه ، وأنفذه وصرفه - أن يستقر القاضى فلان الدين فلان فى التحدث فى الوقف الفلانى ، بما لذلك من المعلوم الشاهد به كتاب الوقف . فليتم هذا المرسوم الشريف كل واقف عليه ، ويعمل بحسبه وبمقتضاه ، بعد الخط الشريف ، إن شاء الله تعالى .

الضرب الثالث

(من الولايات بالحضرة السلطانية بالديار المصرية — الوظائف الديوانية)

وهى على طبقتين :

الطبقة الأولى

(أرباب التقاليد، فى قطع الثلاثين ممن يكتب له «الجناب العالى»

وفىها وظيفتان)

الوظيفة الأولى

(الوزارة، إذا كان متوليا من أرباب الأقلام، كما هو الغالب)

وقد تقدم فى الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية قولا عن «مسالك الأيصار» أن ربها ثانى السلطان لو أنصف وعُرف حقه، إلا أنها لما حدثت عليها النيابة، تأخرت وقعد بها مكانها حتى صار المتحدث فيها يخطر المال، لا يتمدى الحديث فيه ولا يتسع له فى التصرف بحال، ولا تمتد يده فى الولاية والعزل لتطلع السلطان إلى الإحاطة بمرآة الأحوال فى الولاية والعزل. وقد تقدم ذكر ألقابه مستوفاة فى الكلام على مقدمة الولايات فى الطرف الأول من هذا الفصل، والكلام على طرزة تقليده فى الكلام على التقاليد.

وهذه نسخة تقليد الوزارة، كُتب بها للصاحب «بهاء الدين بن حنا» . من إنشاء القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر، وهى :

الحمد لله الذى وهب لهذه الدولة القاهرة من لدنه وليا، وجعل مكان سرها وشد أزرها عليا، ورضى لها من لم يزل عند ربه مرضيا .

نحمدُه على أنْ طُفِّفه الذي أَسْمَى بِنَا حَفِيًّا ، ونشْكُرُه على أنْ جعل دولتنا جَنَّةً أَوْرَثَ تَدْيِيرَهَا من عِبَادِهِ مَنْ كَانَ تَحِيًّا ؛ ونشهد أنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحده لا شريك له شهادة تُسَبِّحُ بِهَا بُرْكَهُ وَصِيًّا ، ونصلي على سيدنا عَهِدِ الذي آتَاهُ اللهُ الْكِتَابَ وجعله نَبِيًّا ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ صلاةً تَنْبِئُ بِهَا صِرَاطًا سَوِيًّا .

وبعدُ ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَا تَنَفَّسَتْ أَلْسِنَةُ الْأَقْلَامِ بِتِلَاوَةِ سُورِهِ ، وَتَعَمَّتْ أَفْوَاهُ الْحَاوِرِ بِالِاسْتِدَادِ لِتَسْطِيرِ سِيرِهِ ؛ وَتَنَاجَتْ الْكَرَامُ الْكَاتِبُونَ بِشُكْرِ جَمَلِهِ وَمَقْصَلِهِ ، وَتَنَاشَدَتْ الرِّوَاةُ بِمُحَسِّنِ لَسَانِهِ وَتَرَنَّمَتْ الْحُدَاةُ بِطِيبِ غَزَلِهِ ؛ وَتَهَادَتِ الْأَقَالِمُ تُخَفِّفُ مَعْجَلَهُ وَمَوْجَلَهُ ، وَعَنَتْ وَجُوهُ الْمُتَهَارِقِ لَصُغُودِ كَلِمَةِ الطِّيبِ وَرَفَعَ صَالِحُ عَمَلِهِ - مَا كَانَ فِيهِ شُكْرٌ لِنِعْمَةٍ يُمْنُهَا عَلَى الدَّوْلَةِ سَعَادَةُ جُدُودِهَا وَحُظُوظِهَا ، وَإِفَادَةُ مَصُونِهَا وَمَحْفُوظِهَا ، وَإِرَادَةُ مَرْمُوقِهَا بِمُحَسِّنِ الْاِسْتِدْبَاعِ وَمَلْحُوظِهَا ؛ وَحَمْدٌ لِنِعْمَةِ إِفَاءَتِهَا بِرَكَاتٍ أَحْسَنَتْ لِلْمَلِكَةِ الشَّرِيفَةِ مَالًا ، وَقَرَّبَتْ لَهَا مَتَالًا ، وَأَصْلَحَتْ لَهَا أَحْوَالًا ، وَكَازَتْ مَسَدَّ الْبَحْرِ فَكَلَّمَا أَجْرَى ذَلِكَ مَاءٌ أَجَرَتْ هِيَ مَالًا ، وَإِنْ صَنَّتِ السُّحُبُ أَنْشَاتٍ هِيَ نُجُبًا ، وَإِنْ قِيلَ - بَشَحَّ سَيِّحُنَا - : رَوَّقُ الْأَرْضِ ذَهَبٌ ، عَوَّضَتْ عَنْهُ ذَهَبًا ، كَمْ لَهَا فِي الْوُجُودِ مِنْ كَرَمٍ وَكَرَامَةٍ ، وَفِي الْوُجُوهِ مِنْ وُسُومٍ وَوَسَامَةٍ ؛ كَمْ أَحْيَتْ مُهْجًا ، وَكَمْ جَعَلَتْ لِلدَّوْلَةِ مِنْ أَمْرِهَا مَخْرَجًا ؛ وَكَمْ وَسَّعَتْ أَمْلًا ، وَكَمْ تَرَكَتْ صَدْرَ الْحَزَنِ سَهْلًا ، وَكَمْ تَرَكَتْ صَدْرَ الْخِزَانِ ضَيْقًا حَرِجًا ؛ كَمْ اسْتَعْدَمَتْ جَيْشَ تَهْمَدٍ فِي بَطْنِ اللَّيْلِ ، وَجَيْشَ جِهَادٍ عَلَى ظُهُورِ الْخَيْلِ ؛ وَكَمْ أَفْطَقَتْ فِي وَاقِفٍ فِي قَلْبٍ بَيْنَ صُغُوفِ الْحُرُوبِ ، وَفِي وَاقِفٍ فِي صُغُوفِ الْمَسَاجِدِ مِنْ أَصْحَابِ الْقُلُوبِ ؛ كَمْ سَيَّلَ يَسْرَتَ ، وَتُسْعُودَ كَثْرَتَ ؛ وَكَمْ غَاوَفَ أَدْبَرَتْ حِينَ دَزَتْ ، وَكَمْ آثَارٍ فِي الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ أَثَرَتْ وَاثَرَتْ ، وَكَمْ وَافَتْ وَوَفَّتْ ؛ وَكَمْ كَفَّتْ وَكَفَّتْ ، وَكَمْ أَمَفَّتْ وَعَفَّتْ وَعَفَّتْ ، وَكَمْ بَهَا مَوَازِينُ لِلْأُولِيَاءِ ثَقُلَتْ وَمَوَازِينُ لِلْأَعْدَاءِ خَفَّتْ ؛ كَمْ أَجَرَتْ مِنْ وَفُوفَ ،

وكم عُرِفَتْ بمعروف؛ كم بيوت عبادة صاحب هذه البركات هو محرابها، وسماء جُودِ
هو سحابها ومدينة علم هو بابها؛ تُثْقَى الليالى على تغليسه إلى المساجد فى الحَنَادِس،
والأيام على تهجيرِهِ لِمَيَادَةِ الْفُقَرَاءِ وَحُضُورِ الْجَنَائِزِ وَزِيَارَةِ الْقُبُورِ الدَّوَارِسِ؛ يَكْتَنُّ
تَحْتَ جَنَاحِ عَذْلِهِ الظَّاعِنُ وَالْمَقِيمُ، وَتَشْكُرُ مِبَارَهُ يَثْرِبُ وَزَمَنُومُ وَمَكَّةُ وَالْحَطِيمُ؛ كَمْ
عَمَّتْ سُنَنُ تَفَقُّدَاتِهِ وَنَوَافِلُهُ، وَكَمْ مَرَّتْ صَدَقَاتُهُ بِالْوَادَى - فَسَّحَ اللَّهُ فِي مُدَّتِهِ -
فَانْتَتَ طِيَهُ رِمَالُهُ وَبِالنَّادَى فَانْتَتَ طِيَهُ أَرَامِلُهُ؛ مَا زَارَ الشَّامَ إِلَّا أَغْنَاهُ عَنْ مِئَةِ
الْمَطَرِ، وَلَا صَحِبَ سُلْطَانَهُ فِي سَفَرٍ إِلَّا قَالَ: نِعَمَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ.

ولما كان المنفردُ بهذه البركاتِ هو واحدُ الوجودِ، وَمَنْ لَا يُشَارِكُهُ فِي الْمَزَايَا
شَرِيكٌ وَإِنَّ اللَّيَالَى بِالْإِيجَادِ مُثْلُهُ غَيْرُ دُلُودٍ؛ وَهُوَ الَّذِي لَوْلَمْ تُسَمِّهِ قَالِ سَامِعُ هَذِهِ
الْمَنَاقِبِ: هَذَا الْمَوْصُوفُ، عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ خَلْقِهِ مَعْرُوفٌ؛ وَهَذَا الْمُدْحُوحُ، بِأَكْثَرِ مَنْ
هَذِهِ الْمَادِحِ وَالْحَامِدِ مِنْ رَبِّهِ مُمْدُوحٌ وَمَمْدُوحٌ؛ وَهَذَا الْمُنْعَوْتُ بِذَلِكَ، قَدْ نَعَتْهُ بِأَكْثَرِ
مِنْ هَذِهِ التَّنْعُوتِ الْمَلَائِكِ؛ وَإِنَّمَا نَذَكُرُ نَعْوَتَهُ أَلَيْذَاذَا، فَلَا يَعْتَقِدُ خَاطِبٌ وَلَا كَاتِبٌ
أَنَّهُ وَفَى جَلَالَتِهِ بَعْضُ حَقِّهَا غِيَاثُهُ أَشْرَفُ مِنْ هَذَا؛ وَإِذَا كَانَ وَلَا بَدَ لِلْمَادِحِ أَنْ يَجُولَ،
وَلِلْقَلَمِ أَنْ يَقُولَ؛ فَتَلَكْ بَرَكَاتُ الْمَجْلِسِ الْعَالِي، الصَّاحِبِي، السَّيِّدِي، الْوَرَعِي،
الزَّاهِدِي، الْعَابِدِي، الْوَالِدِي، الذُّخْرِي، الْكَفِيلِي، الْمُجَهِّدِي، الْمَشِيدِي،
الْعَوْنِي، الْقَوَامِي، النَّظَامِي، الْأَفْضَلِي، الْأَشْرَفِي، الْعَالِمِي، الْعَادِلِي، الْبَهَائِي، سَيِّدُ
الْوُزَرَاءِ فِي الْعَالَمِينَ، كَهْفُ الْعَابِدِينَ، مَلْجَأُ الصَّالِحِينَ؛ شَرِيفُ الْأَوْلِيَاءِ الْمُتَّقِينَ؛ مَدَبُّ
الدُّوَلِ، مَدَادُ الثُّغُورِ، صِلَاحُ الْمَمَالِكِ؛ قُدْوَةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ، يَمِينُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؛
عَلَى بْنِ مُحَمَّدٍ: أَدَامَ اللَّهُ جَلَالَهُ. مَنْ تَشَرَّفَ الْأَقَالِيمُ بِحَيَاةِ قَلَمِهِ الْمُبَارَكِ، وَالتَّقَالِيدُ
بِعَجْدِيدِ تَنْفِيذِهِ الَّذِي لَا يُسَاهَمُ فِيهِ وَلَا يُشَارَكُ؛ فَمَا جُنْدُ مِنْهَا إِنَّمَا هُوَ بَتَابَةُ آيَاتِ

فتردد، أو بمنزلة سجلات في كل حين بها يُحكم وفيها يُشهد ؛ حتى تناقل ثبوته الأيام والليالي ، ولا يخلو جيد دولة من أنه يكون الحال بما له من فائز اللآلى .

فلذلك خرج الأمر العالى - لا بَرَح يُكسب بهاء الدين المحمدى - أتم الأنوار ، ولا بَرَحَت مرآئمه ترهُو من قلم متفذه بذى الفقر وذى الفقار - أن يضمن هذا التقليد الشريف بالوزارة السامة ، العامة ، الشاملة ، الكاملة : من المآثر الشريفة الصاحبية ، البهائية ؛ أحسن التضمين ، وأن يُنشر منها ما يتلقى رايته كل رب سيف وقلم باليمين ؛ وأن يُعلم كافة الناس ومن تضمه طاعة هذه الدولة ومُلْكُها وسُلْكُها من ملك وأمير ، وكل مدينة ذات منبر وسرير ؛ وكل من جمعته الأقاليم من ثواب سلطنه ، وذى طاعة مُدْعِنه ؛ وأصحاب عقد وحل ، وظن وحل ؛ وذى جنود وحشود ، ورافعي أعلام وبنود ؛ وكل راجع ورعيه ، وكل من ينظر في الأمور الشرعية ؛ وكل صاحب علم وتذريس ، وتهليل وتقديس ؛ وكل من يدخل في حكم هذه الدولة الغالبة من شُموسها المضيئة ، وبُدورها المنيعة ، وشُبهها الثاقبة ، في الممالك المصرية ، والنوبية ، والساحلية ، والكركية ، والشوبكية ، والشامية ، والحلبية ، وما يتداخل بين ذلك ، من ثُغُور وحُصُون وممالك - أن القلم المبارك الصاحبي البهائي في جميع هذه الممالك مبسوط ، وأمر تديرها به منوط ، ورعاية شفقتِه لها تحوط ، وله النظر في أحوالها ، وأموالها ؛ وإليه أمر قوانينها ، ودواوينها ، وكُتُبها ، وحُسابها ؛ ومراتبها ، وروايتها ؛ وتصريفها ، ومصرفيها ؛ وإليه التولية والصرف ، وإلى تقدمه البدل والنعت والتوكيد والعطف ؛ فهو صاحب الرتبة التي لا يحلُّها سواه وسوى من هو مرتضيه ، من السادة الوزراء بنيه ، وما سميّا غيره وغيرهم

بِالصُّحُورِيَّةِ^(١) فليحذر من يُحَاطِبُ غَيْرَهُ [و] غَيْرِهِمْ بِهَا أَوْ يُسَمِّيَهُ ؛ فَمَا كَانَ وَالِدُنَا
الشَّهِيدُ رَحِمَهُ اللَّهُ يُحَاطِبُهُ بِالْوَالِدِ قَدْ خَاطَبَنَاهُ بِذَلِكَ وَخَطَبَنَاهُ ، وَمَا حَدَّثَنَا عَنْ
ذَلِكَ بَلْ صَدَّقْنَا لِأَنَّهُ مَا ظَلَمَ مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ ؛ فَتَرَكْتُهُ لِأَسْمَائِ وَلَا تُسَامِ ، وَمَكَاتَتُهُ
لَا تُرَامَى وَلَا تُرَامُ ؛ فَمَنْ قَدَحَ فِي سِيَادَتِهِ مِنْ حُسَادِهِ زِنَادٌ قَدْ حُجَّ أُخْرِقَ بَشَرَرُ شَرِّهِ ،
وَمَنْ رَكِبَ إِلَى جَلَالَتِهِ ، تَبَجَّ سَوْءُ أُغْرِقَ فِي بَحْرِهِ ، وَمَنْ قَتَلَ لِسَعَادَتِهِ ، حَبَلَ كَيْدٍ فَإِنَّمَا
قَتَلَهُ مُبْرِمُهُ لَنَحْرِهِ ، فَلْتَرْجَمْ الْأَلْسِنَةُ وَالْأَقْلَامُ وَالْأَقْدَامُ فِي خِدْمَتِهِ أَحْسَنَ الْآدَابِ ،
وَيَقِلُّ الْمُرْتَدُّونَ : سِحْطَةً إِذَا دَخَلُوا الْبَابَ ؛ وَلَا يَفْزَنُهُمْ فَرْطُ تَوَاضُعِهِ لِدِينِهِ وَتَقْوَاهُ ،
فَمَنْ تَأَذَّبَ مَعَهُ تَأَذَّبَ مَعَنَا وَمَنْ تَأَذَّبَ مَعَنَا تَأَذَّبَ مَعَ اللَّهِ . وَلْيُتْلَ هَذَا التَّقْلِيدُ عَلَى
رُءُوسِ الْأَشْهَادِ ، وَتُنْسخَ نُسخَتُهُ حَتَّى تَتَنَاقَلَها الْأَمْصَارُ وَالْبِلَادُ ؛ فَهُوَ حُجَّتُنَا عَلَى مَنْ
سَمِينَاهُ خُصُوصًا وَمَنْ يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ بِطَرِيقِ الْعُمُومِ ، فَلْيَعْمَلُوا فِيهِ بِالنَّصِّ وَالْقِيَاسِ
وَالِاسْتِنْبَاطِ وَالْمَفْهُومِ ؛ وَاللَّهُ يَزِيدُ الْمَجْلِسَ الصَّاحِبِيَّ الْوَزِيرِيَّ الْبَهَائِيَّ سَيِّدَ الْوُزَرَاءِ
مِنْ فَضْلِهِ ، وَيُثَبِّتُهُ لِفَاكِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ بِصُورَتِهِ لِشَبْلِهِ كَمَا صَانَهُ لِأَسَدِهِ مِنْ قَبْلِهِ ،
وَيُمَتِّعُ بِنَيْتِهِ الصَّالِحَةِ الَّتِي يَحْسُنُ بِهَا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - نَمَاءَ الْفَرْعِ كَمَا حَسُنَ نَمَاءُ
أَصْلِهِ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! .



وهذه نسخة تقليد بالوزارة ، كُتِبَ بِهِ لِلصَّاحِبِ تَاجِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ نَفَرِ الدِّينِ
أَبْنِ الصَّاحِبِ بَهَاءِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ حَنَّا ، فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ،
مِنْ إِنْشَاءِ الْمُؤَلَّى شَهَابِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ الْحَلَبِيِّ ، تَعَمَّدَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ ، وَهِيَ :

الحمد لله مَكَّلَ شرف الوزارة بطلعة تاجها ، ومشرَّف قدرها بمن مُشرق عليها
أشعة سعده إشراف الكواكب على أبراجها ، ورافع لواء مجدها بمن تلقته بعد الحقاء
في حُلل سُورِها وحُلِّي أيتهاجها ، وتعلَّت بعد العطل من جواهر مفاخره بما تترين
عُقد السعود بازدياجها ، وترُفل من أيتسائها إلى أئمة بهائه بما يؤد ذهب الأصيل
لو أمترج بسُلوِك أيتساجها ، الذي شيد قواعد هذه المرتبة السنية في أيامنا وجددها ،
وبعث لها على قرة من الأكفاء من حسم الأنداء فكان مسيحها وشرع المعدلة
فكان محمدًا ، وردّها بحكم الاستحقاق إلى من لا يُختلف في أنه صاحبها ، ورجعها
إلى من خطبته لنفسها بعد أن أحجم لشرف قدرها خاطبها .

نحمده على أن شدَّ أزر مُلكنا بأكرم وزير ، وأعين مشير ، وأجل من ينتهى إلى
بيت كريم ، وحبيب حميم ، ومن إذا قال لسان مُلكنا : (أَتُؤْنِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ
لِنَفْسِي) قالب كفايته : (أَجْعَلُنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تقربها سراً وعلناً ، وتقربها
هذه العقيلة الجليلة عند من يكسوها مجده رفعةً ومسناً ، ويُلبس جفن الدهر عنها
وسناً ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله المخصوص بكل صاحب شهد الكتاب والسنة
بفضله ، وقام بعضهم بحسن مؤازرته مقام من شدَّ الله [به] عضد من سألَه وزيراً من
أهله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا تقرب شمعها ، ولا يعزب أنسها ،
ولا يتفاوت في المحافظة عليها فدّها وأنسها ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فإنَّ أولى من خطبت بهذه الأقلام ، وأنسحت به الدولة التي ابتمت
بنسيمها نُفُورُ الأيام ، ووددت مسكة الليل لو مازجت أنفاسه ، وأمل بياض النهار
لواخذ من غير سمة عوض ورق الورق قوطاسه ، وتحاشدت النجوم لتتسق في سلك

معانيه وطارت بذكره فى الآفاق أنباء السُّعُود، وحكمت الجُدُود بأنه فى آقبال
إقباله نهاية الآباء وغاية الجُدُود ؛ وأقترت به ثغور الممالك عن أحسن الدرِّ النُّضيد ،
وسرت بذكره رفاق الآفاق فى كلِّ نايٍ مُنادٍ وفى كلِّ برِّريد ، وأختالت به أعطاف
الدولة القاهرة فاوت من رأى السَّديد إلى كلِّ ركنٍ شديد، ونطق به العدل والحقُّ
نخرس الظُّلم وما يُسدُّ الباطل وما يُعيد، وجرث به أقدارُ ذوى الرُّتب على أجمل
مناجها فأما أهل العدل فيُقرَّبون نجياً وأما أهل الظُّلم فأولئك يُنادَوْنَ مِنْ مَّكانٍ
بَعِيد ، وبدت به وجوهُ المصالح سافرة بعد الحجاب ، بارزة بعد طُول الانْتِقال إلى
الانْتِقال ، داخلَةٌ بوقُود المحامد من كلِّ باب ، إلا الظُّلم فإنه بحمد الله قد سُدَّ ذلك
الباب . وأقرَّ منصبُ الوزارة الشريفة أنا أعدنا به الحقُّ إلى نصابه، ورددناه إلى من
هو أوْلَى به بعد اغتصابه ، وألْبَسناه من بهجة أيامنا تاجاً ردَّ عليه عزاً لا تَطْمَع
بذِّ الذَّهَب فى اتِّراعه عنه ولا آستلابه ؛ وتقليده لمن يودُّ الفرقه لو عُقِد به إكليله ،
ويتمنى الطُّرف لو أدرك غاية تجلِّده وإن رجع وهو حسيِّرُ البصرِ كليله ؛ وتفويض
ذلك إلى من كان له وهو فى يد غيره، ومن به وببيته تمهَّدت قواعده فما كان فيه
من خير فهو من سيرتهم وما كلف من شرف من قبل المُقَصِّر من عِثارهم فى سيره ؛
وما أُحْدِث فيه من ظُلم فهو منه بُراء إذ ائتم ذلك على من آجراً عليه ، وما أُجْرِى
به من معروف فالى طريقهم منسوب وإن تلبَّس منه بما لم يُعْجَ مَنْ نُسِب إليه ؛
وما خلا منهم هذا الدَّستُ الكريم إلا وهم بالأولوية فى صَدْره الجلوس ، ولا تصدئ
غيرهم لتعاطيه إلا وأقبلت عليه فى أيامه الجُسُوم وعلية الثُّقُوس .

ولذلك لما كانت هذه الدولة القاهرة مفتحة بالبركات أيامها، ماضية بكف
الظلم ونشر العدل سيوفها وأقلامها، مستيلةً بالأرزاق مُحَبُّ فضلها التى لا يُقْلَع

غمامها - أقتضت الآراء الشريفة اختيار خير صاحب يُعين على الحق بآرائه، ويحمل الدست ببعجه وروائه، ويحري الأرزاق بوجهه لو تأمله أمرؤ ظاهري الجوانح لأرتوى من مائه؛ وكان المجلس العالي، الصالح، الوزير، التاجي: أدام الله تعالى نعمته، ورحم سلفه، هو المخطوب لفضله، والمطلوب لهذا الدست الذي تعين له دون الأكفاء وإن لم يكن غير أهله من أهله؛ وما زال يتشوف إليه تشوف البروج إلى نجوم السعد، ويتطلع إلى محياه الذي هو كنور الشمس في الدنو وكملها في الصعود؛ وما زالت الأدعية الصالحة ترتفع في أيامه لسالك عصره، والآراء تُقام منها جنود لتأييده وحشود لنصره، والأموال تُحمل منها إلى خزائنه بأشبه بموج البحر في الحضر دون حصره.

فلذلك رسم بالأمر الشريف - ضاعف الله مواهبه العيمه، وكل جلال دولته بتفويض أمورها إلى ذوى الأصول العريقة واليوت القديمه - أن تُحلى منه هذه الرتبة العلية بما حلى به الدين، وتُعد له رايه فضله المتين؛ ليتلقاها شرقاً وغرباً، وبعداً وقرباً؛ وبراً وبحراً، وشاماً وميضراً، ويحلى حلاه علم وعلم، وسيف وقلم؛ ومينبر وسرر، ومأمور وأمير.

فلتلق أمره بالطاعة كل مؤتمر بأمرنا الشريف، جارٍ في طاعتنا المفروضة بين بيان التقليد وعنان التصريف؛ وليبادر إلى تدبير أمور الأقاليم بأقلامه المباركة، ويمض القواعد على ماتراه آراؤه المتزهة عن المنازعة في الأمر والمشاركة؛ ولينشر كلمة العدل التي أمر الله بإضافة الإحسان إليها، وُئمت بدع الظلم فإن الله يشكره على تلك الإمامة ويمجده عليها؛ ويسهل رزق الصدقات، ووظائف القربات، فإن ذلك من أجل ما قدمت [الطائفة] الصالحة بين يديها؛ وليكثر بذلك جنود الليل فإنها لا تفتيش سهاؤها، ويتوق من محاربتها بظلم فإنه لا يداوى بالرقي سهاؤها، وليعوذ بتخام التيسير

مواهبنا فإنَّ تمام النعمة تمامُها ؛ وليطلق قلَمه فى البَسْط والقَبْض وليُعِد بتدبيره على هذا المنصب الشريف بهجته ، ويتدارك بأرائه ذَمَامه وبلوائه مُهْجَتَه ؛ ويصُنِّع عن شوائب الظلم حرمته ، ويخلص ذَمَّتنا من المآثم وذِمَّتَه ؛ وليعلم أنَّ أمور المملكة الشريفة منوطةٌ بأرائه وأحكامه ، مضبوطةٌ بأقواله وأقلامه ؛ فليجعل فكره مرآةً تجلُّو عليه صُورَها ، ويُقيم آراءه مُحْكَمًا نَتْلُو لَدَيْهِ سُورَها ؛ ويأْمُرِ التَّوَاب بما يراه من مصالحنا لِيُلبَّوه سامعين ، ويُسهر بَجَنِّه فى مصالح البلاد والعباد لترْقُد الرعايا فى مَهَاد الأَمْنِ وَا عَيْن ؛ ويعضد الشريعة المطهرة بتنفيذ أحكامها ، وإعلاء أعلامها ؛ وإظهار أنوارها ، وإقامة مآرفعه الله من متارها ؛ ولا يُعْدِل فى أمور مباشرتها بالممالك الشريفة عن آرائه ، ولا يُمَضِّى فيها عَزَلاً ولا وِلَايَةً إلا بعد تَبَعُّه الواجب فى ذلك وأستقرائهِ ، وهو أعلم بما يجب لهذه الرتبة من قواعدٍ إليه يُرجِع فى أوضاعها ، وعليه يُعَوَّل فى اصطلاحها لِانفرادها فيه وأجتماعها ؛ فليفعل فى ذلك ما هو عليه بِحُسْنِ التَّنَاضُلِ جدير ، وليعتصم بالله فى أموره فَإِنَّهُ نِعَمَ المولى ونِعَمَ النصير ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بالوزارة ، كُتِبَ به للصاحب ضياء الدين بالاستقرار على الوزارة ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

الحمد لله الذى شَدَّ أَرْزَ مَلِكِكَ الشريف ، بمن أضاء فى أُنُقِ الدِّينِ علَمُه ، وشيَّد قواعدَ عَدْلِهِ المُنِيف ، بمن أعلَّتْ منارَ الحقِ آيَاتُه فى أحكامِ الممالك وحِلْمُه ، ووطَّد أركانَ دولتنا القاهرة بمن يفعل فى نِكايةِ أعداءِ الله فِعْلَ الحَرْبِ العَوَّانِ يَسْلُمُه ،

وأجرى الأرزاق في أيامنا الزاهرة على يد من كَفَّتْ أَقْلَامُهُ كَفَّ الحوادث
فلا عنوانَ تَفَشَى ظُلْمُهُ ولا عادٍ يُخَشَى ظُلْمُهُ ، وصانَ ممالكنا المحرومةَ بآراء من إن
صَرَفَ إلى نكابة أعداء الله حدَّ يراعِهِ لم يَثْبُ مَوْقِعُهُ ولم يَهْفُ كَلْمُهُ ، وإن صرفه
في حماية نَعْمٍ لم يَنْتَمِ بَرْقُهُ ولم يَدِقْ بِالزَّهْمِ ظُلْمُهُ ، وإن حمى جانبَ إقْلِيمٍ عَزَّ على
الأيام ثُلَّ عُرُوشِ ما حَمَاهُ وَشَمُّهُ ، وإن أَرْهَفَهُ لَذْبٌ عن دين الله راعَتْ حدوقَ الدين
منه يَقْظُهُ وَسَلَّهُ عَلَيْهِ حُلْمُهُ .

نحمده على رِقَمِهِ التي زانَتْ أَسْنَى مناصبِ الدنيا في أيامنا الزاهرة بضياءِ الدين ،
وأعلَتْ أقدارَ الرُّبِّ العُلَيَّا بصرفها بآراء من أصبحَ عِلْمُهُ علماَ للتقنين وعَمَلُهُ سَنًا
للمتقين ، وبُحِّرَتْ بنايِصُ الأرزاق في دولتنا القاهرة بيدَ من أَعْنَى بيدنا المتقين
وَقَمَّ بِمَهَابَتِنَا المتعدين .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أعاد يُثْمِنُها على سَمْعِ المنابر من
نُوعَتِنَا ما قَدَّ ، وأطفا إعلانها عن حَمَلَتِهَا لَهَبَ العناد وقد وَقَدَ ، وفَوْضَ اعتنائنا
بمصالح أهلها أمورهم إلى أكل من آتَتْنا لنا التأييدُ من ذخائر العلماء وأفضل
من آتَقَدَ ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أقامنا الله للذَّبِّ عن أمته ، وجلا
بُنُورِ جهادنا لأعدائه عن قلب كل مؤمن ما أَظْلَمَ من غَمٍّ ورأى عليه من عُثْمَةٍ ،
وعَضَدْنَا مِنْ أئِمَّةٍ مِلَّتِهِ بَيْنَ أَرْضِنَا مصالحَ العباد والبلاد في إلقاء كلِّ أمرٍ إليه
بِأَزْمَتِهِ ، صَلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من فاز بِسَبْقِهِ ، وحاز بِتَصَدِيقِهِ
قَدَمَ صِدْقِهِ ، واختَصَّصَهُ الله بِمُؤَاذَرَةِ نَبِيِّهِ دُونَ مَنِ اجْتَبَاهُ مِنْ خَلْقِهِ ، ومنهم من
كان الشيطان يُنْكَبُ عَنْ طُرُقِهِ ، ونَطَّقَ من الصواب بما نَزَلَ الدُّكْرُ الحكيمُ على
وَقْفِهِ ، وَشَمَّى الفاروقَ لتمييزه بين الحقِّ والباطل وفَرَّقِهِ ، ومنهم من قَابَلَ المتعدين

يرْفِهْهُ وَقُتِلَ شَهِيدًا عَلَى جَفِّهِ ، وَكَانَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَنِ تَسْتَحْيِي مِنْ خُلُقِهِ الْكَرِيمِ
وَكَرَمِ خُلُقِهِ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ طَلَعَ [لَا] مَعَ نُورِ الْإِيمَانِ مِنْ أَفْقِهِ ، وَكَانَ سَيْفُهُ مِنْ كُلِّ مُلْحِدٍ
فِي دِينِ اللَّهِ بِمِثَابَةِ قِلَادَةِ عُنُقِهِ ، وَطَلَّقَ الدُّنْيَا تَوْرَعًا عَنْهَا وَبِيَدِهِ مِفَاتِيحُ مَا بَسَطَ
اللَّهُ لِلْأُمَّةِ مِنْ رِزْقِهِ ؛ صَلَاةٌ يُقِيمُ الْإِيمَانُ ، فَرَضُهَا ، وَيَلْبِثُهَا الْإِيقَانُ ، طَوْلُ الْبَسِيطَةِ
وَعَرَضُهَا ، وَتَزَيْنَ كَوَاكِبُ ذِكْرِهَا وَمَوَاكِبُ نَصْرِهَا سَمَاءَ الدُّنْيَا وَأَرْضَهَا ؛ وَسَلَّمْ
تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أما بعدُ ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ رُقِيََتْ لِأَعْطَافِ فَضْلِهِ حُلَلُ الْكَلَامِ ، وَنُظِمَتْ لِأَجْيَادِ
ذِكْرِهِ فَرَائِدُ الْمَعَانِي الْمُسْتَخْرَجَةُ مِنْ بَحَارِ الْفِكْرِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْأَقْلَامِ ؛ وَوُثِّقَتْ التَّقَالِيدُ
مِنْ مَنَاقِبِهِ بِمَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْ أَنْسَاقِ الدَّرَارِيِّ عَلَى هَالَاتِ الْبُذُورِ ، وَجُلِيَ عَلَى الْمَسَامِعِ
مِفَاحُهُ بِمَا هُوَ أَهْوَى مِنَ الثَّوْرِ فِي الْعَيُونِ ! وَأَحْلَى مِنَ الْأَمْنِ فِي الْقُلُوبِ ! وَأَوْقَعَ مِنَ
الشِّفَاءِ فِي الصُّدُورِ ، وَأُطْلِعَ فِي أَفْقِ الطُّرُوسِ مِنْ أَوْصَافِهِ شَمْسُ أَسْفَرِ بَأْنَوَاعِ الْعُلُومِ
ضِيَاؤُهَا ، وَأُنْشِئَتْ فِي أَثْنَاءِ السَّطُورِ مِنْ نَعْتِ مَا ثَرَى مُحِبُّ إِذَا قَابَلَتْهَا وَجُوهَ الْحَيَا
سَتَرِهَا بِجُمرةِ الْبَرَقِ حَيَاؤُهَا ؛ وَأَوْدَعَتْ الْمَهَارِقُ مِنْ ذِكْرِ خِلَالِهِ لُطْفًا يَوْذُ دَهْبِ الْأَصِيلِ
لَوْ نَابَ عَنْ أَنْفَاسِهَا ، وَمُنِحَتْ صُدُورُ الْمَعَانِي مِنْ مَعَالِيهِ طَرَفًا نَتْنَى الرِّيَاضِ الْعَوَاطِرُ
لَوْ تَلَقَّتْ عَنْ أَنْفَاسِهَا - مِنْ سَمَتِ الْوِزَارَةِ بِأَسْتِقْرَارِهَا مِنْهُ فِي مَعْدِنِ الْفَضَائِلِ ،
وَأَتَسَمَّتْ مِنْهُ بِالصَّاحِبِ الَّذِي أَعَادَتْ أَيَّامُهُ مَا قَفِدَ مِنْ حَمَاسِ السَّيْرِ الْأَوَائِلِ ؛
وَأَتَسَمَّتْ مِنْ عُلُومِهِ بِالْعَلَّامَةِ الَّذِي تَتَفَرَّغُ مِنْ أَحْكَامِهِ أَحْكَامُ الْفُرُوعِ وَتَتَجَرَّرُ مِنْ
تَوَاقِعِهِ عَيُونُ الْمَسَائِلِ ، وَأَتَصَفَّتْ مِنْ مَعْدَلَتِهِ بِالْمُنِصِفِ الَّذِي هَجَرَ فِي أَيَّامِهِ هَجِيرَ
الْحَيْفِ وَالظُّلْمِ فَلَا نَوَاقِثَ فِي أَيَّامِهِ الْمُبَارَكَةِ كُلِّهَا أَسْحَارُ وَأَصَائِلَ ؛ وَأَبْتَهَجَتْ مِنْ أَنْصَافِهِ
بِالْعَادِلِ الَّذِي سَهَّلَ عَلَى ذَوِي الْمَطَالِبِ حِجَابَ بَابِهِ فَلَا يَحْتَاجُ أَنْ يُطْرَقَ بِالشِّفَاعَاتِ
وَلَا أَنْ يُسْتَفْتَحَ بِالْوَسَائِلِ ، وَأَشْرَقَتْ مِنْ مَفَايِرِهِ بِالْكَامِلِ الَّذِي حَسُنَتْ بِهِ حُلَلُ

الثناء فكانها آبتسامُ قُورِ النُّورِ في أشاء الخمائل ؛ فالعدل في أيامه كالإحسان شامِل ،
 والمعروف بأقلامه كالشَّجْب المتكفلة برى الأرض الهامِل ، والظلم والإنصاف
 مفترقان منه بين المَدَم والوجود فلا يرى بهذا أمرا ولا يدُ عن هذا آيل ؛ قد أعطى
 دَسَت الوزارة الشريفة حقّه : فالأقدار بآياته مرُفوعه ، والمضارُ بمعدله مدفُوعه ،
 وكلمة المظلوم بإنصاف إنصائه مسمُوعه ، وأسباب الخيرات بحُسن نيّته لنيّته الحسنة
 مجمُوعه ؛ والأقاليم بِكَلَاءة أقلامه مَحُوطه ، وأحوال المملكة بآرائه المشتملة على
 مصالحها مَنُوطه ؛ والثغور بحُسن تفقده مفتحة المباسِم ، مصونة بإزاحة الأعذار
 عن مرّ الرياح النواسِم ، أهلة النواحي بموالة الحمول التي لا تزال يهيمها بإدامة
 السرى دامية المناسِم ؛ والبلاد بما نثرت أقلامه من العدل معنُوره ، والرعايا
 بما بسطت [يد] إحسانه من الإحسان مَعنُوره ، وأرباب التصرف بما تقتضيه
 أقلامه عن الحيف منيّه وبالرفق مأمُوره ، والأيدى بالأدعية الصالحة لأيامنا
 الزاهرة مرُفَعه ، والريّة لثقلها في مهّاد الأمن والدعة بالعيش متفعه ؛ وبيوت
 الأموال أهلةٌ ، على كثرة الإنفاق ، والفلال متواصلة ، مع التوفر على عمارة البلاد ،
 والحمول متوالية مع أمن من صدرت عنهم على ما في أيديهم من الطواريف والتلاد ؛
 والأمور بالتيقظ لها على سعة المالِك مضبُوطه ، والثغوس بالأمن على ما هي عليه
 من التسلّي بالنعم مضبُوطه ؛ والمناصبُ مصونة بكفائها ، والمراتبُ أهلةٌ بالأعيان
 الذين تثبت لهم في أيامه عيُون الحفظ بعد إغفائها ؛ ومجالسُ المنعلة حاليةٌ ، بأحكام
 سيرته المُنصفه ، ومواطنُ العلم عاليةٌ ، بما يُعلّى فيها من فوائده التي أتعّب ألسنة
 الأقلام ما فيها من صفّه .

ولما كان الجَنابُ العالى ، الصاحبى ، الوزيرى ، الضيائى ، وزير الممالك
 الشريفة ، هو الذى كُرِّمت به مناسِبها ، وعظُمت بالانتماء إليه مناصِبها ، ونحلت

يُعلمه معاطفها ، وتزلت على حكم حبله عوارِفُ رِثْها العميعة وعوَاطِفُها ؛ وزهت
 بجواهر فضائله أجيادها ، وأستوت في مَلَاسِ حُلِّ المَسَرَّةِ به أيامها الزاهية
 وأعيادها ؛ وأنارت بعدلته لِيَسَالِيها ، وأشرقَت بالانتظام في سِجَابِ لِيَالته لآلِيها ؛
 فكم من أقاليم صان قلبه أموالها ، وممالك حَلَّى عدله أحوالها ، وبلاد أمان تديره
 السُّحُب على رِثْها ، وأعمال أبان عن أستغنائها بتأثيره عن مِنَّة الحياء حسنُ مسموعها
 وصريرها ، وأرزاق أدزها ، ورزق أجراها على قواعد الإحسان وأقرها ؛ وجهات ير
 أمان واقفيها عليها ، وأسباب خير جعل أمانا بإدامة فتحها السابقة إليها ؛ وقدم
 سِعاية أزالها وأزَلْها ، وكلمة حادثة أذلها وأذلها ؛ ووُجوه مَضرة رَدَّها بيد المعدلة
 وصَدَّها ، وأبواب ظلم لا طاقة للرعية بسلوكها أغلقها بِمُحْيِ مِنْه وسَدَّها ؛ فدأبه أن
 يُسَدَّ إلى مقاتل العدا باتخاذ اليد عند الفقراء سهام الليل التي لا تصدّها الدروع ،
 وأن يحدّد لأوليائنا من عوارِفِ آلائنا أخلاف ير تروى الآمال وهي حافلة الضروع -
 اقتضت آرائنا الشريفة أن تُزَيَّن بحمد غرر التقاليد ، ونجدد إليه في أمور وزاريتنا
 الشريفة إلقاء المَقَاليد ؛ وأن نُوشِي الطروس من أوصافه بما يحدّد على أعطافها
 الحبر ، ونزدّد على السنة الأقاليم من نُعوتها مالا تَمَلُّ المسامح ليراد الخبر منه بعد الخبر .
 فلنلك رُسم بالأمر الشريف العالى ، المولوى ، السُّلْطانى ، الملكى ، الفلافى -
 لازال الدين في أيامه الشريفة مُشْرِقا ضياؤه ، أهله باعتلائه ضاربعُ الوجود وأحيائه ،
 ممدودة على الامة ظلاله الوارفة وأفيائه - أن يُحدّد هذا التقليد باستقراره تجديدا
 لا يُبْلِي الدهر حُلَّه ، ولا تقوّض الأيام حُلَّه ؛ بل يُشْرِق في أفق الممالك إشراق

(١) السحاب يكسر السين المهمة وبالحاء المعجمة قلادة من مسك وقرقل ومحب بلا جوهر

جمعه ككتب .

(٢) جمع حلة بالكسر بمعنى البيوت وهي مائة فافوتها انظر المصباح .

النجوم الثوابت، ويتفرع في مصالح الملك تفرع الأفتان الناشئة في الأصول الثوابت؛
وتختال به مناصب الدولة القاهرة في أسنى ملايسها، ونضى به مواطن العلوم إضاعة
صباحة المصباح في يد قابسها؛ وتسترنع لنا به الأدعية الصالحة من كل لسان،
ونجتلى به لأيماننا الزاهرة من كل أفق وجوه الشكر الحسان .

فلتجر أفلأله في مصالح دولتنا الشريفة على أفضل عاداتها، ويرسلها في نشر العدل
على بيحييتها وفي إجراء الجود على جادتها، ويكف بها أكتف الحوادث فإنما تزال
أسباب الظلم بحسم مادتها؛ ولينطقها في مصالح الأموال بما تظل له مسامح الحول
مُصفيه، ويطلقها في عمارة البلاد بما تفدوله السنة الخصب حافظه ولما عداه
مُلفيه؛ وكذلك الخزانة التي هي معقل الإسلام وحصونه، ورحم الذي لا يتبدل
بغير أمرنا الشريف في مصالح الملك والملة مصونه؛ فليجعلها بتسييره كالبحار
التي لا تنقص بكثرة الورد حماها، ولا تترحمها السحب لكثرة ما تحمل إلى الآفاق
عماها؛ وليكن كلمة العدل من أهم ما تفتح به مجالسه، وآكد ما يؤمر به محاضره
من الأولياء ومجالسه؛ وأزكى ما يستجيد [به] لاستثمار الدماء الصالح مغارسه،
وأوثق ما يحوط به حي الملك الذي إذ اغفا جفن عينه كان حارسه . وأول ما ينبغي
أن ينافس عليه حاضر دته وغائبه، وأولى ما يعد على إهماله نكاله ويعد على
إقامته رغبته .

وليلاحظ من مصالح كل إقليم ما كانه ينظر إليه بين قلبه، ويمثل صورته
في مرآة لبه؛ فيقر كل أمر على ما يراه من سداه، ويقرر حال كل ثمر على
ما يحصل به المراد في سداه؛ فيغفلو لأعداره بموالة الحول إليه مزيها، وبمسي
بسة خله لخاطر أهل الكفر متعباً ولخاطرنا الشريفة مزيها؛ وينظر في أحوال

من به من الجُند والرجال بما يؤكّد الطاعة عليهم ، ويمجّد الاستطاعة لديهم ؛
ويُزيل أَعْدَانَهُمْ وَأَعْتِدَانَهُمْ [بوصول حقوقهم اليهم ، ويوفّرهم على إعداد الأهبة
للأعداء^(١)] إذا أتوهم من قوّرم ، ويكفّهم بإدراار الأرزاق عليهم عن أعتدائهم
على الرعايا وجورهم ؛ ويتفقد من أحوال مباشريها ووُلاة الحكم والتحكّم فيها
ما يعلمون به أنه مناقضهم على الأمور اليسيرة ، والمفوّات التي يرونها قليلة وهي
بالنسبة إلى كثرة الرعايا كثيره ؛ ويتعاهدُ أمور الرتب الدينية فلا تؤخذ مناصبها
بالمُناسب ، ولا تغنّو أوقافها المُعدّة لاكتساب العلوم في المكاسب ؛ بل يتعين أن
يرتاد لها العلماء الأعيان حيث حلّوا ، ويُقرّر في رتبها الأئمة الأكفاء وإلا اتّخذ
الناس رؤوساً جهّالاً فضّلوا وأصلّوا . ولكن أعلامه على كلّ ما جرت به العوائد
في ذلك محتويه ، وأيامه على أكل القواعد في ذلك وغيره منطويه ، فما ثمّ شيء من
قواعد الوزارة الشريفة خارج عن حكمه فليكتب يُمتثل ، وليقلّ في مصالح دولتنا
القاهرة يكنّ قوله أمضى من الطّبّا وأسرى من الصّبّا وأسير من المثل ؛ فلا تُمضى
في ذلك ولاية ولا عزّل ، ولا منع ولا بدّل ، ولا عقد [ولا] حل ؛ إلا وهو معدّوق
بآرائه ، متوقّف على تنفيذه وإمضائه ؛ متلقّ ما يقتر فيه من ثِقائه ، وفي الاكتفاء
يسيرته ما يُغني عن إطرائه ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بالوزارة :

الحمد لله الذي شدّد لدولتنا القاهرة باصطفاء أشرف الوزراء أئزرا ، وخصّ أيماننا
الزاهرة باجنابه من حماها عدله أن تَضَع أو تحيل وزرا ، وأفاض إنعامنا على من طلع

(١) الزيادة من التقليد الآتي بعد .

في أفق خدمتنا هلالاً وأستقل بحسن السير والسيرة بدراً، وضاعف إحساننا لمن [لا] نرفعه إلى رتبة شرف إلا وكان أجلاً الأكفاء على ذلك قدرة وقدرًا ، وجعل ملكنا بمن إذا أفتخرت الدول ببعض مناقبه كفأها ذلك جلالاً وفخراً ، وإذا أدنرت تدبيره وبذلت ما عدها لحسبها ما أبقت وقايةً للك وذخراً ، وبسط عدلنا في الأقاليم بيد من حين أمرنا القلم بتقليده ذلك سجد في الطرس شكراً ، وأفتح بحمد الله يذكر النعمة به على آلائه إن في ذلك لذكرى ، وأخذ في وصف دُرِّ مفاخره التي تمت له فنضدها دون أن يستدعي رواية أو يعمل فكرًا .

نحمده حمد من وإلى إلى أوليائه ، موائد النعم ، وأضفى على أصفياه ، ملايس الكرم ، وحفظ لمن أخلص في طاعته معارف معروفة التي هي في أهل النهى ذم ، وتب لمصالح رعاياه من عم عدله وإن لم يقف عن ملاحظة أمورهم ولم يتم .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة نُعلِنها ونُعلِنها ، ونُرخص أرواح جاحديها ونُعلِنها ، ونؤالي النعم على المتمسك بها ونؤليها ، وتقرب بيمينها رتب الأولياء من إحساننا ونُدِينها ، ونجدد لهم بتأييدها ملايس المِنَّن نُظهِر عليهم آثار النعم السنية فيها ، ونرفعهم بحسن عنايتنا إلى أشرف غاية كانوا يُسرون أهليتهم لها والله يبيدها ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أقامنا لنصر دينه فقمنا به كما أمر ، وأبى على أيماننا حكم أيامه فاستمر الحال على ما سبقت به دعوته من تأييد الدين بعمر ، وخصنا من ينتمي إلى أصحابه بأجل صاحب يُنوب عن شمس عدلنا في محو ظلمة الظلم مناب القمر ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الزهر الغرر؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى من آخيت جواهر الكلام لرصف مفاخره ، وأختبعت غرر المعاني لوصف آثاره في مصالح الإسلام ومآثره ، وقامت خطباء الأقلام على منابر

الأنامل بشيرةٌ بَيْنَ أَيْمَانِهِ ، وَتَطَلَّعَتْ مُقَلَّ الْكَوَاكِبِ مَشِيرَةً إِلَى مَا أَقْبَلَ عَلَى الْإِتْكَالِ
 مِنْ إِقْبَالِهِ وَتَحَتَّ مُحِبُّ أَقْلَامِهِ ؛ وَتَبَرَّجَتْ زُهُرُ النُّجُومِ لِيَتَنَظَّمَ فِي عُقُودٍ مَنَاقِبُهُ
 سَعُودُهَا ، وَتَارَاجَتْ أَرْجَاءُ الْمَهَارِقِ إِذْ تَبَلَّجَ مِنْ لَيْسَلٍ عَنْ بَحْرِ عَمُودِهَا ؛ وَسَارَتْ بِهِ
 أَنْبَاءُ السُّعُودِ وَالْأَلَمِ النَّاطِقِ بِذَرِّهِ وَهُوَ الْخَالِقُ الْمِيْمُونُ طَائِرُهُ ، وَالطَّرِيسُ الْمَوْشَعُ بِشْكْرِهِ
 وَهُوَ الْخَالِقُ الَّذِى تَمَلَّأَ الدُّنْيَا بِبَشَائِرِهِ - مِنْ اسْتِخْلَصَتْهُ الدُّوَلَةُ الْقَاهِرَةُ لِنَفْسِهَا فَمَتَّلَاهَا
 عَيْنَا وَسُرَّيَاهَا قَلْبَا ، وَاخْتَصَّصَتْهُ بِخَوَاصِمَا الشَّرِيفَةِ فَرَحَّبَ بِهَا صَدْرًا وَلَبَّاهَا لَبًّا ، وَكَأَنَّ
 بِمَوَازِنَتِهَا - إِنِّيَا حَتَّى قِيلَ : هَذِهِ (تُرَاوِدُ قَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَفَقَهَا حُبًّا) ؛ وَأَحْلَتْهُ
 مِنْ وَزَارَتِهَا الشَّرِيفَةِ بِالْمَكَانِ الْأَسْنَى وَالْحَرَمِ الْحَرِيزِ ، وَأَنْتَ عَلَى فَضْلِهِ الْأَسْمَى بِلِسَانِ
 الْكَرَمِ الْبَسِيطِ الْوَجِيزِ ، وَأَعْتَمَدْتَ فِي أُمُورِ رَعَايَاهَا عَلَى مَا فِيهِ مِنْ عَدَلٍ وَوَرَعٍ لَا يُنْكَرُ
 وَجُودُهَا مِنْ مِثْلِهِ وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَأَدَّتْهُ عَائِشَتُنَا مَنَّا لَهُ فِيهِ
 مِنْ فَضْلِ عِيْمٍ ، وَحَسَبِ صِيْمٍ ، وَتَسَبَّيْ حَدِيثُ مَجْدِهِ قَدِيمٍ ، وَأَصَالَتُهُ إِذَا أَنْتَخَرَتْ
 يَوْمًا تَمِيمٌ بِقَوْمِهَا قَالَتْ أَيْنَ تَيْمُوكُ مِنْ جَدِّهِ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 تَيْمٍ ؛ وَغَرَسَتْهُ لِنَفْسِهَا وَطَالَ ذَلِكَ الْفَرَسُ وَطَابَ الثَّمَرُ ، وَأَعْتَضَدَتْ بِتَدْيِيرِهِ
 فَكَانَ لَهُ عِنْدَ أَطْرَافِ الْعَوَالِي فِي مَكَانِهِ الْأَعَزِّ أَظْلُفَ سَمَرٍ ، وَوَقَّتْ بِمَا فِيهِ مِنْ
 عَدَلٍ وَمَعْرِفَةٍ لَا يُنْكَرُ مِنْ نَحْوِ الصَّوَابِ أَجْتَمَاعَهُمَا فِي عُمَرُ ؛ وَأَشْتَقْتُ لَهُ بِإِحْسَانِنَا مِنْ
 نِسْبَتِهِ وَصَفًا جَمِيلًا وَنَعْمًا جَلِيلًا ، وَخَصَّتْهُ لِمَزِيَّةِ ذَلِكَ الْأَشْتِقَاقِ بِمَزِيدٍ قُرْبِنَا فَأَمْسَى
 فِي خُدَمَتِنَا جَلِيلًا وَأَصْبَحَ خَلِيلًا ؛ وَرَعَتْ لَهُ مَا قَدَّمَ مِنْ تَدْيِيرَاتِي عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ ،
 وَسَدَادٍ ظَهَرَتْ مَزِيَّةُ كُلِّ يَوْمٍ مِنْهُ عَلَى أَمْسِيهِ ؛ وَسَعَى جَمَلُ مَا بَرَحَ فِي مَصَالِحِ
 الْإِسْلَامِ رَأْيًا وَغَايَةً ، وَاجْتِهَادٍ فِي أُمُورِ أَدْلِ الْجِهَادِ مَا بَرَحَ يَدَّأْبُ فِيهِ عِلْمًا بِمَا أَعَدَّ
 اللَّهُ لِمَنْ جَهَّزَ غَايَةً ؛ وَدَانَ لَهُ مِنْ حُسْنِ مَلَاخِظَتِهِ الْأُمُورَ مَا لَيْسَ لِلْوَصْفِ بِهِ مِنْ

قَبْلَ ، وَتَأَمَّلْتُ مَا يَكْشِفُ لَهُ عَلَى الْبُعْدِ مِنَ الْمَصَالِحِ الَّتِي يَأْمُرُ بِالصَّوَابِ فِيهَا وَكَيْفَ لَا وَغُمْرُ الَّذِي شَاهَدَ السَّرِيَّةَ عَلَى الْبُعْدِ مِنْ سَارِيَةِ الْجَبَلِ ، وَأَيَقَنْتَ بِسَيْطِ الْعَدْلِ فِي الرِّعَايَا إِذْ هُوَ مُؤَمِّرٌ وَالْعَادِلُ أَمْرٌ ، وَتَحَقَّقْتَ عِمَارَةَ الْبِلَادِ عَلَى يَدَيْهِ لِأَنَّ غُمْرَ مُحْكَمِ الْعَدْلِ عِنْدَ الْحَقِيقَةِ طَامِرٌ .

ولذلك لما كان المجلس العالي الفخري - ضاعف الله نعمته - هو الذي قرَّبته طاعتنا نبيًّا ، ورفعته ولايتنا مكانًا عليًّا ، وحقق له أجهاده في مصالح الإسلام الأمل من رِضَانَا وَكَأَنَّ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ، وَأَخْلَصَ فِي خِدْمَةِ دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ فَأَتَّخَذَتْهُ لِحَاصِ الْأُمُورِ وَطَامَتِهَا صَفِيًّا ، وَأَظْهَرَ مَا بَطَّنَ مِنْ جَمِيلِ اجْتِهَادِهِ لِمَصَالِحِ الْمُلْكِ وَزِيرَا وَصَاحِبِيَا وَوَلِيًّا ، وَأَنْجَزَتْ مِنْهُ لَتَدِيرِ أُمُورِ الْمَمَالِكِ مَا كَانَ الزَّمَنُ بِهِ مَا طِلا ، وَأَجَرَتْ عَلَى يَدِهِ الَّتِي هِيَ مَلِيَّةٌ بِتَصْرِيفِ الْأَرْزَاقِ مَا لَا يَبْرَحُ غَمَامُهُ هَاطِلًا ، وَقَلَّدَتْهُ رِعَايَةَ الْأُمُورِ وَأُمُورَ الرِّعَايَا صُلْماً أَنَّهُ لَا يَتْرُكُ لِلَّهِ حَقًّا وَلَا يَأْخُذُ بِاطِلَا ، وَقَلَّدَتْ يَدَيْهِ بِأَسْنَى حِلِّيْ هَذِهِ الرِّبَّةِ الْجَلِيلَةِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا مُحْكَمٌ قُرْبُهُ مَنَا عَاطِلًا ، وَرَفَعَتْ لَهُ لُؤَاءَ صَدَلٍ مَا زَالَ لَهُ بِالْمُنَى فِي أَيَّامِنَا الشَّرِيفَةِ حَامِلًا ، وَكَلَّتْ لَهُ بِلُؤُوحِ الْغَايَةِ مِنْ أَثْقَى الْعُلُوفَةِ قَدْرُهُ وَمَا زَالَ الْمُؤَهَّلُ لِلْكَامِلِ بِاعْتِبَارِ مَا يَشُولُ إِلَيْهِ كَامِلًا ، وَتَوَهَّشَ بِذِكْرِهِ وَمَا كَانَ لظُهُورِ عَمَّالٍ هَذَا الْمَنْصِبِ الْجَلِيلِ عَلَيْهِ فِي وَقْتِ خَامِلًا ، وَنَظَرَتْ الرِّعَايَا فَمَا عَدَلَتْ بِهِمْ عَنْ بَرِّ رَفِيقٍ ، وَصَاحِبِ شَفِيقٍ ، وَوَزِيرِ غُمْرَى السَّيْرِ مَاسِلِكَ طَرِيقَا إِلَّا وَعَدَلَ شَيْطَانُ الظُّلْمِ عَنْ ذَلِكَ الطَّرِيقِ ، وَكَانَ هَذَا الْمَنْصِبُ الْجَلِيلُ غَايَةً مَدَارُ الْمَمَالِكِ عَلَيْهَا ، وَقِبْلَةً تَوَجَّهَ وَجْهُ أَهْلِ الطَّاعَةِ فِيهَا يُفَاضُ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعْمَتَا إِلَهِمَا ، وَهُوَ الَّذِي يَتَرَعَّعُ صَاحِبُهُ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ لَبُوسًا ، وَيَعَالِجُ مِنْ أَدْوَاءِ الْمَهَامِ مَا يَنْبَغِ عَزَائِمُهُ لِأَبُوسَى ، وَيَتَرَدَّدُ فِي الْخَالِصَةِ وَالْمُنَاصَحَةِ مِنْ مَالِكِ أَمْرِهِ بِمُتَزَلَّةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى - اقْتَضَتْ آرَاقُنَا الشَّرِيفَةِ أَنْ تُقَوَّضَ ذَلِكَ إِلَيْنَا مِنْ نَهْضٍ فِي طَاعَتِنَا

الشريفة بما يجب ، وعلمنا تحرزه لسينه ولنا فيما يأتى ويحتجب ؛ ومن نژاد به مع غره أيا من الشريفة نخرأ ، ويصيح له مع ماله من الجلالة فى نفسه ربّ جلالة أخرى .

ولهذا رسم بالأمر الشريف العالى المولى ، السلطانى ، الملكى ، الفلانى : -
لا زال يصرف الأقدار بيمين أيا من ، ويصرف الأقدار بيه وإنعامه ، ويدّ على الأولياء وإيل جوده الذى تحبّل الدّيم من دوا من - أن تفوض إليه الوزارة الشريفة الكاملة على جميع الممالك الإسلامية : شرقا وغربا ، وبدا وقربا ؛ وبرأ وبجرا ، وشاما ومصرأ ؛ على أجل القواعد فى ذلك وأكلها ، وأسنى الفوائد وأفضليها ، وأتم الأحوال التى يستغنى بعملها عن مفصلها .

فليعط هذه الرتبة من جلالة خطا كانت من إبطائه على وجل ، ويأمر الغائم بوابل إنعامنا الذى يعلم به أن حمرة البرق فى أثنائه نجمل ؛ ويطلق قلبه فى مصالح الدولة القاهرة بسطا وقبضا ، وإراما وتقضا ، وتديرا يبين النيل والقمّام على تتبع المحل ما وجد كل منهما أرضا ؛ ويعمل آراءه المباركة تديرا للناجح وتديرا ، وتقريرا للقواعد وتقريبا ، ونظرا يعمل لكل عمل من ملاحظته نصيبا ، وفكرا يحاسب به على حقوق الله وحقوق خلقه فإن الله هو المناقش على ذلك (وكفى بالله حسيبا) .

ويبدأ بالعدل الذى رسم الله به وبالإحسان فى ملكنا الشريف ، ويخفف - مع الجمع بين المصالح - عن خلق الله الوطاة فإن الإنسان ضعيف ، ويعزّز أولياء دولتنا موادّ الارزاق فإن سيف المنع الذى نحاشى أيا من عن تجريده أقل نكايه من التسويف ، ويمنع الولاة من ظلم الرعايا باعتبار أحوالهم دون أحوالهم فإن منهم من يدعى العدل ويحوز ويظهر الرّفق ويخفف ؛ وليتبع أدواء المحل تتبع طيب خبير .

وَيُصْرِفُ الْأُمُورَ بِحَيْلٍ تَدِيرُهُ فَلَنْتِ الْبَرَكَةُ مَعْدُودَةٌ بِحُسْنِ التَّدِيرِ؛ وَيَسْتَقِيلُ رَى
الْبِلَادِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - بَسَدَادَ حَرَمٍ يُشْتَرِبُهُ هَذَا الْقَلِيلُ لَذَلِكَ الْكَثِيرِ،
وَيَسْتَخْلِفُ بِالرَّقَى وَالْعَدْلِ أَضْعَافَ مَا فَاتَتْ فِي أَمْسِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . وَلِيَتِمَّ
بَيُوتُ الْأَمْوَالِ فَيُؤَالِي إِتْيَانُ الْحُمُولِ إِلَيْهَا مِنْ أَبْوَابِهَا ، وَيَضَاعِفُ بِهَا الْحَوَاصِلَ الَّتِي
لَا يُطْلَعُ بِغَيْرِ حُسْنِ التَّدِيرِ عَلَى أَسْبَابِهَا ، فَإِنَّهَا مَعَادِنُ الذَّخَائِرِ وَمَوَارِدُ الرِّجَالِ ، وَإِذَا أَعَدَّ
مِنْهَا جِبَالًا شَوَاحِجَ تَلَا إِفْاقُنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ ﴾ .

وَكَذَلِكَ الْخِرَازِيُّ الَّتِي هِيَ مَعَاوِلُ الْإِسْلَامِ وَحُصُونُهُ ، وَجَمَاهُ الَّذِي لَا يُقْبَلُ بِغَيْرِ
أَمْرِنَا الشَّرِيفِ فِي مَصَالِحِ الْمُلْكِ وَالْمِلَّةِ مَصُونُهُ ، فَيَجْعَلُهَا بِتَدِيرِهِ الْجَمِيلِ كَالْجِبَارِ الَّتِي
لَا تَنْقُصُ بِكَثْرَةِ الْوَزَادِ جَمَاعَتُهَا ، وَلَا تَزْجَحُهَا الشُّعْبُ عَلَى كَثْرَةِ مَا تَحْمِلُ إِلَى الْآفَاقِ
عَمَامَتُهَا ؛ وَلِيُسَاحِظَ مِنْ مَصَالِحِ كُلِّ إِقْلِيمٍ بِمَا يُثْمَلُ لَهُ عَلَى الْبُعْدِ أَفْكَارُهُ ، وَيَأْمُرَ
فِي أَحْوَالٍ مَنْ بِهِ مِنَ الْجَنْدِ بِمَا يُؤَكِّدُ الطَّاعَةَ عَلَيْهِمْ ، وَيَجِدُّ السَّطَاعَةَ لِنِسْبِهِمْ ، وَيُنْزِجُ
أَعْدَاءَهُمْ وَأَعْتِدَارَهُمْ بِوُصُولِ حُقُوفِهِمْ إِلَيْهِمْ ؛ وَيُؤَفِّرُهُمْ عَلَى لِمَعْدَادِ الْأَهْبَةِ لِلْأَعْدَاءِ إِذَا
أَتَوْهُمْ مِنْ قُورِهِمْ ، وَيَكْفُهُمْ بِإِدْرَارِ الْأَرْزَاقِ عَلَيْهِمْ عَنْ أَعْتِدَائِهِمْ عَلَى الرِّعَايَا وَجُورِهِمْ ؛
وَيَجْعَلُ نُفُورَ كُلِّ جَانِبٍ - بِتَسْيِيرِ عَحْصُولِهَا ، وَتَثِيرِ ذَخَائِرِهَا الَّتِي هِيَ مِنْ مَوَارِدِ رِجَالِهَا -
مُصَفَّحَةً بِالْصَّفَاحِ ، مُشْرِقَةً بِأَسْتِ الرِّيحِ ، مَسْدُودَةً مِنْ جِهَةِ الْعُدُوِّ عَنْهَا مَسَالِكُ
الرِّيحِ ؛ وَيَتَفَقَّدُ مِنْ أَحْوَالِ مَبَاشِيرِهِ ، وَوَلَاةِ الْحَكْمِ وَالتَّحَكُّمِ فِيهِ ؛ مَا يَعْلَمُونَ بِهِ أَنَّهُ
مُنَاقِشُهُمْ عَلَى الْأُمُورِ الْيَسِيرَةِ ، وَالْهَفَوَاتِ الَّتِي يَرَوْنَهَا قَلِيلَةً وَهِيَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى كَثْرَةِ
الرِّعَايَا كَثِيرَةٌ ، وَالْأَحْوَالِ الَّتِي إِذَا حُدِّدَهَا الْكِتَابُ عَلَيْهِمْ قَالُوا : ﴿ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا
الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾ ، وَيَتَعَاهَدُ أُمُورَ الرِّبِّ الدِّينِيَّةِ فَلَا تُوَخِّدُ مَنَاصِبَهَا
بِالْمُنَاسَبِ ، وَلَا تَعُدُّ رِزْقُهَا الْمَعْدَّةَ لَا كِتْسَابِ الْعِلْمِ فِي الْمَكَاسِبِ ؛ بَلْ يَتَعَيَّنُ أَنْ يَرْتَادَ

لذلك العلماء الأعلام حيث حلّوا ، ويقرّر في مراتبها الأكفأ وإلا آتخذ الناس رؤوساً جهالاً فضلاً وأصلوا ؛ وقد جعلنا [أمره] في ذلك جميعه من أمرنا ، فليقلّ يُمتثل ، وينشر كلمة عدلنا التي يسير بطريقها المثلّ المثلّ ، ولا تُمضى ولاية ولا عزّل ، ولا منع ولا بذل ، ولا عقد ولا حلّ ؛ الا وهو معدوق بأرائه ، متلقّ من تلقائه ، متوقّف على تنفيذه وإمضائه ؛ وقد آخضرنا الوصايا ، آكتفاء بما فيه من حُسن الشيم ، وأقتصرنا على ذكر بعض المزاي ، إذ مثله لا يُدُلّ على صواب ولا يُزاد ما فيه من حُرم ؛ لكن نقوى الله أولى ما دُكر به من لم يزلّ لربه ذاكراً ، وأحقّ ما شكر على التوفيق من لم يبرح له به شاكراً ؛ والله يزيد قدره اعتلاء ، ويضاعف للدولة الشريفة احتفالاً بسُكّره واعتناء .



وهذه نسخة تقليد بالوزارة .

الحمد لله الذى شدّ أزر الملك من الوزراء بالمكيين الأمين ، وأشرك في أمر مُلكه من هو على صلاح الجمهور خير مُعين ؛ وألقى مقاليد حُسن تديره لمن دلّت عليه بركة الإِسْتِخَارَة ، وصوب أمر دَقِيقه وجليله لمن هو لجبل الثناء المعنى وإليه بِنَانُ الاجْتِباء الإِشارة ، وناولَ كَلِمَها لمن هو أحقّ بحمل أعبائه ، ورقى منصبها لمن لا شُبْهَة بأنه الحقيقُ باستِعلامه ؛ وناولَ قلم إعطائها ومنعها لواضع الإِشارة في محلّها ، وصدق تثير أموالها بمن لا يَأْخُذُهَا بِمَقْتَضَى يُدِيه إلا من حلّها .

نحمده على حُسن إلهامه ، وشريف إفهامه ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد غليص في أدائها ، محقّ في إعادتها وإبداؤها ؛ ونشهد أن محمداً

عبده ورسوله خيرٌ من هو بالحق مبعوث وبالصدق منعت ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا تزال مستمرة في كل وقت موقوت ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن يد الوزارة هي اليد الباسطة فيما قل وجل ، والمتحركة فيما عُدق بالملك من كل عقد وحل ، والموقوف عند إشارة بنائها وإليها التحكم في كل إعطاء ومنع ، وتفريق وجمع ، وعزل وإليه ، ونهاية كل نهي وأمر وما لها من غاية ، وربها من الملك كالروح الباصرة من العين ، والاسان المعبر عن كل زين وشين ، وحسبه أنه في المحل من ذات اليمين ، ومن مكانة التمكن في الحرز الحصين ، ولهذا لا يؤهل لها إلا من أتعقد على سؤدده الإجماع ، وأتقطعت دون لحاق شرفه الأطماع ، وتأصل في فخارها وتفرع ، وقام بفروض كفاية كفالتها وتطوع ، وسار حديث مناقبه في الآفاق ، وجاء بالاختيار والاختبار بالوفاق ، وحسن صورة ومعنى ، وتعددت مناقبه فدلّت على أنه الفرد إذا أسقت عقوده منى منى . وكان المجلس العالى الفلانى ربّ حوزتها وسريها ، وروح بصر مرئيق هذه المحامد وإليه [أمر] مصيرها ، والذي حكمت له السيادة بمنالها وحكمته ، وأوضحت بأصالتها وجه الصواب في اختيارها وأحكمته ، وقد حاز من متفرق لوازمها ما تفرق فيمن سيواه ، وحوى من أدواتها [مادل] على أن الله خلقه فسواه ، إن قال فالصواب موكل بمنطقه ، أو سميت فيعظم مهابته قائم مقامه يبعيل الخلق لا تتلقاه ، فد جمع إلى التواضع فرط المهابة ، وإلى الابتداء بالمعروف حسن الإجابة ، إن ذكرت الصدارة فهو مالك زمامها ، أو الرئاسة فهو غرة لئامها ، أو الكفالة فهو مصرف عنائها ، أو الوزارة فهو عين أعيانها ، لم تزل رتبته متشوقة لحلولة ، مهمة لشريف تأهيله .

ولما عَمِلَ منها بهذه الحِلْ، وسار حديثُ مَلَأَتِهِ بِخَوِيلِهَا فِي الْمَلَا ، وتلا لسانُ القلم سَوْرَ هذه المحاسن وتلا الثاني بالأَوَّل منها إذا تَلَا ؛ رَسَمَ بالأمر العالى - أمتعه الله بما وُهِبَ من حُسْنِ مُؤَازَرَتِهِ ، وشَدَّ عَصَدَ مَمْلَكَتِهِ بِالْإِمْتِنَاعِ بِرِيحِ حُسْنِ مَعَامَلَتِهِ لِلَّهِ وَلَهُ وَلِتُسَاجِرَتِهِ - أَنْ تُفَوِّضَ الْوِزَارَةَ الْمُفَخَّخَةَ ، الْمَكْرَمَةَ الْمُبْجَلَةَ الْمُعْظَمَةَ ؛ لِلشَّارِ إِلَيْهِ : تَفْوِضًا عَامًّا لِلْقَرِيبِ مِنْ مَصَالِحِهَا وَالبَعِيدِ ، وَالطَّارِفِ وَالتَّلِيدِ ؛ وَالْمَقِيمِ وَالنَّازِحِ ، وَالنَّادِي وَالرَّائِحِ ؛ وَالسَّائِحِ وَالبَارِحِ ، وَالبَاغِمِ وَالصَادِحِ .

فَلْيَاثِرْ مَا فُوضَ إِلَيْهِ مِنْهَا بِمُشَارَةٍ مِثْلِهِ لِمِثْلِهَا ، وَلْيُعْطِهَا مِنْ نَيْلِهِ مُنَاسِبَ نَيْلِهَا ؛ وَلْيَأْخُذْ أَمْرَهَا بِكَيْفَا يَدَيْهِ ، وَلْيَغْرِهَا جَانِبًا مِنْ أَحْتِفَالِهِ لِيُظْهِرَ عَلَيْهَا آثَارَ سُودَدِهِ كَمَا ظَهَرَ شَرِيفُ تَحْوِيلِهَا عَلَيْهِ ؛ وَلْيُطْلِقْ فِيهَا لِسَانَ نَهْيِهِ وَأَمْرِهِ ، وَلْيُعْمِلْ فِي مَصَالِحِهَا صَالِحَ فِكْرِهِ ؛ فَقَدْ عَلِمَتْ بِهِ مَهَامُهَا : جَلِيلُهَا وَحَقِيرُهَا ، وَقَلِيلُهَا وَكَثِيرُهَا ، وَأَمِيرُهَا وَمَأْمُورُهَا ، وَخَلِيلُهَا وَضَرِيرُهَا ، وَنَاقِضُهَا وَنَاقِصُهَا ، وَكَاسِيهَا وَكَاسِيَتُهَا ، وَدَانِيهَا وَقَاصِيَتُهَا ، وَطَائِعُهَا وَعَاصِيَتُهَا ، وَمُسْتَقْبَلُهَا وَحَاضِرُهَا وَمَاضِيَتُهَا ، وَوَالِيَتُهَا وَقَاضِيَتُهَا ؛ ثَقَّةً بِتَمَامِ تَكْدِيرِهِ ، وَحَمِيدٌ بِتَأْيِيدِهِ ، وَأَنَّهُ إِنْ حَكَمَ فَصَلَ ، وَإِنْ قَطَعَ أَوْ وَصَلَ كَانَ الْحَزْمُ فِيمَا قَطَعَ وَوَصَلَ ؛ إِذْ هُوَ الْوَزِيرُ الَّذِي قَدْ صُرِفَ عَنْ عَمَلِ الْأَوْزَارِ وَسَارَ ، إِلَّا أَنَّهُ فِي كُلِّ مَنَهِجٍ سَارَ ؛ تَقَطُّرُ السِّيَادَةِ مِنْ مَعَاطِفِهِ ، وَتَجَنُّيْ ثَمَرِ الْمُنَى مِنْ أَغْصَانِ قَلْبِهِ يَدُ قَاطِفِهِ ؛ لِأَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ حُكْمِهِ ، وَلَا مَصْلَحَةَ تَعَزُّبٍ عَنْ عِلْمِهِ ؛ فَوَلَايَةُ الْحُكَّامِ مَعْدُوقَةٌ بِإِشَارَتِهِ ، مَوْقُوفَةٌ عَلَى مَا يَشِئُهُ بِبَلِغِ عِبَارَتِهِ . وَمَعَ جَلَالَةِ قُدْرِهِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّائِيدِ فِي الْأَمْوَالِ وَأَسْتِئْذَارِ أَخْلَاقِهَا ، وَالرَّعَايَا وَالْأَسْتِدَامَةِ بِالْإِحْسَانِ وَدُ اخْلَاقِهَا ؛ وَبِوَيْتِ الْأَمْوَالِ وَأَسْتِئْذَانِ حَقُوقِهَا ، وَضَرَاعَةِ جَانِبِهَا إِذْ هِيَ الْأُمُّ الْخُنُونَةُ بِتَحَنُّبِ عَقُوقِهَا . وَالْخِزَانَتَيْنِ فَهُوَ أَدْرَى بِمَا يَحِبُّ مِنْ تَضْيِيقِ صَدْرِهَا بِالنَّقَائِصِ عَنِ الْإِنْشِرَاحِ ، وَالْإِهْتِمَامِ بِمَوَاصِلِ تَشْرِيفِهَا الْمُسْتَعِجِلَةِ إِفَاضَةً مَلَاسِهَا قَلْبَ مَنْ غَدَا وَرَاحَ ؛ وَتَمَّ دَقَائِقُ ، هُوَ أَدْرَى بِمَا لَهَا مِنْ

طرائق ، وحقائق ، هو أعرف إذ كان فيها الفائق الرائق ، فهو - أجله الله - غنى عن تفصيلها ، وذهنه أشرف عن الوصايا المنسوبة لتوصيلها ، والله تعالى يقدر له وبه الخير ، ويتم بحسن تديره المقرون بجمل السريرة والسير ، وانخط الشريف أعلاه ، حجة بمقتضاه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية وزير أوردها في " التعريف " وهي :

يُوصَى بتقوى الله فإنه عليه رقيب ، وإليه أقرب من كل قريب ، فليجعل له أمامه ، وليطلب منه لكل ماسرع فيه تمامه ، وليجعل رأيه في كل ما تشد به الدولة أزرها ، وتُسند إليه ظهرها ، وليجعل العدل أصلا يبنى على أسسه ، والعمل في أموره كلها لسلطانه لا لنفسه ، وليدع منه الغرض جانبا ، وحظ النفس الذي لا يسدو إلا من الصدق ليصدق من دعاه صاحبا ، وليبصر كيف يُنمّر الأموال من جهاتها ، وكيف يخلص بيوت الأموال بالاعتصار على الدراهم الحلال من شبهاتها ، وليتره مطاعم العساكر المنصورة عن أكل الحرام فإنه لا يُسمن ولا يُفنى من جوع ، ولا يرى به من العين إلا ما يحرم المجوع ، وليحذر من هذا فإن المفاجئ به كالحقيل ، وليتجنب إطعام الجند منه فإن [أكل] درهم الحرام ما يقايل ، وليحسن كيف يؤتى ويعزل ، ويسمن ويهزل ، وعليه بالكفاة الأمانة ، وتجنب الخونة وإن كانوا ذوي غنا ، وإياه والعاثر ، ومن لو رأى المصلحة بين عينيه ألقى بينه وبينها ألف حاجز ، وليظهر بأبه ، ويسهل حجابها ، ويفكر فيما بعد أكثر مما قرب : مقمّا للأهم فالأهم من المصالح ، وينظر إلى ما غاب عنه وحضر نظر المماسي والمصايح ، ولا يستبدل إلا بمن ظهر لديه عجزه أو ثبتت عنده خيائته ، ولا يدع من جميل نظره من صحت لديه كفايته ،

أو تحققت عنده أمانته ؛ وليس لك أن تصد الطرق في أمر الرواتب التى هى من صدقات الشريفة وصدقات من تخدم من الملوك ، وهى إما لمن يجب له حق وإن كان غنياً أو عريف صلاحه وهو صعلوك ؛ وكذلك ما هو لأيتام الجند الذين ماتوا على الطاعة ، وأمثالهم من خدم دولتنا القاهرة بما استطاعة ؛ فإن غالب من مات منهم لم يخلف لهم إلا ما تسمح لهم به من معروف ، ونجزيه لهم من جازٍ هو أنفع من كثير مما يخلفه الآباء للأبناء من المال المملك والوقف الموقوف ؛ وليصرف اهتمامه إلى استخلاص مال الله الذى نحن أمناءه ، وبه يشغل أوقاته وتمتلى كالإناء آناؤه ؛ فلا يدع شيئاً يجب لبيت المال المعمور من مستحقه ، ولا يتسرع في تخليه شيء منه كما أننا نوصيه أنه لا يأخذ شيئاً إلا بحقه ؛ وليثق لأيماننا الزاهرة بتوافقه ذكرنا لا يفتى ، ورتا لا يزال عمره الطيب من قلعه يئنى ؛ ليكون من رباح دولتنا التى تغنم ما يثيرة من تحابها المطير ، وحسنات أيماننا التى ما ذكرنا وذكر معنا إلا وقيل : نعم الملك ونعم الوزير .

الوظيفة الثانية

(كتابة السر ، ويقال لصاحبها "صاحب دواوين الإنشاء")

وقد تقدم في الكلام على ترتيب الوظائف أن موضوعها قراءة الكتب الواردة على السلطان ، وكتابة أجوبتها ، وأخذ خط السلطان عليها وتسفيرها ، وتصريف المراسيم وروداً وصُدوراً ، والجلوس لقراءة القصص بدار العدل ، وأنه صار يُوقع فيما كان يُوقع فيه بقلم الوزارة .

قلت : وقد كان فيما تقدم يُكتب له توقيعٌ في قطع النصف بقلب « المجلس العالى » ثم أستقر أن يُكتب له تقليدٌ في قطع الثلثين بقلب « الجنب العالى » . وقد تقدم الكلام على تقليده في الكلام على التقاليد .

وهذه نسخة تقليد بكتابة السر ، كُتِب بها للقر المحيوى « محي الدين بن فضل الله » عند عودته إلى كتابة السر بالديار المصرية ، في جمادى الأولى سنة ثلاث ... (١) ... من إنشاء السيد الشريف شهاب الدين ، أحد كتّاب الدرج الشريف ، وهى :

الحمد لله المانِّ بفضله ، المستعان به فى الأمر كله ، الذى رفع أول الأولياء من العلية إلى محله ، ووضع النعم عند من ينص الاستحقاق على تقديمه بمنصبه ويحمل ما فوض إليه من أجله ، وأبدع نظام السؤدد بأجمل حالٍ مادام يحى جامع شمله ، وأودع سِرُّ ملكا الشريف عند الحفيظين منه ومن تجلّه ، وأرجع الرئاسة إلى من سما ثباتا ، ونما نباتا ، وعلا عزما ، وفى حرما ، فيمن آثاره تضرب الأمثال ولا تجد فى يمن سجايه كينله .

نحمده على أن أعاد بنا الحق إلى أهله ، ونشكره على أن جاد روض الآمال بوا كيف تحاب كريمنا وويله ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من وفق للصواب فى قوله وفعله ، وتحقق منه جميل الإخلاص فى جميع مذاهبه وسبله ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المؤوى يوم الجزاء إلى سايغ ظله ، والمروى يوم العطش الأكبر بسائغ نهله ، والنبي الذى بعثه خاتم رسله ، وآتاه من الكرامة ما لم يؤت أحدا من الأنبياء من قبله ، والمجتبى من علماء صحابته من أهله لإيداع سره وصونه وإبلاغ أمره وحمله ، صلى الله عليه وعلى آله الذين سبقوا إلى غايات الفخار

وُخْصُوا بِخُصْلَةٍ ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَهْلِهَا الْمَجَاهِدِينَ فِي حُبِّهِ الْمُتَصِمِينَ بِحُبِّهِ ،
 خُصُوصًا الصَّدِيقَ الَّذِي أَحْسَنَ الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ مِنْ أَرْتَدَّ بَقْتَلِهِ ، وَمَنْ فَرَّقَ
 بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ يُحْسِنُ سِيرَتَهُ وَتَحْضُرُ عَنْهُ ؛ وَمَنْ تَلَقَّى عَنْهُ آيَاتِ الْكِتَابِ فَ... (١)
 فِي تَرْتِيهِ وَجَمْعِهِ وَأَدَائِهِ وَقَتْلِهِ ؛ وَمَنْ كَانَ فَارِسَ حَرْبِهِ ، وَحَارِسَ سِرِّهِ ، وَكَاتِبَ
 وَحْيِهِ وَخَاطِبَ كِفْلِهِ ؛ وَعَنْ بَقِيَةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ أَنْفَرْتُوا بِأَكْلِ الْفَضْلِ
 وَأَجَلِهِ ، صَلَوةً وَرِضْوَانًا وَضَمَّحًا نَوْرًا لِهَدْيِ لِمُسْتَدَلِّهِ ، مَا شَفَى كُرْمَنَا الصُّدُورَ بِصُدُورِ
 إِقْبَالِهِ إِلَى مَنْ قَامَ بِفِرْضِ وَلَّائِهِ وَتَمَلَّهِ ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَنِعْمَتُنَا لَا تَزَالُ لِلْعُيُودِ حَافِظَةً ، وَبِالْجُودِ مُتَحَفَةً وَبِالسُّعُودِ مَلَا حَفَةً ،
 وَعَلَى الْمَعُودِ مِنْ كَرَمِ شَيْئِهَا عَافِظَةً ، وَلِلْخِدْمِ مَكَافِيهِ ، وَلِلْقِسْمِ مُؤَفِيَةً وَبِالْثَمِّ مُوَافِيَةً ،
 وَبِالْأَوْفِ الْكَرَّمَ مُلَافِيَةً ؛ أَتْبَاعًا لِسَبِيلِ الصَّوَابِ ، وَإِدَاعًا لِلْنِّعَةِ عِنْدَ مَنْ لِحَقِّهِ
 فِي اسْتِحْقَاقِهَا إِيحَابٌ ، فَلَمَحَلَّهُ أَقْتِرَانٌ بِالْإِقْتِرَابِ ، وَلَفِعَلَهُ إِجْجَارٌ لَوْعُودِ الصُّعُودِ
 وَإِيحَابٌ ، وَلِفَيْضِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنَ الْقَبُولِ أَهْبَى جَلَابٌ ، وَلِهَ سَبْقِ وَلَاءِ الْمُلْكَا
 بَعْدَ جَفَاءِ فِيهِ السَّنِينَ وَالْأَحْقَابِ ، وَصَدَقَ وَدَّ مَاضِيعَ لَدُنَّا وَلَا خَابَ ، وَقَدَّمَ هِجْرَةَ
 كَمْ لَهَا فِي تَأْيِيدِ الدِّينِ أَنْتِصَارٌ وَأَنْتِصَابٌ ، وَتَعَدَّدُ مَنَاقِبَ هِيَ فِي الْإِشْرَاقِ وَالرَّفْعَةِ
 كَالْجُجُومِ وَفِي الْكَثْرَةِ عِنْدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالْتُّرَابِ ؛ فَمَا دَعَا سُلْطَانُنَا إِلَّا أَسْتَجَابَ ،
 وَلَا أَسْتَوَاهُ سِرَّهُ إِلَّا غَدَا بِهِ يُضَانُ وَلَا يُصَابُ ، وَلَا أَسْتَنْقَطْنَا قَلَمَهُ إِلَّا كَفَى الْخَطْبُ
 بِأَمْلَحِ خُطَابِ ، وَلَا أَسْتَنْتَرْنَا رَأْيَهُ إِلَّا حَضَرَ الرُّشْدَ وَمَا غَابَ ؛ فَكَمْ تَفَرَّقَ لِلْأَعْدَاءِ مِنْ
 كِتَابِيَةِ بَيْكَا ، وَقَرَّبَ مِنْ ظَفِيرِ وَالسَّيْفِ فِي الْقِرَافِ ؛ فَبَدَعَوَاتِهِ يُسْتَنْتَزَلُ مِنَ السَّمَاءِ
 أَمْرٌ مَحَابٍ ، وَيَبْرَكَاتُهُ جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَكَانَ كَيْدُ الْكَافِرِينَ فِي تَبَابٍ ، وَبِأَقْلَامِهِ
 لِنِعْمَانَا يَهْبُ وَأَنْتِقَامُنَا يُهَابُ ؛ فَهِيَ عَلَى الْمَهَالِكِ أَمْنٌ سِيَاحٍ ، وَلَهَا فِي مَسَالِكِ الْخَيْرِ

أبدع منهاج، وللدولة به وبولده استغناء وإليهما أحتاج، فكم صمتا دُردر كلاهما
الأدرج، وأطلعا زهر أقلامهما من المهارق في أبراج، وكما واصلت في ليل النفس
السرى والإدلاج، حتى أبدت صلبج النجاح ذا آيتلاج، فلا عجب أن كان للنعم
إليهما معاد ومعاج، وإضيق الخطب عند باعهما الرحب فُسحة وأنفراج .

ولما كان المجلس العالي المحيوى هو أسرى من تلقى إليه الأسرار، وتبقى منه
عند أسرى الأحرار، فكم لما صان أين صار، وكما لخاطرتنا الشريعة من أفعاله سار
حيث سار، وكما له من كرمنا دار في كل دار، فمتا لقربه إيثار، ولا شئتنا عليه إنجار،
ولنا بفضلله إقرار، يوجب للنعم عنده الإقرار - أقتضى حسن الرأى الشريف
أن نعيد إليه منصبه، ونزيد لديه الموهبه، ونجعل وجود تفضيله لدولتنا أعظم منزلة
ومنتبه، ونراه أجل كنف لاستجلاء عقائل الأسرار المحجبه، وإن كان لزماته
لا يخطبها فهي لوجهته ترغب أن تخطبه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف العالى، المولى، السلطانى، الملكى الفلافى -
لا يرح بفضل الله يحى الدين، ويتأييده بين أنه الحق المبين، ويتسديده يصيب
صير الصواب في التعيين - أن نفوض للشار إليه صحابة ديوان الإنشاء الشريف
بالأبواب الشريفة شرفها الله وعظمها : على أجل عوائده، وأكمل قواعده، وأحسن
حالاته في حسن مقاصده، ونفوذ ما يُلغى من رسائل عدلنا في مصادر كل أمر
وموارده، وليستقر باسمه من المعلوم كذا وكذا .

فلتلق منصبه المبارك بأمل في كرمنا منسوط، وورثته التى يحى حماها ويحوط؛
مُضيا للهجات والمراسم، مبيا من يئن آثاره ما تضحى به ثغور الثغور بواسم،
م يدلمن عنده من كجابتنا أوقات الأئس فأياهم [به] كلها مواسم، وها لهم من الخيرات

أَجَزُّ الْمَقَاسِمِ ؛ وَقَدْ وَفَّرُوا دَوَائِعَهُمْ إِلَى الْخِدْمَةِ إِذْ وَفَّرُوا نَفَقَتَهُمْ دَوَائِعِهِ ، وَهُوَ لِسَانُ
الدَّوْلَةِ وَهُمْ أَثَرُ صَوْنٍ لِمَا يُقْبِلُهُ إِلَيْهِمْ وَإِعْيَهُ ، فَحَقَّ لَهُمْ إِلَى وِدَادِهِ أَنْ يَمْنَحُوا ،
وَبِإِسَاعَادِهِ أَنْ يَتَجَبَّحُوا ، وَعَنْ وَلَّائِهِ لَنْ يَرَحُوا : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ
فَلْيَفْرَحُوا ﴾ ، فَلَيْسَ رَأْيُ الْمَلِكِ بِهِ سُرُورٌ ، وَلِلدَّوْلَةِ مِنْ أَشْعَةِ إِيَّاهِ وَطَلْعَةِ شِهَابِهِ نُورٌ عَلَى
نُورٍ ، وَبِهِمَا عِمَادُ الشَّرَفِ الْأَعْلَى مَرْفُوعٌ وَبَيْتُ الْفَضْلِ الْأَوْفَى مَمُورٌ ، وَهُوَ بَيْنَ
هَذَا النِّعَةِ الْغَمْرِ وَشِبْلِ هَذَا اللَّيْلِ الْمَهْصُورِ ؛ طَالَمَا هَزَمَ الصُّفُوفُ مِنْ كُتُبِنَا
بِالسُّطُورِ ، وَجَهَّزَ بَرْدًا سِرَّهَا بِالصُّونِ مَكْتُومٌ وَعَلَمُهَا بِالنَّصْرِ مَنَشُورٌ ، وَهُوَ كَكَنْزِ
الْفَضَائِلِ وَكِتَابَةِ الذَّهَبِ شُدُورٌ ، وَمِنْ هَذِهِ الْأُسْرَةِ الْعُمَرِيَّةِ بِأَفْقِ الْعِلْيَاءِ نَجُومٌ وَأَهْلَةٌ
وَبُدُورٌ ، وَلِلنَّيْرِ الْأَكْبَرِ إِشْرَاقٌ وَأَتِلَاقٌ وَسُقُورٌ ؛ وَغَيْرُهُ بِالْوَصَايَا الْمَأْمُورِ ، وَسِوَاهُ
نُيِّنَ لَهُ قَصْدُ السَّبِيلِ حَتَّى لَا يَضِلَّ وَلَا يَجُورُ ، وَلَا يَحْتَاجُ أَنْ نَذْكُرَهُ بِمَا هُوَ مِنْ عِلْمِهِ
مَذْكُورٌ ، وَفِي صَحَائِفِهِ مَسْطُورٌ ، وَلَا نَعْلَمُهُ سَدَادًا إِذْ هُوَ عَلَيْهِ مَجْبُولٌ وَمَقْطُورٌ ،
بَلِ الْهُدَى مِنْهُ مَلْتَمَسٌ ، وَمَقْتَنَى وَمَقْتَبَسٌ ، وَمَأْثُورٌ ، وَبِحَمْدِ اللَّهِ مَا فِي حَزْمِهِ قُصُورٌ ،
وَلَا فِي عَزْمِهِ قُورٌ ، وَهُوَ بِحَرِّ الْعِلْمِ الْحَيْطُ وَبَيَرِ الْحِلْمِ الْمَوْفُورُ ، وَلَيْسَ التَّقْدِيمُ لَهُ
بِمُسْتَقَرَّبٍ بَلِ فَضْلُهُ الْمَعْرُوفُ الْمَشْهُورُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَرْعَى لَهُ فِي خِدْمَتِنَا عَهْدًا قَدِيمًا ،
وَيُقْبِلُهُ لِلدَّمَاءِ مُوَاصِلًا وَمُيَدِمًا ، وَيُوزِعُهُ شُكْرَ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ ﴿ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ
عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخةٌ تقليد بكاتبه السرِّ، كُتِبَ بها للقاضي شهاب الدين بن فضل الله، وهى :

الحمد لله على عناية حَفِظْتَ مُلْكًا شَرِيفًا بِمَعْقَبَاتِهَا ، وَصَانَتْهُ بِصَاحِبِ تَصْرِيفِ
تَقْوَمُ كُتُبُهُ وَآرَافُهُ مَقَامَ الْكَتَائِبِ وَرَايَاتِهَا ، وَسَنَّتْ لَنَا الْخَيْرَةَ لِمَنْ نَجْتَنِي بِقَلَمِهِ النَّصْرَ

من ثمراتها ، وبينت الحسنى في طريقته المثل حتى أقسم الصبح من قسمايتها ،
واقسم النج من عاديتها ، وأسم فكره بالصبح وقد ضلت الأفكار عن إصاباتها
فظلت في غفلاتها .

بجده حمداً يهب مع الأنفاس في هباتها ، ويهب من اللطائف الحسان أفضل
هباتها ، وينبه القلوب لتقيد شوارب النعم بصنق نباتها ، ويأنس الكرام الكاتين
على نقائس الشاء في تسييح لغاتها بصفيح تملواتها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تملأ الصحف بحسناتها ،
وتملأ الوجوه بالأنوار في توجهايتها ، وتلوح من سماء سماء لا تشق على الأبصار
في توشحاتها ، وتفخر برقها الأقلام بأنه لا طعن في اعتدال حركاتها ، على الرياح
في اعتدال قاماتها ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أدى الرسالة بما
تمحله من أماناتها ، ورعى اليهود لمن أخلص في مرعاتها ، ودعا الأمة بإذن الله
إلى سبيل نجاتها ، وآمن على الوحي كتاباً سبقوا في السعادة إلى غاياتها ، وبلغوا عنه
السنة بإباناتها والسور وآياتها ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه قرسان البلاغة
وروايتها ، وحفظه الأسرار وثقاتها ، وصاغه المعاني في الألفاظ الغربفتاتها ، وأوب
الأحلام التي لا تطيشها وقائع الدهر بروعاتها ، ولا تذهلها عن الأوراد في أوقاتها ،
وتلقى الوفود بأقواتها ، والأخلاق التي أنسع نطاقها في نصرقاتها ، وأمتنع حجابها
أن تحفظه الخدع بهواتها ، صلاة تزيد الأعمار بركاتها ، وتزين الأعمال ببركاتها ، وسلم
تسلية كثيراً .

وبعد ، فإن الملك عمود بناؤه بسره ، وارتفاعه بالتأسيس لمستقره ، وأمنائه
بعد المساكر المنصورة بكتاب يحايل الصدوف في مكروه قبل مكروه ، ويقاقل في الحرب

والسُّلم بِنَفَازِ رَأْيِهِ وَنَقَاتِ بَحْرِهِ ، وَيَقَابِلُ كُلَّ حَالٍ بِمَا يَحْسُنُ مَوْقِعُهُ مِنْ صَدْنِهِ
بَصْدْرِهِ أَوْ صَدِّهِ بَصْبَرِهِ ، وَيَنْظُرُ فِي الْمَوَاقِبِ نَظَرَ الْبَصِيرِ بِأَمْرِهِ ، الْوَاعِي لِأَحْتِيَالِ
عُدْرِهِ قَبْلَ أَخْتِيَالِ الْبَاغِي فِي غَدْرِهِ ؛ إِذَا جَادَلَ فَبِالْجَهَّةِ الْبَالِغَةِ ، وَإِذَا جَاوَبَ أَبْطَلَ
الْأَهْوَالَ الزَّائِفَةَ ، وَإِذَا أَمَرْنَا بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ سِيرَ مَعَنَا كَالشَّمْسِ الْبَازِغَةِ ،
وَمَلَأَ بِهِمَا حُبًّا لَنَا الْقُلُوبَ الْفَارِغَةَ ؛ وَقَدْ جَرَّبْنَا عَلَى طُولِ الْمَدَى كُتُبًا ، وَأَنْتَقَبْنَا مِنْهُمْ
كَثِيرًا أَرْتَضِينَاهُمْ أَصْحَابًا ، وَمَارَسْنَا جَمَاعَةً أَرَدَدْنَا بِهِمْ إِعْجَابًا ، وَرَأَيْنَا طَوَائِفَ فِيهِمْ
مَنْ إِنْ أَجَادَ اجْتَنَاءَ لَزَهْرَاتِ الْقَوْلِ حَادَ عَنْ الْجَادَّةِ اجْتِنَابًا ، وَإِنْ كَلَّفَ نَفْسَهُ
مِزَاجَ الْكُتُبِ أَخْلَى بِمَقَاصِدِ الْمُلُوكِ إِنْ كَتَبَ عَنْهُمْ كِتَابًا .

وَلَمْ نَنْظُرْ بَعْدَ تَمَّتْ فِيهِ الشَّرُوطُ الْمَشْرُوطُهُ ، وَمَتَّ بِالدَّائِرَةِ الْمَحِيطَةِ إِلَى الْفَضَائِلِ
الْمُبْسُوطَةِ ، وَأَمَّا زَيْدٌ فَهَمْ لَا يُقْبَلُ عَلَى الْفَسَادِ وَلَا يَقْبَلُ الْأَغْلُوطَ ؛ إِنْ أَمْلَيْنَاهُ إِمْلَاءً
ذَكَرَهُ ، وَإِنْ حُمِّنَا حَوْلَ مَعْنَى لَا تُؤْدِي إِلَيْهِ الْعِبَارَةُ فَسَرَهُ ^(١) ، وَإِنْ سَرَدْنَا عَلَيْهِ فَصْلًا
مُطَوَّلًا خَبَرَهُ ، وَرَبَّمَا رَأَى الْمَصْلَحَةَ فِي اخْتِصَارِهِ فَلَاخْتِصَارِهِ ، وَإِنْ أَوْدَعْنَاهُ سِرًّا سَرَّهُ ،
وَصَانَهُ بِحُجُوبِ غَيْبِ أَثَرِهِ ، وَكَتَمَهُ إِمَّا بِحُطَّةٍ عَنْ قَلْبِهِ فَلَمْ يُدْرِكْهُ أَوْ بِقَلْبِهِ عَنْ لُحْظِهِ فَلَمْ
يَرَهُ ، وَإِنْ خَلَيْنَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَرَضٍ مِنْ أَغْرَاضِنَا الشَّرِيفَةِ اسْتَخْرَجَهُ كَمَا فِي خَوَاطِرِنَا
وَأَظْهَرَهُ - كَالْمَجْلِسِ الْعَالِي ، الْقَضَائِيِّ ، الْأَجْلِيِّ ، الْكَبِيرِيِّ ، الْعَالَمِيِّ ، الْعَادِلِيِّ ،
الْعَوْنِيِّ ، الْعَلَامِيِّ ، الْقَوَائِمِيِّ ، النِّظَامِيِّ ، الْمُدَبِّرِيِّ ، الْمُسَيِّرِيِّ ، الْفَاضِلِيِّ ، الْكَامِلِيِّ ،
الْأَوْحَدِيِّ ، الْمُفَوَّضِيِّ ، الْخَاشِعِيِّ ، السَّافِرِيِّ ، الشَّهَابِيِّ : صَلَاحِ الْإِسْلَامِ
وَالْمُسْلِمِينَ ، سَيِّدِ الرُّؤَسَاءِ فِي الْعَالَمِينَ ، قُدْوَةِ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ ، إِمَامِ الْفَضْلَاءِ
وَالْمُنْتَكَبِينَ ، رَئِيسِ الْأَصْحَابِ ، مَلَاذِ الْكُتُبِ ؛ مَسْفِيرِ الْأُمَمِ ، عِمَادِ الْمَلَلَةِ ، لِسَانِ
السُّلْطَانَةِ ، مَدَبِّرِ الدُّوَلِ ، مَشِيدِ الْمَالِكِ ، مُشِيرِ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينَ ، وَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

(١) فِي الْمَصْبَاحِ فَسَرَهُ مِنْ بَابِ ضَرْبِ أَوْضَحَهُ وَبَيْنَهُ وَالتَّخْفِيلِ مَبَالِغَةً .

«أحمد بن فضل الله» ضاعف الله نعمته . فإننا خطبناه لهذه الوظيفة ، واستخلصناه على كثرة المتعينين لأنفسنا الشريفة ، وأمتحناه في الأمور الجلية واللطيفة ، وحملناه الأعباء الثقيلة والخفيفة ، وأوقفناه مرة وأخرى أطلقنا تصرفه ، وأمننا النظر في حاله حتى تحققنا تفقده ؛ وكتب واستكتب عنا سراً وجهراً فلا قلباً وسمماً ، وباشر مراسمتنا العالية مصراً وشاماً وضلاً وقطعاً فمز رضة وعم نقماً ؛ وأنشأ التقاليد وقلدها ، ونفذ المهمات وسددها ، ووقع التواقيع وأطلق بها وقد قيدها ، وسقى المصالح باحتراز ما بددها وأحتراس ما عقدها ، وجهاز البرد بهمة ما قيدها طلب الراحة ولا أفتدها . وهو كاتب ملوك ، وصانع سلوك ، وشارع سلوك ، وصانع ذهب مسبوك ، وناصح ونهي محوك ، وجامع صفات ماسواها هو المتروك ؛ لا يعدو بالكلمة محلها ، ولا يؤاخذ بالقرينة إلا شكلها ، ولا يسمع بخاطبة إلا لمن تعين لها ، ولا يعامل بالغلظة إلا من استوجبها ولا يحض بالحسنى إلا أهلها ؛ نأمره بالتهويل فيزول قواعد العدو ، ونشير إليه بالتهوين فيفيد مع بقاء المهابة الهدوء ؛ وقد رضيناه حق الرضا ، وأضرربنا به عنم بقي من أكابر الكُتاب وأسبنا من مضى ، وتعين علينا أن نحكم له بهذا الاعتبار ونجمله على هذا المقضى ، وأن نُعلمه في سماء دسنا الشريف شهاباً أضاً ؛ وأن نقلده مهمماً مازال هو القائم بتنفيذ أسفاله ، والساعي بين أيدينا الشريفة في تدبير مقاصده وجملة أحواله ؛ إلى ماله من بيت أثلوا تجده ، وأثروا سعده ، وأثروا عندنا وده ؛ وبني كجاً بنوا ، وأجتنى من السؤدد ما أجتنوا ، ورمى في خدمة البول إلى مارموا ، إلا أن منجبه في البيان أحلى ، وأسلوبه أجلى ، وقيمة كلامه أغلى ، وقدرته في الكمال هو الممل ، وأدبه بجد الله قد حفظته سعادة أيامنا الزاهرة فما فيه لؤ ولا تولا ؛ سوى أنه أثنى معارض أعترض بين السهم والهدف ، وسفه نفسه فوقف في مواقف التلّف ، ودق عنه شأن كاتب السرفسقط من حيث

طمع في السُّقُوط وما عَرَفَ ؛ ورام الدُّخُولَ بَيْنَ الْمَلِكِ وَبَيْنَ يَدِهِ ، وَبَيْنَ اللِّسَانِ
وما يُحْدِثُهُ بِهِ الضَّمِيرُ مِنْ حَقِيقَةِ مَعْتَقِدِهِ ، وَالْإِطْلَاعَ عَلَى مَا لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْإِنْسَانِ لِمَا
أَدَارُهُ فِي خَلَدِهِ ؛ وَالتَّعَدَّى بِمَا لَيْسَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ مُتَوَقَّعٌ ، وَسَرَى فِي مَسَرَى لَوْ طَمَحَ
إِلَيْهِ طَرَفُ الشَّهَاءِ لِنَقْطَعُ ، وَمَا عَلِمَ أَنَّ كَاتِبَ السَّرْهُو مُسْتَوْدَعُ انْجَبَايَا ، وَمُسْتَطَلَعُ
انْخَفَايَا ، وَقَلَسَهُ (أَبْنُ جَلَّاءُ وَطَلَّاعُ النَّبَايَا) ، وَفِي اسْتِنْدَادِهِ يُعْرَفُ بِالْمُسْنَى وَيُرْعَفُ
بِالْمَتْنَايَا ؛ وَلَهُ الْكُتَابَةُ وَالتَّوْقِيعُ ، وَالتَّصَرُّفُ فِيمَا لِلتَّنْفِيزِ مِنَ التَّحْسِينِ وَالتَّنْوِيعِ ،
وغير ذلك من التفریق والتجميع ، والتأصيل والتفريع ، والترغيب والترهيب
والتأمين والترؤيع .

ولما دَلَّ ذَلِكَ الْمُعْتَرِضُ بِإِنْجَارِهِ ، وَأَطَالَ الْمَطَّارَ فِي غَيْرِ مَطَّارِهِ ، وَقَالَ النَّاسُ إِنَّ
أَبْوَابَنَا الْعَالِيَةَ جَنَّةٌ حُفَّتْ مِنْ سُوءِ أَخْلَاقِهِ بِالْمَكَارِهِ ، رَمَيْنَا بِهِ مِنْ شَاهِقٍ ، وَأَبْعَدْنَاهُ
لَا آخِرَهُ أَزْهَدَ مَا هَدَّرَ مِنْ تِلْكَ الشَّقَاشِقِ ؛ وَتَقَدَّمْنَا بِإِنْشَاءِ هَذَا التَّوْقِيعِ الشَّرِيفِ
تَقْوِيَةً لِكِتَابِ سِرِّنَا الشَّرِيفِ فِي تَصْرِيفِهِ ، وَبَيَّنَّا أَنَّهُ لَا يُقَاسُ بِهِ أَحَدٌ فَإِنَّهُ لِسَانَ
السلطان وَيَدُهُ وَكَفُّهُ بِذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى تَسْرِيفِهِ .

فَرُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي ، الْمَوْلُوتَى ، السُّلْطَانِي ، الْمَلِكِي ، النَّاصِرِي - لِأَزَالِ
إِذَا عَزَمَ حَكْمَهُ ، وَإِذَا بَدَأَ الْمَعْرُوفَ تَمِّمَ ، وَإِذَا اسْتَخَارَ اللَّهَ فِي شَيْءٍ رَضِيَ بِخَيْرِهِ وَسَلَّمَ -
أَنْ يَسْتَقِيلَ الْجُلُوسَ الْعَالِي ، الْقَضَائِي ، الشَّهَابِي « أَحْمَدُ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ » الْمَشَارُ إِلَيْهِ
بَصْعَابَةِ دَوَاوِينَ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ بِالْمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُحَرَّوسَةِ : رَفِيقًا لِأَيِّهِ الْمَجْلِسِ
الْعَالِي ، الْقَضَائِي ، الْخَوِي - ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ وَبَرَكَتَهُ فِي الْمُبَاشَرَةِ ، وَشَرِيكَهَا
بِلِ مَنفَرِدًا لِيَقُومَ مَعَهُ وَدُونَهُ بِمَا قَامَ بِهِ مِنْ كِتَابِيَّةٍ بَاطِنَةٍ وَظَاهِرَةٍ ، أَسْتَقِلَّ كُلُّ مَنُهَا
بِهَا فِيمَا بَعْدَ وَقَرَبٍ مِمَّا يَضُمُّهُ نَطَاقُ الدُّوَلَةِ الْقَاهِرَةِ ، مَعَ مَا هُوَ مُسْتَقَرٌّ فِيهِ مِنْ كِتَابَةِ

السر الشريف ، والتصريف في المهمات الشريفة والتصريف ؛ وهو المتفرد بتقديم البريد وعرضه ، ومباشرة ختمه وقضه ، وقراءته بين أيدينا ؛ واستخراج مراسيمنا الشريفة في كل متاب ، ومشافهة وخطاب ، وأبداء وجواب ، وملطف ومكبر ، ومقدم ومؤخر ، ومكمل ومشطر ؛ وإليه أمر البريد والقُصَاد والنَّجَابَة ، ومن أشتمل من الدُّعَى جَلْبَابَه ، أو ألقته إلى ملاءة الصُّباح المنشورة يد ليلية مُنْجَابَه ، وتعيين مَنْ يرى تعيينه منهم في المهمات الشريفة السلطانية ، والمصالح المقدسة الإسلامية ؛ وإليه الحمائم الراسائي وتزجيته ، وزجالاته ومدرجته ؛ ومن يصل من رُسل الملوك إلى أبوابنا العالية ، وجميع من يُكاتب الدولة الشريفة من كل منسب وغريب ، وبعيد وقريب ؛ وقراءة القصص لدينا ، والكتابة على ما يسوغ كتابه مثله ، وأخذ العلامة الشريفة من يده .

وأما من نستكتبهم عنا في ممالكنا الشريفة فهو المقلد لأعبائهم ، والمخلى بينه وبين ما يراه في أجتبايهم ؛ يستكتب كل أحد فيما يراه ، ويرفع بعضهم فوق بعض درجاتٍ منهم مستيقظ ومنهم نائم في غمرات كراه ؛ كل هذا من غير معارضة له فيه ، ولا اعتراض عليه في شيء منه ؛ يبلغنا مهماتنا الشريفة ويتلقى عنا ، ومنه إلينا وإليه منا .

وأما ما يرد عليه من الرسائل عنا بما يكتب به فيمضى منه مالا يمكن وقوفه ، ويراجعنا فيما لا يكون إلا بعد مراجعتنا تصريحه ؛ فليمش على هذه القاعده ، وليستقل بهذه الوظيفة استقلالاً هو كالخبر محل الفائدة ، ولينشر من إقبالنا الشريف عليه بالصلوات العائده ؛ ونحن نختصر [له] الوصايا لانه الذي يُملينا ، وتقتصر منها على التقوى فإنها الذخيرة النافعة لمن يُعانيها ، والباقي الصالحة خير لمن يقتضيها ؛

والله تعالى يقوى أسبابه ، وينير شهابه ، ويزيد من المعالى آكتسابه ، ويُفينا
بقلمه عن سنان يتقدم عامله ، ولسانه عن سيف يمارق قوابه ، والاعتماد على الخط
الشرىف أعلاه .



وهذه نسخة تقليد بعوذ القاضى شهاب الدين بن فضل الله الى كتابة السر .
من إنشاء الشرىف شهاب الدين كاتب الإنشاء الشرىف ، وهى :

الحمد لله الذى أحمد العفى بفضله ، وأكّد الثعنى بوصله ، وأودع سر ملكنا
الشرىف عند أهله ، وأطلع شهاب الدين من أفق العلياء فى محل شرفه وشرف
محلّه ، ورفع قدره فى سيزه الى بروج السعود وحلوله بدرجات الصعود وقبلة ،
وأرجع الموهبة منه الى من يشكرها بقوله وفعله ، وأبغى القرع الزاكي الذى يحيا
أصله بوا كيف صحاب كرمنا ووبله ، وأتمّ النعمة عليه كما أتمها على أبويه من قبله ،
وصمّم له أطراف الرياسة وجمع شملها بشمله ، وعم بفضله وفضلنا أهل هذا البيت
الذين فطروا على السؤدد وبصروا من رضانا باتّباع سبله .

نحمده على إضفاء ظله ، ونشكره على إضفاء نبله ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة أشرق نور هداها ، بمستدله ، وأغدق نوره نداها ، بمستبيله ، ونشهد
أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله خاتم رسله ، وجعل له الفضل على الخلق كله ،
والهم به سبيل هديه وسنن علله ، وأرشدته الى فرض دينه وقبلة ، وأودعه السر
الذى لم يودعه سواه وحمله من أعباء الرسالة ما لم ينهض غيره بحمله ، صلى الله عليه
وعلى آله أغصان الشجرة الزهراء التى هى بضعة منه ونبتة من أصله ، ورضى الله

عن أصحابه الذين أجلبهم من أجله ، خصوصا من بادر إلى الإيمان فخص من سبق
بخصه ، ومن أيد به الدين وفر الشيطان من ظله ، ومن جهز جيش العسرة حتى
غزا العدا بجياله ورجله ، ومن كان باب مدينة العلم وما ينج جزله وفاتح قفله ؛ وعن
بقية المهاجرين والأنصار الذين ما منهم إلا من جاهد حتى قام الدين بنصره ونصله ،
صلاة دائمة يجعلها اللسان أهم شغله ، ويتلقى قادمها في موطن القبول بأكرم زُله ،
ما رمى قوس العزم بصائب نبهه ، وحى حى الملك بليثه وشبهه ، وفوض أجل
المناصب إلى فاضل العصر وأجله .

أما بعد ، فإن آراءنا لا تزال للصالح مُراعية ، ولا تبرح بالإسعاد إلى الأولياء
ساعية ، فتدعو إلى مقامها من وفر على الإخلاص دواعيه ، وتدني من ملكها من له
بالتقيا أعظم بصيرة وفي جميل القضايا أجمل طواعيه ، وتلقي أسرارها إلى من له
لسان حق ناطق وأذن خير وإيعه ، وتقدم من له قدم صدق ثابتة ويد بيضاء طولى
في المهمات عاليه ، لتغدو سهام أعلامه إلى الأغراض راميّه ، وصوائب أفكاره
عن حى الملك حمائيّه ، وتكون عبارته للقاصد موفية وإشارته لموعد اليقين موافيه ،
وتضجى ديم نعمنا الواكفة لسواقي خدمه مكافيه ؛ لما يتصل بذلك من المصالح ،
وتناجى خواطرنا الشريفة به المناجى ، وقيل عليه وجه الإقبال ، في كل حال ، ويغدو
إليه طرف الإجلال ، وهو طامح ، فتجمل به ممالكنا مضرا وشاما ، وتسد به مرمى
ونصيب مرّاما ، ونحفظ له ولأبيه في خدمتنا حقا وذمّاما ، ونكون له في الحالتين
برا وإكراما ، ونعل عمله إعلانا بعلو مكانه وإعلاما ؛ فيؤلف للرياسة نظاما ،
ويضاعف للرتبة إعظاما ، ويعمل يراعا بل حساما ، ويخلو وجهه المنى طلقا ويبدو
بعد البشر بساما ، ويحسن بأعباء المهمات قياما ؛ وحيث نقلته أوطانه هضاب
المجدوقته ، وأين وجهته أعلت قدره وتوهته ؛ وكلما أوفدته أفاضت عليه ملبس

العِزَّ وجَدَّته ، وأَخَصَّتْهُ بالتصرف وأَفَرَّدَتْهُ ، وَأَتَتْصَتْ ماضى أَجْتَهَادَهُ وجرَدَتْهُ ، وأَجَرَتْهُ من إِجْراءِ فَضْلِهَا على ما عَوَّدَتْهُ ، وَأَسْتَقَلَّتْ لَهُ مَنَافِعُهَا من كَثِيرِ المَوَائِبِ ماخُوْلَتْهُ ، ومن كَبِيرِ المَنَاصِبِ ما قَلَّدَتْهُ .

ولما كانَ فلان هو الذى أودع الأسرارَ خَفِظَها ، وأَطْلَعَ على الدقائقِ فَرَعَاها ببصيرتِهِ وَلَحَظَهَا ، وِباشرَ مَهْمَاتِنَا فامْضَاهَا ، وَسَرَّ خَوَاطِرَنَا وأَرْضَاهَا ، وَظَهَرَتْ مِنْهُ بَيْنَ أَيْدِينَا كِفَايَةُ لا تُضَاهَى ؛ وَقَلَّدَ أَجْيَادَ أَوْلِيائِنَا مِنْ تَقَالِيدِهِ عُقُودًا ، وَأَدْنَى مِنْ المَقاصِدِ بِلُطْفِ عِبَارَتِهِ بَعِيدًا ، وَأَغْنَى الدَّوْلَةَ أَنْ تَجْهَزَ جَيْشًا وَجَهَّزَ بَرِيدًا ، وَأَبَانَ بِمَقَالِهِ عَمَّا فِي أَنْفُسِنَا فلم يَبْقُ مَرِيدًا ، وَصَانَ الأسرارَ فَجَعَلَ لَهَا فِي خَلَدِهِ خُلُودًا ، وَجَمَعَ أَشْتَاتَ المَحاسِنِ فَاخْضَى فَرِيدًا ؛ كَمَ لَعْمَةٍ فِي خَدَمَتَيْنَا مِنْ هِجْرَةٍ قَدِيمَةٍ ، وَلَأْيَةٍ مِنْ مَوَالِيَةٍ هِيَ لِلْمُخَالَصَةِ مَوَاصِلُهُ وَمُيَدِيَةٍ ، وَكَمْ لَهَا أَسْبَابُ فِي الرِّيَاسَةِ قُوَّةٍ وَطَرَائِقُ فِي المِهادِيَةِ قُوَّةٍ ، وَكَمْ كَاتِبٌ يَسِّرُ اللهَ بَهْدَاهُمَا تَعْلِيمَهُ وَتَفْهِيمَهُ ، وَقَدَّرَ عَلَى يَدَيْهِمَا وَصُولَهُ إِلَى رُتَبِ العِلْيَاءِ وَتَقْدِيمَهُ ، فَمُنْعَتُهُمَا عَمِيَمَهُ ، وَتَبَعَتُهُمَا صَمِيمَهُ ، وَلَهُمَا فِي الشَّامِ وَمِصْرَ أَجْمَلُ شَيْمَةٍ ، وَلَمْ لَهُ هُوَ أَيْضًا مِنْ تَقْصِدَاتِ أَقْتَضَتْ تَكْرِيمَهُ ، وَكِفَايَةٍ عِنْدَ عُلُومِنَا الشَّرِيفَةِ مَعْلُومُهُ ، وَكَتَابِيَّةٌ حُلُّ المَهَارِقِ بَوْشِيهَا مَرْقُومُهُ ؛ فَلَوْ قَابَلَهُ الفَاضِلُ «عَبْدُ الرَّحِيمِ» لَبَادَرَ إِلَى فَضْلِهِ إِقْرَارَهُ وَتَسْلِيمَهُ ، أَوْ «عَبْدُ الحَمِيدِ» لَكَانَتْ مَنَاجِيهُ الحَمِيدَةُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مِزَاجِهِ ذَمِيمَةٍ ، أَوْ سَمِعَ «عَبْدُ الرَّحْمَنِ» مَقَالَهُ لَضَمَّنَ أَلْفَاظَهُ مَعَانِيَهُ العَمِيمَةَ ، أَوْ أَدْرَكَ «قُدَامَةُ» لَعَرَفَ تَقْدِيمَهُ ، وَأَقْتَدَى بِسُبُلِهِ المِستَقِيمَةَ ، أَوْ حَوَى «الْجَوْهَرِيَّ» فَرَأَتْ أَلْفَاظُهُ لَعَرَفَ أَنَّ صَحَّاحَهُ إِذَا قُرِئَتْ بِهَا سَمِيمَةُ ، أَوْ رَأَى «أَبْنُ العَدِيمِ» خَطَّهُ لَأَسْتَفْتَتْ مِنْهُ بِسَلَسِلِ الذَّهَبِ نَفْسُهُ العَدِيمَةُ ؛ أَوْ «الْوَلِيُّ» لَأَسْتَجْدَى مِنْ صَوْبِ إِجَادَتِهِ أَغْزَرَ دِيمَهُ ، أَوْ نَظَرَهُ «أَبْنُ مُقَالَةٍ» لَوَجَدَتْ مُقَالَتُهُ نُضْرَةً خَطَّهُ وَنَعِيمَهُ ،

أو «أَبْنُ الْبَوَّابِ» لَكَانَ حَدِيثَ بَابِهِ وَخَدِيمَهُ؛ فَهَمَّ صُدُورُ صُدُورِهِمْ سَلِيمُهُ، وَأَمَانُ
مَعْدُودُهُ وَأَمَانُهُمْ مَعْدُومُهُ .

أَقْتَضَى حَسَنُ رَأْيِنَا الشَّرِيفُ أَنْ تُنْقَى إِلَيْهِ مَنْصِبًا هُوَ أَوْلَى بِهِ، وَتُقَرَّرَ عَيْنُهُ بِدُورِهِ مَنَّا
وَأَقْتَرَاهُ؛ وَنَمْتَعَ الْبَصَرَ وَالسَّمْعَ بِمَحَطَّةِ وَخَطَاهُ .

فَإِذْكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفُ، الْعَالِي، الْمَوْلَوِيُّ، السُّلْطَانِيُّ، الْمَلِكِيُّ، الْفُلَانِيُّ -
لَا يَرَحُ يُعِيدُ نِعْمَةً كَمَا بَدَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَيَسُرُّ الْقُلُوبَ بِكَافٍ أَوْدَعَهُ سِرَّهُ؛ وَيَحْمَدُ
لِأَحْمَدِ الْأَوَّلِيَّاءِ عَوْدَهُ وَمُسْتَقَرَّهُ ^(١) .

فَلْيَتَّقِ هَذِهِ النِّعْمَةَ بِشُكْرِهَا وَلْيَتَّقِ مَنْصِبًا رَفِيعًا يَنَاسِبُ رِفْعَةَ قَدْرِهِ، وَلْيَسُدِّ قَلْبَهُ
فِي تَنْفِيزِ مُهِمِّ الْمَالِكِ مِنْ نَهْيِهِ وَأَمْرِهِ، وَلْيَحْفَظْ مَا أَوْدَعَهُ مِنْ خَفِيِّ سِرِّهِ، وَلْيَلِاحِظْ
الْمَهْمَاتِ بِفِكْرِهِ، وَلْيَحْفَظْ عَلَى مَا يَعْرِفُهُ مِنْ رِضَانَا طَوْلَ دَهْرِهِ؛ وَبِمَنْ نَعْلَمُ مِنْ
صَوَابِ أَعْمَالِهِ وَتَسْدِيدِهَا، مَا لَا نَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى تَكْثِيرِ الْوَصَايَا وَتَعْدِيدِهَا، وَلَا إِلَى
تَكَرُّرِهَا وَتَرْدِيدِهَا؛ لِأَسِيًّا وَقَدْ سَلَقَتْ لَهَا بِهَا خُبْرَةٌ لَا تَفْتَقِرُ إِلَى اسْتِيعَابِ ذِكْرِهَا
وَلَا إِلَى تَجْدِيدِهَا، وَتَقَدَّمَتْ لَهَا مَبَاشَرَةٌ اسْتَبَشَرْنَا بِمِثْلِهَا وَأَشْبَهْنَا عَلَى حَمِيدِهَا،
وَأَسْتَدْنَيْنَا سَنَاهَا وَأَسْتَفْنَيْنَا عَنْ سِوَاهَا بِوُجُودِهَا؛ وَلَهُ بِمَحْمَدِ اللَّهِ تَوْفَرُ التَّوْفِيقِ، وَهُوَ
الْحَقِيقُ بِمَا فَوَضْنَا إِلَيْهِ عَلَى التَّحْقِيقِ، وَفَضَّلَهُ مِنَ الشَّوَائِنِ عِزِّيٍّ وَفِي الْمُجَانِينِ
عَرِيقٍ، وَقَدَّرَهُ بِتَجْدِيدِ النِّعَمِ جَدِيدٍ وَيُضِلُّ الْكَرَمَ خَلِيقٍ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُؤَيِّضُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ
أَيِّنَ طَرِيقٍ، وَيُسِرُّ بِمَقْدَمِهِ الْوَلَّى وَالصَّدِيقَ، وَيَفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ بِفُجْدِهِ
الْفَارُوقِ وَهُوَ مِنْ أَكْرَمِ فَرِيقٍ؛ بِمَحْمَدٍ وَآلِهِ ! .

(١) حذف المرسوم به اختصاراً في الكتابة وانكالا على فهمه من نظائره المتقدمة فهو ملحوظ



وهذه نسخة تقليد بكتابة السر :

الحمد لله الذى أظهر لتسديد دولتنا شهاباً يعلو على فرقَد الفراقِد، وكل به عقود
الممالك فسَمَت جواهر فرائدها على الدرارى إذ كان واسطة تلك الفرائد؛ ومُعِيد
إحساننا إلى خير ولى أغنى تدبيره عن سواه فكان بالائف ذلك الواحد، ومُحوِل
مواد كرمنا لمن هو صدر أسرارنا ويمين مملكتنا فى كل صادر عنها ووارد؛ ومُنْقِل
الأكفاء إلى مراتب سعودهم فتصيح ألوية حمائمهم فى معازل العز أنخر معاقِد،
ومُحِل مُلكنا الشريف بأكل كاف ما أم مصر إلا تلقته بالهناء ولا فارق شاما إلا أسفت
عليه تلك الربوع والمعاهد .

نحمده على نعم أقرت عيون الأولياء لما أقرتهم من مواد جودنا على أكل القواعد،
ونشكره على ما بلغنا من جميل المآرب وبلوغ المقاصد؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة تُنجى قائلها من جميع الشدائد، ونشهد أن سيدنا محمد [سيدنا محمد] سيد
عبد ورسوله الذى جاد بهديته فكان أكرم جائد؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
خصوصاً على أول الخلفاء أبى بكر الصديق الذى لا أنخر كفخاره، وعلى أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب حامل أسرارهِ وفاق أمصارهِ، وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان
مُبتَل عمره بيساره، وعلى ابن عمه على بن أبى طالب أعزُّ نسبانه وأخصُّ أوصيائه،
وعلى بقية مهاجره وأنصاره، صلاة سهلة المَشَارِع عَذْبَةُ المَوَارِد .

وبعد فإن من حبيبتنا إذا تيمنا بولى لا نزال نلحظه، ونزعى حقوق خدمه
فى القرب والبُعد ونحفظه؛ ونقابل ما أسلفه لدينا بنفائس النعم، ونفيض عليه ملايس
الجود والكرم؛ لا سيما من لم يزل يُظهر لنا كل يوم تعبداً جديداً، ومن أصبح

في الفصاحة والبلاغة وحيدا ، ومن جمع أطراف السؤدد والرياسة فلم يبرح بهما فريدا ؛ ومن تحسن النعم بإفاضتها عليه ، وتكامل المنن بإضافة محاسنها إليه ؛ وتزهر فرائد البلاغة بانتظامها في سلك تجده ، وتشرق كواكب البراعة في أنساقها في فلك سعه ؛ وكان للبابية في الاختصاص بنا البد الطول ، وتلا طيه لسان أعنانيا في الحالين : (ولأخيرة خير لك من الأولى) .

ولما كنت أيها الصدر «شهاب الدين» أحق الناس بهذا المنصب لما لوالدك - أبقاه الله تعالى - ولعمرك - رحمه الله تعالى - من الحقوق ، ولما أسلفه من الخدم التي لا يحسن التناهي لها ولا العقوق ؛ ولأنك جمعت في المجد بين طارف وتالد ، وفقت بأزكى نقر وعم وإخوة ووالد ؛ وجلاله ، ما ورثتها عن كلاله ؛ وخلال ، مالها في السيادة من إخلال ، ومفانر ، تكاثر البحر الزانح ؛ وماثر ، يعجز عن وصفها الناظم والنائر ؛ ولما نعلمه من فضائلك التي لا تُجحد ، رعيناك في عودك لوظيفتك وعود «أحمد» أحمد .

ولما كان فلان^(١) هو الذي تفطر الفصاحة من أعطاف قلبه ، وتخطر البلاغة في أبواب حكمه ؛ وتزول المعاني الممتعة من معاقل القرائح على حكمه ، وتقف جياد البداة المتمرعة حيرى قبل التوسط في علمه ؛ إن وثى الطرس فرياض ، أو أجرى النقس ليخاض ، أو نظم قلائد ، أو نثر فرائد . لا يجاسر المعنى المطروق أن يلم بفكره ، ولا يقدم المعنى المتخيل المسبوق للورور بذكره ؛ ولا يجوز زيف الكلام على ذهنه المقيد ، ولا يثبت غناء الكلام لدى خاطره المتقيد ؛ «عبد الحميد»

(١) هذه عبارة أخرى تكتب بدل الأولى ولا يجمع بينهما أى فالكتاب مخبر في تصدير مقاله بأحدهما

كـ «مَبْدُ الرَّحِيمِ» فى العَجَزِ عن لِحَاقِ عُلُومِهِ الَّتِى يَحِدُّ «الرَّاعِبُ» عَلَى نُورِهَا هُدًى ،
وَالْأَصْمَى لَوْ أَدْرَكَهُ لَسَلَا عَلَيْهِ : (هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا)
«وَالطُّغْرَايَ» لَوْ عَاصِرُهُ لَزَادَ نَظْمُهُ وَأَزْدَادَ عَلَى نُورِهِ هُدًى ، وَ«الْحَرِيرَى» لَوْ رَافَقَهُ
لَا مِثْنُ فِى «مَقَامَاتِهِ» مِنَ التَّجْرِيعِ وَالرَّدَى ؛ قَدْ قَصُرَتْ عَنْ غَايَةِ كِمَالِهِ جِبَادُ الْقِرَافِخِ ،
وَعَجَّزَتْ عَنْ وَصْفِ صِفَاتِهِ جَمِيعُ الْمَدَامِخِ ؛ وَشُرْفُ مَنْصِبِهِ بِأَنْتِسَابِهِ إِلَيْهِ ، وَرُفِيعُ
قَدْرُهُ بِمَثْوَلِهِ لَدَيْهِ ؛ مَعَ مَا تَمَيَّزَ بِهِ مِنْ نَزَاهَةِ صَرْفِهَا عَنِ الدُّنْيَا طَرَفَهُ ، وَزَهَادَةِ زَانَتْ
بِالسَّعْدِ صُدْرَهُ وَمَلَأَةِ مَلَأَتْ بِالْعِفَّةِ كَفَّهُ ؛ فَهُوَ وَاحِدُ زَمَانِهِ ، وَأَوْحَدُ أَوَانِهِ ، وَالْبَحْرُ
الَّذِى يُحَدِّثُ عَنْ فَضْلِهِ وَلَا حَرَجَ ، وَالرُّوْضُ الَّذِى يُنْقَلُ عَنْ فَضْلِهِ إِلَى الْأَشْمَاعِ
أَطِيبُ الْأَرْجَ ؛ وَكَانَ قَدْ مَالَ عَنْ مَنْصِبِهِ وَهُوَ يَذْكُرُهُ ؛ وَفَارَقَهُ وَهُوَ يَسْكُرُهُ ، وَنَادَى
غَيْرِهِ وَبِقَوْلِهِ يَلِئْ ، وَشُغِلَ بِغَيْرِهِ وَهُوَ يَقُولُ حَسْبِى «شَهَابُ الدِّينِ» حَسْبِى :
(فَلَمَّا رَمَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّى) . فَلَمَّا حَصَلَ لَهُ الْإِسْتِنَاسُ ،
وَزَالَ عَنْهُ الْقَلَقُ وَالْإِلْتِبَاسُ ، قَالَ : (ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَطَى النَّاسَ) -
أَقْنَضَى حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفُ أَنْ تُخَصَّصَهُ بِأَسْتِقْرَارِ رُبُوبَتِهِ لَدَيْهِ ، وَأَنْ نَسْتَمْتَرَهُ عَلَى
وُظُفَتِهِ السَّنِيَةِ أَسْتِمْرَارَ السُّعُودِ الْمُقْبِلِ عَلَيْهِ .

فَرَسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ شِهَابُ سَعْدِهِ لَامِعًا ، وَتَحَابُّ كَرَمِهِ هَامِعًا ،
وَمُطَاعُ أَمْرِهِ لِمَصَالِحِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا جَامِعًا ؛ - لِمَتَابِقِهِ الَّتِى وَفَّرَتْ مَيَامِنَهَا ، وَأَسْقَرَتْ
بُوضْفِ آثَارِهِ الْحَسَنَةِ كَوَامِلَهَا ؛ وَأَنْ يُعَادَ إِلَيْهَا كَمَا يُعَادُ السَّوَارُ إِلَى الرَّنْدِ ، أَوْ كَمَا يَعُودُ
نَسِيمُ الصَّبَا إِلَى الرَّنْدِ . فَلْيُؤْنَسْ مَنْصِبًا كَانَ إِلَيْهِ مُشْتَقًّا ، وَجَلِيسًا كَانَ مُشْتَظًّا أَنْ يَزُرَّ
مِنْ مَلَابِسِ جَلَالِهِ عَلَى عُتْقِهِ أَطْوَاقًا ؛ وَلِيَجْمَلَ هَالَةً كَانَتْ . تَشْوَقُهُ إِلَى عُقُودِ دُرِّهِ .
فَأَحْمَدُ اللَّهِ عَلَى مَا خَصَّصْنَاكَ بِهِ مِنْ مَزِيدِ الْأَعْتَاءِ ، وَأَنْ السَّعَادَةَ فِى أَيَّامِنَا الشَّرِيفَةِ

متصلةً تشتمل الآباء والأبناء ؛ ويخفك بهذا التوقيع الشريف إذ بلغت به جميع
 الأمانى ، وتوجناه بيميننا الشرفة لقرب عهدها بمصاحفة الركن اليماني ؛ وأصطفيناك
 بقلم عظم شأنًا بتلك الشُّور ، وغدا معموراً بالهداية ببركة البيت المعمور ، وأزداد
 بمشاهدة الحرم الشريف نوراً على نور . فليحسن نظره المبارك في ذلك كله ،
 وليؤيد ما يحسن في هذه الوظيفة من مثله ؛ وفي تقدّم مباشرته في هذه الوظيفة
 وعلمه ما يفني عن كثرة الوصايا ، ويلاكها تقوى الله تعالى وهي أكل المزايا ؛
 وليجهد أفعاله ويصل أسباب اعتمادِهِ بسببها ؛ والله تعالى يُجمل له مواهب
 تحويله ، ويعمل له الخير في تنقله وتحويله ؛ والخطُ الشريف أعلاه ، حجةً بمقتضاه ،
 إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بكتابة السر :

الحمد لله الذى جعل خواطر أوليائنا بإقرار نعمنا مستقرة ، ومواطر آلينا على
 ذوى الإخلاص فى ولائنا دائمة الدِّيم مستمرة ، وبشائر رضانا تجدد لكل من ذوى
 الاختصاص آبتهاجه وبشره ، وسوافر أوجه إقبالنا لأولى الاصطفاء والوفاء مشرقة
 الأوضح متلهة الأسره ، مودع أسرار ملكنا الشريف من آل «فضل الله» عند
 أكرم أسرهِ ، ومتمتع دولتنا بخير كافٍ دقق فى مصالحنا فكره ، وأنفق فى مناجنا عمره ،
 ونجس آرائنا على أعلى على حل من بهر بيته بمعرفته وبهر خبره ، ومطلع أنجهم
 بأفئ تقريننا مرة بعد مرة ، فنحى نيرهم الأكبر وقد شيدنا بإرتقائهم بيته وشدنا
 بعلامهم أزره .

نحمده على أن جبَل بجانائنا ، على الإحسان والمبره ، ونشكره على أن أبزل عطائانا ،
 لمن لم يزل يعرف حقه ويألف خبره ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

شهادة تشرح لؤمنها صدره ، وتصلح لموقفها أمره ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده
ورسوله الذى أسمى على الخلائق قدّره ، وتولى فى المضائق نصره ، وأعلى فى المشارق
والمغارب ذكره ؛ صلى الله عليه وعلى آله أعزّ عثره ، ورضى الله عن أصحابه الذين
أسدوا المنة وسدوا الثغرة ، صلاة ورضوانا متواصلين فى كل أصيل ومكرّرين فى كل
بكرة ، ما وهب فضل الله مسيحنا فسرّ بالعواطف والعوارف سرّه ، وعقب فى سماء
الإسعاد كوكب كوكبا خلل محله وقتر مقّره ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد فسيمنا نرى لأوليائها حقوقا ، ونعمنا الفاهرة تُسنى صدقاتها لمن لم يزل
فى ولائها صدوقا ، وتزيد هباتها توفيرا لمن عاهدت منه لمراضها توفيقا ، وتُجسد
بتعاهدها معهد الفضل فلا يمسي خليا بل يضجى بأكرامها خليقا ، وتشدّ بإحسانها
بيتا أسس على تقوى الله وطاعة سلطانها فعدا بال حفظ حقيقا ، ونمحي بأعتنائها جوانبه
من الغير فلا يرهب حياه لها طروفا ، ولا تجد بفضل الله لها عليه طريقا ، وتطلع
فى بروج سعودها زهرا تروق شروفا ، وتجمع على مهماتها من عظموا فضلا وكرموا
فريقا ، وتودع أسرارها عند سرّاتهم ركونا إليهم وسكونا ورضا بهم وثوقا ، وتسفع
مناحتها بمنايح تزيد أمانهم تحمينا ، وترفع مكانا عليا إلى حيث
أسع السرار من ملكها من كان باليأمن مليا وفى المحاسن عريقا ، ويخلف فى خدمها
شقيق منهم شقيقا ، ويصرف أوامرها ونواهيها من أعيانهم من تأمن المصالح مع
اجتهاده ، تفويتا وتخاف الأعداء لسداده ، تعوقا ، طالما أتمنّاهم على إيداع أسرارنا
خلّت من سرّاتهم مستودعا وثيقا ، وعينوا للعلى فصادفت طويتنا من يقطبتهم
ونهبتيهم تصديقا ، فهم أولى أن نجعل لأجسادهم بقود جودنا تطويقا ، وأحق أن
نرفع بنمنا محلمهم ، ونجمع فى خدمتنا شملهم ، فلا يخشون نقضا ولا تفريقا .

ولما كان المجلس العالى الفلانى هو الذى لحقته عنايتنا، فَمَلّا فَمَلّا، وأيقظته إشارتنا، فَعَدّا فى الحكم كَهَلّا، وحَفِظته رعايتنا، فَعَمَرَت بينه العمرى الذى مازال بالعوارف مأموحاً وللقبول أهلاً، وأحفظته سعادتنا، فى إقامته مُقام أبيه فى حِفْظ أسرارنا التى هو أحقُّ بإبداعيها وأولى - آتضى حُسن الرأى الشريف أن تُجرى بمراسمنا أقلامه، ونوفّر من إناعامنا أقسامه .

فلذلك رُسِم بالأمر الشريف - لا بَرَحَتْ صحابته عامه، ومواهبه لها مزيد وإدامه، ورعايته إذا أبتدأت فضلاً رأت إتمامه، وكواكبه تسيّر فى منازل عزّها ولتبرها الأَكْبَر الإرشاد والإمامة - أن يُفَوّض إليه كذا وكذا، على أجل العوائد، وأكل القواعد، نظير ما كان مستقراً لأخيه .

فلْيَبْشِرْ هذه الوظيفة التى لها به وبأهله أعظم نَخَار، وليُحَلِّ هذه الرتبة التى ما منهم إلا مَنْ لها يُحتَبَى ويُستَخَار، وليُجَمِّل هذا المنصب الذى إليهم مَصِيرُهُ فى جميع الأمصار، وليُحَلِّ المَهَارِق بانשאآتة التى شان مُطَاوَعَهَا عن شَأْوَها الإقْصَار، وليَتَوَقَّل هذه الهضبة التى لها على عُلَيَّائهم اقْتِصَار، وفى آبَائهم وأبنائهم لها تَعْيِينَ وأَحْصَار، وليَسَدِّج الطُروس من خَطِّه بالوشى الرقيم، وليُبْجِج النفوس من خِطابهِ بالدُرِّ النظيم، وليُنْجِج الشُّموس من أوضاع كَاتِبَتِهِ التى تُبْرِز من إبريز كُنُوزِها «أَبْنِ العَدِيم»، وليُجَهِّز البُرْد التى تَقْدُمُهَا مَهَابَتُنَا فلم يَكُنْهَا من كَاتِبِ الأعداء هَزِيم، وليَزِين مقاصدها التى قُرْن بها الفتحُ القريب والنصرُ العزیزُ والفضلُ العظيم، وهو بحمد الله غَفَى عن الإرشاد بالوصايا والتفهيم، على القَدَر لا يَحْتَاج مع المَعِيَتَةِ إلى تَنْبِيهِ ولا إلى تَعْلِيم، وهم أُمَمٌ هذه الصنّاعة ولهم الفضل القديم، وسبيلهم السَّوْى وصرّاتهم القويم، والله تعالى يُوفِّرْ لهم فضلنا العميم، ويُظَفِّرْ أقدارهم من لَدُنَّا

بتكرير التكريم، ويُسنّى أمرهم فى آفاق العلياء يُسعدُ ويُقعدُ ويُقيم، ويدِيمُ لكلِّ منهم
فى ظلِّ نعمتنا المزيده والتأكيد والتقديم؛ والعلامة الشريفة أعلاه، حجةً بقتضاه،
إن شاء الله تعالى.



وهذه وصية لكاتب السر، أوردها فى "التعريف" وهى :

وليأمر عنا بما يقابل بالامتنال، ويقال به : السيف لأفلامه مِثال؛ ويبلغ
[من] ملوك العدا ما لا تبلغه الأسنة، ولا تصل إليه المراكبُ المُشرعة القلوع والخيولُ
المطلقة الأعنة؛ وليرفع عنا بما تذهب الأيامُ ويبقى، ويحلّد من الحسنة ما يلقي
آخرةً ويلقى؛ ويميل من لدنه من غرر الإنشاء ما يطرز كلَّ تقليد، وتلقى إليه المقلد؛
ولينفذ من المهمات ما تحجب دونه الرماح؛ وتنجيم عن مجارة خيل البريد به الرياح؛
وليتلق ما يرد إلينا من أخبار الممالك على أنساع أطرافها، وما تضمه ملاءة النهار
ملاء أطرافها؛ ولحسين لدينا عرضها، وليؤد بادائها وإجب الخدمة ولئيم قرضها؛
وليحب عنا بما استخرج فيه مراسمتنا المطاعة، وبما وكل إلى رأيه فسمع له
الصواب وأطاعة؛ ولينض ما يصدر عنا مما يحوب الآفاق، ويزكو على الإنفاق،
ويحول ما بين مضر والعراق، ويظير به الحمام الرسائل وتجرى الخيل العتاق؛
ولير الثواب ما أبهم عليهم بما يُريهم من ضوء آرائنا، وليؤدّ عندهم أسباب الولاء
بما يؤلى إليهم من عميم آلائنا؛ وليأمر الولاء بما يقف به كلُّ منهم عند حده
ولا يتجاوزَه فى عمله، ولا يقف بعده على سواه بأمله؛ ولينول تجهيز البريد،
وأستطلاع كلِّ خبر قريب وبعيد؛ والتجابة وما تسير فيه من المصالح، وتأخذ منه
بأطراف الأحاديث إذا سالت منه بأعناق المعطى الأباطح؛ وأمور النصحاء والقصداء،

ومن يَظَلُّ سِرَّهُم عنده إلى مَحْفَرَةِ أَعْيَا الرِّجَالِ آنصداعُها وهم شَتَّى في الْبِلَادِ؛ وَلِيَعْرِفَ
حَقُوقَ ذَوِي الْخِدْمَةِ منهم، وَأَهْلِ النَّصِيحَةِ الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَلَا يَنْسَ
عَوَانِدَهُمْ مِنْ رُسُومِ إِحْسَانِنَا الْمَوْطَفِ، وَكِرْمِنَا الَّذِي يَسْتَمِيلُ بِهِ الْقُلُوبَ وَيَتَأَلَّفُ؛
وَلِيُصَيِّرَ السَّرَّ بِجَهْدِهِ وَهَيَاتَ أَنْ يَخْتَفِيَ، وَلِيَحْجِبَهُ حَتَّى عَنْ مِسْمَعِيهِ فِيمَا الثَّلَاثَةِ غَيْرِ
الْخَفِيِّ؛ وَالْكَشَافَةِ الَّذِينَ هُمْ رِيثَةُ النَّظَرِ، وَجَلَابَةُ كُلِّ خَبَرٍ؛ وَمَنْ هُمْ أَسْرَعُ طُرُوقًا
مِنَ الطَّيْفِ، وَأَدْخَلُ فِي نُحُورِ الْأَعْدَاءِ مِنْ ذُبَابِ السَّيْفِ؛ وَهَمُّ أَهْلِ الرِّبَاطِ لِلتَّحْيِيلِ،
وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ هُوَ مُقْبِلٌ وَمُذْرِكٌ كَاللَّيْلِ؛ وَالذِّيَابُ وَالنَّظَارَةُ، وَمَنْ يَعْلَمُ بِهِ الْعِلْمُ
الْيَقِينَ إِذَا رَفَعَ دُخَانَهُ أَوْ نَارَهُ؛ وَهَمُّ فِي جَنَابَاتٍ حَيْثُ لَا يَخْفَى لِأَحَدٍ مِنْهُمْ مَنَارٌ،
وَلَا يَزَالُ كُلُّ نَبِيٍّ بِتَنْوِيرِهِمْ كَأَنَّهُ جَبَلٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ؛ وَالْحَمَامُ الرِّسَالِيُّ وَمَا يَحْمِلُ مِنْ
بَطَائِقٍ، وَيَتَحَمَّلُ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا لَيْسَ سِوَاهُ [لَهُ] بِطَائِقٍ؛ وَيَخُوضُ مِنْ قَطْعِ الْأَنْهَارِ،
وَيَقْطَعُ إِلَيْنَا مَا بَعْدَ مَسَافَةِ شَهْرٍ وَآكْثَرَ مِنْهُ فِي سَاعَةٍ مِنْ نَهَارٍ؛ وَيَعِزُّمُ السَّرَّ لَا يُلَوِّى
عَلَى الرَّبَاعِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ مَلَائِكَةِ النَّصْرِ لِأَنَّهَا رُسُلٌ وَلَهَا أَجْنَدَةٌ مَتْنَى وَثَلَاثَ
وَرُبَاعٍ؛ وَغَيْرَ هَذَا مِمَّا هُوَ بِهِ مَعْنُوقٌ، وَإِلَيْهِ تُحْدِثُ بِهِ التُّوْقُ؛ مِنْ رُسُلِ الْمُلُوكِ
الْوَارِدَةِ، وَطَوَائِفِ الْمُسْتَأْمِنِينَ الْوَاقِدَةِ؛ وَكُلُّ هَؤُلَاءِ [هُوَ لَا] مَا لَمْ يَتَرَجَّمْ، وَالْمَصْرُوحُ
عَنْ حَالِهِمُ الْمُحْمَجِّمِ، فَلْيَعَايِلْهُمْ بِالْكَرَامَةِ؛ وَلْيُوسِّعْ لَهُمْ مِنْ رَاتِبِ الْمُضَيِّفِ مَا يَحْبِبُّ
إِلَيْهِمْ فِي أَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ الْإِقَامَةِ؛ وَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ هُوَ لَتَيْنَا الْمُسْتَشَارُ الْمُؤْتَمَنُ، وَالسَّفِيرُ الَّذِي
كُلُّ أَحَدٍ بِسِفَارَتِهِ مَرَّتَيْنِ؛ وَهُوَ إِذَا كَتَبَ بَنَاتُنَا، وَإِذَا نَطَقَ لِسَانُنَا؛ وَإِذَا خَاطَبَ
مَلِكًا بِعِيدِ الْمَدَى عُنُونَاتُنَا، وَإِذَا سَدَّدَ رَأْيَهُ فِي نُحُورِ الْأَعْدَاءِ سَهْمُنَا الْمُرْسَلُ وَسِنَانَاتُنَا؛
فَلْيُزِيلْ نَفْسَهُ مَكَانَهَا، وَلْيَنْظُرْ لَتَيْنَا رَبَّتَهُ الْعَلِيَّةَ إِذَا رَأَى مِثْلَ النُّجُومِ عِيَانَهَا.

فَلْيُرَاقِبِ اللَّهَ فِي هَذِهِ الرِّبَةِ، وَلْيَتَوَقَّ لِذِيْنِهِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيْعُ عَنْدهُ مِثْقَالُ حَبَّةٍ،
وَلْيَخَفْ سُوءَ الْحِسَابِ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ؛ وَجَمَاعَةُ الْكُتَّابِ بِدِيَوَانِ الْإِنْشَاءِ بِالْمَالِكِ

الإسلامية هم على الحقيقة رعيته ، وهما بما يُتمهم به من الآلاء والمعيشة ؛ فلا تستكتب إلا من لا يجد عليه عاتبا ، ولا يجد إلا إذا قعد بين يديه كتابا ، والصايا منه تُستملى .

الطبقة الثانية

(من أرباب الوظائف الديوانية بالحضرة السلطانية أصحاب
التواقيع ، وهم على ثلاث درجات)

الدرجة الأولى

(ما يكتب فى قطع النصف بـ «المجلس العالى» وكلها مفتحة بـ «الحمد لله»)
وتشتمل على ثلاث وظائف سوى ما تقدم أنه نقل إلى رتبة التقاليد ، وهو كتابة السر .

الوظيفة الأولى

(نظراً لخاص)

وقد تقدم فى الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أنها وظيفة محدثة ، أحدثها السلطان الملك الناصر « محمد بن قلاوون » حين أبطل الوزارة ؛ وأن أصل موضوعها التحدث فيما هو خاص ببال السلطان ؛ وأن صاحبها صار كالوزير لقربه من السلطان وتصرفه فى تدبير جملة الأمور ، وتعيين المباشرين ، إلا أنه لا يقدر على الاستقلال بأمر ، بل لابد له من مراجعة السلطان . وقد تقدم ذكر ألقابه فى الكلام على مقدمة الولايات من هذا الفصل ، وعلى طرزة توقيعهم فى الكلام على التواقيع .

وهذه نسخة توقيع بنظر الخاص ، كُتب به للقاضى شمس الدين موسى بن عبد الوهاب فى الأيام الناصرية « محمد بن قلاوون » وهى :

الحمد لله الذى جعل كلَّ جُرح بنا يُوسى، وعَجَّلَ كلَّ نعمة تُبدل بوسا، وتغيَّرَ بالسُّرور من المساء لبوسا .

نحمدُه حمداً يشرح صدورنا ويسر نفوسنا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ترفع لقائليها رُعوسا ، وتُطْلِع في آفاق ممالك الشريفة شُموسا ، وتُنشِئ في أيامنا الزاهرة غُرُوسا ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى بَشَّر به موسى، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تملأ طُروسا ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعدُ ، فإن العمل بالسنة أولى ما يمسك به المتمسك ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : «أبدأ بنفسك» ؛ وكانت الخواص الشريفة هي المصلحة الخاصة بنا، المتعلقة دون كل شيء بأنفسنا ؛ لأن من خزائنها العالية تتفرق مواهبنا الشريفة في الوجود، وتحتل معاطف الأمراء والجنود ؛ وكان فيها من لم يزل هو وبنوه قائمين بها أحسن قيام، [و] فيها من ممالك الشريفة ما يضيأى بمدده النام ؛ من حضر منهم لا يتفقد معه من غاب، ومن كتب منهم في شيء من مصالحها قال الذى عنده علم من الكتاب ؛ كم أجزت صدقاتنا الشريفة بأقلامهم من إناعام، وتقسّموا في مصالحنا الشريفة هذا في الخاص وهذا في العام ؛ طلبا أنقطع والدُّهم رحمة الله تعالى بعذر فُشوا الأمور على أكل سداد، وأبجل أعتماد، وأتم مالو حضر أبوهم وكان هو المتولى لما زاد؛ فما خلت في وقت منه ، أو من أحد منهم لما غاب من بقي يسد عنه ؛ فلم يزل منهم ربُّها مأنوسا ، ولا سُئِلَ فيها عن قصة إلا وأُنْبات بها مُحفُّ إبراهيم وموسى .

وكان المجلس العالى فلان هو الذى تفرّد آنحراً بهذه الوظيفة ، وأسْتَقِلَّ فيها بين أيدينا الشريفة ؛ وسافر فيها إلى نهر الإسكندرية - حرمها الله تعالى - فأقترت بين تصرفه، وحسن تعفُّفه ، وعدم فيها المضاهى لأنه لا شيء يضيأى الشمس إذا حلَّ

سُرَّها فى مَنَازِلِ شَرَفِهِ ؛ كَمْ كَفَتْ لَهُ كِفَايَهُ ، وَبَدَتْ بِدَايِهِ ، وَكَمْ بَلَغَ مِنْ غَايَةِ
 كَمِّ لَهُ مِنْ هِمِّهِ ، وَكَمْ تَقَدَّمَتْ لَهُ قَدَمٌ ، وَكَمْ اعْتَرَفَ السِّيفُ بِزِ الْقَلَمِ ؛ كَمْ لَهُ فى خِدْمَةِ
 الْمَقَامَاتِ الْعَالِيَةِ أَوْلَادِنَا أَثَرُ جَمِيلٍ ، وَفَعَلَ جَلِيلٌ جَلِيلٍ ، وَسُلُوكٌ فَلَا يُحْتَاجُ فى الشَّمْسِ
 إِلَى دَلِيلٍ ؛ كَمْ أَحْسَنَ فى مَرَّةٍ ، كَمْ رَدَّدَنَاهُ إِلَى الْكَرْكِ كَرَّةً ؛ كَمْ غَلَبَ عَلَى السَّحَابِ
 فَرَقُّ إِلَيْهَا ، وَبَلَغَ التَّجَوُّمَ وَلَهُ قُدُومٌ عَلَيْهَا ؛ فَلَمَّا آتَنَقَلَ وَالِدُهُ الْقَاضِي تَاجُ الدِّينِ
 عَبْدُ الْوَهَّابِ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، أَحْتَاجَ إِلَى تَوْقِيعِ شَرِيفٍ بِالِاسْتِقْلَالِ فى وَظِيفَةٍ
 نَظَرَ الْخَاصَّ الشَّرِيفَ الَّتِى خَلَتْ عَنْ أَبِيهِ ؛ لِيَعْلَمَ كُلُّ مُتَطَاوِلٍ إِلَيْهَا أَنَّهُ لَا يَصِلُ
 إِلَيْهَا مَعَ وُجُودِ بَنِيهِ ؛ فَا عَادَ إِلَّا وَعَادَ بَعَيْنَ الْعِنَايَةِ مُحْرُوسًا ، وَلَا أَقْبَلَ عَلَى كَرَمِنَا
 إِلَّا قَالَا (قَدْ أُوتِيَتْ سُلُوكُكَ يَا مُوسَى) .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - زَادَ اللَّهُ شَرَفَهُ ، وَمَكَّنَ فى الْأَرْضِ تَصَرُّفَهُ - أَنْ
 يَفُوضَ إِلَيْهِ نَظَرَ الْخَاصَّ الشَّرِيفِ بِالْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، عَلَى عَادَةِ وَالِدِهِ
 رَحِمَهُ اللَّهُ فى هَذِهِ الْوِظِيفَةِ ، وَقَاعِدَتِهِ فى رُتْبَتِهَا الْمُتَنَفِّهِ ؛ لِيَقْضَى مَا كَانَ فى خَاطِرِ أَبِيهِ
 مِنَ الْوَطَرِ ، وَلِأَنَّهُ فى أَمْثَالِهِ عَيْنُ الْأَعْيَانِ وَالْعَيْنُ أَوْلَى بِالنَّظَرِ .

فَلْيَأْسِرْ مَا أَنْعَمَتْ بِهِ صِدْقَاتُنَا الْعَمِيمَةُ عَلَيْهِ عَلَى مَا عَاهَدَ [مِنْهُ] بِالْأَمْسِ ، وَعَرِفَ بِهِ
 مِنْ حُسْنِ السُّلُوكِ كَمَنْ يَمْشِى فى ضَوْءِ الشَّمْسِ ؛ وَلِيَقْتَدِمَ تَقْوَى اللَّهِ وَالْأَمَانَةَ فَهَمَّا
 أَفْضَلُ مَا يُقْتَدَمُ ، وَأَجْمَلُ مَا يَعْمَلُ بِهِ مَنْ تَقَدَّمَ ؛ وَالتَّهَضُّةُ فَإِنَّهَا هِىَ الَّتِى تُقُومُ بِهَا
 الْمَصَالِحُ ، وَالتَّصَدُّى لَهَا هُوَ بِصَدَدِهِ فَإِنْ بِهِ يَتِمُّ كُلُّ عَمَلٍ صَالِحٍ ؛ وَلِيَحْتَفِظَ عَلَى
 الْخِزَانَةِ الْعَالِيَةِ ، وَلِيَكُنَّ فِيهَا كَوَاحِدٌ مِنْ رُقَقَتِهِ عَمَلًا بِالْعَادَةِ [فِيهَا] ، وَلِإِلَّا فَتَحْنُ نَعْلَمُ مِنْ
 كِفَايَتِهِ [أَنَّهُ] يَكْفِيهَا ، وَلِيَنْتَمِرَ الْجِهَاتُ الَّتِى إِلَيْهِ مَرَجِعُهَا ، وَالْأَمْوَالُ الَّتِى يَدُومُ إِلَيْهَا مِنَ
 الْعَيْنِ تَطْلُمُهَا ؛ وَلَيْسَتْ تَجْلِبُ خَوَاطِرَ الثُّجَّارِ بِإِصْصَالِ حَقُوقِهِمْ إِلَيْهِمْ ، وَالْقَائِمِينَ فى خِدْمَةِ

أبوينا الشريفة بتعجيل ما شئتم به صدقاتنا الشريفة عليهم ؛ وليكن إلى ما تبرؤ به
مراحمنا الشريفة مسارعا ، ولها في كل ما أشكل عليه من الأمور مُراجعا ، وبقية
هذا من كل ما يحتاج أن نُوصيه بتعلمه فقد علم مما جرت به عادتنا الشريفة بأن
نقوله في مثله ، ولهذا نختصر في الوصايا التي نُشرح آكتفاء بما آناه الله بنا من
فضله ؛ والله تعالى يأخذ به إلى النجاح ، ويفتح له بنا أحسن الأفتاح ؛ والاعتماد
على الخط الشريف أعلاه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بنظر الخالص :

الحمد لله الذي جعل خواص النعم لملكنا الشريف لأجلها ، ونفائز الذخائر من
دولتنا القاهرة بمجملها ، وأخاير المفاتيح مبسوطا في أيامنا ظلها .

نحمده بحمائده التي لا تمليها ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
أشرق مستهلها ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي خُتِمَ به أنبيأؤها ورُسُلها ،
وبعثه الله للأرحام بيئها ، وللأولياء يجلها ، وللأعداء يذلها ، وللسيوف النصر من
الشمود يسئلها ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما شئت على مطية رحلها ، وعلى المراتب
أهلها ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن خزان ملكنا الشريف مستودع كل ثمين ، وممالكنا المعظمة لا تُعاق
إلا بالثقة الأمين ؛ ومتاجر خواصنا الشريفة لا يُقرها إلا من رأيه يعصد قلبه في إيمان ،
والتجهر المحروس لا يقوم ببناء محبوسه إلا من له جزم سيدي وعزم متين ، ونظر
الخواص هو الذروة العالية فرتقيها على كل ما يعترضه معين .

ولما كان فلان هو المختار على يقين ، والمخطوب لهذا المنصب ليزيده فى التحسين والتحصين ، والذي إن نظر فى القليل عاد كثيرا بالألوف والمئين ، فإن دبر تدبيرا حفيظ وحرس وصين ، وضبط فى حسن الاعتماد بلغ إلى الصين ، وإن توجه إلى الثغر المحروس تفجر له عن أمواله الجمة ، وأخرج له من فاجر الخلل ما حسن راقه رقه ؛ وصدر عنه إلى أبوابنا الشريفة بالتحف المئنة ، والمحول التى أوقرت السفن فى النيل ، والإبل فى السيل ، فأزال الغمه ، وأثار الأمور المندلمة ، ونشر ما طواه لدينا فشكلنا له ما تقدم به مما أتمه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف فليأثر هذا المنصب الكريم بتدبير يصلح الفاسد ، ويُنقِى الكاسد ، ويُنكِت الحاسد ؛ ويكثر الأموال ، ويُسعد الأحوال ؛ ويتمر الذخائر ، ويسر السرائر ؛ ويوفر حاصل الجواهر ، ويكثر التحف من كل صنف فاجر ؛ ويوفى المهمات الشريفة حقها فى الأول والآخر ، وينشر التشاريف كالأزاهر . وليختار الأمانة الثقات ، وليحرر كل منهم المقات ، وليسع لخاصنا الشريف وينشر بالأرباح فى سائر الأوقات ؛ ولينلق تجار الكارم الواردين من عدن ، باستجلاب الخواطر وبسط المئن ، ونشر المعاملة عليهم ليجدوا من اليمن ما لم يجدوه فى اليمن ، وكذلك تجار الجهة الغربية الواردين إلى الثغر المحروس من أصناف المسلمين والفرنج : فليحسن لهم الوفاة ، وليأمنهم بالمعاملة المستفاده ، فإن مكاسب الثغر منهم ومن الله الحسنى وزيادة . والوصايا كثيرة وهو غنى عن الإعادته ، و [ملاصكا] تقوى الله فليقتف رشاده ، وليصلح مآبه ومعاده ، ولا يتدنس بأفذار هذه الدنيا فلانها بحرة وقادة ، والله تعالى يجرس إرفاقه وإرفاقه ، بمنه وكرمه ! : بعد الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه ؛ إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثانية

(نظر الجيش)

وقد تقدّم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أن موضوعها التحدث في الإقطاعات بمصر والشام، والكتابة بالكشف عنها، ومشاورة السلطان عليها، وأخذ خطّه . وقد تقدّم ذكر ألقابه في جملة الألقاب في الكلام على مقدمات الولايات من هذا الفصل، وتقدّم ذكر ما يكتب في طرّة تقليده في الكلام على التواقيع .

وهذه نسخة توقيع بنظر الجيش :

الحمد لله الذي عَدَّقَ^(١) بالأَكْفَاء مصباح الجنود ، وصَرَّفَ أَقْلَاهُمْ فيما يُنْقِطُهُ من الجنود ، وَاجْتَبَى لِمَرَاتِبِ السِّيَادَةِ مِنْ تَحْتِهِ الْأَقْلَامُ فِي الْعَطَايَا الْبَيضِ وَالسُّيُوفِ فِي الْخُطُوبِ السُّودِ .

نَحْمَدُهُ وَهُوَ الْمُحْمُودُ ، وَنُشْكِرُهُ شُكْرًا مُشْرِقَ الْمَيَامِينِ وَالسُّعُودِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً عَذْبَةً الْوُرُودِ ، يَجِدُّ الْخَلِصَ بِرُكْنِهَا يَوْمَ الْعَرْضِ (ذَلِكَ يَوْمَ مَجْمُوعٍ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ) وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَخَفَّتْ بِهِ جِيُوشُ الْإِسْلَامِ مَشْهُورَةَ الْأَثْوِيَةِ وَالْبُنُودِ ، مَنْصُورَةَ السَّرَايَا فِي التَّهَائِمِ وَالنُّجُودِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا أَوْرَقَ عُودُ ، وَأَوْجَلَّ نَهَارُ السُّيُوفِ فِي لَيْلِ الْقُمُودِ ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا .

وبعد ، فَإِنَّ أَجَلَ رُتَبِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الشَّرِيفَةِ مُرْتَقٍ ، وَأَجْمَلُهَا مُتَقٍ ، وَأَكْرَمُهَا هَادِيًا حَتَّى يَبْقُدَ السِّيَادَةَ مَقَرِّقًا ، رَتَبَةً حَكْمًا مَرْتَبِيهَا فِي أَرْزَاقِ الْجُيُوشِ الَّذِينَ هُمْ حُمَاةُ الدِّينِ وَأَنْصَارُهُ ، وَلَهُمْ رَوَاحُ الظُّفْرِ وَآثَارُهُ ؛ وَلِهَذَا لَا يَحْتَطُّ بِسَنَمِهَا إِلَّا مَنْ عَلَا مِقْدَارًا ، وَشَكَرَتِ الدَّوْلَةُ الشَّرِيفَةُ لَهُ آثَارًا ؛ وَجِيَتْ عَلَيْهِ السَّعَادَةُ أَنْوَابُهَا ،

وأوكفت عليه محابها، وأزنته ساحاتٍ ورحابها؛ وغدت لأخاديتِ عليّاته تروى،
وحيد المسور والمنشور والمطوى .

ولما كان فلان هو الذى تمت مائرُهُ، وكُرمَت مفايرُهُ، وأسنوتُ على العلياء
مَظَاهِرُهُ؛ وشكر استبصارُهُ وجياطتُهُ، وكل سلوكُهُ منهج الفَخَّارِ وجادته؛ وأخصى
الجُودِ عدداً، وإن كثروا النجومَ مدداً؛ وأحاط بالأرض المُقطَّعة، فلم تكن نواحيها
عنه ممتنعة؛ ولم يُغادر منها شيئاً إلا أحصاه، وأتبع سببَ مرَاضينا حتى بلغ أقصاه؛
فالعلم يُثني عليه والعلمُ، والحربُ والسلمُ يشكرانه لمناسبة نظره القرطاسَ والقلمَ -
أقتضى حسنُ الرأى الشريف أن نرقِّيه هَضْبَةً ساميةَ العُلَى، فاحرَّةَ الحِلَى؛ ومنبَعِ
أرزاقِ أئمةِ الفضلِ وأبطالِها، ورتبةً شهيدِ مثأَلها بدمِ مثأَلها .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه

فليأشر هذه الوظيفةَ المباركة، وليُحلَّ ذراها الأسمى، وليجعل أطلاعه على
الجيوش المنصورة حتى لا يُغادر منها أسماً؛ لتغدو مصالحُها وريقةَ القِرَاسِ بأسقه،
وعقودُها نفيسةَ الفرائدِ متناسقه؛ وليُجرِ نظره المبارك فيما صرَّفناه فيه، أخذاً يمينَ
السِّدادِ من فعله وحسنِ التنفيذِ من فيه؛ مُلزِماً مَنْ تحتَ نظره بإتقان ما هم بصددِهِ
من العُروضِ والأمثلة، حتى تغدو لديه ممثله؛ مُحَرِّراً للإقطاعاتِ وعِلْمَ خَفَاياها فيما
تَهَبُّه وتُقطَّعه، ونصله وتُقطَّعه؛ والمقايضاتِ وإن اختلفت، والإفراجاتِ وإن
اكتنفت، والمغلَّاتِ الآتية والأخرى التى سَلَفَتْ؛ وما يخصُّ المتَّصل، من فعل
المُتَّصِلِ؛ والمتَّصلِ والعِزَّةِ، والخاصِ والمُتَّدةِ لذوى الإِمره؛ ومنها مصرى لاغنى
عن تحريره، وشامى يفتقر إلى الإِتيانِ فى قليلِهِ وكثيرِهِ؛ وليُنظرَ فيمن له جامِكَةٌ
أو إقطاعٌ مُجَزَّل، وكلاهما فى دولتنا سِمَاك : هذا رايحٌ وهذا أعزَل .

هذه وصايا جمه ، وأنت غني عن أن يستغنى القلم ذكرها أو يجهلها ، والله تعالى
يجعل به رتبته ، ويبلغه أربه ، ويرفع عليه لواء المجد وعذبه ، بعد العلامة الشريفة
أعلاها الله تعالى أعلاه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسمة توقيع بنظر الجيش :

الحمد لله الذي أعز الجيوش المنصورة ، وجز أعناق العدا بالسيوف المشهورة ،
وهز ألوية التأييد المشهورة ، وجعل الجاهل مشرفة وأجنتها خافقة وساقها محدقة
وقلوبها مشرورة .

نحمده بحمده المذكوره ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
مأثوره ، موصولة غير منهجوره ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي أبطل
من الشيطان غروره ، وصان للإسلام حوزته ونفوره ، ومن لأمنه الاستخارة
والمشورة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تورت من الليل ديثوره ، وكثرت
لقائلها أجوره ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أحوال جيوشنا يتعين حسن النظر في أمرها ، والقيام بمواد نصرها ،
واسعافها بناظر يحرز جهات أرزاقها ، ويضبطها مخافة أقرأقها ، ويأمر بنظم جرائد
أسمائهم وأتفاقيها ، ويتيقن الحيل ، ويبين يوم العرض محله في آرتقاء العل ، ويصون
المحاسبات لكل منفصل ومتصل من الحلل ، ويسرع في الدخول والخروج ما يصل به
لكل حقه عند استحقاق الأجل .

ولما كان فلان هو المدح باليسنة الأعلام ، والرئيس بين الأنام ، والمشكور بين
أرباب السيوف وذوى الأعلام ، والمأمون فيما يصدق به من مهام ، والعزيز المثل ،

والسائر يحمده الأمثال ؛ والمنشور فضله فى كل منشور ، والظاهر أثره تجريده فى الديوان المعمور ، والذى شكرته الملكة الشريفة فهو من صدورها فى الصدور .

(٢) فلذلك رسم ... فليباشر نظره هذا المنصب السعيد بأمانة تحفظ أرزاق العساكر ، وتجلو الظلام العاكر ، ويحزرو جرائد التجريد ، وليصن العدة الكاملة من التبديد ، ولكن أوراق الياكر نصب عينه حتى إذا طليت منه أحضرها محرره ، وإذا وقع فيهم حركة كانت أعلامه غير مقصره ؛ وليرغب فى آتئاء الثناء حتى يصبح عنده منه جملة من الألوف ، وليكن للأمانة والنصح نعم الألوف ؛ وليتق الله مع أصحاب السيف ، وليستجلب خواطر أرباب الصفوف ، وليجعل له راء فى كل أرض يطوف ؛ وتقوى الله فهى السبيل المعروف ، فلينعم بجناتها الدانية القطوف ، وليلبس بردها الضافية السجوف ، والله تعالى ينجي من الخوف ، بمنه وكرمه !



وهذه وصية ناظر جيش أوردتها فى "التعريف" قال :

ولياخذ أمر هذا الديوان بكتيته ، ويستحضر كل مسمى فيه إذا دعى باسمه وقويل عليه بجليته ؛ وليقم [فيه] قياما بغيره لم يرص ، وليقدم من يجب تقديمه فى العرض ؛ وليقف على معالم هذه المباشرة ، وجرائد جنودنا وما تضحى له من الأعلام ناشره ؛ وليقتصد فى كل محاسبه ، ويمزرها على ما يجب أو ما قاربته وناسبه ، وليستصح أمر كل ميت تانى إليه من ديوان المواريت الحشرية ورقة وفاته ، أو يخبره به مقدمه أو تقيبه إذا مات معه فى السكار عند موافاته ؛ وليحزرو ما تضمنته الكشوف ،

(١) لعله والظاهر أثره وتجريده الخ .

(٢) يياض بالأصل ومراده بالأمر الشريف الخ .

ويحقق ما يقابل به من إخراج كلِّ حال على ما هو معروف، حتى إذا سُئِلَ عن أمر كان عنه لم يخف، وإذا كُشِفَ على كُشِفَ أظهر ما هو عليه ولا ينكر هذا لأهل الكُشِفِ؛ وليعترِز في أمر كلِّ مَرَبِّه، وما فيها من الجهات المُقَطَّعة؛ وكلُّ منشور يكتب، ومثال عليه جميعُ الأمرِ يترتب؛ وما يثبت عنده ويترى في تعليقه، ويرجع فيه إلى تحقيقه؛ ولعلم أنَّ وراءه من ديوان الاستيفاء من يساوقه في تحريك كلِّ إقطاع، وفي كلِّ زيادة وإقطاع، وفي كلِّ ما ينسب إليه وإن كان إنما فعله بأمرنا المُطاع؛ فلينبصر بمن وراءه، ولينوقَّ اختلاف كلِّ مبطل وأقرانه؛ ولينتحقق أنه هو المشار إليه دون رُفْقته والمؤكَّل به النظر، والمحقق به جملةُ جندنا المنصور من البدو والحضر. وإليه مدارج الأمراء فيما تنزل، وأمر كلِّ جنديٍّ له بمن فارق أو نُزِّل؛ وكذلك مُساوِقات الحساب ومن يأخذ بتاريخ المنشور أو على السَّباقه، ومن هو في العساكر المنصورة في الطليعة أو في السَّاقه. وطوائف العرب والتركمان والأكراد، ومن عليهم تقدمة أو يلزمهم روك بلاد، أو غير ذلك مما لا يفوت إحصاؤه القلم، وأقصاه أو أدناه تحت كلِّ لواء يُنشر أو علم؛ فلا يزال لهذا كله مستحضرا، وعلى خاطره مُحضرا؛ لتكون لَفَنَاتُ نظرنا إليه دون رُفْقته في السؤال راجعه، وحافظته الحاضرة غنية عن التذكُّار والمراجعة.

الوظيفة الثالثة

(نظر الدواوين المعبر عنها بنظر الدولة)

وقد تقدَّم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أنَّ موضوعها التحدث في كلِّ ما يتحدَّث فيه الوزير، وأنَّ كلَّ ما كتب فيه الوزير «يُكشَف» مثلا، كُتِبَ فيه «يُكشَف» عما رُسم به. ونحو ذلك. وتهتم ذكر ألقابه في الكلام

على مقدمات الولايات من هذا الفصل ، وتقدم ذكر ما يكتب فى طرزة توقيعيه
فى الكلام على التواقيع .

وهذه نسخة توقيع بنظر الدواوين ، كتب به لتاج الدين بن سعيد الدولة ، وهى :
الحمد لله الذى خص من أخلص فى الطاعة من الآتيا بحسن النظر ، وأجنى
من غرس فى قلبه أصل الإيمان من عوارف أيامنا الزاهرة بإنع الثمر ، ورفع من
استضاء فى دولتنا القاهرة بأنوار الهدى من مجول الرتب إلى مكان الغرر ، وأظهر
لوايع السعادة من نعمنا على من أضاء له الرشد فرآه بين البصرة قبل البصر .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة هى أرفع ما يقتنى وأرفع
ما يُدثر ، وأفضل ما نجت به الفرقة الموحدة وهلكت به الفرق الأثرى ، ونشهد
أن محمدا عبده ورسوله أشرف البشر ، وأزاف البدو والحضر ، والمبعوث إلى الأمم
كافة لما قضاه الله تعالى من سعادة من آمن وشقاوة من كفر ، صلى الله عليه وعلى
آله وصحبه الميامين الغرر ، صلاة دائمة الورد والصدر ، باقية العين والأثر ، وسلم
تسلما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من خصه برنا بالنظر الحسن ، وشمله كرمنا من الرتب بما يُهجر
فى بلوغ مثله الوسن ، واشتمل عليه معروفنا بما يجعل يراعه فى مصالح الدولة القاهرة
جميل العبارة حسن اللسن ، من تمت به نفسه إلى سعادة الآخرة فأتته سعادة الدنيا
تابعه ، وسلك فى مراضى الدولة القاهرة طريق الإخلاص فندت لكل خير
حاربة ولكل يمن جامع ، مع كفاءة جاءت المناصب على قدر ، ومعرفة ما لحظت
المصالح بأقرب نظر ، لا تمت الأموال وبردت البدن ، وخبرية ما اعتبرت فيها
محاسن سيرته فى كل ما يباشره إلا صغر خبرها الخبر ، ونزاهة سلكه به فى كل

ما يليه أحسن المسالك، وعِقَّة رَفْعته من الرتب الديوانية إلى مَقَارِقها ولا رُبَّة لَتَّاج إلا ذلك .

ولما كان فلان هو الذى أَجْتَنَى من إحسان الدولة القاهرة بالطاعة أفضل الجنى، وفاز من عوارِفها العيمة بِجَمِيل المُخالصة ما زاد على المتى، وأَتَمَّى من أدوات نفسه إلى كمال المعرفة والعِفة وهما أنقر ما يُدْخِر للرتب الجلييلة وأَقْس ما يُقْتَنَى، وعُني من أسباب استحقاقه المناصب بما أَقْتَضَى إحسان الدولة القاهرة أن يُحْتَفَلَ بتقديمه وأن يُعْتَنَى .

فلذلك رُسم أن يفوض إليه نظر الدواوين المعمورة : فليُأْشِرْ ذلك محلياً هذه الرتبة بعقود تصرفه الجليل ، ومحلياً فى هذه الخلبة بسبق معرفته الذى لا يَحْتَاجُ إلى دليل ، ومبيناً من نتائج قلبه ما يُبْرِهن على أنه موضع الإختيار ، ومن كوامن أطلاعه ما لا يَحْتَاجُ إلى بُرْهان إلا إذا احتاج إليه النهار ؛ فلا يزال فرع يرَاعه فى روض المصالح مُثْمِراً ، وليل نَفْسِه فى ليل الأعمال مُقْمِراً ؛ وحسن نظره إلى ما قُرِبَ ونأى من المصالح مُحْدِفاً ، ولسانُ قلمه لما دَقَّ من أمور الأقاليم محققاً ؛ ورسمُ خطه لما يستقر فى الدواوين المعمورة مُثَبِّتاً ، ووسم تحريره لما يُجْتَنَى من غُرُوس المصالح مُثَبِّتاً ؛ ولدتْ أخلاف الأعمال ، بِحُسْنِ الإِطْلَاع محلياً ، ولوجوه الأموال ، بِإِنْفَاقِ التوجه إلى تُمْنِها إن أقبلت محلياً وإن أعرضت محلياً ؛ فإن الأمور معادنُ يُسْتَتِيرُها التَصَرُّفُ الجليل ، ومنايِبُ يُنَمِّها النظر الجلي والإِتْقَانُ الجليل ؛ وملاكُ كُلِّ أمر تقوى الله تعالى فليجعلها إمامه ، ويتخيئها فى كُلِّ حالٍ أمامه ؛ والله تعالى يوقفه بمنه وكرمه ! .

قلت : ورُبَّما أُضيف إلى نظر الدواوين المعمورة نظرُ الصُّحبة الشريفة الآتى ذِكْرُها ، وكُتِبَ بهما جميعاً لشخص واحد .

وهذه نسخة توقيع بهما جميعاً، كُتِبَ بها لتاج الدين بن سعيد الدولة على أثر إسلامه، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، وهى :

الحمد لله الذى خصَّ من أخلصَّ فى الطاعة من آلائنا بحسن النظر، وأجنى من غرس فى قلبه أصل الإيمان من عوارف أيماننا الزاهرة يانع الثمر، ورفع من استضاء فى دولتنا القاهرة بأنوار الهدى من مجول الرتب إلى مكان القُدر، وأظهر لوايع السعادة من نعمنا على من أضاء له الرشد فراه بعين البصيرة قبل البصر .

نحمده على إحسانه الذى غمّر، وأمتنانه الذى بهر، وفضله الذى عمَّ كل من ظهر له الهدى فلم يعارض الحق إذا ظهر .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة هى أرفع ما يقتضى وأنفع ما يُذكر، وأوضح ما نجت به الفرقة الموحدة وهلكت به الفرق الأثرى؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أشرف البشر، وأرأف البدو والحضر، والمبعوث إلى الأمم كافة لما قضاه الله من سعادة من آمن وشقاوة من كفر؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الميامين القُدر، صلاة دائمة الورد والصدرة، باقية العين والأثر؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد، فإن أولى من خصه برثا بالنظر الحسن، وشمله كرمنا من الرتب بما يُهجر فى بلوغ مثله الوسن، واشتمل عليه معروفنا بما يجعل يراعه فى مصالح الدولة القاهرة جميل العبارة حسن اللسن؛ من سمى به نفسه إلى سعادة الآخرة فأنته [سعادة] الدنيا تابعه، وسلك فى مراضى الدولة القاهرة طريق الإخلاص ففدنت لكل خير حاوية ولكل يُمن جامع؛ مع كفاءة جاءت المناصب على قدر، ومعرفة ما لحظت المصالح بأقرب نظر، لا تمت الأموال وبدرت البدن، وغبرة ما اعتبرت فيها .

محاسن سيرته في مباشرة الإصغر خبرها الخبر؛ وزاهية سلكت به في كل ما يليه أحسن المسالك، وعفة رفعت من الرتب الديوانية إلى غررها ولا رتبة للتأج إلا ذلك .

ولما كان فلان هو الذي أجتى من إحسان الدولة القاهرة بالطاعة أفضل الجنى، وفاز من عواريفها العيمة بجعل الخالصة مازاد على المتي، وأنتمى من أدوات نفسه إلى كمال المعرفة والعفة وهما أنقر ما يندثر للرتب الجليلة وأنفس ما يقتنى، وعنى من أسباب استحقاقه المناصب والرتب بما أقتضى إحسان الدولة القاهرة أن يحتفل بتقدمه وأن يعتنى - فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه نظر الدواوين المعمورة ونظر الصعبة الشريفة .

فليأثر ذلك محلياً هذه الرتبة بقود تصرفه الجميل، ومجالياً في هذه الخلبة بسبق معرفته التي لا تحتاج إلى دليل؛ ومبيناً من نتائج قلعه ما يبرهن على أنه موضع الاختيار، ومن كوامن اطلاعه ما لا يحتاج إلى برهان إلا إذا احتاج إليه النهار؛ فلا يزال فرع يراعه في روض المصالح مثيراً، وإيل يقسه في ليل الأعمال مقمراً؛ وحسن نظره إلى ما قرب ونأى من المصالح محدقاً، ولسان قلعه لما دق وجل من أمور الأقاليم محققاً، ورسم خطه لما يستقر في الدواوين المعمورة مثبِتاً، ووسم تحريره لما يحتنى من غروس المصالح مثبِتاً؛ ولدّر أخلاف الأعمال، بحسن الاطلاع محتلباً؛ ولوجوه الأموال، بإنفاق التوجه إلى تثيرها إن أقبلت مجتلياً وإن أعرضت محتلباً؛ فإن الأمور معادن يستثيرها التصرف الجميل، ومنايت ينمّيها النظر الجلي - والإتقان الجليل؛ وملاك كل أمر نحوى الله تعالى فليجعلها إمامه، ويتجملها في كل وقت أمامه؛ والله تعالى يوقفه بمنه وكرمه ! . وانلطف الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه .

الوظيفة الرابعة

(١) (نظر الصُحبة)

[وهذه نسخة توقيع بنظر الصُحبة] كُتِبَ به للشريف شهاب الدين ناظر الصُحبة، من إنشاء الشهاب محمود الحلبي، وهو :

الحمد لله الذى جعل الشرف حيث حلّ ركبنا مُصاحباً ، وأطلع للفضل فى أفق خدمتنا من أولياء دولتنا شهاباً ثاقباً ، وعدّ النظر فى مُحِبَّتنا بمنّ لم يزل لمصالحنا ملاحظاً ولأوامرنا مُراقباً ، وفوض أمور مباشرة حال من اجتهد أو قصر فى خدمتنا إلى مَنْ لم يزل بنفسه فى واجب الطاعة مُنافساً وعلى فرض الموالاة مُحاسباً .

نحمده حمد مَنْ أَجَلَ فى أولياتنا نظراً ، وخصّ بالنظر فى مُحِبَّتنا من اختبرت خدمته فتساوت فى الطاعة والمناجحة سفيراً وحضراً ، وأعتمد فى ملاحظة مباشرى ما يترتب عليه من ممالكه على مَنْ لا يُجمل له حقاً ولا يُحدث له ضرراً .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لاتزال جيوشنا لإعلاء منارها مُجهّزه، وسراياناً إلى مقاتل جاحليها البارزة مبرزه؛ ووعدود النصر على مَنْ ألحد فيها لنا معجلة وعلى أيدينا متجزه؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى أنهضنا الله من جهاد أعداء دينه بما فوض، وأيقظنا لرفع أقدار أهل بيته فلم يقصر بأحد منهم فى إيمانهم أمل ولا بعد عليه غرض، وخصنا منهم بمن تمسك بجوهره الأعلى فلم

(١) بظهر قياساً على ما سبق فى نظائره أن هنا سقطاً ، هو « وموضوعها أن صاحبها يتحدث مع الوزير فى كل ما يحدث ويشاركة فى الكتابة فى كل ما يكتب فيه ويوقع فى كل ما يكتب فيه الوزير تبعاً له » . انظر صفحة ٢٩ ج ٤ من هذا المطبوع .

يتعرض من هذا الأذى إلى عَرْض ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ما منهم إلا مَنْ (يكادُ يَمْسُكُهُ عِرْفَانُ راحته) ، وإلا المؤثر طاعة الله ورسوله وأولى الأمر على راحته ؛ صلاة دائمة الاتصال ، آمنة شمس خلودها من الغروب والزوال ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من اختارناه لصحبنا الشريفة على علم ، وأعدناه لمهماتنا الكريمة لما فيه من تسرع إدراك وتثبت في حكم ؛ وبسطناه فيما عدقناه به من ذلك لسانا وبدا ، وحفظنا به الأحوال من [وصول] مسترق السمع إليها (فَنَيسْتَمِيعُ الْآنَ يَجِدُ لَهُ شَهَابًا رَصْدًا) وأذخرنا أفلامه لمصالح كل إقليم يتركبنا الشريف عليه ، وفوضنا مناقشة مباشره على ما أهلوه من حقوق الله تعالى وحقوق الرعايا إليه ؛ وأقنناه لتصفح ذلك بنفسه ، وتلمح زيادة كل يوم على أمسه ؛ وأتراج الحق من مديته إلى ظلم بكف كفه عنه ورفع يده ، وأرتجاع الواجب ممن أقدم عليه بالباطل في يومه وأطرح المواخذة به في غده ؛ وغير ذلك مما أحصاه الله ونسوه ، وأعتمدوا فيه على المصلحة فاجتنبوا ثمرة ما غرسوه - مَنْ كَانَ لَهُ فِي الْمُنَاصَحَةِ قَدَمٌ صَدَّقَ عِنْدَ رَبِّهِ ، وَفِي خِدْمَةِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ قَدَمٌ هَجَرَتْ هَجْرَةَ قَتْنِي مَزِيدَ قُرْبِهِ ؛ فَكَانَ أَبَدًا بِمَرَأَى مِنْ عَنَابِنَا وَمَسْمَعٍ ، وَمِنْ إِحْسَانِنَا بِالْمَكَانِ الَّذِي لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الْإِكْفَاءِ فِي بُلُوغِ غَايَةِ أَمَلٍ وَلَا مَقْطَعٍ ، وَتَفَزَّدَ بِاجْتِمَاعِ الدِّينِ وَالْمُنَاصِبِ وَالْأَصَالَةِ وَالْعِلْمِ وَالْكَرَمِ وَهَذِهِ خِلَالُ الشَّرَفِ أَجْمَعِ .

ولما كان فلان هو الذي آجنتني من إحسان الدولة القاهرة بالطاعة أفضل الجنى ، وفاز من عوارفها المقيمة بجبل المخالصة ما زاد على المني ؛ وأنتمي من أدوات نفسه ونسبه إلى كمال المعرفة والعفة وهما أغفر ما يندثر للرتب الجليلة وأنفس

ما يُقْتَنَى ، وَغْنَى من أسباب استحقاقه المناصب والرتب بما أَقْضَى إحسانُ الدولة القاهرة أن يُحتَسَلَ بتقديمه وأن يُعْتَنَى . فذلِكَ رسمُ بالأمر الشريف أن يفوض إليه نظر الدواوين ^(١) المعمورة .

فلباشر ذلِكَ محلياً هذه الرتبة بقُود تصرفه الجميل ، ومجلياً فى هذه الحلية بسبق معرفته التى لا محتاج إلى دليل ، ومبيناً من نتائج قلمه ما يُبرهن على أنه موضع الاختيار ، ومن كوا من أطلّعه ما لا يحتاج إلى برهان إلا إذا احتاج إليه النهار ؛ فلا يزال فرح يراعه فى روض المصالح مُثَمِّراً ، وليس نفسه فى ليل الأعمال مُقِمِّراً ؛ وحسن نظره إلى ما قُرب ونائى من المصالح مُحَدِّداً ، ولسان قلمه لما دقَّ وجلَّ من أمور الأُمَمِ محققاً ؛ ورسم خطّه لما يستقر فى الدواوين المعمورة مُثَبِّتاً ، ووسم تحريره لما يمتحن من عُروس المصالح مُنَبِّتاً ؛ ولَدَرَ أخلاف الأعمال بحسن الإطلاع محتلياً ، ولوجوه الأموال بإتفاق التوجه إلى نفعها إن أقبلت مجتلياً وإن أعرضت مختبلياً ؛ فإن الأمور معادنٌ يستثيرها التصرف الجميل ، ومنابتٌ يُمَيِّها النظر الجلى . والامتنانُ الجليل ؛ وملاكُ كل أمرٍ تقوى الله تعالى فليجعلها إمامه ، ويختليها فى كل حال إمامه ؛ والله تعالى يسدده ويوفقه بمنه وكرمه ؛ إن شاء الله تعالى .

قلت : وربما أضيف إلى نظر الصُحبة نظر الدواوين الشريفة ، وحينئذ فيحتاج الكاتب أن يأتى فى براعة الاستبلال بما يقتضى الجمع بينهما ، ويورد من الوصايا ما يختص بكل منهما . والكاتبُ البليغ يتصرف فى ذلك على وفق ما يحدث له من المعانى ويسعُّ له من الألفاظ .

الدرجة الثانية

(من توافيع أرباب الوظائف الديوانية بالحضرة بالديار المصرية ما يكتب
في قطع الثلث بـ «المجلس السامي» بالياء ، مفتتحا بـ «الحمد لله» إن قصد
تعظيم المكتوب له على ما هو الأكثر، أو بـ «أما بعد حمد الله» جزأ
على الأصل لما يكتب في قطع الثلث، على ما هف عليه في النسخ)
وتشتمل على وظائف :

الوظيفة الاولى

(كتابة الدست)

والمراد دسست السلطنة . وقد تقدم الكلام عليها في مقدمة الكتاب في الكلام على
ديوان الإنشاء ، وتقدم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أن موضوعها
أن يجلس أصحابها بدار العدل أيام المواكب خلف كاتب السر ، ويقرءون القصص
على السلطان بعد قراءة كاتب السر ، ويكتبون عليها بما تقتضيه الحال ، بعد إشارة
السلطان بالكتابة ؛ ثم يحمل ما يكتبون عليه من القصص إلى كاتب السر فيعنيها .
وأن هذه الوظيفة كانت من أجل الوظائف وأرفعها قدرا ، منحصرة في عدد قليل
نحو الثلاثة فما حولها ؛ ثم وقع التساهل في أمرها ، ودخل فيها العدد الكثير حتى
جاوز عددهم العشرين ، وبقيت الرئاسة فيهم لعدد مخصوص منهم ، وقنع الباقون
بالإسم . وقد تقدم ذكر طرزة توقيعه في الكلام على التوافيع .

وهذه نسخة توقيع بكتابة الدست ، وهي :

الحمد لله الذي فضل الكرام الكاتين ، وأحيا بفضل الآخريين الأولين الذاهبين ،
وأُنزل في القصص : (لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) .

نَحْمَدُهُ وَهُوَ الْمُحَمَّدُ الْمُعِينُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً قَوْمَ غُلَاصِينَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَرَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالشَّافِعِ فِي الْمُتَشِينِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً بَاقِيَةً إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ الْعَدْلَ الشَّرِيفَ دَارَ جُذُرَاتِهَا الْأَمْرِ الْمُطَاعِ ؛ وَأَبْوَابِهَا الْخَيْرِ الَّذِي لَا يُضَاعُ ، وَسَقْفُهَا الرَّحْمَةُ وَالْإِتِّضَاعُ ، وَصَدْرُهَا الْإِحْسَانُ الْمِيدَةُ الْبَاعِ ؛ وَصَحْفُهَا الْأَمْنُ وَالسَّرُورُ فَلَا يُخَافُ أَحَدٌ فِيهِ وَلَا يُرَاعُ ، وَجِلْسَاتُهَا الْكَاتِبُونَ عَارِضُونَ الرَّقَاعِ ؛ هُمْ مَعْدِنُ الصِّدَارَةِ ، وَمَوْطِنُ الْكِتَابَةِ وَالْكَيَاةِ وَالْإِشَارَةِ ، وَأَفْلَامُهُمْ تَأْتِي بِحُسْنِ التَّشْبِيهِ وَالْإِسْتِعَارَةِ ، وَتُطَرِّزُ حَوَاشِيَ الرَّقَاعِ بَوَشْيِ بَادِي الْإِنَارَةِ ، مَا أَخْتَرَا أَحَدُهُمْ لِلْجُلُوسِ فِي دَسْتِهِ إِلَّا وَقَدْ أَرْضَى مِنْ آخْتَارِهِ ، وَتَمَيَّزَ بِحُسْنِ السَّمْتِ وَالْوَفَاءِ وَالْوَقَارِ وَالشَّارَةِ .

وَلَمَّا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي لَهُ فِي السُّودِّدِ أَصْلٌ عَرِيقٌ ، وَفِي الْفَضَائِلِ لَهُ قَلَمٌ مُطِيقٌ ، وَفِي الْبَلَاغَةِ لَهُ لِسَانٌ مُنْطِيقٌ ، وَإِذَا دَجَّ قَرطَاسُهُ فَهُوَ لِلرُّوضِ شَقِيقٌ ، وَنَبَاتُهُ الْجَوْهَرُ لَا الْأَسُّ وَالشَّقِيقُ ، وَأَصْبَحَ لِلْجُلُوسِ فِي الدَّسْتِ الشَّرِيفِ أَهْلًا عَلَى التَّحْقِيقِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ أَنْ يَسْتَقَرَّ فليَحُلَّ هَذَا الدَّسْتُ الشَّرِيفُ مُبْهِجًا بَيَانِهِ ، مُتَّبِعًا لِلصُّدُورِ بِعِرْفَانِهِ ، مُتَّبِعًا بِنُورِ يَدِهِ وَلِسَانِهِ ، قَارِنًا مِنْ قِصَصِ النَّاسِ وَظُلَامَاتِهِمْ فِي إِبْوَانِهِ كُلِّ شَيْءٍ فِي أَوَانِهِ ؛ لَا يَكْتُمُ ظُلَامَةً مَكْتُوبَةً فِي رُقْعَةٍ ، بَلْ يُعْرِفُ مِلْكَةً بِهَا وَيَلْقَاهَا سَمْعَةً ، فَإِنَّهُ فِي هَذَا الْحُلِّ أَمِينٌ وَالْأَمِينُ مَحْبِلُ النَّصْحِ وَالْخَيْرِ وَالرُقْعَةِ ؛ وَإِذَا وَقَعَ فَهُوَ مَأْمُورٌ ، فَلَيَاتِ بِمَا يُنْهَجُ الصُّدُورُ ؛ وَيَشْفِي غَلِيلَ الشَّاكِي ، بِلَفْظِهِ الزَّاكِي ، وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ لَكِنْ السَّلِيمُ لِبَعْضِهَا الْحَاكِي ؛ وَتَقْوَى اللَّهِ فَهِيَ تَأْجِبُهَا الْمَجُورَةُ ،

وبذرُها المنور، وكوكبُها الأزهر، والله تعالى يمتعه بالفضل الذي لا يُحْزَل ولا يَتَغَيَّرُ،
بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع من ذلك أيضا ، وهى :

الحمد لله الذى أفاض على الأولياء من فضله ، وأنهى عليهم من مواهبه ما يقصر
عنه القام فى وبّله وطلّهُ ؛ ومنح دَسْتَ المَلِك الشَّريف من الألفاظ المحيِّدة ،
والفضائل المُفيدة .

نحمده على نِعَمِهِ التى أجزلت إحسانها ، وأجملت أَمَتانها ، وبزغت مُزهره
فقلّست من الدولة أعيانها ؛ ونشكره على عوارفه التى ألقى لأهل الشَّاءِ عِنائها ،
ورحب لذوى البيوت صدرها وقصَّ عُنوانها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تشهد القلوب إيمانها وبذِئِر
القائل لها ليوم الخاف أمانها ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى أظهر الله
به الشريعة المطهرة وأبانها ، وشرف [به] هذه الأُمَّة ورفع على جميع الأمم شأنها ، وبهته
رحمة إلى كافة الخلق فأقام بمعجزاته دليل الهداية وبرهانها ، وأطلق بنور إرشاده
شَرَ الضلالة وبيّانها ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ما منهم إلا من نزه
نفسه النفيسة وصانها ، وسلك فى خِدْمَتِهِ وَحُبِّهِ الطريقة المثلى فأحسن أسرار
أموره وإعلانيها ، صلاة دائمة باقية تُجَلُّ بالأجور أقرانها ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فانه لما كانت وظيفة توقيع الدَسْت الشَّريف من أجل الوظائف
وأسنانها ، وأنفسها وأعلامها ، وأجلها وأبناها ؛ القائم بها سفير الرعية إلى المَلِك

فى حاجتهم ، وترجمانٌ مُعَرِّبٌ عن شِكَايَتِهِمْ ، وكاشفٌ أحسنُ نَاشِرٌ عن ظُلُمَاتِهِمْ ؛
جالسٌ على بساطِ الأُنسِ قُربَ الحضرة ، متقدِّمٌ نَهْيَ ملكه وأمره ، مبلغٌ ذا الحاجة
من إتمامه جُودَه ورَّه - تعين أن يُنَدِّبَ رئيسٌ وابنُ رئيسٍ ، وجوهرٌ بحريَّةِ نفيسٍ ؛
ذو أصلٍ فى السُّؤددِ عَرِيقٍ ، ولسانٍ فى الفضائلِ طليقٍ ، وقلمٌ حلى الطُّروسِ بما يُفوقُ
زَهْرَ الرياضِ وهو لها شقيقٌ ، وفاضلٌ لا يُقَاسُ بغيره لأنه الفاضلُ على التحقيق ؛
وكان المقرُّ العالى القلائى هو المشار إليه بهذه الألوِيَّة ، والمراد من سطور هذه
الحامد الألوِيَّة . فلذلك رُسِمَ بالأمر العالى أن يستقرَّ المشار إليه فى وظيفة توقيع
الدست الشريفِ عوضًا عن فلانٍ بِمُحْكَمٍ وَقَاتِهِ .

فليباشِرْ ذلك مباشرة تُشكِّرْ مدى الزمان ، وتُحَمَّدْ فى كُلِّ وقتٍ وأوانٍ ؛ وليدَيِّجْ
المهارِقَ بوشى يُفوقُ قلائدَ العُقيانِ ، ويُمَيِّزُ بالأجورِ لنا مُحففا بما يوجهه عنا من
خيراتِ حِسان . ونحن فلا نُطِيلُ له الوصايا ، ولا نُحْمِلُهُ بها نفى له تَعَجُّبا ؛ مع ما أذبه
به علمه الجَم ، وعمله الذى ما أنصرفَ إلى شيءٍ إلا تم ؛ ويجمعها تقوى الله تعالى
وهى عقدٌ ضميره ، وملاكُ أموره ؛ وما يرح هو وبيته الكريمِ مصابيحَ أُنْفِها ومفاتيحَ
مُغْلَقِها ، ولهم جُددٌ ملايسها وللناسِ فواضلٌ مُحَلِّقِها ؛ والله تعالى يزيده من إحسانه
الجزيل ، ونِعَمِهِ التى يَرْتَدى منها كُلُّ رداءٍ جميلٍ ، ويمتعه بإمارته التى ما شُكِرَ بها إلا
قال أدبًا : حَسْبُنَا اللهُ ونعم الوكيل ؛ والاعتمادُ فى مَساعاه ، على الخطِ الكريمِ أَعْلَاه .

الوظيفة الثانية

(نظر الخزانة الكبرى)

وقد تقدم فى الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أنَّ هذه الوظيفة كانت
كبيرة الموضع من حيث إنها مستودعُ أموالِ الملكة ، إلى أن حدثت عليها خزانة

الخاصّ فأتخضعت رتبها حينئذ، وسميت الخزانة الكبرى باسم هو أعلى منها، وأنه لم يبق فيها سوى خلع مُخلع وتُصرف أولاً فأولاً . وقد تقدم ما يكتب في طرة توقيع ناظرها .

وهذه نسخة توقيع بنظر الخزانة :

الحمد لله الذى جعل الخزانين لذخائرنا كهوفاً ، وملايس إقبالنا سُنُوفاً ، ومواهبنا تُجَزَل عطاءً ومُعروفاً ، وإقبالنا على مُحسن التدبير وبجمل التأثير عَطُوفاً ، وأيادينا فى إسكان جنتها تُطُوفاً .

نحمده حمداً مألوفاً ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً أوضحت معروفاً ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى أزال عُقُوفاً ، وأقام الصلاة والجهاد صُفُوفاً ، وشهر على الأعداء عند تأييد الهدى سُيُوفاً ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما سدل الليل مُحجُوفاً ؛ وسلم تسليماً .

وبعد ، فإنّ الملك الشريف له مُحفّ مَصُونه ، وذخائر مَكُونه ، وأصناف حَسَانٌ فى خزائننا مُخزُونه ، وجواهر عالية القيمة ثمينه [لا يقوم عليها إلا من] لا يُمَد عين عَفافه إلى المال وإن كثرت آلائه ، وَوَجَّحَ بَحْثَه هذه الذخائر ولم تَلَمْ بالبلل أطرافه ، وهو فلان : العريق فى آتسابه ، الوثيقُ آتسأوه إلى فضل الله وجنابه ؛ النقيّ ثوب عِرْضه ، النقيّ بتمسكه بسُتته وقرْضه ، الوفى نظره بغضه ، المستمسك بجميع الخير دُون بعضه ، من بيت السيادة ومن هو من بيت السيادة فالسُودد نجم سَمَائِه وطُود أرضه . فلذلك رُسم بالأمر الشريف أن يستقر

فليباشر هذه الوظيفة بعلمٍ ونية ، متسلماً ذخائر هذه الخزانة العلية ؛ وأمورها وأحوالها ، وتفصيلها وإجمالها ، وحولها وأحمالها ؛ وحُلَّها المرقومه ، وذخائرها

المعلومة، وجواهرها المنظومة، وأكياسها المختومة، وصناديقها الموكومة، ما عن علمه فيها شيءٌ خاف، وصوته لها كاف، وأمر الله بين النون والكاف .

وليعلم أن خزانة تصب فيها صحائب التحف والأموال والأصناف، من سائر الممالك والمُدن والثغور والأطراف؛ ومنها يُخرج بمهاز مواهبنا وإنعامنا للرولياء الأشراف، وإنما هي لمصالح المسلمين في التجمع والإشتلاف، وتقوية أهل الطاعة على أهل الاختلاف، فليضبط ما تُطلقه وإن كانت الأقلام لا تستطيع ذلك لكثرة الإنصاف؛ ولتكن التشاريف المئنة الكاملة، حاصلةً بمناطيقها المجوهرة الهائلة، وطُرزها الطائفة، وتعايبها الفاضلة، حتى إذا أنعمنا منها على أحد بشيء يأتي بمحموله وقد حيد فاعله . والوصايا كثيرة وتقوى الله نظام عقدها، وعظام ردها، وزمام مجدها، وتأم سندها؛ فليكن منلقاً بربدها، متضوعاً ببندها، وهو غنى عن الوصايا ومدها، والله تعالى يؤيد حركاته في قضيدها، والخط الشريف أعلاه، حجة بمقتضاه، إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية لناظر الخزانة، أوردتها في "التعريف" :

وَيْبُلَّأُ بَنْظَرُهُ صُدُورَ الْخَزَائِنِ، وَلِيَجْمَعَ فِيهَا أَشْتَاتَ الْحَاسِنِ؛ وَلِيُعَدَّ فِيهَا كُلُّ مَا يُذْخَرُ لِلْإِنْفَاقِ، وَيَحْتَفِظَ بِهِ لِلْإِطْلَاقِ؛ وَيَحْصُلَ مَا يُضَاهِي الْبَحْرَ بِالنَّفْرِيعِ وَالنَّاصِيلِ، وَالْجَمَلِ وَالنَّفَاصِيلِ؛ وَمَا لَا يُوزَنُ إِلَّا بِالْقَنَاطِيرِ، وَلَا يُحْصَى مِنْهُ مَلَأُ الْأَسَاطِيرِ؛ وَمَا يُبْهَأُ مِنَ التَّشَارِيفِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي تُبَاهَى أَشْعَةُ الشَّمُوسِ بِأَمْعَمِهَا، وَتُحَاسِنُ وَشَائِعَ الرُّوضِ بِخَلْمِهَا؛ وَمَا فِيهَا مِنْ مَخْلَقَاتِ أَلْوَانٍ لَا تُمَاتِلُ بِتَصْوِيرِ، وَلَا يُطْنَأُ الْأَوَّلَاءُ إِلَّا الْجَنَّةَ وَلِيَأْسَمَ فِيهَا حَرِيرٌ؛ وَمَا تَحْتَوِي عَلَيْهِ مِنْ عَنَائِي وَأَطْلَسِ، وَمُشْرِشٍ وَمُقْنَدَسٍ؛ وَكُلِّ طِرَازٍ مُذْهَبٍ وَبَاهٍ، وَمَا هُوَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ لَهُ يَضَاهِي؛ وَكُلِّ

ما يتشرف به صاحب سيف وقلم، ويُعطى إنعاماً أو عند أقل استخدام في خِدم، وما هو مع هذا من أنواع المستعملات، والنواقص والمكائلات، وما يحمل من دار الطراز، ويحمد مما يأتي من المبتاع من بز وبزاز؛ وما هو مُرصد للخزانة العالية من الحلات، التي يحمل إليها متحصلها: لينفق في أثمان المبيعات، وما يستعمل، وما يعلم منه بالطرز ويعمل، وبقية ما يُدخِر في حواصلها من مال بيت المال الذي يحمل؛ وذلك كله فهو الناظر عليه، والمناظر عنه مما خرج من عنده ووصل إليه، والمُحاجج عنه بالمراسم التي تُنسك للحفظ وتُزَلّ لديه؛ فليُراج ذلك جميعه حقّ المراجعة، وليحترز قدر ما يُنفق من الأثمان وقيمة المبيعات، وليحترز فيما يُزكى بعضه بعضاً من شهادة الرسائل المكتوبة إليه بالمُمول وما يكتب بها من الرّحقات؛ ولْيُبرِ المعاملين من نظره مالا يجهلون معه سيلاً، ولا يقدرون معه على أن يأخذوا فوق قدر استحقاتهم كثيراً ولا قليلاً؛ وليُقدّم تحصيل كل شيء قبل الاحتياج إليه ويدع لوقته، ولا يمثل لديه إلا سرعة الطلب الذي متى تأخر أخر لوقته (؟)؛ والأمانة الأمانة، والعفاف العفاف فما كان منهما واحداً رداءً أمرياً إلا زانته، ولولاهما لما قال له الملك إنك اليوم لدنيا مكين أمين وسلم إليه الخزانة.

الوظيفة الثالثة

(نظر خزانة الخصاص)

وهي الخزانة التي أَسْتُعِدَّتْ في الدولة الناصرية «محمد بن قلاوون» عند استحداث وظيفة «نظر الخصاص» وقد أُنْتَقَلَ ما كان يحمل إلى الخزانة الكبرى ويُصرف منها إلى هذه الخزانة، سوى الخلع، كما تقدّمت الإشارة إليه في الكلام على توقيع ناظر الخزانة الكبرى.

وهذه نسخة توقيع بنظر خزنة الخصاص ، كُتِبَ به للقاضى شرف الدين محمد
ابن علاء الدين الجَوَّجَرِيّ ، فى مَسْتَهَلَّ شهر رجب الفرد ، سنة تِسْعٍ وثلاثين
وسبعمائة ، وهى :

الحمد لله الذى زاد بنظرنا الشريف شَرَفَ مَنْ لَحَاحَهُ من أوليائنا [و] لِحَفَظِهِ ، وأفاد
المستأنف من ربنا مَنْ عَيْدَنَا له الفِطْرَةَ السليمةَ وَتَبَيَّنَّا منه الفِكرَةَ واليَقَظَةَ . وأعاد
لِخَلْفِ الكَريمِ ، من المشايخ ما كان للسلف القديم الصالح من التقدِيمِ ، الذى شَمِلَهُم
بالتكريم ، وجعلَهُم على خَزَائِنِ جُودِنَا العِيمِ : لأنهم العِلماءُ الحَفَظَةُ . وجاد بِالطَّرَفِ
من خاصِّ إِنْعامنا العامِّ لِمَنْ لَقِمَهُ عند الإِدْناءِ من سِرِّيرِ المُلْكِ إِنْجِازُ عِدَّةٍ وَلِلسَانِ
عند أَرْقاءِ مِيزانِ النُّسْكِ إِبْرَارُ عِظِهِ .

نَحْمَدُهُ على أن أبْرَزَ لِمَنْ عَوَّلَ على شامِلِ كَرَمِنَا جِزَاءَهُ وَبِعَوَضِهِ ، ونشْكُرُهُ على أن
تَطَوَّلَ بِنِوَالِ نِعْمَتِنَا لِمَنْ قامَ بَعْدَ أَبِيهِ بلِوَاظِمِ خِدْمَتِنَا المَقْتَرَضَةِ ، وعكف أَعْمَالُنَا على بَيْتِ
مِبارِكِهِ ما مِنْهُمْ إِلا مَنْ شَمِلَ من إِحسانِنَا بِالْمَنْحِ لِمَا بَدَلَ لِسُلْطَانِنَا من النُّصْحِ وَمَحَضِهِ .
ونشهد أن لا إلهَ إِلاَّ اللهُ وحده لا شريكَ له شهادةٌ يُودَعُ مَصُونُهَا فى الأَرْكانِ
الْمُتَعَلِّيةِ وَيَقْطَعُ بِقِيَّتِهَا الشُّكُوكَ المَقْتَرَضَةَ ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى
عَظُمَتْ عَطَايَا بَذَلُهُ ، فَالْبَحَارُ المُرْتَفِعَةُ عنها مُتَخَفِضُهُ ، وَكَرُمَتْ سَجَايَا فَضْلُهُ ، فَلَيْسَتْ
بِمُتَقَلِّبَةٍ وَأُثْبِرَتْ قَضَايَا عَدْلِهِ ، فَلَيْسَتْ بِمُتَقَبِّضَةٍ ، وَعَمَّتْ البرايا يَدُهُ الْيُسْواءُ الَّتِى هِىَ
بِالأَرْزَاقِ فى الآفَاقِ مُنْبِسطَةٌ وَلَيْسَتْ عَنِ الإِنْفَاقِ خَشْيَةُ الإِمْلَاقِ مُنْقِضَةٌ ، صَلَّى اللهُ
عليه وعلى آلِهِ وَوَحَّجَهُ الذينَ ما مِنْهُمْ إِلاَّ مَنْ أَقْرَضَ اللهُ قَرْضاً حَسَناً فَضَاعَفَ لَهُ
ما أَقْرَضَهُ ، صَلَوةٌ تُدْنِي لِقَائِهَا فى الأَوَّلَى من النِّعْمَةِ والأَمَانِ أَمَلُهُ وَتَوْثِيغُهُ فى الأُخْرَى
من الرِّحْمَةِ والرضوانِ غَرَضُهُ ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد، فإن أولى مَنْ رُفِعَ بِإِكْرَامِنَا إِلَى رُتْبَةِ عَلَانِيَةٍ، وَاتَّعَفَ مِنْ مَقَامِنَا الشَّرِيفِ بِاخْتِصَاصِ خِدْمَتِهِ وَإِخْلَاصِ وِلَايَتِهِ - مَنْ شَفَعَ مِنْ آيَاهِ تَجَمُّعَ أَشْتَاتِ الْعُلُومِ فِي إِبْكَارِهِ وَأَنَانِيَّتِهِ، وَاسْتَوْدَعَ ذَخَائِرَ مُلْكِنَا المصُونَةِ فَكَانَ حَفِيفًا عَلِيًّا عِنْدَ اقْتِرَابِهِ مِنَّا وَإِدْنَانِهِ، وَصَدَعَ الْقُلُوبَ بِإِبْدَاعِ وَعْظِهِ وَإِبْدَانِهِ؛ وَاتَّبَعَ سَبِيلَ وَالِدِهِ الْقَوِيمِ، فِي الشَّدَةِ فِي الْحَقِّ وَالتَّصَمُّيمِ؛ وَسَلَكَ طَرِيقَتَهُ الَّتِي هَدَاهُ اللَّهُ إِلَيْهَا بِتَوْفِيقِهِ فَأَدْرَكَ غَايَتَهُ فِي أَبْتِدَائِهِ، وَقَنِعَ بِمَا آتَاهُ اللَّهُ تَعَالَى فَأَثَرَتْ مَكَارِمُنَا رِفْعَةً مَحَلَّهُ وَتَوْسِيعَةً حِجَابِهِ؛ وَبَرَعَ فِي إِتْقَانِ الْفَضَائِلِ الَّتِي آذَنْتْ بِاصْطِفَائِهِ وَأَجْبِيَانِهِ، وَوَقَعَ عَلَيْهِ اخْتِيَارُنَا الَّذِي نَسْتَعِينُ اللَّهَ تَعَالَى لَهُ فِي إِبْرَامِ كُلِّ أَمْرٍ وَإِمْضَائِهِ؛ وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ رَأْيُنَا الَّذِي كَمَ أَصَابُ الصَّوَابِ فِي نَعْيِ الْعُلَمَاءِ الْأَتْجَابِ فَخَصَّ عَلَيْهِ الْأَسْتَحْقَاقُ بِإِيْجَابِ التَّرْجِيحِ وَأَقْتِصَانِهِ .

وكان المجلس السامى التَّشْرِفَى هُوَ الَّذِي قَدَّمْنَاهُ بَعْدَ أَبِيهِ لَشَهَادَةِ خَزَائِنِنَا الشَّرِيفَةِ فَشَاهَدْنَا مِنْ حُسْنِ سَيَرِهِ مَا أَبْهَجَ، وَنَظَمْنَاهُ فِي سِلْكِ أَوْلِيَاءِ الْمُلْكِ فَسَلَكَ مِنْ الْخَيْرِ أَقْوَمَ مَنَهِجَ، ثُمَّ أَرَدْنَا الْآنَ أَنَّ هَلَالَهُ يَنْتَقِلَ إِلَى رُتْبَةِ الْكَمَالِ لَمَّا تَدَرَّبَ وَتَدَرَّجَ؛ وَأَعَدْنَا لَهُ تَأَمُّمَ الْإِقْبَالِ حَيْثُ شَرُفَ دَوْلَتُنَا الْأَعْلَى - زَادَ اللَّهُ تَعَالَى تَأْيِيدَهُ - بِذِكْرِهِ لَدَيْنَا وَبِشُكْرِهِ عِنْدَنَا يُلْهِجَ - فَأَقْتَضَى حُسْنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنَّ هَذَا النَّظَرَ الْجَمِيلَ عَنْهُ لَا يُخْرَجُ، وَهَذَا الْوَقْرَ الْجَلِيلَ لَا يُعَدَّلُ بِهِ عَنْ فَرْجِ مُنْجِبٍ لِأَصْلِهِ طَيِّبِ أُمُورِ الْوَلَاءِ وَالْدُّعَاءِ لِأَيَّامِنَا الشَّرِيفَةِ وَأَنْتَجَ .

فلذلك رُسم لا زَالَتِ الصُّنُورُ بِصُدُورِ أَحْكَامِهِ تَنْتَلِجُ، وَالْأُمُورُ بِمُرُورِ إِنْعَامِهِ تَفْضُلُ عَلَى الْحَقِّ الْأَبْلَجِ - أَنْ يَسْتَقَرَّ فَلْيَنْطَلِقْ لِسَانُ كَلِمَةٍ بِالْإِخْلَاصِ فِي حَمْدِ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ مِنْ هَذَا الْإِكْرَامِ الَّذِي بِمَخَارِفِهِ تَسْرِيلُ وَبِعَوَارِفِهِ تَنْجُجُ، وَلْيَطْلِقْ سِنَانُ قَلْبِهِ فِي تَبْهِيْضِ الْمَصَاحِفِ بِذِكْرِ إِنْعَامِ الْمَقَامِ الَّذِي هُوَ كَالْبَحْرِ وَفِيصُحِّ

عن حمده فهو بحمد الله لا يتلجج ؛ ولحقق بيان حكمه ضبط الأصل والخصم
والواصل والحاصل والمختصر والمخرج ، ويتفق في أولياتنا من عوائد صلوات نعمائنا
التي تقيضها أيدي ملوك المدائن بسط ومن بعضها صدور الخزائن مخرج ؛ وليسلك
سُنن أبيه التي بها يستظهر ويختصر ويستدل ويحتج ، ويستمسك بسببه الأقوى
من الديانة التي بابها من النجاة في الدارين غير مخرج ؛ وترك له تفصيل الوصايا لأنه
قرين كفيل ملكا القوى الأمين ذى الإرشاد والسداد فع مراقبته في الإصدار
والإيراد والتكرار والتعداد لم يحتج ، والله تعالى يعمل الطروس بذكر تقديمه تحبب
وتدريج ، والدروس تنشر وعلومه تعطر وتنازع ؛ بمنه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الرابعة

(نظر البيوت والحاشية)

وقد تقدم أن موضوعها التحدث في كل ما يتحدث فيه أستاذ الدار ، وتقدم
الكلام على ما يكتب في طرة تقليد ناظرها .

وهذه نسخة توقيع بنظر البيوت والحاشية :

الحمد لله الذى عمر البيوت بنوآله ، وكثر فيها أصناف النعم بإفضاله ، وجعل فيها
الخير يتضاعف مع كل يوم بتجديده ومع كل شهر بإقباله .

نحمده على ما يدب ظلاله ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
عبد صادق في مقال ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى ربح الله العالمين بإرساله ،
وسقى الجيش من كفه بنبع زلاله ؛ وأوى إلى المدينة دار هجرته وانتقاله ، صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه الناصرين لهذا الدين في كل حاله ؛ وسلم تسليما .

وبعد ، فإن طراز الملك الشريف البيوت الكريمة : فنهبا يتفجر ينبوع الرزق الجارى ، ومنها يضيء سقط الزند الوارى ؛ ومنها تبسط الحوانات ، وتمتد الاشمطة في الميئات ؛ ومنها يقوم للسعد نصبات^(١) وأى نصبات ، ومنها تقسم ألوان الطيبات على مقترح الشهوات ؛ وعماد أمرها على ناظر يقوم بتأصيلها وتفرعها ، وتجنيسها وتويعها ؛ وبكثير حاصلها ، وأستدعاء وإصيلها ؛ وجمع كل ما فيه مرغوب ، وأدخار كل ما هو محبوب ؛ وتآليف القلوب على شكره وجل ما فيها عمل القلوب .

ولما كان فلان هو الرشيد في فعله ، المأمون في فضله ؛ الأمين في عفته وحلّه ، المسدد في الحال كله ، المعطي المباشرة حقها على ما ينبغي في الشهر من مستمته .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف أن يستقر فليباشر هذه الوظيفة الكريمة مستجلبا المنافع ، مشفقا بحسن سيرته المسامح ، طالعا من العفاف في أبهى المطالع ؛ مستدعيا ما جرت العادة باستدعائه من أصناف المتجر السعيد من أصناف متعدده ، وأنواع منضده . وليرزح أعذار المصالح السعيدة من كل صنف على حده ، وليستجلب خواطر المعاملين بوقائهم وإنجازهم كل عده ؛ والرواتب اليومية ليصرفها لمستحقها ، والبيوتات فليسد خللها حتى لا يظهر نقص فيها ، ومرتبات الأدر^(٢) الشريفة فلتكن نصب عينية على ما يرضيها ؛ وما آخرناه هذه الوظيفة إلا أنه أنسب من يليها ، والوصايا كثيرة وتقوى الله فلتكن أطيب ثمرات يحتجها ، وأحسن منحها يحتجها ، وأزين زينة يحتجها ، وهو غنى عما تشافه [به] الأفلام من فيها ، والله تعالى يصون هممه ويعلينا بمنه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

(١) في القاموس النصب بالضم السارية ولعله المراد .

(٢) لعل هذا اللفظ زائد من قلم الناصح . (٣) جمع دار على القلب .



وهذه نسخة توقيع بنظر البيوت :

الحمد لله الذى جدد لأوليائنا ملايس السعود، وشيّد لهم مباتى العزّ وضاعف
لقدّهم الترقى والصعود، ووالى إلى أوليائهم سحاب الفضل المستهله بالكرم والجود.
نحمده على نعمه الضافية البرود، ومنته الصافية الورود؛ ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة تُرغم بها أنف الجحود، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله
صاحب الخوض المورود واللواء المعقود؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين
جاد كل منهم بماله ونفسه فى رضاه والجود بالنفيسين أقصى غاية الجود؛ صلاة
دائمة الإقامة فى التهايم والتجود، مستمرة الإدامة ماتعاقب السحاب روضا بجود،
وسلم تسليما كثيرا

وبعد، فإن أولى من غدت البيوت أهلة بوفود نظره، عامرة بسداده وجميل
فكره، مشيدة بما يئديه من أوضاع التقرير وغرره - من سما همة وحسن سمتنا،
وسلك فى الأمانة طريقا لا عوج فيها ولا أمتا؛ وحلّ فى الرتب فخلاها، وتنقل فيها
فا قالت له إيه إلا وقال الذى فارقها آها؛ وكان فلان هو الذى استحق بكفافته
حسن التنقل، واستوجب الصلة والعائد لما فيه من جميل التأتى والتوصل - أقتضى
حسنُ الرأى الشريف أن تنقله إلى رتب السعاده، وأن نخصّه كل حين من نعمنا
بالحسنى وزياده . فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يستقر...

فليضبط أصولها وفروعها، ومفردتها ومجموعها، وليؤنس بجباطة أجهاده ربوعها؛
وليكنفها بأمانة تضم أطرافها، وتزاهى تحلى أعطافها؛ وكتابة تحضر جليلها ودقيقها،

وَبَهَاءِ نُورٍ شَرُوطَهَا وَحُوقَهَا ؛ وَلِحَرِّ وَارِدَهَا وَمَضْرُوفَهَا ؛ لِيُغْدَوْ مَشْكُورَ الْهِمِّ
مَوْصُوفَهَا ؛ وَلِيَلْحِظَ جَرَائِدَ حِسَابِهَا ، وَيَحْفَظَ مِنَ الزَّيْغِ قَلَمَ كُتُبِهَا ؛ حَتَّى يَتِمَّ نَصْرُهُ
فِيهَا عَلَى الْأَوَائِلِ ، وَيُشْكِرَ تَعَرُّفَهُ وَتَمُطِّفُهُ عَلَى كُلِّ عَامِلٍ وَمُعَامِلٍ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُلْقِيهِ
مِنَ الْخَيْرِ مَا هُوَ آمِلٌ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الوظيفة الخامسة

(نظر خزائن السلاح)

وقد تقدم أن موضوعها التحدث فيما يستعمل ويبتاع من أنواع السلاح الذي
يجعل للزردخاناه السلطانية . وقد جرت العادة أن يحمل ما يحصل من ذلك في كل
سنة إلى الزردخاناه مرة واحدة . وقد تقدم ما يكتب في طرة توقيع ناظرها .

وهذه نسخة توقيع بنظر خزائن السلاح من إنشاء المولى « شمس الدين بن
القيصري » كتب به « لفخر الدين » أنى جمال الدين ناظر الخالص ، وهى :

أما بعد حمد الله تعالى الذى ضاعف نحر المناصب ، بمتوليا ، ورفع قدر المراتب ،
بمن يكبرها بقدره العلى ويعلها ، وأمد المقاب^(١) ، بنظر ذى المناقب الذى يزى بمرهف
حرمة أسلحتهم ويعلها ، ويمضى بماضى عزمه كل فرد فريد ليسر نار صليله
بنظره السعيد ويعلها ، جاعل أيا منا الشريفة تقيم لخدمها كل سرى تسرى به همه
إلى العلياء ، وتنخب لحسن نظرها من يعلو بكرم الذات وجمال الإخاء ، وتولى من
الأولياء من يمد للأعداء خزائن سلاح يبيدهم بها جيوشنا المؤيدة فى قيافى البيداء ،
إذا دارت رحى الحرب الزبون وثارت وغى الغارة الشعواء . والشهادة له بالوحدانية

(١) جمع مقب "كثير" وهم جماعة الخليل والقرمان .

التي أَسْقَى بِذُرْهَا، في سماء الإخلاص، وأَشْرَقَ بِحُرْهَا، بضياء القُرب والاختصاص،
وسَمَّا نَحْرَهَا، بيجلال الجَمال فأصبح بحمدِ الله أَخَذَهَا في المَزِيد آمِنًا من الإِنتِقاص،
وعلا ذِكْرَهَا، بما دَرَعَا به من دُرُوع التَّوْحِيدِ وَأَسْبَغَ عَلَيْنَا مِنْهُ كُلَّ سَابِغَةٍ دِلَاص.
والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي خَصَّهُ اللهُ بالتَّكْرِيمِ والتَّعْظِيمِ، وَخَتَمَ بِهِ الرُّسُلَ
الِكِرَامِ بِمَا مَنَحَهُ مِنَ الْأَصْطِفَاءِ والتَّقْدِيمِ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ فِي الْكِتَابِ الْحَكِيمِ :
﴿إِنْ أَتَيْتَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾. وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ هُمْ أَشْدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ،
وَقَرِيبٌ قُرْبُهُمْ لَدَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَأَذْهَبَ بَيْنَهُمْ - فَإِنَّ مِنْ شَيْمٍ أَيَّامُنَا الشَّرِيفَةِ أَنْ
تُبْلَغَ أَوْلِيَاءَهَا مَرَامًا، وَتَرعى لِأَصْفِيَائِهَا ذِمَامًا، وَتَصْطَفِيَ لَوْلَايَةِ الرَّبِّ مِنْ أَصْحَى تُغْرِ
وَلَايَةِ بَسَامًا، وَتُجَرِّدَ لِحَسَنِ النَّظَرِ مِنْ يُجَرِّدُ بِهِمَّةٍ حُسَامًا حَسَامًا ؛ لَا سِيَّما مِنْ آفَتِي
سَنَنِ أَخِيهِ - أَجَلُهُ اللهُ - فَيَأْتِي وَيَذَرُ، وَأَهْتَدِي بِهَيْدِهِ فِي كُلِّ وَرْدٍ وَصَدَرٍ، وَحَذَا
حَذْوَهُ السَّيِّدَ الْأَثَرِ، السَّعِيدَ النَّظَرِ، وَأَتَّبِعْ رُشْدَهُ السَّاطِعَ الْبَلَجَ اللَّامِعَ الْفُرَرِ، وَسَارِ
سَبِيلِهِ الَّذِي تَنَارُجُ بِهِ أَرْجَاءُ الْمَالِكِ فَحَيْثُ سَارَ سَرٌّ ؛ إِذْ هُوَ جَمَالُ الْجُودِ ، جَلَالُ
الْوَجُودِ، مُقِيلُ عِثَارِ الْمَلْهُوفِ وَالْمَجْهُودِ، مُوَيْلُ التَّهَامِ وَالنَّجُودِ ، مُسْتَجِلِبُ الدَّعَاءِ لَنَا
مِنَ الطَّائِفِينَ وَالْعَالَمِينَ وَالرُّكْعِ السُّجُودِ ؛ ذُو الْمَأْثَرِ الَّتِي ذِكْرُهَا أَعْطَرُ مِنَ الرُّوْضِ
الْمَجُودِ الْمَوْجُودِ، وَالْمَنَاقِبِ الَّتِي يُسَاوِي فِيهَا الْكَوَاكِبَ وَيَسَامِيهَا فِي السُّعُودِ وَالصُّعُودِ.

ولما كَانَ الْمَجْلِسُ الْعَالِي الْفَخْرِيَّ قَدْ أَصْبَحَ نَقَرُهُ بِأَخُوْتِهِ نَائِيًا، وَقَدْرُهُ بِأَبُوْتِهِ
سَامِيًا، وَأَصْبَحَتْ مَفَاخِرُهُ بِهِ خَالِدَةً، وَجَمَعَ مَرَايَا وَتَجَايَا جَمَعَتْ لَهُ طَارِقَ السُّعْدِ
وَتَالِدَهُ أَفْتَضَى رَأْيُنَا الشَّرِيفُ أَنْ تُسَدَّدَ لَهُ بِأَخِيهِ أَزْرًا، وَتُجَدَّدَ لَهُ فِي إِصْلَاحِ السَّلَاحِ
نَظَرًا ؛ لِيَكُونَ لِأَخِيهِ - أَعَزَّهُ اللهُ تَعَالَى - النَّظَرُ عَلَى الْخَاصِّ وَالْعَامِ، وَبِيَدِهِ مَقَالِيدُ
خِرَافَتِنَا الَّتِي يَشْمَلُ مِنْهَا الْبَرَايَا بِصُنُوفِ الْإِنْعَامِ ؛ وَتَدِيرُ خَوَاصِنَا الشَّرِيفَةَ وَجُيُوشِنَا

المؤيَّده، وله النظرُ على أعمالِ لبوس، تقي من الجيوشِ البُوس : البَيْضُ [ذَات]
القَوَائِسِ ، واليَلْبِ المَدَارِ والسُّمْرِ المَدَاعِيسِ ، واليَيْضِ المَهْنَدَةِ .

فلنلك رُسم ... لا زال يجمع لأوليائه على آلائه شَمَلًا ، ويرفع أقدارَ أهلِ الكرمِ
باستقرار النعمِ إذ كانوا لها أهلاً وبها أُولَى - أن يستقرَّ فلان في نظر خزانِ السَّلاحِ
المنصورة على عادة من تقدّمه وقاعدته ، ومعلومه الشاهد به الدِّيوانُ المعمورُ لهذه
المآثر التي بثّها القلمُ ، والمفاتيح التي أشتَهرت كالنار على العلمِ ؛ فليكشف ما بهذه الخزائنِ
من ضئدة الحرب ، والآلاتِ المَعَدَّة في الهجاء للطنن والضرب ؛ ويسمّر في تكثيرها
عن ساعد اجتهدِه ، ويعزّز موادَّ الإمداد بها بحسن نظره ويؤمن آعتاده ؛ ويستعمل
برسم جهاد الأعداء كلّ نصيل صقيل ، وتخصّص له في الهام صليل ، وصفيحة بيضاء
تبيّض بها بين أيدينا الصَّحيفه ، ولبوس ترهبُ عدوّ الله وتضاعف تحويقه ؛ وزاعية
يرعب ، وتتمهرى يُزيق بلسان سينانه النفوس ويذهب ؛ ونخربان تكلم الأبطال بأسل
اليسّتها في الحروب ، وقواصل لها في مماء العجاج شُروق وفي تحلي الكفّار^(١)
غروب ؛ وبدن يقذ الأبدان ، ولأمة لم تُبار في تحصينها وتخويرها ولم تُدان ؛ وفَضْفَاضِيَّة
على جنود الإسلام تُفَاض ، وسابغة تُسبغ على كل راجلٍ من أهل الإيمان ليَقْضَى
من أهل الشرك ما هو قاض .

وليحفظ ما يتفق على هذا العَدَد من الضياع ، ويأت بما تأتي به الضياع على
أحسن الوجوه وأجمل الأوضاع ؛ وليَضْبُط ما يُصرف عليها من الأموال ، ويعتمد
في نظرها ما تمحّد عاقبة أمره في سائر الأحوال ؛ ويقيمن في سائر أفعاله بَيّام من كماله ،
ويستريشد بمرأشده في أموره باليمن والرشد من خلال جماله ؛ ويسلك بحسن نظره
هذه الخزائن ما ينتظره أن يفوق أنظار الأنظار ويرتقب ، ويعلم أن هذا أولُ

إقبالنا عليه (وأوّل الغيثِ قَطْرٌ ثم يَنْسَكِبُ) ؛ والله تعالى يجعل خزانَ الإسلامِ بحالِ
نُفْرِهِ أَهْلَهُ ، ويُرِدُّهَا مَوَارِدَ الْعَزِّ الدَّائِمِ وَيُصَفِّي مِنْ أَكْدارِ الْأَقْدارِ لها مَنَاهِلَهُ ؛
والعلامةُ الشريفةُ أعلامُهُ ، حجةٌ بمقتضاهُ .

الوظيفة السادسة

(استيفاءُ الصُّحْبَةِ)

وصاحبها يَحْتَدُّثُ فى كُلِّ ما يَحْتَدُّثُ فيه ناظرُ الصُّحْبَةِ المُقَدَّمِ ذِكْرُهُ .

وهذه نسخةُ تَوقِيعِ من ذلك ، من إنشاءِ القاضى «ناصر الدين بن النشائى» وهى :

الحمدُ لله الذى زادَ نَفارَ أَوْلِيائِنا رِفعةَ المِقدارِ ، وأفادَ الصُّحْبَةَ الشريفةَ خَيْرَ كَافٍ
أَسْتَوْجِبُ مَنَّا بِجَمَلِ خِدْمَتِهِ جَزِيلَ الْإِثْثارِ ، وجادَ بِالْجُودِ وَأَبْتَدَأَ السَّعُودَ لِمَنْ حَسُنَ
فيه الْإِخْتِيارُ وَحُمِدَ الْإِخْتِيارِ ، وأَرْتادَ لِلنَّاصِبِ الْعَلِيَّةِ كُلِّ "مُسْتَوِفٍ" لِلْعَاسِنِ لَهُ حُقُوقُ
وَفاءٍ لَا تُضَاعَ وَقَدَّمَ ولاءَ أَجَمَلٍ فيه الْإِيرادَ وَالْإِصْدارَ .

نَعْمَدُهُ عَلَى نِعَمِ أَجْزَلِ الْأَنْوارِ ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى مَنِّ أَجَمَلِ الْمَسَارِّ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهادَةً مُخْلِصَ يَتَرَشَّفُ سَاحَ نَوابِها الدَّارُ فى تِلْكَ الدَّارِ ؛
وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الذى أَيْدَى اللَّهُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَاحَدَ نارَ الْكُفَّارِ ،
وَبِئْسَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ فَأَقامَ بِناءَ الْإِسْلامِ بَعْدَ ما كادَ يَنْهَارُ ، وَأَسْرَى بِهِ إِلَى السَّبعِ
الطَّباقِ فَطَبَّقَ نَبأُ مَعْجَراتِهِ الْأَرْضَ وَمَلَأَ الْأَفْطارَ ، صَلَاةً باقيةً لَا تَزَالُ أَغْصانُ
أُجُورِها دَانِيَةَ الْقُطُوفِ زَاكِيةَ الثَّمَّارِ ؛ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنَّ أَجَلَ النَّعَمِ ما عَلَتْ مَلائِسُها ، وَأَجَلَ الْمِنَّةِ ما غَلَتْ نَفائِسُها ، وَأَكَلِ
الْمَنَحِ ما زَكَّتْ فى رِياضِ الْإِقبالِ غَرائِيسُها ، وَأَجَزَلِ الْعَطايا ما جُعِلَتْ فى حُلَلِ الْفَخَّارِ

عرأسها ؛ وأولى الأولياءِ بتحويل ذلك لديه ، وتحويل هذه المواهب إليه ،
 وإسباغ أثواب الامتنان عليه ، وأجتيابه لرُتب علّت محلاً ، واختياره لمنصب يُصيح
 به جيده من عقود العناية محلى - من شِكرت أوصافه ، وأشتهر عفافه ، وحسن مِنا
 إسماعده وإسعافه ؛ وحُدثت خلاله ومآثره ، وحاز نَفَرَ نَعْتِه ونَفَرَ ذَاتِه فلا غرو أن
 تعددت مفاخره ؛ وأسلمنا من خدمته ما استوجب أن يعجى به ثمار الإحسان ،
 وقدم بين أيدينا الشريفة من يمن تصرفه ما أنتج له مضاعفة الآلاءِ الحسان .

ولما كان فلان هو الذى تحلى من هذه الأوصاف بمقودها ، وتجلّى فى مطاير
 برودها ؛ وأثنت على خصاله ألسنة الأفلام ، وأثبتت جميل خلاله فى مُحف
 أوراقها ومخائف الأيام ؛ وحاز من الأمانة والتزاهة كل ما يُسكبه على الدوام ،
 وأمتاز بحسن الكتابة التى تُهزّ النواظر وتُسّر الخواطر وتُزرى بالروض البسام . ما باشر
 رُتبة إلا وقى بها ، وحفظ أموالها وغلاها وضبط أمورها وكفى بها - أقنضى
 رأينا الشريف أن تنقله إلى درجات السعادة ، ونمنحه من إقبالنا الشريف
 زيادة الحُسنى وحسن الزيادة ، ونخصه بوظيفة تُدنيه متاً قريباً لتكون قد أبعنا
 له الابتداء والإعادة .

ولذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال نحر أوليائه بمزيد آلائه سامياً ، وقدّر
 أصفياه بمديد عطائه نامياً - أن يستقر فى كذا .

فلتلق هذا الإحسان ، بيد الاستحقاق ، ولتقلّد عقود الامتنان ، الذى طامأ قلْد
 جوده الأعناق ؛ وليأشر ذلك مباشرةً بسر خبرها ، ويسير خبرها ، ويشفّ الأسماع
 تأثيرها وأثرها ؛ وليسلك فيها من السداد ، ما يؤكّد حمده ، ومن حُسن الاعتماد ، ما يؤيد
 سعده ، وليعتمد فيها من الأمانة ما هو المشهور من اعتياده ، ومن العفاف ما صح عنه
 نقل إسناده ؛ وليدجج المراسم الشريفة بقلبه السعيد ، وليوشها بكاتبه التى بها الحسن

مبدئ ومُعِيد؛ وَلْيُضَيِّطْ جَمِيعَ أَمْوَالِ الدِّيَّانِ المَعْمُورِ وَغِلَالِهِ ، وَسَائِرَ أُمُورِهِ وَأَحْوَالِهِ ،
وَلْيَسْتَوْفِ بِقَلَمِهِ عَلَى مُبَايَرِيهِ وَثَمَالِهِ ، وَلْيُحِطْ عَلَيْهَا بِخَرَاكِجِ بِلَادِهِ وَأَعْمَالِهِ ؛
وَلْيَسْتَرْفَعْ الْحِسَابَ شَامًا وَمَصْرًا ، وَلْيَتَصَفَّحَ الرِّقَاعَ بِالمَالِكِ الشَّرِيفَةِ المَحْرُوسَةِ لِيَحْوِيَ
بِجَمِيعِهَا خُبْرًا ، وَلْيَتَعَيَّنْ جُمْلَهَا وَتَفْصِيلَهَا لِيَكُونَ بِمُخْرَجِهَا أَدْرَبَ وَبِمَرْدُودِهَا أَدْرَى ؛
وَلْيُخَضِّرْ مَتَحَصِّلَهَا وَمَصْرُوقَهَا ، وَمَعْجَلَهَا وَمَوْقُوفَهَا ؛ حَتَّى لَا يُخْرَجَ شَيْءٌ عَنْ عِلْمِهِ ،
وَلِتَكُنْ جُمْلَةُ هَذَا الْأَمْرِ مُحْزَرَةً فِي ذَهْنِهِ لِيَجِيبَ عَنْهَا عِنْدَ السُّؤَالِ بِتَحَقُّقٍ فَهْمِهِ ؛
وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَهِيَ خَيْرٌ عِلْمٍ ، حَازِرٌ مِنْهَا أَوْفَى وَأَوْفَرُ تَقْسِيمٍ ، وَمِلَاكُهَا تَقْوَى
اللَّهِ تَعَالَى فَلْيَجْعَلْهَا عُمْدَتَهُ ، وَلْيَتَّخِذْهَا فِي كُلِّ الْأُمُورِ ذَخِيرَتَهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُضَاعِفُ
لَهُ مِنْ لَدُنْهُ إِحْسَانًا ، وَيَرْفَعُ لَهُ قَدْرًا وَشَانًا ، وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ أَغْلَاهُ .



وهذه وصية لمستوفى الصحبة أوردتها في "التعريف" وهى :

فهو المهيمن على الأقلام ، والمؤمن على مصر والشام ، والمؤمل لما يكتب بخطه
من كل ترتيب وإنعام ، والملازم لصحبة سلطانه فى كل سفر ومقام ؛ وهو مستوفى
الصحبة ، والمستوفى بالهمم على كل رتبة ، والمعوّل على تحريره ، والمعوّل بتقريره ،
والمرجوع فى كل الأمور إلى تقديره ؛ به يتحرّر كل كشف ، ويكف كل كف ،
وبتزيه وإلا ما يكمل استخدام ولا صرف ؛ وهو المتصفح عنّا لكل حساب ،
والمطلع لكل ما حضر وخاب ؛ والمناقش لأقلام الكُتّاب ، والمحقق الذى إذا قال
قال الذى عنده علم من الكتاب ؛ والمُظهِر لِحَقَائِبِهَا ، والمُطْلِعُ لِحَقَائِقِهَا ؛ وَالتَّفَقُّقُ
على حجة ماعنده إذا حصل الخلاف ، ووصل الأمر فيه إلى التّلاف ؛ وَلْيُزَيِّمِ
الكُتّابَ بِمَا يَلْزِمُهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَيَحْجِزْهَا بِمُسْتَقَرِّ إِطْلَاقِهِ وَضَرَائِبِ رُؤُوسِ

المال ؛ ومعلّ المكلفات وأن يكفّوا عملها ، وتقدير المساحات وليتبع خلتها ؛ وليزيمهم بتمييز قيمها بعض عن بعض ، وتفاوت ما بين [تسجيل]^(١) القُدن في كل بلد بحسب ما تصلح له زراعة كل أرض ؛ وبمستجد الجرائد وما يقابل عليه ديوان الإقطاع والأحباس ، وغير ذلك مما لا يحصل فيه ألباس .

ومثلك لا يزود بالتعليم ، ولا يَنَازَع فكل شيء يؤخذ منه بالتسليم ، وما تم ما يؤصّي به ربّ وظيفة إلا وعنده يتزلّ علمه ، وفيه يتزّه فهمه ؛ وملاك الكل تقوى الله والأمانة فهما الجُنتان الواقيتان ، والجُنتان الباقيتان ؛ وقد عُرف منهما بما يُفاض منه عليه أسبغُ جلاب ، وأسبُل ستر يُصان به هو ومن يتخفّن من مُعينين وتواب ؛ والله تعالى يُلغّيه من الرتب أقصاها ، ويُجرى قلبه الذي لا يدع في مال مَالِكا الشريفة صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

الدرجة الثالثة

(من تواقع أرباب الوظائف الديوانية بالديار المصرية

ما يُكتب في قطع العادة : إما في المنصوري ، مفتحا بـ «أما بعد حمد الله»

أو على قَدَر المكتوب له في القطع الصغير ، مفتحا بـ «رسم بالأمر الشريف»

إن انحط قنره عن ذلك)

وفيه وظائف :

منها - كتابة الدّرج بديوان الإنشاء بالأبواب الشريفة .

وهذه نسخة توقيع بكتابة الدّرج الشريف ، كُتِب به للقاضي تاج الدين ،

عبد الرحيم بن الصاحب نغر الدين بن أبي شاكر ، وهي :

رِسْم لا زالت صدقاته الشريفة تشتمل نجباء الأبناء، ومبراتة الحبيمة
تُجْزِل للولد البار حُسن الزيادة وزيادة الحُسن، وهباته الكريمة تُقبل بوجه الإحسان
على فَرْع الأصل الأسمى وتُرْصَع تاجه بيجوهر نغره الأسمى، وسماته الوسيمة، تجمل
شدّ أزر الوزارة الفخيمة، بأَكْفَأ نجل نَحْنُ الزمان عنان الرئاسة إليه وعليه أُنْثِي -
أن يستقر فلان في كذا وكذا : لأنه رُبِّي في حِجْرِ الرِياسه، وأجتنى من الروض المجدد
الذى أعلّى السعد غراسه ؛ ونشأ من عِلّ السؤدد والفَخار، وبرَغ من بيت حَقَّت
له رِضة الأقدار ؛ وبَسَقُ غُصْنُ فرعهِ من أصل ثابت، وسَمَا بدُوحِ عِزِّ في مواطن
العالى نابت، وهُمى نَدَى قَلْبِهِ بانتسابه إلى سَرَاة الكُتُب فناهيك من كاتِب لأبى
الخلل كاتِب ؛ تَعْتَرِفُ الدولة لَسَلَفِهِ بسالف المُهُود، وتَعْتَرِفُ من مَنَهل تَدْيِيرِهِم
المُورُود ؛ وتَحْمِلُ من تاجِهِم بأَسْنَى العُقُود، وتَسْمُو من غرِوزَاتِهِم وِوزَارَةِ غَرَمِ
بما يعلّ الأوجُود بالجوُد؛ وتَحْتال من تصريف أعلامهم وأقلامهم تصريفهم في روض
التنفيذ المَهود فإن ذِكْرَت ما تُرْجِدُهُ قَصَّرَتْ عن إدراكها الحُددُود، وإن شِكرت
مناقبُ والده - أجله الله - ففَجَّرَها الباذِخُ مشهُود؛ وهو بِلِسَانِ العامِّ والخاصِّ
ممدوح مَعود، وإلى معاني خَطِّهِ تنتهى درجاتُ الصُّعود والسُّعود؛ فلا غَرَوَ لهذا
الفرع الناجِب أن يَتَّبِعَ أصله، وأن يَسْلُكَ فضائله وفُضْلَه ؛ وأن يَقْفُو مَنَهِجَه،
ويَحْدُو في الكتابة طَريقَتَه المُنْهَجه ؛ وَيَأْتِي مِنَ البراعة بِسَنَنِ القَويم، ويُرِز من
البراعة وَشَى خَطِّهِ الرقيم؛ وأن يُحْمِلَ أجيادَ المَهارِق بيجوهر تاجِهِ النُضيدِ النَظِيم، وأن
تَحْمَلُ أَلْفاظَه في الإنشاء حين تَتَرَّ على الإسماع مُرُورَ النسيم ؛ [لا] سِماً وقد ظَهَرَتْ
عليه من تحايل الرأسة دَلالِيل، وشِيعَتْ له مناهِلُ الأدب والفضائل ؛ وحاز من
حُسن النُشأة ما سار بِشُكره المثل، وحَصَلَ من الاشتغال على كَثَرِ المعرفة وآشَمَل ؛
وغداً جديراً بكلِّ مَرْتَبَةٍ سَيَّه، وكلِّ رِفْعَةٍ هي بأَعْدائِها مَبْنِيه .

فليأشِرْ ذلك مباشرةً بِمَحَلِّهَا لباب المعالى مفتَحًا ، وللزيادة من كل خير سببًا كُلَّمَا
أَبْدَى النُّهْرُ مَسَاءً وَنَحْيًى ؛ وَلِيَتَّقَلَ فِي أَتْبَاعِ مَهَيِّجِ الْمَجْدِ عَنْ وَالِدِهِ وَجَدَّهُ أَبْقَاهُمَا اللهُ
تَعَالَى ، وَلِيَدَأْبَ لِلتَّحَلَّى بِأَخْلَاقِهِمَا الْحَسَنَةِ أَقْوَالًا وَأَعْمَالًا ؛ وَلِيُبْهِجَ الطُّرُوسَ بِوَشْيِ
قَلَمِهِ ، وَلِيَتَمَقَّ الْمَكْتُبَاتِ بِبَلَاغَةِ كَلِمِهِ ؛ وَلِيَتَخَذَ الصُّوْنَ شِعَارَهُ ، وَالْعَقَافَ دِيَارَهُ ؛
وَالْأَمَانَةَ مَعْتَمَدَهُ ، وَالزَّاهِمَةَ مَسْتَنَدَهُ ؛ وَضَبْطَ الْقَوْلِ مَادَّةَهُ ، وَحِفْظَ الْيَدِ وَاللسانِ
جَادَتَهُ ؛ وَالْوَصَايَا كَثِيرَةً وَمَلَكَهَا التَّقْوَى وَهِيَ حِلَّتُهُ الْحَقِيقِيَّةُ ، وَعَقِيدَتُهُ الْعَقْلِيَّةُ
وَالْمَنْطِيقِيَّةُ ؛ فَلْيَجْعَلْهَا دَأْبَهُ ، وَلْيَرْضَ فِي إِعْلَانِهِ لَهَا رَبَّهُ ؛ وَاللهُ تَعَالَى يُعَلِّي قُدْرَهُ وَجَدَّهُ ،
وَيَحْفَظُهُ وَأَبَاهُ وَجَدَّهُ .



وهذه نسخة توقيع شريف بكتابة دَرَجٍ تَجْدِيدًا ، وهى :

رُسِمَ ... - لا زال يَمْنَحُ الأولياءَ ، بتجديد النعم إحسانًا ، وَيُوَلِّي البُلغَاءَ ، فضلًا
يُعَلِّي لهم رُتَبَةً وَشَانًا ، وَيُسَدِّى لهم فى ديوان إنشائه الشريف فضائل جَمَّةً وَبَيَانًا -
أَنْ يَجِدَّ هذا التوقيعُ الشريفُ بِاسْمِ فلان تجديدًا لِأَنْوَارِ الإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، وَتَأَكِيدًا
لِمَزَايَا الْإِمْتِنَانِ لَدَيْهِ ، وَتَسْدِيدًا لِمُسْتَنَدِهِ الَّذِى أَلْقَاهُ وَجْهُ الْإِقْبَالِ إِلَيْهِ ؛ لِمَا حَازَهُ مِنْ
فَضِيلَةٍ تَامَّةٍ ، وَبَلَاغَةٍ مَلَأَتْ بِبَدِيعِ الْمَعَالِي وَمَعَالِي الْبَدِيعِ الْفَائِظَةَ وَكَلَامَهُ ، وَكُتِبَتْ
أَجْرَتْ فى حَوَاشِي الطُّرُوسِ بِمُحَقِّقِ التَّوْقِيعَاتِ أَقْلَامَهُ ، وَأَمَانَةٍ بَنَتْ عَلَى الصَّدْقِ
وَالْعَقَافِ أَقْسَامَهُ ؛ وَرِيَاسَةٍ تَأْتَلُّ مَجْدَهَا ، فَبَلَغَ مَرَامَهُ ، وَأَتَّصَلَ سَعْدُهَا ، فَلَا يَمُوتُ
أَنْفِصَامَهُ ، وَبَعْدَ شَأْوِهَا فَهِيَ السَّامِيَةُ إِلَى رُفْعِ الْمَنَازِلِ مِنْ غَيْرِ سَاكِمَةٍ . قَدْ أَتَّصَفَ مِنْ
الْبَرَاعَةِ بِجَمِيلِ الْأَوْصَافِ ، وَظَهَرَ أَسْتَحْقَاقُهُ فَهُوَ بِإِدِّ غَيْرِ خَافٍ ؛ وَتَرَوَّى مِنْ بَحْرِ الْبَلَاغَةِ

حيثُ وَرَدَ مِنْهَا الصَّافِ ، وَسَلَكَ طُرُقَ الْخَيْرِ فَتَضَاعَفَ لَهُ الْإِسْعَادُ وَالْإِسْعَافُ ،
وَأَمَّا زِيَادَةُ التَّجَمُّلِ فِي أُمُورِهِ وَالْعَفَافِ ؛ وَأَسْتَحَقُّ بِذَلِكَ أَنْ تُجَدَّدَ لَهُ فَضْلُ الْأَلْفَةِ ،
وَنُوكِدَ لَهُ بِكُومِنَا نَيْلَا أَعْتَادَهُ وَعَرَفَهُ .

فَلَيْسَتَمَرَّ فِي ذَلِكَ أَسْتِمْرَارًا بِهِ أَسْبَابُ الْخَيْرِ مُؤْتَلَفَةً ، وَوُجُوهُ الْفَضَائِلِ عَنْ صُنُوفِ
الْكُتَابَةِ غَيْرِ مُنْصَرَفَةٍ ؛ وَلْيُبَدَّ مِنَ الْبَلَاغَةِ بَيَانُهَا الْبَدِيعُ ، وَيُجَمَّلَ مَنَزِلُ الْعِلْيَاءِ الرَّفِيعِ ؛
وَيَسْلُكَ مَسْلَكَهُ فِي الْأَمَانَةِ ، وَيَتَّقِ اللَّهَ تَعَالَى بِمُلَازِمَةِ الْمُرَاقَبَةِ وَالذِّيَانَةِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى
يُعْلِي مَكَانَهُ ، وَيَزِيدُ فِي أَقْبَتِيَاءِ الْفَضَائِلِ إِمْكَانَهُ ؛ وَالْاعْتَادُ عَلَى الْعَلَامَةِ الشَّرِيفَةِ أَعْلَاهُ ،
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قُلْتُ وَرُبَّمَا كُتِبَ التَّوْقِيعُ لكَاتِبِ الدَّرَجِ بِزِيَادَةِ مَعْلُومٍ ، فَيَحْتَاجُ الْكَاتِبُ إِلَى أَنْ
يَأْتِيَ بِبَارَةٍ تَجْمَعُ إِلَى مَا تَقْدَمُ مِنْ بَرَاةِ الْاِسْتِمْلَالِ مَا يَلِيهَا مِنْ مُوجِبِ الْاِسْتَحْقَاقِ ،
وَسَبَبِ الزِّيَادَةِ وَتَرَادُفِ الْإِحْسَانِ .



وهذه نسخة توقيع بشهادة الخزانة، كُتِبَ بِهِ لِابْنِ عُبَادَةَ، وَهِيَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي أَفَاضَ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ مِنْ خَزَائِنِ فَضْلِهِ ، وَأَفَاءَ لَمْ أَوْفَرَ نَعِيمٍ
مِنْ إِحْسَانِهِ الْمَشْكُورِ فِيهِ عَدْلٌ قَسَمَهُ وَقَسَمَ عَدْلُهُ ، وَأَهْمَى عَلَيْهِمْ مِنْ تُحِبُّ مَوَاهِبِهِ
مَا يَقْصُرُ عَنْهُ الْفَهَامُ فِي وَبْلِهِ وَطَلَّةً ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ جُودِهِ الْعَمِيمِ مَا يَصْفُو لَدَيْهِمُ الْمَرْحُ
فِي وَارِفِ طَلَّةً ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ أَشْرَفَ رُسُلِهِ ، وَخَاتَمِ
مَنْ جَاءَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِهِ ، وَالْهَادِي يَهْدِيهِ الشَّرِيفَةِ إِلَى طُرُقِ الْحَقِّ وَسُبُلِهِ ؛
وَعَلَى آلِهِ وَتَحِبُّهُ الَّذِينَ تَابَعُوهُ فِي قَوْلِهِ وَفَعَلَهُ ، وَيَابَعُوهُ عَلَى الْمَظَاهِرَةِ فِي نُصْرَةِ الدِّينِ

الحنيف وأهله ، وجمعوا همهم على ألتئام كلمة الإيمان وجمع شمله ، وأرهف كل منهم في نصره ماضى عزيمه ونصله - فإن أولى من ريعيت له حقوق ذمامه ، ومنح أجزل العطاء الذى تمضى الأقدار بدوامه ، ولو حظ بعين الإقبال ما أسلفه من حسن الطاعة لله ورسوله وإماميه - من جد في الخدمة فاضحى الجَد له خادما ، ودأوم على المناصحة فغدا سعدا دائما ؛ وأخذ من كل فضل بزماميه ، ومَتَّ بِمَالِهِ عَلَى الدولة الشريفة من حرمة وذمامه ؛ وسلك في أداء الأمانة السنن القويم ، وجعل على خزائن الأرض بما تَلَا لسان فضله : ((إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ)) ؛ وتمسك من الإخلاص بأقوى الأسباب ، وجعلت له التقوى محلا يدخل عليه ملائكة القبول من كل باب ، وزين سماء المعالي بكواكب مجده فما تشوف إليها طرف متطاول إلا وأتبعه شهاب .

ولما كان فلان هو الذى غدا حسن مناقبه إلى شكره مُرَشِدا ، وإلى ذكره بالجميل مُسْعِدا ، وألجج لسان القلم في وصفه مُنْشِدا ، وأختص من هذه الحماد بأوقرها قسما ، وطلع في أفق هذا النناء الجميل نجما ، فلذلك رسم

ومنها - استيفاء الدولة .

وموضوعها التحدث في كل ما يتحدث فيه الوزيرُ وناظرُ الدولة ، وضبطُ الأموال الديوانية ، وكتابةُ الحسابات ، وكل ما يجرى بجرى ذلك . وقد جرت العادة أن يكون فيها مستوفيان .

وهذه نسخة توقيع باستيفاء الدولة :

أما بعد حمد الله الذى صارَ الأموال بالأقلام المحرَّرة ، والدفاتر المُسطَّرة ، والحسابات المصدَّرة ، والجوامع المسيرة ، والقيظ الذى استخرج البواقى المنكسرة ،

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أزال ظلام الظلم وتَوَرَّه، ونَحَا الجورَ وغيره،
وأيد الحق وأظهره، وعلى آله البرره، وصحبه خصوصا العشرة المبشرة - فإن للدولة
الشريفة من الأقاليم ضابطا، ولها من الحساب نظاما أصبح عليها سياجا وحائطا،
يصون الأموال أن تكون بأيدي الخاشعين نهي، ويحرز المطلقات بعدا وقربا،
وقلم الاستيفاء هو الذى إذا طاشت أقاليم الكُتَّاب كان فى رأسها لحما، وإذا
خَصَمَ المباشرون بالمُصروف قِيلَ السائق الصحيح وردَّ ما كان سقيا وخرج ما لم
يكن تماما .

ولما كان فلان هو الذى فى الرأسة كبير معروف، وفى السعادة حميد موصوف،
وفى قلبه تصحيح كل مصروف، وله فى الدولة آثار مرضية تشكرها الأقاليم
والسيوف، ما نظر فى حساب، إلا أزال عنه ما به يعاب، ولا رأى فذلك،
إلا وأوَّعَّ فيها المسالك، ولا عرض باقى، إلا استخرج ما يتعين استخراجه بقلبه
الراق، وفهمه الواقع؛ فلذلك رسم أن يستقر

فلما شَرَّ هذه الوظيفة بتحريره وتحبيرة، وتميزه وتثمينه، وتوفيره وتكثيره، وإيراده
وتصديده، وتسيله وتيسيره، وإزالة تسييره، وإذا أمسك دفايره، أظهر ما يره،
وإذا نُسِيت الجملُ أبدى تذاكره، والعمدة على شطبه فى الحسابات الحاضرة،
فلا يخرج من عنده شئ بغير ثبوت فإن التواقيع الشريفة والمراسيم الشريفة هى
كألا مثال سائرته، ولا يتخذ المعين، إلا الأمين، ولا يستعين، إلا بمن هو مأمون
اليمين، والوصايا كثيرة وهو غنى عن التبيين، فليتنق الله رب العالمين، وليستجلب
لنا الأدعية من الفقراء الصالحين، فإن صدقاتنا الشريفة تُنعم عليهم بمرئيات
وأرزاق، ونعم وأطلاق، فليسهل عليهم الصَّعب فى كلِّ باب وإطلاق، والله تعالى
يُمدُّ بالإرفاق بمنه وكرمه، إن شاء الله تعالى .

قلت : وقد يكتب لوظيفة استيفاء الدولة مفتعها : « رسم » .

وهذه نسخة توقيع من ذلك باستيفاء الدولة ، كُتِبَ به لعم الدين بن ريشة ،

وهي :

رُسِمَ بالأمر الشريف - لا بَرِحْتُ أيامه الشريفة تَرْفَعُ لَنَوَى الكفاءة مِن إحسانها
عَلَمًا ، وَتُرْجِعُ مصالحَ الدولة إِلَى مَنْ أَحْسَنَ فِيهَا خِطَابًا وَأَعْمَلَ فِي مُهِمَّاتِهَا قَلَمًا ،
وَتَخْتَارُ مَنْ دَابَّ فِي تَكْمِيلِ أَدَوَاتِهِ حَتَّى صَارَ عَلَى أَنْظَارِهِ مُتَقَدِّمًا - أَنْ يَرْتَبَ فُلَانٌ عِلْمًا
بِكِفَايَتِهِ الَّتِي وَصَحَّتْ ، وَدِرَايَتِهِ الَّتِي فَاقَتْ مُنَاطِرَهَا وَرَبَّحَتْ ، وَأَمَانَتِهِ الَّتِي حَصَلَتْ
الْعَامَّةُ وَأَرَبَّحَتْ ، وَهَمَّتِهِ الَّتِي مَيَّزَتْ الْأَمْوَالَ بِإِحْرَازِهَا فَعَلَ السَّدَادَ خُتِمَتْ وَبِالتَّحَرُّي
أَقْتَصَحَتْ .

فليأشِرْ هذه الوظيفة التي تحتاج إليه باحتراز مثله ، والرَّتَبَةُ الَّتِي يَتَعَيَّنُ عَلَى مُبَاشَرَتِهَا
إِلْصِقَالُ كُلِّ حَقٍّ إِلَى أَهْلِهِ ، فَقَدْ أَرْجَعْنَا ضَبْطَهَا وَتَحْرِيرَهَا إِلَيْهِ ، وَأَعْتَمَدْنَا فِي تَسْيِيرِ
أَمْوَالِهَا وَسَدِّ أَحْوَالِهَا عَلَيْهِ ؛ فَهُوَ جَدِيرٌ بِبُلُوغِ الْقَصْدِ فِيهَا قَرَرْنَاهُ لَدَيْهِ ، وَحَرَّرْنَاهُ
بِقَلَمِهِ وَبِيَدِهِ .

فليُسَبِّطْ فِي مَصَالِحِ الدِّيَّانِ الْمُعْمُورِ وَأَمْوَالِهِ قَلَمَهُ ، وَلْيَعْمَلْ بِمَا هُوَ عَالِمٌ مِنْ تَبْيِينِ
حَقَائِقِ أَحْوَالِ وَظِلْفَتِهِ وَيُخْلِصَ فِيهِ قَوْلَهُ وَكَلِمَتَهُ ؛ وَلْيُصَيِّنِ الْأَمْوَالَ ، وَيَتَفَقَّدْ مَا يُلْزِمُ
الْعُمَالِ ، وَيُحَثِّ عَلَى حَوْلِ بَيْتِ الْمَالِ ؛ وَلْيَسْتَرْفِعِ الْحُسْبَانَاتِ مِنْ جِهَاتِهَا عَلَى الْعَادَةِ ،
وَلْيَسْتَوْدِعْ دِفَاطِرَهَا وَجَرَائِذَهَا مِنْ يَتَحَقَّقُ تَحَرُّزَهُ وَسَدَادَهُ ، وَلْيَتَخَذْ مُعَيِّنِيهِ مِنْ أَرْبَابِ
الْحِلْثِ وَالنَّدْرَةِ وَالْإِطْلَاحِ عَلَى كُلِّ نَقِصٍ وَزِيَادَةٍ ، وَإِبْدَاءٍ وَإِعَادَةٍ ؛ وَلَهُ مِنْ نَفْسِهِ
مَا لَا يَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى زِيَادَةِ الْوَصَايَا وَتَكْثِيرِهَا ، وَمَنْ أَلْمَعِيَتِ مَا يَذُرُّكَ بِهِ الْفَصْلُ
فِي جَلِيلِ الْأُمُورِ وَحَقِيرِهَا ؛ فَإِنَّهُ قَدْ تَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِ أَهْلِ الْأَدَبِ ، وَشَارَكَ فِي جَلِيلِ

الخطب وسد ما إليه عزمه آتتدب ؛ والله تعالى يلفه من الجود غاية الأرب ،
ويُعينه على صالح العمل وآتتدب القرب ؛ والاعتماد ...

ومنها - استيفاء الخاص . وصاحبها فى الخاص كستوفى الدولة فى ديوان الوزارة .

وهذه نسخة توقيع باستيفاء الخاص لمن لقبه «أمين الدين» وهى :

رسم بالأمر الشريف - لا زالت أيامه الشريفة تُقدم بمحانتها أمينا ، وتقدم
فى خدمتها من أخفى على شمالا ويمينا ؛ وتولى الرب السلية من جعل التحرز لقلبه
مصاحبا ولكلمه مُعينا - أن يستقر فلان فى كذا : لما عُرف من رأسته التى
ميزته ، وأمانته التى جمعت الرقع فأحرزته ؛ وضبطه الذى ترقى به فى المراتب وتقل ،
وإدراكه الذى يصبون به غوامض المصالح ويعقل ؛ ولما سلف له من خدمة ملك
فيها السداد ، ومباشرة علم بها ماهو متصف به من حسن الاعتماد .

فليباشر هذه الوظيفة التى وليها ، وليشهر من همته فيها ما يرفع مكانته ويعليها ؛
وليديم المراقبة لمصالح ديوان الخاص الشريف فى كل قول وعمل ، وليسارع إلى
ما يفيد المناجح ويبلغ من الضبط والتحرز غاية الأمل ؛ وليضمن الأموال من ضياعها ،
ويحافظ على سلوك طرائق الحق وأتباعها ؛ وليسترفع الحسابات من أربابها ،
ويتفقد محرراتها التى هو أعلم وأدرى بها ؛ ويتخذ من معينه من أخصت معرفته
للدقائق جامعها ، ويحتفل بمتحصلات أموال الخاص بعزته التى أخصت لمكانته
رافعه ، لا سيما نثر الإسكندرية التى قد أصبحت جهاتها لطلب أعلامه متابعة
طامعه ، وليزيم كل عامل بتمرير ما يجب عليه وما تنبى فيه المراجعة ؛ فإنا قد أفتناه
لذلك مستوفيا ، ولتصفح أموره الجليلة والحقيقة مستوفيا مستقيما ؛ ولتبقى الله

الذى يبلغه من زيادة متحنا الأمل، ويعينه على صالح العمل، والله تعالى يمتعه من الخير ما ينجح مسعاه ويترهه عن الزيف والزلل، والاعتماد ٠



وهذه نسخة توقيع في المعنى لمن لقبه «بدر الدين» وهى :

رسم بالامر الشريف - لازال يطلىح لدوى الكفاية من احسانه في سماء الإقبال بذرا، ويرفع لمن أم الأبواب لأوليائه من دوى الراسة قدرا، ويشفع لمن شكرت معرفته بنجح القصد فأنشرح له بالمن الجمه صدرا - أن يستقر فلان في كذا : لكفائته التي خطب بسببها إلى مقره ، ودرايته التي أستوجب بها أن نطلق لسان القلم بذكره ، ونزاهته التي أجمعت بها أمثاله على شكره، وأمانته التي تستدعى الحق في حلل الأمر وممره ، ودرايته التي هي أصل في كل أمره، وصيائته التي يمتددها في سر وجهه، ومشارفته المصالح بين يقطيته التي يلوح لها وجه الصواب فيقف عند حده وقدره .

فليباشر هذه الوظيفة التي أسلفها حسن الاعتماد ، وليوفها من معهود يقطيته بمن الاجتهاد، وليحقق حسن ظن المباشرين في رغبتهم فيه في الإنصاف في الإرفاق والإزاد ، وليعمر جهات الأموال بحيل الإقتصاد ، ويُنجز الأحوال على سبيل السداد ، وليتبع منهاج الخير في كل ما يأتيه من إصدار وإيراد ، فقد رجع ضبط هذه الجهة إليه ، وأعتمد في تحريرها عليه ؛ فليصن الأموال، ويتفقد ما تحسن به العقبى والمآل ؛ وليتحرر في جميع ما هو لازم له أن يكون على الحق الواضح، والسنة القويم فإنه المتحرر الرابع والمآب الناجح ؛ وتقوى الله تعالى فهي عمدة كل عبد صالح،

(١) لله من أوليائه ذوى الخ .

(٢) لله «ورغبتهم فيه من الانصاف» الخ تأمل .

والوصايا كثيرةٌ مَبْنِيَّةٌ تُغْنِي عن إفصاح الشارح؛ والله تعالى يُلْهِمُهُ الطريقَ السَّيِّدَةَ وَيُرْسِدُهُ، وَيُعِينَهُ بِالتَّوْفِيقِ وَيُجَبِّدُهُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .
ومنها - أَسْتِيفَاءُ الْيُوتِ وَالْحَاشِيَةِ .

وهذه نسخة توقيع بذلك ، كُتِبَ بِهَا لَعَلَّ الدِّينَ «شَاكِر» عَوْضًا عَنْ تَاجِ الدِّينِ
ابن الغزولى فى الأَيَّامِ الْأَشْرَفِيَّةِ «شُعْبَانِ بْنِ حُسَيْنٍ» وَهِيَ :

رَسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتْ صَدَقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تَمُنُّحُ الْأَكْفَاءَ مِنْ إِحْسَانِهَا
نِعْمًا، وَتُضَاعِفُ لَمْ مِنْ عَطَائِهَا كَرَمًا ، وَأَيَّامُهُ الشَّرِيفَةُ تَعْمُ الْيُوتِ الْكَرِيمَةَ بِكَافٍ
قَدْ تَنَسَّرَتْ لَهُ الْأَمَانَةُ فِي دَوْلَتِهِ الْأَشْرَفِيَّةِ عَلَمًا، وَمَوَاهِبُهُ تَقْدَمُ لِلْوَظَائِفِ مَنْ أَحْصَى
شَاكِرًا لِلَّهِ تَعَالَى وَتَبَسَّطُ لَهُ فِي دَوَاوِينِ أَعْزَى الْأَنْصَارِ قَلَمًا - أَنْ يَسْتَقِرَّ الْمَجْلِسُ السَّامِى
الْقَاضِى ، فَلَا نُ الدِّينَ فِي كَذَا وَكَذَا : لِأَمَانَتِهِ الْمُؤَقُّوْرَةِ ، وَمَعْرِفَتِهِ الْمَشْهُورَةِ ، وَمَحَاسِنِهِ
الْمَذْكُورَةِ ، وَسِيرَتِهِ الْمَشْكُورَةِ ، وَكَتَابَتِهِ الَّتِي أَصَحَّتْ فِي صَفَحَاتِ الْحُسْبَانَاتِ
مُسْطُورَةِ ، وَدِيَانَتِهِ الَّتِي جَدَّدَتْ بِهِجَتَهُ وَسُرُورَهُ ، وَخَبْرَتِهِ بِمَنَازِلِ الْيُوتِ الْمَعْمُورَةِ ؛
وَقَدَّمَ هِجْرَتَهُ فِي الْوَظَائِفِ الَّتِي أَوْجَبَتْ نُقْلَتَهُ إِلَى أَجْلِهَا، وَصَدَارَتِهِ الَّتِي رَفَعَتْهُ إِلَى
أَرْفَعِ مَحَلِّهَا، كَمْ لَهُ فِي دَوَاوِينِ أَعْزَى الْأَنْصَارِ مِنْ أَقْلَامٍ مَنَّقَذَةٍ، وَآرَاءٍ مُسَدَّدَةٍ، وَنَظَرٍ
أَصْلَحَ بِهِ كُلِّ فَاسِدٍ، وَكَبَتْ بِهِ كُلِّ حَاسِدٍ؛ وَضَبَّطَ لِأَصُولِ الْأُمُوالِ، وَتَبَيَّنَ لِلصَّالِحِ
فِي الْبَكْرِ وَالْأَصَالِ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوُظَيْفَةَ الْمُبَارَكَةَ الَّتِي هُوَ أَخْبَرُ بِمَبَاشَرَتِهَا، وَأَعْلَمُ بِأَحْوَالِ الْيُوتِ
الْكَرِيمَةِ وَعِمَارَتِهَا؛ وَلْيُظْهِرْ فِي الْحَاشِيَةِ السَّعِيدَةِ مَا تَرَاهُ الْحَسَنَةَ، وَزَاهِتَهُ الَّتِي نَطَقَتْ
بَشْرُهَا الْأَلْسِنَةَ، وَلْيَبْدُ فِي مَبَاشَرَتِهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ، وَلْيَسْلُكْ طَرِائِقَ الْأَمَانَةِ،
وَلْيَقِفْ آثَارَ ذَوَى الْعَقَافِ وَالصَّبَّانَةِ ؛ وَلْيَلْزَمْ مَبَاشَرَةَ أَعْزَى وَلِيٍّ فِي الْمَسَاءِ وَالصَّبَاحِ،

ولا يشغله شغلٌ عن مصالح ممهد الدول من [هو] لسلطاننا الأشرف أمير سلاح ،
والله تعالى يفتح له من الخير أبواب النجاح . والاعتماد على الخط الشريف أعلاه ،
إن شاء الله تعالى .

قلت : ومما يغترط في سلك توابع أرباب الوظائف السلطانية وظائف
دواوين الأمراء الخاصة ، فإنه ربما كُتب عن السلطان التوقيع لبعض أرباب
وظائف دواوينهم كما يكتب في الوظائف السلطانية .



وهذه نسخة توقيع كريم بنظر دواوين بعض الأمراء ، وهى :

أما بعد حمد الله الذى هدنى إلى الملة المحمدية من أسرار الإيمان فى قلبه ونواه ، وضّم
إلى الأئمة [الاسلامية] من أضرر الإخلاص فأظهره الله فى متقلبه ومثواه ، وجمع لولى
الدولة ومخلصها الفرج والفرح لأنه من توكل عليه كفاه ، والشهادة بالوحدانية التى
تُبَلِّغ قائلها من رضا مناه ، وتجعل جناته لمن أسرها جناته مستقره ومأواه ؛ والصلاة
والسلام على سيدنا محمد الذى قسم عداه ، وقسم عرا من عداه من أهل الشرك
وعداه . وعلى آله وصحبه الذين آهتوا بهداه ، وأستجدوا جداه ؛ ولَبَّوْا نِداه ، وأموا
نّواه ؛ صلاة تُجْزِل لمصلها ثوابه ، وتُجَلِّل مآبه ، وتُجِدِّد عُقباه - فإن أولى من رفع له
الكرم محلا ، وقلدته النعم عقدا محلا ؛ وأعيد إلى رتبة الإصطفاء ، وقُوض إليه ديوان
أعز الأخصاء ؛ ومُصَرَّف قلبه فى مهامه ، وحصلت همه على جميع أقسامه ؛ وعُدَّت
مصلحته بتدبيره ، ومناجحه بتأيسله وتأثيره ؛ ومنحَصَلاته بتمييزه وتخييره ، وأحواله
وأمواله : هذه بحسن تصرفه وهذه بحسن تقريره - من دخل فى دين الله القويم ،
وأجابه وهذا إلى الصراط المستقيم ؛ وكساه الإسلام حلة شرفه ، وبوّأه الإيمان

مَبَانِي غُرْفَه ، وَنَوَى اَلْاَسْتِقَامَةَ فِى اِقَامَتِهِ وَمُنْصَرَفَه ، وَالتَّحَفَ بِجَلَابِ الْاِسْلَامِ
وَأَرْتَدَى ، وَتَلَبَّسَ بِالْاِيْمَانِ فَصَدَّ عَنْهُ الْاَدْنَى وَرَدَّ الرَّدَى ، وَغَدَا مِنْ اَصْحَابِ الصَّرَاطِ
السَّوِىِّ وَمِنْ اَهْتَدَى ؛ مَعَ كِفَايَةِ اَوْجِبَتْ لَهُ التَّقْرِيبَ وَالتَّقْدِيمَ ، وَجَدَدَتْ لَهُ مَلَايِسَ
التَّكْبِيرِ وَالتَّكْرِيمِ ؛ وَكَاثِبَةً فَاقَ بِهَا اَمَثَالَهُ ، وَعَلَا مِثَالَهُ ، وَبَلَّغَتْهُ مِنَ الْعِلْيَاءِ مَرَامَهُ وَمِثَالَهُ ؛
وَمَعْرِفَةً يَفْتُونُ الْحِسَابَ ، وَخَبْرَةً اَعْتَرَفَ لَهُ بِهَا السُّكَّالُ وَالْحُسَّابُ ، وَأَوْجِبَتْ لَهُ مِنَ
الْاِقبالِ مَا لَمْ يَكُنْ فِى حِسَابِ .

ولما كان مجلس القاضى فلان : هو الذى أَخَذَ الْقَلَمَ فِى مَنِيحِهِ ، وَالكَرَّمَ فِى مَنِيحِهِ ؛
اَقْتَضَى رَأْيُنَا الشَّرِيفُ أَنْ نُقِيلَ عَلَى اِقبالِهِ عَلَى الدِّينِ بَوَجهِ الْاِقبالِ ، وَأَنْ نَبْلُغَهُ
فِى اَيَّامِنَا الشَّرِيفَةِ مَا كَانَ يَرْجُوهُ مِنَ الْاَمَالِ . فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْاَمْرِ الشَّرِيفِ - لِاَزَالِ
يَرْفَعَ مَنْ كَانَ لِلدَّوْلَةِ وَلِيًّا ، وَيَضَعُ الشَّيْءَ عَمَلُهُ بِتَقْدِيمِ مَنْ اَضْحَى عِرْفَانُهُ جَلِيًّا ^(١) .

فَلْيَا شَرُّ ذَلِكَ مَبَاشَرَةً تَبْلُغُهُ اَمَلًا مِنَ الْاِعتِلَاءِ ، وَتَوَلَّهَ مَرَامًا مِنَ الْاِعتِنَاءِ ، وَتَوَمَّنَهُ
بِمِنْ طَوَارِقِ الزَّمَنِ وَحَوَادِثِ الْاِعتِدَاءِ ، طَالَمَا بَانَ دَوْلَتُنَا الْفَلَانِيَّةُ الْمَنْصُورَةُ مُجَازِي
عَنِ الْحَسَنِ بَامْثَالِهَا ، وَأَنَّ اَيَّامِنَا الْفَلَانِيَّةَ الْمَشْهُورَةَ الْمَشْكُورَةَ تَبْلُغُ اَوْلِيَاءَهَا غَايَةَ
اَمَالِهَا ؛ وَأَنَّنَا اَجْرُنَا رِزْقَهُ ، وَاجْلُنَا ذِكْرَهُ ، وَاجْرَيْنَا عَلَى لِسَانِ الْقَلَمِ حَمْدَهُ وَشُكْرَهُ ؛
فَلْيَعْتَمِدْ فِى مَبَاشَرَتِهِ الْاَمَانَةَ الْمُدْرَهُ ، وَالتَّزَاهَةَ الَّتِى رَقَعَتْ مَاسَاءَهُ وَوَضَعَتْ مَاسَرَهُ ؛
وَلْيَشْمَرْ فِى مَصَالِحِ هَذَا الدِّيَوَانِ السَّعِيدِ عَنْ سَائِدِ اجْتِهَادِهِ ، وَيَعْتَمِدْ فِى اُمُورِهِ مَا اُلْتَفَ
مِنْ سَدَادِهِ ، وَيَتَخَرَّجَ مِنَ السَّعَادَةِ مَا كَانَ قَبْلَ الْقَوْلِ مِنْ سَعَادَةٍ ؛ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ،
وَيَجْعَلِ التَّقْوَى حِلْبَةً لِاَوْقَاتِهِ ، وَحُلَّةً عَلَى سَائِرِ تَصَرُّفَاتِهِ ؛ وَيَسِرَّ بِتَقْوَاهُ سِرًّا خَبْرًا
وَخُبْرًا ، وَيَذَرُ جَوْرًا وَجَبْرًا ، (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ اَمْرِهِ يُسْرًا) .

(١) أَنْ يَسْقُرَ فِى دِيَوَانِ كَذَا اَلْخِ وَحُلَّتْ اَخْتِصَارًا لَلْكَتَابَةِ وَكَثِيرًا مَا يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ .

قلت : وغالب ما يعتنى به في تواقع أرباب الأقسام المفتحة : «رُسم» الدعاء
المصنَّع به التواقع [و] اشتغاله على براعة الاستهلال .

وهذه جملة أدعية من ذلك يُفسج على منوالها :

أثير الميراث — لازال فلك فضله أثيرا ، وطالع سعده مثيرا ، وهبوب
ريح مبراته لخيرات مثيرا .

أمين الدين — لازال يتننى للخدم الشريفة خير أمين ، ويصطفى للقيام
بالمصالح أنقض معين ، ويمتني لأهم المهمات من هو غير متهم في المناصحة وغير ظنين .

بدر الدين — لازال يؤلى المناصب الدينية من سلك في النزاهة مسلكا
جميلا ، ويؤلى الفضل الجزيل من أضى لإشراق بدره على آثار حظه دليلا .

برهان الدين — لازالت أوامره الشريفة ترفع للعالماء شانا ، وتقيم على
استحقاقهم دليلا واضحا وبرهانا .

تاج الدين — لازالت صدقاته الشريفة ترفع تاج الفضائل على الرؤوس ،
وربه الشامل يدرك النفوس ويزكي الفروس ، وتوارد إفضاله يوشى المهارق ويدجج
الطروس .

تقي الدين — لا زالت صدقاته الشريفة تقدم كل تقى ، وترجح
ميزان من هو بالفضائل أعلى ملي ، وترفع قدر من إذا سئل عن محله في الرياسة
قيل ملي .

جمال الدين — لازال جمال جميله للنفوس راتبا ، وإفضاله المتوافر لكل
إفضال سابقا .

جلال الدين — لازالت صدقاته الشريفة تزيد جلال ذوى الفضل
جلالا، وإحسانه المتواتر يوسع في البر لأولى المستحقين جمالا، وبره المتتابع تقصر
عنه خطا كل ريتادى : هكذا هكذا وإلا فلا لا .

رضى الدين — لازال رضى السجيا ، ظاهر المزاي ، مسترسل ديم
المطايا .

زين الدين — لازال نواله الشريف زينا لناله ، وسؤاله المحقق إجابته
شرقا لسائله ، وقاصد بابيه الشريف يوم بالخير في عاجل الأمر وآجله .

سراج الدين — لازالت عنايته الشريفة تحض أوليائها بجزيل المواب ،
وتبلغهم من صدقاتها العامة غاية الآمال وأقصى المطالب ، وتوقد لهم من أنوار
سعادتها سراجا يقلب على نور الكواكب .

سرى الدين — لازالت صدقاته الشريفة تصطفى من أرباب الكتابة
من يبيد المعاني فلا يفسد لفظا إلا جعل تحته معنى سريا ، وترضى من فوسان
البراعة في ميدان البراعة من يرتقى بيلاغته مكانا عليا ، وتحتج من أهل الإجابة من
تميز بالإفادة فلا يزال كلامه لأجياد الطروس حيا .

شرف الدين — لازالت صدقاته الشريفة تضع الشئ في محله ، وترجع
الفضل إلى مستحقه وأهله ، وتختار للناصب من ظهر شره بين قوله وفعله .

شمس الدين — لازالت صدقاته الشريفة تطلع في سماء المعالي من ذوى
الرياسة شمسا ، ويقمه الجسيمة تثبت في روض الإحسان غرسا ، ومراسمه العالية
تنقل إلى رتب الرياسة من شلت كفه على عدد الأماني شمسا .

شهاب الدين — لا زالت صدقاته الشريفة تُطْلِع في أَفْهَاهِا شهابا ، وتَهْمِل من جَزِيل المَوَاقِب للأمانِي تَحَابا ، وتَضَع الشَّيْءَ في محله وتَزِيدُ الأُمُورَ آنظاما والدعاءَ آسِجَلًا .

صدر الدين — لا زالت آراؤه الشريفة تستجيد من ذَوِي الفضائل مَنْ جَاوَزَ الجَوَازَ نَظْمًا وفاقَ النَّثْرِ ثَرًا ، وتستفيدُ به المناصب من الأمانِل مَنْ تَقْصُرُ عن مجده الكواكبُ رِفْعَةً وَقَدْرًا ، وتستريد منه المراتب من فاق تَحَبَّانَ وائِل وساد الأوائِل فاضحى في مجالس العلياء صَدْرًا .

صلاح الدين — لا زال أمره الشريف يَقتَم من يُفِيد ويُجِيد ، فيكون لكل أمر صلاحًا ، وكرمه الطويل المديد ، يشمَل من ذَوِي الفضائل مَنْ فاق «تَحَبَّانَ» وائِل فصاحة وفاق «حاتم» الأوائِل تَمَاحًا ، ورأيه الرشيد السديد ، يختار مَنْ إذا انتفى البراعة غلب رأيه سَوْفا وطال قلبه رِمَاحًا .

ضياء الدين — لا زالت آراؤه الجميلة ، تختار من ذَوِي الفضائل الجليّة من تَرَدَد به المناصب ضياءً ، ونعمه الجزيلة ، تُم كلّ بارع إذا أدلّجَت الخطوب كان قُوّه لها جِلاءً ، وعوارفه المستطيلة ، تشمَل كلّ فاضل بذلّ في الخدمة جُهده وتَكْسُوهُ هبة وبهاء .

علم الدين — لا زال جزيل إحسانه ، أَوْصَح من نارِ عُلَى عَلم ، ومزيد أمّتيّانه ، يشمَل أربابَ السيف والقلم ، وتُحِبُّ بَنَانَهُ تَسُح فلا تَسُح يَجْزِل الكرم .

علاء الدين — لا زال علاء دولته يصطفي ذَوِي الفضائل ، ويختار من الفُصَحَاء من يَفُوت الأوائِل كما اضحى يَفُوت الأوائِل ، ويقدم مَنْ هو في تدبير البراعة كَمَلِّ بَنِ هِلَال وفي حُسن البراعة كَسَحَبانِ وائِل .

عَزَّ الدِّينَ — لَا زَالَتْ صِدْقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تَزِيدُ قَوَى الْأَعْلَامِ، مِنْ حَزِيلِ
الْإِنْعَامِ، تُنِيلُهُمْ عِزًّا، وَتُسْتَجِيدُ مِنْ كُتَابِهَا الْأَعْلَامِ، مِنْ حُصْنِ بَجَوَاهِرِ الْكَلَامِ،
فَكُلُّ حُسْنٍ إِلَى كَلَامِهِ يُعْزَى، وَتُسْتَفِيدُ مِنْ مُجَبَّاءِ الْأَيَّامِ، كُلِّ بَارِعٍ كَأَنَّ كَلَامَهُ زَهْرُ
الْكِيَامِ، فَلَوْ خَاطَبَ تَحِيَّانَ لِأَوْرَثِهِ قُصُورًا وَعَجْزًا .

عَمَادُ الدِّينِ — لَا زَالَتْ آرَاؤُهُ الشَّرِيفَةُ تُنْخِذُ مِنْ مُجَبَّاءِ الْكُتُبِ، عِمَادًا،
وَتُخْتَارُ مِنْ قَوَى الْفَضَائِلِ فِي الْخِطَابِ، مَنْ يَجِدُ لِكَلَامِهِ حُسْنًا وَمَسَدَادًا، وَتُقَدِّمُ
مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ فِي السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ، مَنْ لَا تَعْدَمُ فِي كُلِّ مَقَاصِدِهِ رَشَادًا .

عَضُدُ الدِّينِ — لَا زَالَتْ صِدْقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تُجَمِّلُ مِنْ إِنْعَامِهَا، لَخْدَامِهَا،
عَضْدًا، وَتَلَحُّظُ بَيْنَ إِكْرَامِهَا، وَحَسَنِ أَحْقَارِهَا، مَنْ طَالَ فِي الْفَضْلِ مَدًى، وَتَزِينُ
مِطَالِعَ أَيَّامِهَا، بِسُمُوسِ أَعْلَامِهَا، فَلَا تَرَى مِثْلَهُمْ أَحَدًا .

عَرَسُ الدِّينِ — لَا زَالَتْ صِدْقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تُنْبِتُ فِي رَوْضِ الْإِحْسَانِ،
مِنْ أَرْبَابِ الْيَأْنِ، عَرَسًا، وَتُجَنَّبُ مِنْ كِيَامِ اللِّسَانِ، أَزَاهِرُ النُّكْتِ الْحِسَانِ،
وَتَزِينُ بِهَا طُرْسًا، وَتُفَيِّضُ مِنْ مَوَاهِبِ الْبَنَانِ، مَا يَشْهَدُهَا بِجَزِيلِ الْإِمْتِنَانِ،
فَيَطِيبُ كُلَّ أَمَلٍ نَفْسًا .

غِيَاثُ الدِّينِ — لَا زَالَتْ صِدْقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تُبْدِي لِكُلِّ أَمَلٍ غِيَاثَهَا،
وَتُضْفِي ظِلَّهَا عَلَى مَنْ أَسْتَجَارَ بِهَا وَاسْتَفَاثَهَا، وَتُطِيقُ السُّنُ أَعْلَامَهَا، بِجَوَاهِبِ إِنْعَامِهَا،
فَتَبْدُلُ طَرِيقَهَا وَرُثَاهَا .

فَتْحُ الدِّينِ — لَا زَالَتْ صِدْقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تُغَيِّرُ مِنْ قَوَى الْأَعْلَامِ، مَنْ
يَفْتَحُ أَبْوَابَ الْكَلَامِ، فَتَحًا، وَتَهَبُ جَزِيلَ الْإِنْعَامِ، لِمَنْ يَسْتَحَقُّهُ مِنَ الْكُتُبِ الْأَعْلَامِ،

فَيَنَالُ بِذَلِكَ شَاءَ وَرِيحًا، وَتُقَوَّبُ بِيَدِ الْعِنَايَةِ وَالْإِكْرَامِ، مِنْ قَوَى الرِّيَاسَةِ وَالْإِحْتِرَامِ، مَنْ هَزَّ عَلَى الْبُلْغَاءِ قَدْحًا .

نَحْسِرُ الدِّينَ — لَا زَالَتْ أَرَاؤُهُ الشَّرِيفَةُ تُتَّصَبُ فِي الْمَنَاصِبِ، مِنْ يَزِيدَ بِحُسْنِ مَبَاشَرَتِهِ نَحْرُهَا، وَتُحْطَى ظُهُورُ الْمَرَاتِبِ، مَنْ إِذَا أَطْلَمْتَ الْأَيَّامَ لَعَدَمِ فَاضِلِ ظَهَرِ بَفَضِيلَتِهِ بِحَرْفِهَا .

قُطِبَ الدِّينَ — لَا زَالَتْ صَدَقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تُدِيرُ عَلَى قُطْبِ الْبِلَاحَةِ مِنْ أَرْبَابِ الْيَرَاعَةِ نُجُومًا، وَتُشِيرُ بِعَنَائِمِهَا إِلَى مَنْ حَازَ مِنَ الْفَضْلِ قُنُونًا وَأَحْيَا مِنَ الْآدَابِ رُسُومًا، وَتُنِيرُ بِدُورِ سَعْدِهَا لِمَنْ لَمْ يَزَلْ قَلَمُهُ لِأَسْرَارِ الْمُلْكِ كُتُومًا .

كَرِيمُ الدِّينِ — لَا زَالَتْ صَدَقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تَشْمَلُ مِنْ ذَوَى الْفَضَائِلِ مَنْ عُدَّ فِي فَضْلِهِ وَأَصْلِهِ كَرِيمًا، فَتُقَدِّمُ مَنْ لَا لَهُ فِي الْبَلَاغَةِ مِمَّا يُنَالُ فَلَا يَزَالُ بِكُلِّ فَنٍّ عَلِيمًا، وَتُتَّصَبُ فِي الْمَنَاصِبِ مَنْ فَاتَ قَيْسَ الْأَوَائِلِ رَأْيَا وَفَاقَ قُصَا بِحَدِيثِ بَلَاغَتِهِ قَدِيمًا .

كَمَالُ الدِّينِ — لَا زَالَتْ سَعَادَتُهُ الْبَاهِرَةُ، تُطْلِعُ فِي سَمَاءِ الْعُلْيَاءِ مَنْ فَاقَ الْبُذُورَ كَمَالًا، وَأَوَامِرُهُ الْقَاهِرَةُ، تُقَدِّمُ أَسْنَى الْبُلْغَاءِ جَلَالًا، وَأَسْنَى صَدَقَاتِهِ الْوَافِيَةِ، تَعْمُ مِنْ ذَوَى الْفَضَائِلِ مَنْ زَادَ الْمَنَاصِبَ بِحُسْنِ مَبَاشَرَتِهِ مَهَابَةً وَجَمَالًا .

مَجْدُ الدِّينِ — لَا زَالَتْ صَدَقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تَمْلِكُ أَعْنَةَ الْأَقْلَامِ، مَنْ تَرَاهُ لَهَا مَجْدًا، وَتُودِعُ بِجِيدِ الْأَيَّامِ، مِنْ جَوَاهِرِ الْفَضْلَاءِ عَقْدًا، وَتَشْمَلُ بِأَيَادِيهَا الْكِرَامَ، مَنْ إِذَا جُمِعَ الْبُلْغَاءُ كَانَ بَيْنَهُمْ فَرْدًا .

محبي الدين - لازالت أوامره الشريفة تشمل من البقاء من شهر بفضل الخطاب، وإذا مات الفضائل يحيا، وغيث جوده الهامى يفيض فيض السحاب، فيأيد العفا ويحيها، وعنايته تم ذوى الألباب، فتمهد رتب العز وهيها .

موفق الدين - لازالت صدقاته الشريفة تطلع كل هلال من أهدى به كان موقفا، وتملك البراع من يزرى بابن هلال أنى كتب: رقاعا ومحققا، وتفيض لراجها أفضل نوال من شبهه بالفيث كان محققا .

ناصر الدين - لا زال يقرب من أخى لأهل الكلام، بموهفات الأعلام، ناصرا، ويهب طويل الإنعام، لمن باعه مديد في النثر والنظام، فابرح فضله وإفرا، ويتخب من غنا شريعا لعادات الكرام، مضاربا لصفات الكُتاب الأعلام، وأصبح في البيان نادرا .

نجم الدين - لازالت أوامره الشريفة تطلع في أفق السعادة، من ذوى السيادة، نجما، وتم يميز الإفاذه، من عرف بالفضل والإجاده، وفاق أقرانه ثرا ونظما، وتسمح من عنايتها بالإرادة، لمن هو أهل الحسنى وزياده، فتجزل له من كرمها قسما .

نور الدين - لازالت صدقاته الشريفة تم بالنوال، من هو في البراعة متسع الحال، فيزيد الكلام نورا، وحسناته تشمل ذوى الآمال، بما يحدد في البده والمآل، فتملا القلوب سُرورا، ومبراته تصل أولى الكمال، وتتخب أخبار العمال، فلا يرح أنفذ الملوك أمورا .

نظام الدين - لازال يتخير من كان في الناس مجيدا ، وفي البيان مجيدا ،
فحسن لفظه نظاما ، ويهب من ربه مزيدا ، لمن كان في الخدمة مزيدا ، فلا ينقص
للتصبيحة ذماما ؛ ويبدل كرما مفيدا ، لمن يراه في الفضل مبدئا ومعيدا ، فجاز نقارا
وطاب كلاما .

همام الدين - لازال يرتضى من هو في فؤسان اليراعة أنهض همام ،
ويقتضى وعد كرمه لمن نهض في الرئاسة نهوض أهتام ، وينتضى عضد^(١) ذهنه
فيصيب مفصل كل كلام .

ولي الدين - لازال يحل أجياد المناصب من قوى البلاغة ، بمن يحسن
في الكلام الصياغة ، فينظمه حليا ، ويحل كرب المراتب من فؤسان اليراعة ، بمن
راح فضله ولفظه جليا ؛ ويؤلى المناصب من غدا في البيان وافر البضاعة ، فالتخذته
الأفلام وليا .

الضرب الرابع

(من الوظائف التى يكتب فيها بالديار المصرية مَشِيخَةُ الخَوَاقِ ،
وكُلُّهَا يُكْتَبُ بِهَا تَوَاقِيعُ)

وهى على طبقات :

الطبقة الأولى

(ما يكتب فى قطع النصف بـ «المجلس العالى» مفتتحا بـ «الحمد لله»
وهو مَشِيخَةُ الشيوخ خَاصَّةً)

وَأَعْلَمُ أَنَّ مَشِيخَةَ الشيوخ كانت فيما تَقَدَّمَ تُطْلَقُ على مَشِيخَةِ الخَلِيقَةِ الصَّلَاحِيَّةِ ،
«سعيد السعداء» فيكْتَبُ فيها بِئْلك . ولم يزل الأمرُ على ذلك إلى أن بَغَى السلطان
الملك الناصرُ «محمد بن قلاوون» الخَلِيقَةَ الناصريَّةَ بِبِرِّياقوسَ ، أَسْتَقَرَّتْ مَشِيخَةُ
الشيوخ على من يكون شيخًا بها ، والأمرُ على ذلك إلى الآن .

وهذه نسخةٌ تَوقِيعَ بِمَشِيخَةِ الشيوخ بالخَلِيقَةِ الصَّلَاحِيَّةِ «سعيد السعداء»
بالقاهرة المحروسة بِاسْمِ الشيخ شمس الدين بن النُجْجَوَانِي ، من إنشاء المقرِّ الشهابي
أَبْنِ فضل الله العمرى ، وهى :

الحمد لله مُرَقِّ أوليائه ، ومُوقِّ أَصْفِيائِهِ ، ومُلقَى كَلِمَةِ الإِخْلَاصِ لمن تَلَقَّى سِرَّهَا
المُصُونِ عن أَنبيائه .

نَحْمَدُهُ على مُصَافَاةِ أَهْلِ صَفَائِهِ ، ومُؤَاظَاةِ نِعَمِنَا لمن تَمَسَّكَ بِهُودِ وَفَائِهِ ، وَتَسَلَّكَ
فَأَصْبَحَتْ رِجَالٌ كَالْجَوَاهِرِ لَا تَنْتَظِمُ فى سِلْكِهِ وَلَا تَعَدُّ من أَكْفَائِهِ ، وطَاعَ لِلدِّينِ شَيْبًا
يُبَاهِي الشَّمْسَ بَضِيائِهِ ، وَيُبَاهِلُ الْبَدْرَ التَّامَ فَيَتَغَيَّرُ نَارُهُ من نَجْمِهِ وَتَارُهُ من حَيَّائِهِ .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُعَلِّمُهَا ذُنُورُ اللَقَائِهِ ، ونفرا
باقياً ببقائه ، راقياً في الدرجات العلى بارتقائه .

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله مبلغ أنبيائه ، ومسوخ الرُّسُلِ لأحبابه ؛
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان من أهل ولّاه ، ومن عَرَفَ به الله
لما تفكر في آلائه ، صلاة يؤمل دوامها من نعمائه ، ويؤمن عليها سُكَّانُ أرضه
وسمائه ؛ وسلم تسلياً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى ما استقام به [الشخص على] الطريقه ، واستدام به الرجوع
إلى الحقيقة ، واستقام به يطمئن إلى خالقه لا إلى الخليفة ؛ وحفظ ألقه بنير تستضيء به
النيرات ، وتوهُّ تنقسم به الغائم المظلمات - طائفة أهل الصلاح ، ومن معهم من
إخوان أهل الصفاء الصوفية داعي الفلاح ؛ ومن تضمهم من الواردين إليهم إلى
جَنَاح ، والصادرين عنهم بفتح ؛ ومن تُفَتِّحُ له فيهم أبواب السماء ، وتُمَنِّحُ بنفسهم
عامة الخلق ملايس النماء ؛ ومن يُكشِفُ بهجدهم جُحُ كُلَّ ظلام ، ويُكشِفُ
بتوجههم عارضة كُلِّ بدر تمام ؛ ويُستشفى ببركاتهم من داء كل سقام ، ويُستشفى
بدعائهم إذا قصر النيل وقص جناحه الغمام . وهم أولياء الله وأحبّاءه ، وبهم يتعلل
كل لبب هم سقامه وهم أطباءه ؛ أنحلهم الحب حتى عادوا كالأرواح ، وأشغلهم
الحب بصوت كل حمام شجائهم لما غنى وبرح بهم لما ناع ؛ وأطربهم كل سجع
فوجدوا بكل شيء شجنا ، وعذبهم الهوى فاستعدبوا أن لا يلائموا وسنا ؛ ومثل فرط
الكلف لهم الأحباب فما رأوا لهم حالاً إلا حسناً ، وأهمل تكرار الذكري قلوبهم
فما جدوا غربة غربة ولا وطناً وطناً ؛ قربت المحبة لهم في ذات الله كُلَّ مُتَبَاعِد ،
وَأَلَفَتْ أَشْتَاتَهُمْ فاختلقت الأسماء والمعنى واحد .

والخاتمة الصالحة بالقاهرة المحروسة المعروفة بـ «سعيد السعداء» - قدس الله روح وافئها - هي قُطْبُ نُجُومِهِم السائر، ومرا كُرْ أنلاكهم الدائر، وإليها نَحْطُ رُحَالُ سُفَارِهِم، وعليها تُحْطُ رِجَالُ أَسْفَارِهِم؛ تَضْطَرِبُ فِرْقَهُم في البلاد وإليها مَرْجِعُهُم، وعليها مجْتَمِعُهُم، وفيها مواضعُ خُلُواتِهِم، ومطالِعُ جَلُواتِهِم، ومكانُ صَلَاتِهِم، وإمكانُ صَلَاتِهِم؛ ومَشْرِقُ شُجُوسِهِم، ومُؤَيِّقُ غُرُوسِهِم؛ ومنهاجُ طَرِيقَتِهِم، ومِعْرَاجُ حَقِيقَتِهِم؛ مأوئُ هذه الطائفةِ الطائفةِ في شَرْقِ الْبِلَادِ وغَرْبِهَا، وبُعْدِهَا وقُرْبِهَا، وَتَحْمِيهَا وَغُرْبِهَا، وَمَنْ رَفَعَ بُحُوفَهَا أَوْ هُوَ مَحْجُوبٌ بِجُجُبِهَا؛ والمؤهلة والعراب، وأهل الْإِغْتِرَابِ؛ هي فَيْسِحُهُم الرِّجْبِ، وَصَفِيحُهُم الْقَرِيبِ؛ ومِثْلُهُمْ إِذَا اجْتَمَعُوا في الْمَلَأِ الْأَهْلِ زُمْرًا، وَاحْتَرَقُوا الْمَهَامَةَ وما جازوا بَيْسَاءَ وَلَا جَابُوا مُقْفِرًا؛ وبلغوا الغايةَ وما أَرْجَعَ رِكَابَهُمْ حَادٍ في لَيْلٍ سُرَى، وَوَصَلُوا وما فارقُوا قُرُشَهُم الْمُهْمَةَ إِلَى ما وراءَ الْوَرَى؛ شَرْطُ كُلِّ خَاتَمَةٍ أَنْ لَا تُتْلِقَ في وَجْهِ مَنْ يَنْزِلُ فِيهَا أَبَا، وَلَا تُطِيلَ جِهَاتُهَا الْمُنْعَمَةَ لَهُ حِجَابًا، وَلَا تُجِلَّ مقاماتها المرفعة له قبل ١١٢



وهذه نسخة توقيع بمشيخة الشيخ، وهي مشيخة الخاتمة الناصرية لـ «سرياقوس»، مما كُتِبَ بذلك للشيخ نظام الدين الأصفهاني، من إنشاء السيد الشريف شمس الدين :

الطبعة

توقيع شريف بأن يفوض إلى المجلس العالي، الشيخين، النظامي، إمام أبي الشيخ المرحوم جلال الدين عاصم، أبي الشيخ المرحوم سعيد الدين محمد الأصفهاني

القرشي الشافعي - أدام الله النفع ببركته - مشيخة الخانقاه السعيدة الناصرية
ببرياقوس - قدس الله روح واقفها - ومشيخة الشيوخ بالديار المصرية والبلاد
الشامية والحلبيّة ، والفُتُوحات الساحليّة ، وسائر الممالك الإسلاميّة المحروسة ، على
عادته في ذلك وقاعدته ومعلومه ؛ وأن يكون ما يخص بيت المال من ميراث كلّ
من يتوفى من الصوفيّة بالخانقاه ببرياقوس للشيخ نظام الدين المشار إليه ، بحيث
لا يكون لأمين الحكم ولا لديدوان المواريث معه في ذلك حديث ، وتكون أمور
الخانقاه المذكورة فيما يتعلّق بالمشيخة وأحوال الصوفيّة راجعة للشيخ نظام الدين
المشار إليه ، ولا يكون لأحد من الحكّام ولا من جهة الحسبة ولا القضاة في ذلك
حديث معه ، ولا يشهد أحد من الصوفيّة ولا يتنسب إلا بإذنه ، على جاري عادته
في ذلك على ما شُرح فيه ، وأوله :

الحمد لله على نِعَمِهِ الّتي أَلَقَتْ للصالحين من عباده نظاما ، وأسأَنْتَ للصالحين
إلى مُرادِهِ إحراما ، وصَرَفْتَ أوامِرنا بالعدل والإحسانِ لمن قَوَّضَ أُمُورَهُ إلى رَبِّهِ
فَأَنْجَحَ لَهُ مِنْ مَزِيدِ التَّأْيِيدِ مُرَادًا وَمَرَامًا ، وَعَطَقْتَ بِأَوَجِهِ إِقْبَالَهَا الْحِسَانَ عَلَى مَنْ
هُوَ مُتَنَزِّعٌ عَنْ دُنْيَاهُ ، مُتَوَجِّهٌُ إِلَى أَنْحَرَاهُ ، يُمِضِي نَهَارَهُ صَبَإًا وَلَيْلَهُ قِيَامًا .

نحمده على أن جعلنا نَزْعِيْ لِلْأَوْلِيَاءِ دِيْمَامًا ، وَنَسْعِيْ بِالنِّعْمَاءِ إِلَيْهِمْ ابْتِدَاءً وَإِتْمَامًا ؛
وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تَرْفَعُ لِلْمُخْلِصِينَ فِي عِلِّيْنِ مَقَامًا ،
وَتُدْفَعُ بِأَعْمَالِ الصَّدَقِ عَنْ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ بَأْسًا وَأَسْقَامًا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ الَّذِي جَعَلَهُ لِلتَّقِيِّينَ إِمَامًا ، وَفَضَّلَهُ عَلَى النَّبِيِّينَ إِجْلَالًا وَإِعْظَامًا ، وَكَلَّمَهُ
بِالسَّمَاتِ الْمَكْرُمَاتِ ، وَالصِّفَاتِ الْمَشْرِقَاتِ ، مِمَّا لَا يُضَاهَى وَلَا يُسَامَى ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ الَّذِينَ شَرُّفُوا إِضَافَةً إِلَى نَسَبِهِ الشَّرِيفِ وَأَنْضَمَامًا ؛ وَرَضَى اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِهِ

الذين عَرَفُوا الحقَّ فَبَدَّلُوا فِي إِقَامَتِهِ أَجْتِهَادًا وَأَهْتِيَامًا، صَلَاةً مُجَمَّلًا أَتَّيَحًا وَأَخْتِيَامًا،
وَمُجَزَّلًا إِرْبَاحًا وَإِعْلَامًا؛ وَسَلَّمًا تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعدُ، فَنَسَيَّمَا العَدْلُ وَالْإِنصَافُ، لِمَن لَّهُ يُمَيِّنُ الْأَعْرَاقَ أَتَّصَالُ وَبُحْسُنُ
الْأَخْلَاقِ أَتَّصَافُ؛ وَمِن كَرَمِنَا الْفَضْلُ وَالْإِسْعَافُ ، لِمَن لَاخْفَاءُ فِي تَعْيْنِهِ لَتَصْدِيرِ
التَّسْدِيمِ وَتَكَرِيرِ التَّكْرِيمِ وَلَا خِلَافُ؛ وَمِن تَجَمُّدَاتِنَا الْجَمِيلَةِ أَنْ لَا تُضَاعَ حَقُوقُ مَنْ
هُوَ فِي الزَّهَادَةِ وَالْمُبُودِيَّةِ إِمَامٌ، لِأَلْسِنَةِ الْأَيَّامِ، بِجَلَالِهِ الْحَسَنَةِ إِقْرَارُ وَأَعْتِرَافُ ، وَلِزَيَّاتِنَا
بِحَيْلِ الْحَافِظَةِ، وَجَلِيلِ الْمَلَاخِظَةِ، لِمَن تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ التَّوَكُّلِ فَلَهُ أَتَّصَارُ بِاللَّهِ
تَعَالَى وَأَتَّصَافُ: لِأَنَّهُ الْعَرِيقُ الْأَسْلَافُ، الرَّفِيقُ بِالضَّعَافِ، الْحَقِيقُ بِتَوْفِيرِ التَّوْفِيقِ
الَّذِي لَهُ بِمَحْرَكَتِهِ الْمُبَارَكَةِ أَكْتِنَافُ ، الْمُطِيقُ النَّهْوضَ بِأَعْيَاءِ الرِّيَاسَةِ: لِأَنَّ لِقُلُوبِ
عَلَى حُبَّتِهِ أَتَّسْلَافُ، السَّبُوقُ إِلَى غَايَاتِ الْقَلَوَاتِ الَّتِي تُخَفُّ بِهِ فِي بُلُوغِ أَمَادِ
الْإِسْعَادِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى الْأَطَافُ، وَالصَّدُوقُ النِّيَّةِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى فَكَمْ وَالِى لِنِعَائِهِ الزِّيَادَةُ
وَالِاسْتِنَافُ .

وكان المجلس العالى الشيخى، الإمامى، الكبيرى، العالمى، العاقل، الأوحدى،
الْقُدُوى، الْوَرَعى، الزَّاهِدى، النَّاسِكى، الْخَاشِعى، السَّالِكى، الْأَصِيلى، الْعَرِيقى،
الْقَوَامى، الْعَلَامى، النَّظَامى: بِجَمَالِ الْإِسْلَامِ وَالْمَسَامِينِ، شَرَفُ الْعُلَمَاءِ فِي الْعَالَمِينَ،
أَوْحَدُ الْفَضْلَاءِ، قُدُوةُ الْمَشَائِخِ، مَرَبِّى السَّالِكِينَ، كَثَرُ الطَّالِبِينَ، مَوْضِعُ الطَّرِيقَةِ،
مَبِينُ الْحَقِيقَةِ، شَيْخُ شَيْوخِ الْعَارِفِينَ، بَرَكَةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ، وَلِىُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ،
لِصَحْقِ ابْنِ الشَّيْخِ الْمَرْحُومِ فَلَان - أَدَامَ اللَّهُ النَّفْعَ بِبَرَكَاتِهِ - هُوَ الْمَقْوُصُ أُمُورُهُ إِلَى
رَبِّهِ، الْمُعْرِضُ عَنِ الدُّنْيَا بِبَاطِنِهِ وَقَلْبِهِ، الْمُتَعَوِّضُ بِمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ فَضْلِهِ فَسَا زَالِ
الْإِثَارُ مِنْ شَأْنِهِ وَدَأْنِهِ، إِلَى إِخْوَانِهِ وَتَحَبُّبِهِ، فَهُوَ مِنَ الَّذِينَ يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى

حُبِّهِ ، وَيُلهِمُون من العمل المَبْرُور إلى أَقْرَبِهِ من الله وَأَحَبِّهِ ، وَيُقِيمُونَ الظَّلَامَ مع أولياء الله المَخْلَصِينَ وَحِزْبِهِ ، وَيَسْتَدِيمُونَ الإِنْعَامَ من الله تَعَالَى بِالإِحْسَانِ إلى عِبَادِهِ ففَرَعُهُم لِأَصْلِهِم في صُنْعِهِمْ مُشَبِّهٌ ، وَيَسْتَسَامُونَ لِأَحْكَامِ الله تَعَالَى وَكُلُّهُمْ شَاكِرٌ لِرَبِّهِ ، عَلَى حُلُوِّ الْقَضَاءِ وَمُرَّةِ صَابِرٍ عَلَى سَهْلِ الأَمْرِ وَصَعْبِهِ ، سَائِرٌ بِالصَّدَقِ فِي شَرْقِ الوجودِ وَغَرْبِهِ ، مَتَابِرٌ عَلَى الْحَقِّ فِي عَجْمِ الخَلْقِ وَغُرْبِهِ .

فَلَذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ يُوصَلُ الْحَقُّوقَ إلى مَسْتَحِقِّهَا ، وَيُجَمَّلُ الوَثُوقُ بِنِ تَجَمُّلِ المَرَاتِبِ الدِّينِيَّةِ مِنْهُ بِتَرْقِيهَا - أَنْ يَفُوضَ إلى المُشَارِ إليه مَشِيعَةُ الخَلْقِ السَّعِيدَةِ النَّاصِرَةِ بِسِرِّ بَاقُوسٍ - قَدَسَ اللهُ رُوحَ وَأَقْفَهَا - وَمَشِيعَةُ الشُّيُوخِ بِالْأَدْيَارِ المَصْرِئَةِ ، وَالبِلَادِ الشَّامِيَّةِ وَالحَلِيبَةِ ، وَالفُتُوحَاتِ السَّاحِلِيَّةِ ، وَسَائِرِ المَمَالِكِ الإِسْلَامِيَّةِ المَحْرُوسَةِ ، عَلَى عَادَتِهِ فِي ذَلِكَ وَقَاعِدَتِهِ وَمَعْلُومِهِ ، وَأَنْ يَكُونَ مَا يُحْصَى بَيْتَ المَالِ المَعْمُورِ مِنْ مِيرَاثِ كُلِّ مَنْ يَتَوَقَّى مِنَ الصُّوفِيَّةِ بِاخْتِاقِهِ المَذْكُورَةَ لِلشَّارِ إِلَيْهِ ، بِحَيْثُ لَا يَكُونُ لِأَمِينِ الحَكَمِ وَلَا لِذِيوَانِ المَوَارِيثِ مَعَهُ فِي ذَلِكَ حَدِيثٌ ، وَتَكُونُ أُمُورُ الخَلْقِ المَذْكُورَةِ فِيهَا يَتَعَلَّقُ بِالمَشِيعَةِ وَأَحْوَالِ الصُّوفِيَّةِ رَاجِعَةً إِلَيْهِ ، وَلَا يَكُونُ لِأَحَدٍ مِنَ الحُكَّامِ وَلَا مِنْ جِهَةِ الحِسْبَةِ وَلَا الْقَضَاءِ فِي ذَلِكَ حَدِيثٌ مَعَهُ ، وَلَا يَشْهَدُ أَحَدٌ مِنَ الصُّوفِيَّةِ وَلَا يَنْتَسِبُ إِلَّا بِإِذْنِهِ عَلَى العَادَةِ فِي ذَلِكَ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ مَعْدُوقًا بِنَظَرِهِ .

فَلْيُعَذِّدْ إِلَيْهَا عَوْدًا حَمِيدًا ، وَلْيُعِدْ مِنَ الإِصْلَاحِ مَا لَمْ يَزَلْ مُفِيدًا ، وَلْيَعْتَصِمْ بالله تَعَالَى مَوْلَاهُ فِيمَا تَوَلَّاهُ وَقَدْ آتَاهُ اللهُ تَنْبِيْهًا وَتَسْديدًا ، وَلْيُشْهِدْ بِهَا مِنَ القَوْمِ المَبَارِكِينَ مَنْ [كَانَ] عَوْدُهُ قَبْلَ الصُّومِ عِيدًا ، وَهُوَ أَعَزَّهُ اللهُ تَعَالَى المَسْعُودُ المَبَاشِرُ ، المَحْمُودُ

المُعاشِرَة ، المشهودُ منه اعتِمَادُ الاجْتِهَادِ فى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، المَعهودُ منه النَّفْعُ التَّامُّ ، فى فَقْرَاءِ مَضَرِّ وَالشَّامِ ، فَمِنْ أَثَرِ الْخَيْرِ وَآثَرِهِ ، وَكَثْرَةِ الْبِرِّ وَوَاتَرِهِ ، وَيَسَّرِ السَّيْرَ الْحَسَنَ الَّذِى لَمْ يَبْرَحْ لِسَانُ الْإِجْمَاعِ شَاكِرَهُ .

وَنَحْنُ نُوصِيهِ عَمَلًا بِمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى كِتَابِهِ الْمُبِينِ ، بِقَوْلِهِ وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ : ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُتَنَفَّحُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وَإِنْ كُنَّا نَتَحَقَّقُ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالذِّينِ ، وَالْحُكْمِ الرَّصِينِ ، وَالزُّهْدِ وَالْوَرَعِ الَّذِينَ نَحْنُ مِنْهُمَا عَلَى بَيِّنَةٍ وَيَقِينٍ ، بِاتِّبَاعِ شُرُوطِ الْوَاقِفِينَ ، وَالْإِمْتِنَاعِ بِالْعَوَارِفِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْعَارِفِينَ : فَإِنَّهُ مَا زَالَ حَيْثُ حُلٌّ فى جَمِيعِ الْآفَاقِ ، وَاصِلًا لِلْأَرْزَاقِ ، مُوَاصِلًا بِالْأَشْوَاقِ ، شَامِلًا بِالْإِرْفَاقِ ، عَامِلًا بِالْحَقِّ فى إِيصَالِ الْحَقُوقِ لِدَوَى الْإِسْتِحْقَاقِ . وَنَأْمُرُهُمْ أَنْ يَكُونُوا لَهُمْ عَلَى تَكْرِيمِهِ اتِّفَاقٌ ، وَفِي مُتَابَعَتِهِ اجْتِمَاعٌ وَأَتَّسَاقٌ ؛ فَإِنَّهُ شَيْخُ الطَّوَائِفِ ، وَإِمَامُ تُقَاتَسِ مِنَ اللَّطَائِفِ ، وَتُلْتَمَسُ مِنْهُ الْهُدَايَةُ فى الْمَوَاطِنِ وَالْمَوَاقِفِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَّبِعُ بِبَرَكَاتِهِ الْأُمَمَ ، وَيَسْمَعُ مِنْهُ فى انْخِلَاقَاتِ لَنَا الدَّعَوَاتِ الَّتِى تَكُونُ لِأَوْرَادِهِ الْمَقْبُولَةِ مَفْتِيحَةً وَنُجْمَةً ، وَيُصَلِّهِ بِعَنَائِيهِ الَّتِى تَقْدِّدُ الْهَمَّ وَتُوَيْدُ الْهَمَّهُ ، وَيَحْصِلُهُ حَيْثُ كَانَ لِلْفُقَرَاءِ نِعْمَةً وَيَرِنُ النَّاسَ رَحْمَةً ؛ وَالْعَلَامَةُ الشَّرِيفَةُ أَعْلَاهُ ، حُجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ .

الضرب الخامس

(من أرباب الوظائف بالديار المصرية بالحضرة - أرباب الوظائف العادية، وكلها تواقع)

وهي على طبقات :

الطبقة الأولى

(من يكتب له في قطع النصف بالمجلس العالي، وهو رئيس الأطباء المتحدث عليهم في الإذن في التطب والعلاج والمنع من ذلك وما يجري هذا المجرى)

وهذه نسخة توقع برئاسة الطب ، وهي :

الحمد لله مؤتي الحكمة من يشاء من عباده، ومُعطي أمانة الأرواح من ترقى في حفظها إلى رتبة اجتياده؛ وجاعل علم الأبدان أحد قسَمي العلم المطلق في حال اجتياحه وأنفرداه، وموفق من جعل نُصْح خلق الله فيه سبباً لسعادة دُنياه وذخيرةً صالحةً ليوم معاده، ومُبلغ من كان [دائماً] في إطاعة البرية على طاعة ربها بدوام الصحة غاية مرامه وأقصى مُرادِه ، ورافع رتبة من دلَّ اختياره واختباره على وفور عليه ونجح حلاجه وإصابة رأيه وسداده .

بمحمده على نعمته التي خَصَّتْ بِنِعْمَتنا من كُفٍّ في نوعه وفضله وحسن في علمه وعمله قوله وفعله ، وجمع من أمانة وظيفته ومقرقتها ما إذا جَلَس في أَسنى مناصبها قيل : هذا أهله .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُشْرِقُ البصائر، بأضوائها،
وتُفْرِقُ الضمائر، باخلاصها من أذوائها، وتُغْدِقُ يَمِينُهَا أنواءُ التوفيق فتَنَازِحُ
رياضُ الإيمان بين روائها وإزوائها. ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أنارت
ملكته، فلم تحف على ذى نظر، وعلت أدلته، فلم يتلها من فى باع رويته قصر،
وبهرت معجزاته فلو حاولت الأنفاس حصرها أفناها العي والحصر؛ صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه الذين كانوا لأدواء القلوب علاجا، وللسبيل الإيمان مزايا،
وللبصائر السائرة فى دجى الشبهات سراجا؛ صلاة دائمة الإقامه، متصلة الدوام إلى
يوم القيامة؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد : فإن صناعة الطب علم موضوعها حفظ الأبدان النفيسة، ومقصودها
إعانة الطبيعة على حياية الأعضاء الرئيسة؛ ومدارها الأعم، على معرفة العوارض
وأسبابها، ومداركها الأعم، الوقوع على الصواب فى معرفة الجسوم وأوصائها؛ وحينئذ
تتفاوت رتب أهلها عند تشعب مداركها، واختلاف مسالكها؛ وتشابه علمها،
والتباس صوابها بجليلها؛ إذ لا يميز ذلك حق تمييزه إلا من طال فى العلم بتجره،
وحسن فى رتب هذا الفن تصدُرُه؛ وطابق بين ثقله وعلاجه، وعرف حقيقة كل
مرتب من الأدوية ومقرّر بعينه وأسميه وصفته ومزاجه؛ وتكررت عليه الوقائع
فعرّفها دُرْبَةً وأحكمها قَلْبًا، ولُقِبَ بِشِرْعَةِ التَّقْوَى إِذْ كَانَ الْإِقْدَامُ عَلَى النُّفُوسِ
قَبْلَ تَحْقِيقِ الدَّاءِ وَالِدَوَاءِ مَذْمُومًا شَرًّا وَعَقْلًا؛ وَلِذَلِكَ تَحْتَاجُ إِلَى رَئِيسٍ يُنْعِمُ
فِي مَصَالِحِهَا نَظَرَهُ، وَيُجَلِّلُ فِي مَنَافِعِهَا وَرَدَهُ وَصَدَرَهُ؛ وَيَعْتَدِرُ أَحْوَالَ أَهْلِهَا بِعِمَارِ
فَضْلِهِ، وَيُلْزِمُ الدَّخْلَ فِيهَا بِكُلُوغِ الْحَدِّ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ بَيْنَ أَرْبَابِ هَذَا الشَّانِ

وأهله ؛ ويعرف لأكابر هذا الفن قدر ما منحهم الله من علم وعمل ، ويسقط رجاء
المتبدئ إذا كمل نفسه حتى لا يكون له فيها بغير كمال الاستحقاق طمع ولا أمل .

ولما كان المجلس السامى ، القاضى ، الأجل ، الحكيم ، فلان الدين : هو الذى
بلغ من العلم غاية مراده ، وأحتوى من هذا الشأن على ما جمع به رتب الفضائل فيه
على أنفراد ؛ فلو عاصره «الرئيس» لاعتد عليه فى كليات قانونه ، أو «الراى»
لعلم أن «حاويه» من بعض فنونه ؛ قد حلب هذا العلم أشطره ، وأكل قراءة هذا
الفن رموزه وأسطره ؛ وحل أسرار الغامضه ، وأرتوى من شحوب رموزه بأنوار لم
يشم غير فكره بروقها الوامضه ؛ وأسلف من خدمة أبوابنا العالية سقرا وحضرا
ما اقتضى له مزيد شكره ، وتقاضى له مزيد التنبيه على قدره والتنويه بذكره ؛
ومجد فيه الفريدان : صحة نقله وإصابه فكره ، وعلم أنه جامع علوم هذه الصناعة
فلا يشد منها شئ ، عن خاطره ولا يغيب منها نقل عن ذكره .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لزال شهاب فضله لايما ، وشهاب ربه هامما -
أن يكون فلان متولى رئاسة الأطباء بالديار المصرية على عادة من تقدمه .

فليأشر هذه الرئاسة ناظرا فى مصالحها ، مطلعاً من شهاب فضله ما يزين ألقها
زينة السماء بمصابيحها ؛ متفقداً أحوال مباشرها ، متمسكاً أحوال المستقل بأعبائها
والداخل فيها ؛ سالكاً فى ذلك سبيل من تقدمه من رؤسائها ، حاكماً فى أمورها بما
جرت به العادة المستقرة بين أكابرها وعلمائها ؛ مطارحاً من قدمت هجرته فيها
بما يقتضى له مراجعة أصوله ، ملزماً من ظهر قصوره فيها بالتدرب إلى أحد لا يفتن
منه بدون حصوله ؛ مجيئاً فى الإذن لمن أظهر الاستحقاق صدق ما أدعاه ، قابلاً
فى الثبوت من مشايخ هذه الصناعة من لا يشهد إلا بما علمه ولا يجبر من التدرب

إلا بما رآه ووعاه ، متحرّياً في الثبوت لدينه ، آذناً بعد ذلك في التصرف إن ترقى علمه باستحقاقه إلى رتبة تعيينه ؛ وليعط هذه الوظيفة حقها من تقديم المبرزين في علمها ، وتكريم من منحه الله درجتي ثنائها وفهمها ، وتعليم من ليس عليه من أدواتها المعتبرة غير وسمها وأسمها ؛ ومنع من يتطرق من الطرقة إلى معالجة وهو عار من ردائها ، وكف يد من يتهم على النفوس فيما غمض من أدواتها قبل تحقق دوائها ؛ واعتبار التقوى فيمن يتصدى لهذه الوظيفة فإنها أحد أركانها ، واختيار الأمانة فيمن يصلح للإطلاع على الأعضاء التي لولا الضرورة المبيحة حرم الوقوف على مكانها ؛ وليكن في ذلك جميعه مجانياً للهوى ، ناوياً نفع الناس فإنما لا كرمي مانوى ؛ والله تعالى يحقق له الأمل ، ويسبّده في القول والعمل ؛ بمنه وكرمه ! .

قلت : وربما أفتتح توقيعها بـ «أما بعد حمد الله» .

وهذه نسخة توقيع برياسة الطب ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، كُتِب بها لـ «شهاب الدين الحكيم» في المحرم سنة تسع وسبعائة ، وهي :

أما بعد حمد الله حاسم أدواء القلوب بلطائف حِكْمته ، وقاسم أنواع العلوم بين من كل استعدادهم لقبول ما اقتضته حكمة قسمته ؛ وجاعل لباس العافية من نعمه التي هي بعد الإيمان أفضل ما أفاض على العبد من برّه وأسبغ عليه من نعمته ، والمتزل من القراءان ما هو شفاء ورحمة للؤمنين قل بفضل الله وبرحمته ؛ ومقرّب مانائى من الفضائل على من أسرى إليها على مطايا عزّمه وسرى لتحصيلها على جواد همته ، ومُنهم آرائها بتفويض أمانة الأرواح إلى من أنفق في خدمة الطبيعة أيام عمره فكان بلوغ الغاية في علمها نقيجة خدمته ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى شرح الله بالهدى صدور أمته ، وخصه منهم بأعلام كل علم وأمنته ، وجلا

بِقِيْنِ مِلَّتِهِ عَنْ كُلِّ قَلْبٍ مَارَانٍ عَلَيْهِ مِنَ الشُّكِّ وَغُمَّتِهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ
 مِنَ الزُّنُفِ وَالزَّلْزَلِ مَا جَعَلَ الْمُسْدَى لَهُمْ مِنْ جَوَامِيعِ الْكَلِمِ وَأَفَاضَ الثَّقَى عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْوَارِ
 عِصْمَتِهِ - فَإِنَّ أَوْلَى الْأُمُورِ أَنْ يُسْتَمَدَّ فِيهَا عَلَى طَيِّبِهَا الْخَيْرِ ، وَيَصَانُ جَوْهَرُهَا عَنْ
 عَرَضِ الْعَرَضِ عَلَى غَيْرِ نَاقِلِهَا الْبَصِيرِ ؛ وَتُحْمَى مَوَارِدُهَا عَنْ لَمْ يَعْرِفْ كَيْفَ يَحْتَنِبُ
 مَوَاقِعَ التَّكْدِيرِ ، وَتُرْفَعُ كَوَاكِبُهَا عَنْ لَمْ تُدْرِكْ أَفْكَارُهُ دَقَائِقَ الْحَوَادِثِ وَحَقَائِقَ
 التَّائِيْرِ - أَمْرٌ صِنَاعَةُ الطَّبِّ الَّتِي مَوْضُوعُهَا الْأَبْدَانُ الْقَائِمَةُ بِالْعِبَادَةِ ، وَالْأَجْسَامُ الْقَائِمَةُ
 بِمَا يَتَعَاقَبُ عَلَيْهَا مِنَ الْحَوَادِثِ وَالزِّيَادَةِ ، وَالتَّقْوُسُ الَّتِي مَا عَنْهَا لَمْ يَحْصَلْ فِيهَا
 التَّضَرُّعُ بِدَلٍّ وَلَا عِيُوضٍ ، وَالْأَرْوَاحُ الَّتِي إِنْ عَرَضَ الْفَنَاءُ لْجَوْهَرِهَا فَلَا بَقَاءَ بَعْدَهُ
 لِلْعَرَضِ ؛ وَالطَّبِيعَةُ الَّتِي إِنْ خُدِمَتْ عَلَى مَا يُحِبُّ نَهَضَتْ عَلَى مَا يَجِبُ بِالصَّعَةِ حَقِّ
 النُّهُوسِ ، وَالْأَمْرُجَةُ الَّتِي إِنْ نَفَرَتْ لَعَدَمَ التَّائِي فِي سِيَاسَتِهَا عَجَزَتْ مِنْ يَرْوُضَ .

وَلِذَلِكَ تَفْتَحِرُ عَلَى كَثْرَةِ أَرْبَابِهَا ، وَتَحْتَاجُ مَعَ غَزَاةِ الْمُتَمَسِّكِينَ بِأَسْبَابِهَا ، وَتُضْطَرُّ
 وَإِنْ أُنْدَفَعَتِ الضَّرُورَاتُ بِكَثْرَةِ مُتَقِينِهَا ، وَتَشْتَوُفُ وَإِنْ وَجَدَ الْجَمُّ النَّفِيرَ مِنَ
 الْمُتَلَبِّسِينَ بِأَدْوَاتِهَا وَالتَّجَبَّرِينَ فِيهَا - الْمُدْرِيسُ يُنْعِمُ فِي أَعْتَابِهَا كَفَائَتِهَا النَّظَرَ ، وَيَدْفَعُ
 عَنْ رُبُوبَتِهَا بِطَرَفٍ غَيْرِ أَهْلِهَا الْفَيْرِ ، وَيَعْرِفُ مِنْ أَحْوَالِ مُبَاشِرِهَا مَا لَا يَكْفِي
 فِي خُبَرِهَا الْخَبَرَ ؛ فَلَا يَقْبَلُ إِلَّا مَنْ عِلْمٌ مِقْدَارَ عِلْمِهِ ، وَوَقْتُ مَعَ الْخِفْظِ بِصَحَّةِ فَهْمِهِ ؛
 وَرِضَى عَنْ خُبَرِهِ فِي الطَّبِّ وَأَجْتِهَادِهِ ، وَاعْتَبَرُ مِنْهُ كُلُّ نَوْعٍ نَحَتْ أَجَنَاتِهِ الْمُتَعَدِّدَةِ
 عَلَى حِدَّتَيْهِ وَأَنْفِرَادِهِ ؛ وَجَارَاهُ فِي كَلِّاتِ الْفَنِّ فَرَّاهُ فِي كُلِّ حَلَبَةٍ رَاكضًا ، وَطَارَحَهُ
 فِي فُصُولِ الْعِلْمِ فَوَجَدَهُ يَجْمَلُ أَعْيَاءَ مَا تَفَرَّعَ مِنْهَا نَاهِضًا ؛ وَاخْتَبَرَ دُرُوبَتَهُ فَوَجَدَهَا مُوَافِقَةً
 لِحَصِيلِهِ ، مُطَابِقَةً لِمَا حَوَاهُ مِنْ إِجْمَالِ كُلِّ فَنٍّ وَتَفْصِيلِهِ ؛ وَتَبَعَ مَوَاقِعَ دِينِهِ فَوَجَدَهَا
 مَتِينَةً ، وَمَوَاضِعَ أَمَانَتِهِ فَأَلْفَاها مَكِينَةً ، وَأَسْبَابَ شَفَقَتِهِ وَنُصْرَتِهِ فَعَرَفَ أَنَّهَا عَلَى
 مَا جَمَعَ مِنَ الْأَدْوَاتِ الْكَامِلَةِ مُعِينَةً ، وَيَتَعَيَّنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا «الرَّئِيسَ» فِي أَوَانِهِ ،

و «الرازى» فى زمانه ، و «الفارابى» فى كونه أصلاً تَتَفَرَّغُ فنونُ الحِكم من أفنانِه ؛
عِلاجُه شفاءً حَاضِر ، وكلامُه نِجاةٌ من كلِّ خَطرٍ مُخَاصِر ؛ وتديرُه للصِّحَّة تقويم ،
وتَصَفِّحُه تَتَقَيَّفُ لعلماء الصِّناعة وتسليم ، ودروسُه ذخائرٌ يُنْفِق من جواهر حِكْمِها
كلُّ حَكِيم .

ولما كان المجلس العالى الصِّدى ، الشَّهابى : هو المراد بالتعين لهذه الوظيفة ،
والمقصود بما أُشير إليه فى استحقاق هذه الرتبة من عبارة صريحة أو كناية لطيفة ؛
وأنه جمع من أدوات هذا الفن ما اقترق ، واحتوى على أصوله وفروعه فاجتمعت
على أولوياته الطوائف واتفقت على تفضيله الفرق ؛ فلو عاصره «أبقراط» لَقضى له
فى شرح فصوله بالتقديمه ، ولو أدرك «جالينوس» لأقتدى فى العلاج بما علمه ؛ مع
مباشرة ألقت بين الصِّحة والنفس ، وملاطفة أشرقت مواقع البرء بها فى الأجساد
إشراق الشمس ؛ وأطلع يعرف به مبلغ ما عند كلِّ متصّد لهذه الصناعة من
العلم ، وتجهر فى الفنون لا يُسلم به لأحد دعوى الأهلية إلا بعد حرب جدالٍ هو
فى الحقيقة عينُ السُّلم - فرسم بالأمر العالى أن يستقر فلانٌ فى رئاسة الأطباء
الطبائعية بالديار المصرية والشام المحروس ، على عادته وعادة من تقدّم فى ذلك ،
ويكون مستقلاً فيها بمفرده .

فلينظر فى أمر هذه الطائفة نظراً تبرا به النّمه ، ويحصل به على رضا الله تعالى
ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم فى الشّقة على الأمّة ؛ ويُعطى به الصناعة حقّها ،
ويُطابق من يد من تطاول إليها بغير أهلية رِقّها ؛ ويصون النفوس من إقدام من
تقدّم بغير خبرة كاملة عليها ، ويُنَبّ عن الأرواح تطرّق من يتطرّق بغير معرفة
وافرة إليها ؛ فإنّ فارط التفريط فى النفوس قل أن يُستدرك ، ومن لم تجتمع فيه

أدوات المعرفة التامة والذين فإ ينبغي له أن يدخل في المعالجة قبل الكمال وإن دخل فلا يُترك ؛ فإن من لازم صلاح الأرواح صلاح الأجساد ، وإن الداء الذى لا دواء له أن تكون العلة في وادٍ والمعالجة في وادٍ فلا يقبل في التريكة إلا من يثق بدينه كوثوقه بعلمه ، ولا يصرف أحداً في هذه الصناعة إلا الذين زكت أعمالهم قبل التريكة ، وليشققها بالامتحانات التى تُسفر وجوه الوثوق بالأهلية عن ألم دقائقها المنكية ، فإن العيان شاهد لنفسه ، ومن لم تنفعه شهادة فعله في يومه لم ينفعه غيره في أمسه ، ولا يخلص فيها حكماً قبل استكمال نصاب الشهادة ، وقبل التثبت بعد كمالها : فإن المعالجة محاربة للداء والموت بجمالة المحارب له شهادة ؛ وليأمر من أُلحى إلى معالجة مرض لا يعرفه بمتابعة من هو أوفق منه بالتقديم ، ومراجعة من هو أعلم منه به : فإن الحوادث قد تختلف (وتوق كل ذى علم عليم) . وملاك الأمور تقوى الله فليجعلها حجة فيما بين الله وبينه ، والافتقار إلى توفيقه فليصرف إلى ذلك قلبه وعينه ؛ والخير يكون إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية متطبب طبائعى ، أوردتها في "التعريف" قال :

وليُتعرّف أولاً حقيقة المرض بأسبابه وعلاماته ، ويستقص أعراض المريض قبل مداواته ، ثم ينظر إلى السن والفصل والبلد ؛ ثم إذا عرف حقيقة المرض ، وقدر ما يحتمله المزاج من الدواء لما عرّض ؛ يشرع في تخفيف الحاصل ، وقطع الواصل ، مع حفظ القوى . ولا يهاجم الداء ، ولا يستغرب الدواء ؛ ولا يقدم على الأبدان إلا بما يلائمها ، ولا يبعد الشبه ، ولا يخرج عن جادة الأطباء ولو ظن

الإصابة حتى يقوى لديه الظن ويتبصر فيه برأى أمثاله . وليجنب الدواء ، ما أمكنه
 المعالجة بالغذاء ، والمركب ، ما أمكنه المعالجة بالمفرد ، وإياه والتقياس إلا ما صح
 بتجريب غيره فى مثل مزاج من أخذ فى علاجه ، وما عرض له ، وسنه ، وقضله ،
 وبلده ، ودرجة الدواء . ويحذر من التجربة ، فقد قال أبقراط وهو رأس القوم :
 إنها خطر . ثم إذا اضطر إلى وصف دواء صالح للعلّة نظر إلى ما فيه من المنفعة
 وإن قلت ، وتحمل لإصلاحه بوصف يصلح معه ، مع الاحتراز فى وصف المقادير
 والكليات والكيفيات ، فى الاستعمال والأوقات ، وما يتقدم ذلك الدواء أو يتأخر
 عنه . ولا يأمر باستعمال دواء ، ولا ما يستغرب من غذاء ، حتى يحقق حقيقته ،
 ويعرف جديده من عتيقه : ليعرف مقدار قوته فى الفعل . ولعلم أن الانسان هو
 بنية الله وملعون من هدمها ، وأن الطيعة مكافية وبؤس لمن ظلمها ، وقد سلم
 الأرواح وهى وديعة الله فى هذه الأجسام ، [فليحفظها ^(١) وليتق الله فى ذلك جميع
 الأقسام] وإياه ثم إياه أن يصف دواء ثم [يكون هو الذى] يأتي به ، أو يكون هو
 الذى يدل عليه ، أو المتولى لمنأولته للريض ليستعمله بين يديه ، وفى هذا كله لله
 المنّة ولنا إذ هديناه له وأرشدناه إليه .



وهذه نسخة توقيع براسة الكمالين ^(٢) .

(١) الزيادة عن "التعريف" ص ١٣٩ .

(٢) يياض بالأصل .

الضرب السادس

(من أرباب الوظائف بالديار المصرية)

زعماء أهل الذمة

ويُكتب لجميعهم توافيق في قطع الثلث بالقابهم السابقة مفتحة بـ «أما بعد حمد الله» .

ويشتمل هذا الضرب على ثلاث وظائف :

الوظيفة الأولى

(رأسه اليهود)

وموضوعها التحدث على جماعة اليهود والحكم عليهم، والقضاء بينهم على مقتضى دينهم وغير ذلك .

وقد تقدم في الكلام على النحل والمثل أن الموجودين من اليهود ثلاث طوائف : وهم الرّبانّيون، والقزّاءون، والسامرة . وقد جرت العادة أن يكون الرئيس من طائفة الرّبانّيين دون غيرهم، وهو يحكم على الطوائف الثلاث .

وهذه نسخة توقيع برأسه اليهود، من إنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر،

وهي :

أما بعد حمد الله الذي جعل أنطاف هذه الدولة القاهرة تصبطني لدمتها من اليهود رئيساً فريساً، وتختار لقومها كما أختار من قومه موسى، وتبجح لهم نفوساً كلما قدمت عليهم نفيساً؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي، والرسول الذي أجمل الوصية بالملي والدّمي؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما هطل وبلى،

وما نزل وشى - فإنَّ مَعْدَلَةَ هذه الدُولَةِ تَكْتَنِفُ الْمَلَلَ وَالْعَجَلَ بِالْإِحْطِاطِ ، وَتُضَمُّهُمْ
 مِنْ إِنْصَافِهَا وَإِسْعَافِهَا بِأَوْفَرِ الْإِنْصِافِ وَأَوْفَى الْأَقْصَاطِ ؛ وَتُلْمِهُمُ مِنْ حَادِثِ الزَّمَنِ
 إِذَا أَشْتَبَتْ وَمِنْ صَرْفِهِ إِذَا شَاطَ ، وَتُضَمُّهُمْ كَمَا ضُمَّتِ الْبُتُوءَةُ إِلَى جَنَاحِ النُّبُوءَةِ
 الْأَسْبَاطِ ؛ لَا تَزَالُ تَرْقُبُ الْإِلَّ وَالذَّمَّ ، فِي الْمَسَامِينِ وَأَهْلِ الذَّمِّ ، وَتَقْضِي لِمَنْ بَحُسْنَ
 الْخَلِيقَةِ وَرِعَايَةِ الْحُرْمَةِ ، وَيُتَبَحَّحُ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ مَا عَلَيْهِ عُوْهُدُوا ، وَتَمْتَحِنُهُمْ مِنْ ذَلِكَ
 مَا عَلَيْهِ عُوْهُدُوا ؛ وَتَحْفَظُ نَوَامِيسَهُمْ بِأَحْبَابٍ تُحَدِّثُ مَوَادَّهُمْ إِذَا شُوْهِفُوا ، وَتَحْسُنُ مَرَاتِمَهُمْ
 إِذَا شُوْهِدُوا : مِنْ كُلِّ إِسْرَافٍ إِلَى أَجْمَلٍ لِلتَّوَرَةِ الدِّرَاسَةِ ، وَأَحْسَنَ لِأَسْفَارِ أَنْبِيَائِهِ
 أَقْبَسًا وَأَجْمَلَ أَلْفَاسًا ، وَمِنْ تَبَيُّهِ نِبَاهَتِهِ لِلتَّقْدِيمَةِ فَمَا طَعِمَ أَجْتِهَادَهُ يَوْمًا حَتَّى صَارَ
 وَجْهَ الْوَجَاهَةِ فِي قَوْمِهِ وَرَأْسَ الرَّأْسِ ؛ فَاصْبَحَ مَعْدُومَ النَّظَرِ ، مَعْدُودًا مِنْهُمْ بِكَثِيرٍ ،
 وَمَوْصُوفًا بِأَنَّهُ فِي شَرْحِ أَسْفَارِ عِبْرَانِيَةِ حَسَنِ التَّفْسِيرِ ؛ وَاسْتَحَقَّ مِنْ بَيْنِ شِيعَتِهِ
 أَنْ يَكُونَ رَأْسَ الْكَهَنَةِ ، وَأَنْ تُصْبِحَ الْقُلُوبُ فِي مَجَامِعِهِمْ بِحُسْنِ مَنْطِقِهِ مَرْتَبَةً ،
 وَبِأَنْ لِمُجَهَّالَةٍ بِتَقْيِيفِهِ لَشِيعَتِهِ تَحْجُبُ عَقَائِدَهُمْ عَنْ أَنْ تَغْدُو مَمْتَنَةً .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ لِحَاسِنِ هَذَا التَّقْرِيطِ بَهْجَةً ، وَلِحَسَدِ هَذَا التَّفْوِيزِ مُهْجَةً ،
 وَلِحَسَادِ هَذَا النِّسَاءِ الْعَرِيبِ لَهْجَةً ؛ وَلَعَيْنِ هَذَا التَّعِينِ غَمْضًا ، وَلَيْدِ هَذِهِ الْأَيْدِي
 بَسْطُهَا وَقَبْضُهَا ؛ وَلِبُكَارِ أَفْكَارِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ مُقَاضِيًا وَمُقْتَضًى ، وَمَنْ أَدْنَيْتَ
 قِطَافَ النِّعَالِ لَيْدَ تَقْدِيمَتِهِ «عَلَى غَيْظٍ مَنْ غُصَّ مِنْهَا» وَأَجْنَى غَضَبُهَا - أَفْتَضَى حَسَنُ
 الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ يُمَيِّزَ عَلَى أَبْنَاءِ جَنْسِهِ حَقَّ التَّمْيِيزِ ، وَأَنْ يُحَازِلَهُ مِنَ التَّنْوِيهِ وَالتَّنْوِيلِ
 أَجْلٌ مَا يَجِيزُ .

وَرُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالِ يَخْتَارُ فَيُجَمِّلُ الْإِخْتِيَارَ ، وَيَغْدُو كَالْغَيْثِ الَّذِي
 يُمْ بِنَفْعِهِ الرِّبَا وَالْوَهَادَ وَالْأَشْمَارَ وَالْإِشْجَارَ - أَنْ تُفَوَّضَ إِلَيْهِ رَأْسَةُ الْيَهُودِ عَلَى

أخلافهم : من الرّبانين ، والقرائين ، والسامرة بالديار المصرية حماها الله وكلّأها .
فليجعل أسبابهم بالتقوى تقوى ، وغرورهم بالتدبير لا تدوى ؛ ومقاصدهم لا يمازجها
شك ولا شكوى ، ولينزل عليهم منّا منّا يسلمهم صنعا حتى لا يفارقوا المني والسوى ؛
وليتق الله فيما يذره ويأتيه ، ويحسن في آجلاّب القلوب وأختلاّبها تأتيه ؛ وإياه
والتيه حتى لا يقال : كأنه بعد لم يخرج من التيه .

وجماعة الرّبانين فهم الشعب الأكبر ، والحزب الأكثر ؛ فاعلمهم بالرفق
الأجدى والسرّ الأجدر ، ولكونك منهم لا تملّ معهم على غيرهم فيما به من النفس
الأمارة قوسر .

وجماعة القرائين فهم المعروفون في هذه الملة ، بلازمة الأدلة ، والاحتراز في أمر
الأهله ، فانصب لأمرهم من لم يتولّه حين يتولّه ؛ ومن كان منهم له معتق فلا يخرج
عن ذلك ولا يخرج ، ولا يلجم منهم بلجام من نار انكار من في ليلة سبته [بيته]
عليه لا يئرج .

والسامرة فهم الشعب الذين آذن التنظيف أهله بحروبه ، ولم يك أحدهم
لمطعم لكم ولا مشرب بأكوله ولا شرّوبه ؛ فمن قدرّت على رده بدليل من
منهيك في شروق كل بحيث وغروبه ، فاردّه من منتهج تحييده عن ذلك وغروبه ،
والا قتل له : ياسامريّ بصرت بما لم تبصروا به . ولتكن تسكل فيهم بالبت ،
وأرقق بهم فإن " المنيّت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى " فإياك أن تكون ذلك
المنيّت ، ومزهم بملازمة قوانينهم كيلا يفتؤ أحد منهم في السبت ؛ وأجعل أمور
عقودهم مستتبّه ، وأحسن التحرّي والتحرير لهم في إيمان كل كتبه ؛ ولا تحترأ إلا
الأعيان ، من كل خزان ودّيان ؛ ومن كان له من داود عليه السلام لحمة تسب ،

وله به حُرْمَةُ نِسَبٍ ، فَأَرَعَ لَهُ حَقَّهُ ، وَأَخْصِيهِ مِنَ الرَّفَقِ أَكْرَمَ رُقَقِهِ . وَالْجَزْيَةُ فَهِيَ
لِدِمَائِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عِصْمَةٌ ، وَعَلَى دِفَاعِهَا لَا دَافِعِيهَا وَصْمَةٌ ، وَلَا أَجْلُهَا وَرَدٌ : « مَنْ أَدَّى
ذِمِّيًّا كُنْتُ خَصْمَهُ » ، وَهِيَ أَلَمٌ مِنَ السِّيفِ إِجَارَهُ ، وَهِيَ أَجْرَةُ سُكْنَى دَارِ الْإِسْلَامِ
كَمَا هِيَ لِاسْتِحْقَاقِ الْمُنْفَعَةِ بِهَا إِجَارَهُ ، فَأَدُّوْهَا ، وَبِهَا نَفُوسُكُمْ فَأَدُّوْهَا ، ﴿ وَإِنْ تَعَلُّوْا
نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُخْصَوْهَا ﴾ ، فَتَعَدُّوا أَلْفَافِ اللَّهِ بِهَا وَلَا تَعَلُّوْهَا ، وَدَاوِمٌ عَلَى مَهْ ، زَجْرًا
لِتَارِكِ عِلَامَتِهِ ، وَمَنْ قَصِدَ مِنْهَا خِلَاصَهُ ، فَقُلْ لَهُ فِي الْمَلَأِ : مَاذَا خِلَاصَتُهُ ؟ وَمَنْ رَكَنَ
فِي أَمْرِهَا إِلَى الْإِخْلَادِ وَالْإِخْلَالِ ، وَسَكَنَ إِلَى الْإِفْهَالِ ، وَلَمْ يَرْضَ بِأَنَّ رَايَةَ الدَّلَّةِ
الْصَفْرَاءَ عَلَى رَأْسِهِ تُشَالُ ، فَأَوْسَعَهُ انْكَارًا ، وَأَلْزَمَهُ مِنْهَا شِعَارًا ، وَإِنْ قَامَ بِنَصْرِهِ مِنْهُمْ
مَعَشَرٌ خَسِنٌ فَارِهِمْ بَعْدَ الْعَلَامَةِ خُسْكَارًا ، وَخُذْهُمْ بِجَنْبِ الْغِشِّ الَّذِي هُوَ لِلْعَهْدِ
مُعَيَّرٌ وَمُعَيَّبٌ ، وَأَكْفُفْ مَنْ هُوَ بِمَا يُنَافِيهِ مُعَيَّرٌ وَمُعَيَّبٌ ، وَأَمَّا مَنْ هُوَ مُجِيبٌ لِذَلِكَ
فَهُوَ لِقَصْدِهِ مُجِيبٌ ، وَاقْبَلْ طِبَاعَهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَإِنْ أَبَتْ عَنْ التَّنَاقُلِ فَانْتَ مَا تَنْتَلُو :
﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ﴾ . وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ الَّذِي تَتَعَاطَوْنَهُ مِنْ نَفْخِ فِي الْبُوقِ
إِنَّمَا هُوَ كَمَا قُلْتُمْ لِلتَّذْكَارِ ، فَاجْتَهِدُوا أَنْ لَا يَكُونَ لَتَذْكَارِ الْعِجْلِ الْحَنِيزِ الَّذِي لَهُ
خَوَارٍ ؛ هَذِهِ وَصَايَا نَا لَكَ وَلَمْ فَقُلْ لَمْ : هَذِهِ مَوْهَبَةُ الدَّوْلَةِ وَإِحْسَانُهَا إِلَيْكُمْ ، وَلُطْفُهَا
بِكُمْ وَعَاطِفَتُهَا عَلَيْكُمْ ، وَبَصَّرْهُمْ بِذَلِكَ كَلِمَاتًا لِإِحْسَانِنَا إِلَيْهِمْ : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا
نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ .



وهذه نسخة توقيع برآسة اليهود أيضا :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى أَنْ جُمِلَ مُلَاحَظَةُ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ لِجَمِيعِ الْمُلَلِّ نَاطِرِهِ ،
وَإِحْسَانَتِهَا لَا يُغْفَلُ مَصْلَحَةُ الْأُولَى الْأَذْيَانِ غَائِبَةً وَلَا حَاضِرَةً ، وَالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ الَّذِي جُمِلَ ذِمَّتُهُ وَعَهْدُهُ وَفَيْتِنٍ لِكُلِّ نَسَمَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَكَافِرَةٍ - فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لِمَا مَدَّ

رَوَاقِ عَلِيٍّ هَذِهِ الْأَيَّامِ الشَّرِيفَةِ عَلَى كُلِّ مُعَاهِدٍ : مِنْ مَتَقَرِّبٍ وَمُتَبَاعِدٍ ، وَسَاوِيٍّ بَيْنَهُمْ فِي النَّظَرِ الَّذِي صَدَّقَ الرَّأْيَ وَصَدَّقَ الرَّائِدَ - أَقْتَضَى : جَمِيلُهَا أَنْ يُسَمَّيَ لِكُلِّ مَنْ أَهْلُ الذِّمَّةِ أَوْ قَرْنَصِيبٍ ، وَأَنْ لَا يُقَالَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ مِنَ الْإِجْحَافِ مَا يُرِيبُ ، وَأَنْ لَا تَكُونَ أُمُورُهُمْ مُضَاعَةً ، وَلَا تَعْبُدَاتُهُمْ مُرَاعَةً ؛ وَلَا شَرَائِعُهُمْ غَيْرَ مَصُونَةٍ ، وَلَا أَحْكَامُهُمْ عَارِيَّةٌ [عَنْ] حُسْنِ مَعُونَةٍ ؛ وَكَانَتْ جَمَاعَةُ الْيَهُودِ وَإِنْ كَانُوا أَوْلَى غَيٍّ ، وَصَدَّقَ النَّصَارَى فِيهِمْ وَصَدَّقُوا فِي النَّصَارَى مِنْ أَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ ، لَا بَدَّلَ لَهُمْ مِنْ مُبَاشِرٍ يَأْخُذُهُمْ بِالْأَمْرِ الْأَحْوَطِ ، وَالنَّامُوسِ الْأَضْبَطِ ، وَالْمَرَامِسِ الَّتِي عَلَيْهِمْ تُشْرَطُ ، وَكَانَ الَّذِي يُخْتَارُ لِذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَكُونَ إِلَّا مَنْ أَكْبَرَ الْكَهَنَةِ وَأَعْلَمَ الْأَحْبَارِ ، وَمَنْ عَرَفَ مِنْ دِينِهِمْ مَا لَا جَلِيلَ يُصْطَفَى وَلِثَلَّةٍ يُخْتَارُ ؛ وَمَنْ فِيهِ سِيَاسَةٌ تُحْجِزُهُ عَنِ الْمَضَارِ ، وَتَحْجِبُهُ عَنِ الْإِسْتِفَارِ ؛ وَكَانَ فَلَانُ الرَّئِيسِ هُوَ الْمُمْتَرِزُ بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ عَلَى أُنْشَاءِ جَنْسِهِ ، وَلَهُ وَازِعٌ مِنْ نَفْسِهِ ، وَرَادِعٌ مِنْ حُسْنِ حَذِيسِهِ ، وَخِدْمَةٌ فِي مَهْمَاتِ الدَّوْلَةِ يَسْتَحِقُّ بِهَا الزِّيَادَةَ فِي أَثْنِهِ ؛ وَهُوَ مِنْ بَيْنِ جَمَاعَتِهِ مَشْهُورٌ بِالْوَجَاهَةِ ، مُوصُوفٌ بِالنَّبَاهَةِ ؛ ذَوِ عِبْرَانِيَّةٍ حَسَنَةِ التَّعْبِيرِ ، وَدِرَاسَةٍ لِكُتُبِ أَهْلِ مِلَّتِهِ عَلَى مَا فِيهَا مِنَ التَّنْفِيرِ - أَقْتَضَى : جَمِيلُ الْإِخْتِصَاصِ الْمُنِيفِ ، أَنْ يُرَسَّمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا يَرِجُ يَرْقُبُ إِلَّا اللَّهَ ، وَيَرْعَى لِلْعَاهِدِينَ الْحُرْمَةَ - أَنْ تُفَوَّضَ إِلَيْهِ رَأْسَةُ الْيَهُودِ الرَّبَّانِينَ وَالْقَرَّائِينَ وَالسَّامِرَةِ ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَه .

فَلْيَبَاشِرْ ذَلِكَ مُسْتَوْعِبًا أُمُورَهُمْ كُلَّهَا ، مُسْتَوْدَعًا دِقَّةَهَا وَجِلَّهَا ، مُبَاشِرًا مِنْ أَحْوَالِهِمْ مَا جَرَتْ عَادَةُ مِثْلِهِ مِنَ الرُّؤَسَاءِ أَنْ يَبَاشِرَ مِثْلَهَا ؛ غَيْرَ مَقْرُطٍ فِي ضَبْطِ نَامُوسٍ مِنْ نَوَامِيسِ الْمُلْكَةِ ، وَلَا مُغْفَلٍ الْإِنْكَارَ عَلَى مَنْ يَتَجَاوَزُ ذَلِكَ إِلَى مَوَارِدِ الْمُلْكَةِ ؛ وَمَنْ فَعَلَ مَا يَقْضِي بِنَفْيِ عَهْدِهِ ، فَعَلِيهِ وَعَلَى مُسْتَحْسِنِهِ لَهُ مِنَ الْمَقَاتِلَةِ مَا يَتَّبَعُ بِهِ كُلُّ مَنْ يَفْعَلُ

ذَلكَ من بَعْدِهِ ؛ بَحِثْ لَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنْهُمْ فِي كَنِيسَتِهِ وَلَا فِي يَهُودِيَّتِهِ وَلَا فِي مَنعِ جَزِيرَتِهِ عَنِ وَاجِبِ مَعَهُودٍ ، وَمَنْ خَالَفَ فَوْرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِدْبِ مَا تَقْشَعِرُّ مِنْهُ الْجُلُودُ ؛ وَمَا جَعَلَهُمُ اللَّهُ ذِمَّةً لِلْمُسْلِمِينَ إِلَّا حَقًّا لِدِمَائِهِمْ ، فَلَا يُحِبُّهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ فَتَجْتَمِعَ لَهُ شِمَاتُهُ أَهْلُ الْأَدْيَانِ مِنْ أَعْدَائِهِمْ بِأَعْدَائِهِمْ - وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَإِنَّمَا هَذِهِ تُحِبَّتُهَا الْمُلَخَّصَةُ ، وَفِيهَا مِنْ حِسَابِ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ مَا تَفَدُّوهُ بِهِ أَيَّامَ الْإِنْمَالِ لَمْ يَمَحْصَهُ ؛ وَاللَّهُ يُوَفِّقُهُ فِي كُلِّ تَصَرُّفٍ مَرْغُوبٍ ، وَتَأَفَّفَ مِنْ مِثْلِهِ مَطْلُوبٍ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ! .



وهذه وصية لرئيس اليهود أوردها في "التعريف" وهي :

وَعَلَيْهِ بِضَمِّ جَمَاعَتِهِ ، وَلَمْ يَتَمَلَّهِمْ بِاسْتِطَاعَتِهِ ؛ وَالْحُكْمُ فِيهِمْ عَلَى قَوَاعِدٍ مِلَّتِهِ ، وَعَوَائِدِ أَيْمَتِهِ ، فِي الْحُكْمِ إِذَا وَجَّحَ لَهُ بَادِئَتُهُ ؛ وَعَقُودِ الْأَنْكَمَةِ وَخَوَاصِّ مَا يَعتَبَرُ عِنْدَهُمْ فِيهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَمَا يُقْتَضَرُّ فِيهَا إِلَى الرِّضَا مِنَ الْجَانِبَيْنِ فِي الْعَقْدِ وَالطَّلَاقِ ؛ وَفِيمَنْ أَوْجَبَ عِنْدَهُ حُكْمٌ دِينِيٌّ عَلَيْهِ التَّحْرِيمُ ، وَأَوْجَبَ عَلَيْهِ الْإِتْقَادَ إِلَى التَّحْكِيمِ ، وَمَا آدَعُوا فِيهِ التَّوَاتُرُ مِنَ الْأَخْبَارِ ، وَالتَّظَاهُرُ عَلَى الْعَمَلِ بِهِ مِمَّا لَمْ يُوجَدْ فِيهِ نَصٌّ وَأُجْمِعَتْ عَلَيْهِ الْأَخْبَارُ ؛ وَالتَّوَجُّهُ تِلْقَاءَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَى جِهَةِ قِبْلَتِهِمْ ، وَمَكَانِ تَعَبُّدِ أَهْلِ مِلَّتِهِمْ ؛ وَالْعَمَلُ فِي هَذَا جَمِيعُهُ [بِمَا شَرَعَهُ مُوسَى الْكَلِيمُ ، وَالْوُقُوفُ مَعَهُ ^(١)] إِذَا ثَبِتَ أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ النَّبِيَّ الْكَرِيمَ ؛ وَإِقَامَةُ حُدُودِ التَّوْرَةِ عَلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ ، وَلَا تَبْدِيلِ كَلِمَةٍ بِنَاوِيلٍ وَلَا تَصْرِيفٍ ؛ وَاتِّبَاعُ مَا أَعْطَوْا عَلَيْهِ الْعَهْدَ ، وَشَدُّوا عَلَيْهِ الْعَقْدَ ؛ وَأَبْقَوْا فِيهِ ذِمَّائِهِمْ ، وَوَقَّوْا بِهِ دِمَائِهِمْ ؛ وَمَا كَانَتْ تَحْكُمُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ وَالرَّبَّانِيُّونَ ، وَيُسَلِّمُ إِلَيْهِ الْإِسْلَامِيُّونَ مِنْهُمْ وَيَعْبَرُ عَنْهُ الْعِبْرَانِيُّونَ ؛ كُلُّ هَذَا مَعَ إلْزَامِهِ لِمَنْ بِنَا يَلْزَمُهُمْ

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٤٣ وهي لازمة لاستقامة الكلام .

من حُكِّم أمثالهم أهل النِّمَّة الذين أُقِرُوا في هذه الدِّيار، ووقاية أنفسهم بالخضوع والصَّغار؛ ومدَّ رؤوسهم بالإذعان لأهل مِلَّة الإسلام، وعدم مضايقتهم في الطُّرُق وحيثُ يحصل الالْتباس بهم في الحِمَام؛ وحيل شعار النِّمَّة الذي جُعِل لهم حيلة العائم، وعقد على رؤوسهم لحفظهم عقد التَّمائم؛ وليعلم أنَّ شعارهم الأصفر، موجب لثلاث أراق دُمهم الأحمر؛ وأنهم تحت علم علامته آمنون، وفي دعة أصائله سايكونون، وليأخذهم بتجديد صبغه في كل حين، وليأمرهم بملازمة لا تزال علامتها على رؤوسهم تبين؛ وعدم التظاهر بما يقتضى المناقضة، أو يُفهم منه المعارضة، أو يدع فيه غير السِّيف وهو إذا تكلم شديد العارضة؛ وله ترتيب طبقات أهل ملته من الأحرار فمن دُونهم على قدر استحقاقهم، وعلى ما لا تخرج عنه كلمة اتِّفاقهم؛ وكذلك له الحديث في جميع كنائس اليهود المستعمرة إلى الآن، المستعمرة بأيديهم من حين عقد عهد النِّمَّة ثم ما تأكَّد بعده لطول الزمان؛ من غير تجديد متجدد، ولا إحداث قدر متريِّد؛ ولا فعل شيء مما لم يُعقد عليه النِّمَّة، ويُقرَّ عليهم سلفهم الأوَّل سلف هذه الأمة، وفي هذا كفاية وتقوى الله وخوف بأسنا رأس هذه الأمور المهمَّة .



[وصية رئيس السامرة^(١)]:

ولا يعجز عن لم شئت طامعته مع قلتهم، وتأمين سربهم الذي لو لم يؤمنوا فيه لأكلهم الذئب لذئبتهم؛ وليصن بحسن السلوك دِماعتهم التي كأنما صُيغت عمامتهم الحمر منها بما طل، وأوقد لهم منها النار الحمراء فلم يتقوها إلا بالذِّل؛ وليعلم أنهم شعبة من اليهود لا يخالفونهم في أصل المعتقد، ولا في شيء يخرج عن قواعد دينهم لمن

(١) لم يمتون في الأصل وزدناه من "التريف" ص ١٤٤ .

أنتقد؛ ولولا هذا لما عُدوا في أهل الكتاب، ولا قُنع منهم إلا بالإسلام أو ضرب
 الرقاب؛ فليتن على هذا الأساس، [وليُثني قومه أنهم منهم وإنما الناس أجناس^(١)]
 وليلتزم من فروع دينه مالا يخالف فيه إلا بأن يقول لا مَسَاس؛ وإذا كان كما يقول:
 إنه كهرون عليه السلام فليلتزم الجدد، وليُقم من شرط الذمة بما يُقيم به طول المدد؛
 وليتمسك بالموسوية من غير تبديل، ولا تحريف في كليم ولا تأويل؛ وليُخص عمله
 فإنه عليه مَسْطور، وليُف عند حده ولا يتعد طوره في الطور؛ وليُحكم في طائفته
 وفي أنكحيتهم ومواريتهم وكأئديهم القديمة المعقود عليها بما هو في عقد دينه،
 وسبب لتوطيد قواعده في هذه الرتبة التي بلغها وتوطئته .

الوظيفة الثانية

(بَطْرِكِيَّةُ النَّصَارَى الْمَلِكِيَّةِ، وهم أفدَم من البَغَايَةِ)

وقد تقدّم في الكلام على النّحل والمِلل أنهم أتباع ملكا الذى ظهر قديماً ببلاد
 الرّوم، وأنّ الروم والفرنج كلهم أتباعه، وبالديار المصريّة منهم التّزّز اليسير، ولهم
 بطرك يخصهم .

وهذه نسخة توقيع لبطرك المَلِكِيَّة :

أما بعد حمد الله مُنوع الإحسان، لأولى الأديان، ومؤصّله ومفرّعه لكل طائفة
 ولكل إنسان، والصلاة على سيدنا محمد الذى أباد الله به من أباد وأبان من عهده
 وذمته من أبان - فإنّ الطائفة المَلِكِيَّة من النصارى لما كانت لهم السابقة في دينهم،
 ولهم أصل الرّأسة والنّفاسة في تعيينهم؛ وما برحت لهم في الكِلالة والحِفْظ قدّم

السابقة، ورُبَّةُ بُلُوکِهِم الرُّومَانِيَّةُ سَامِقَه ، وما زَالَتْ لَهُمْ خِدْمَةُ الدُّوَلِ إِلَى أَغْرَاضِهَا مُسَاوِقَةً وَمُسَاوِقَه ؛ وَلَهُمْ جَوَارٌ مَشْكُورٌ ، وَتَبْتُلٌ مَشْهُورٌ ، وَعَلَيْهِمْ وَصَايَا مِنَ الْمُلُوكِ فِي كُلِّ وَرُودٍ وَصُودٍ ؛ وَلَهُمْ مِنْ نَفُوسِهِمْ مَزَايَا تَسْتَوْجِبُ أَحْتِرَامَهُمْ ، وَتَسْتَدْعِي إِكْرَامَهُمْ ؛ وَكَانَ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ بَطْرِيكِ يَلَاظُ أَحْوَالَهُمْ أَمَّا الْمُلَاحَظَةُ ، وَيَسْتَدْعِي لَهُمْ مِنَ الدُّوَلَةِ أَعْظَمَ مَحَافِظَةٍ ؛ وَيَحْفَظُ نَوَامِيسَ قَبِيلِهِمْ ، وَيُحَسِّنُ دِرَاسَةَ أَنْجَالِهِمْ ؛ وَيَعَزِّقُهُمْ قَوَاعِدَ مَعْتَقَدَاتِهِمْ ، وَيَأْخُذُهُمْ بِالْدُّعَاءِ لِهَذِهِ الدُّوَلَةِ الْقَاهِرَةِ فِي جَمِيعِ صَلَوَاتِهِمْ ؛ وَيَجْمَعُهُمْ عَلَى سَدَادٍ ، وَيَفْرُقُهُمْ عَلَى مُرَادٍ . وَكَانَ الْبَطْرِيكِ فَلَانُ هُوَ الْمُتَّفَقُ بَيْنَ طَائِفَتِهِ عَلَى تَعْيِينِهِ ، وَالْمُجْمَعُ عَلَى إظهارِ اسْتِحْقَاقِهِ وَتَبْيِينِهِ ؛ وَالَّذِي لَهُ مَزَايَا لَوْ كَانَ فِيهِ وَاحِدَةٌ مِنْهَا لَكَفَّتْهُ فِي التَّاهِيلِ ، وَلَرَفَعَتْهُ إِلَى مَنْصِبِهِ الْجَلِيلِ . فَلِذَلِكَ رُئِسَ ... - لَا بَرَحَ يُعْطَى كُلُّ أَحَدٍ قِسْطُهُ ، وَيَدْخُلُ كُلُّ لَأَبْوَابِهِ سَاجِدًا وَقَائِلًا حِطَّهُ - أَنْ يَبَاشِرَ بَطْرِيكِيَّةَ النِّصَارِيِّ الْمَلِكِيَّةِ عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ مِنَ الْبَطَارِيكِ السَّالِفَةِ بِهَذِهِ الدُّوَلَةِ .

فَلْيُحِطْ أُمُورُهَا الْجَزْئِيَّةُ وَالْكُلِّيَّةُ ، وَالظَّاهِرَةُ وَالْخَفِيَّةُ ؛ وَلْيَأْخُذْهُمْ بِمَا يَلْزَمُهُمْ مِنْ قَوَانِينِ شَرْعِيَّتِهِمْ ، وَكُلِّ مَا يُرِيدُونَ مِنْ حُسْنِ سُمُعَتِهِمْ ؛ وَأَمَّا الدَّيْرَةُ وَالْبَيْعُ وَالْكَائِسُ الَّتِي لِلْمَلِكِيَّةِ فَرُجِعْهَا إِلَى صَوْنِهِ ، وَأَمْرُهَا مَرْدُودٌ إِلَى جَمِيلِ إِمَاعَتِهِ وَعَوْنِهِ ؛ وَالْأَسَافِقَةُ وَالزُّهْبَانُ فَهُمْ سَوَادُ عَيْنٍ مَعْتَقَدَةٍ ؛ وَخُلَاصَةُ مَسْتَقَدَةٍ ؛ فَلَا يُخْلِيهِمْ مِنْ تَجْعِيلٍ ، وَحُسْنِ تَاهِيلٍ ؛ وَتَتَقَدَّمُ إِلَى مَنْ بِالْفُخُورِ مِنْ جَمَاعَتِكَ بِأَنْ لَا يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْهُمْ فِي أَمْرِ مُوَيْقٍ ، وَلَا فِي مُشْكِلِ مُوَيْقٍ ؛ وَلَا يَمِيلُونَ كُلُّ الْمِيلِ إِلَى غَرِيبٍ مِنْ جَنْسِهِمْ ، وَلِيَكُنَّ الْحَلْدُ لِقَدَمِهِمْ مِنْ يَوْمِهِمْ وَلِيَوْمِهِمْ مِنْ أَسْمِهِمْ ؛ وَلَا يُسَاكِلُونَ رَسُولًا يَرِدُ ، وَلَا قَاصِدًا يَفِدُ ؛ وَطَرِيقُ السَّلَامَةِ أَوَّلَى مَاسَلِكٍ ، وَمَنْ تَرَكَ الدَّخُولَ فِيمَا لَا يَبْتَغِيهِ تُرْكُ ؛ هَذِهِ جَمَلَةٌ مِنْ الْوَصِيَّةِ لِأَمْعَةٍ أَفْلَحَ وَأَهْتَدَى مَنْ بِهَا اسْتَنَارَ ، وَرَشِدَ مَنْ لَهَا اسْتَشَارَ ؛ وَاللَّهُ يُوَفِّقُكَ فِي كُلِّ مَقْصِدٍ تَرْوُمُ ، وَيَجْعَلُكَ بِهَذِهِ الْوَصَايَا تَقُولُ وَتَقُومُ .



وهذه وصية لبَطْرَك المَلَكِيَّة أوردتها في "التعريف" وهى :

وهو كبيرُ أهل ملته، والحاكمُ عليهم ما أمَدَّ في مُدَّتِه ؛ وإليه مَرَجُهُمْ فى التحريم والتحليل، وفى الحُكْم بينهم بما أُنزِلَ فى التوراة ولم يُنسخ فى الإنجيل ؛ وشريعته مبنية على المسامحة والإحتمال، والصبر على الأذى وعدم الإكتراث به والاحتفال ؛ نَحْذُ نفسَك فى الأقول بهذه الآداب ، وأعلمُ بأنك فى المدخل إلى شريعتك طريقٌ إلى الباب ؛ فتخَلِّق من الأخلاق بكلِّ جميل ، ولا تستكثر من متاع الدنيا فإنه قليل ؛ ولتقدم المصالحة بين المتحاربين إليه قبل الفصل البتَّ فإنَّ الصلح كما يقال سيّد الأحكام، وهو قاعدة دينه المِسيحى ولم تخالف فيه المَحمَديَّة الفراء دينُ الإسلام، ولينظف صدور إخوانه من الفلِّ ولا يقطع بما ينظفه ماء المعمودية من الأجسام ؛ وإليه أمر الكنائس والبيع ، وهو رأسُ جماعته والكلُّ له تبع ؛ فإياه أن يتخذها له تجارة مُرمِجه ، أو يقطع بها مالَ نصرانيٍّ يقرُّبه فإنه ما يكونُ قد قرَّبه إلى المذبح وإنما ذبحه ؛ وكذلك الديارات وكلُّ عُمر^(١) ، والقلائي فيتعين عليه أن يتفقد فيها كلَّ أمر ؛ وليجتهد فى إجراء أمورها على ما فيه رفع الشبهات، وليعلم أنهم إنما اعتزلوا فيها للتعبد فلا يدعها تتخذ متزهات ؛ فهم إنما أخذوا هذه الرهبانية للثقل فى هذه الدنيا والتعفف عن الفروج ، وحسبوا فيها أنفسهم حتى إن أكثرهم إذا دخل فيها ما يعودُ يسيء له لخروج ؛ فليحذروهم من عملها مضيدةً للسال ، أو خلوة له ولكن بالنساء حرامًا ويكون إنما تنزه عن الحلال ؛ وإياه ثم إياه أن يؤوى إليها من الغرباء القادمين عليه من يريب ، أو يحكم عن الإنهاء إلينا شِكَل أمرٍ ورد عليه من

(١) هو باضم المسجد والبيعة "قاموس" .

(١)
بعيد أو قريب ، [ثم الحذر الحذر من إخفاء كتاب يرد عليه من أحد من الملوك ،]
ثم الحذر الحذر من الكتابة إليهم أو المنى على مثل هذا السلوك ، وليجنب البحر
وإياه من اقتحامه فإنه يغرق ، أو تلقى ما يلقيه إليه جناح غراب فإنه بالبين
ينفق ، والتقوى مأمور بها أهل كل مله ، وكل موافق ومخالف في القبلة ؛ فليكن
عمله بها وفي الكتابة ما ينفي عن التصريح ، وفيها رضا الله تعالى وبها أمر المسيح .

الوظيفة الثالثة

(بطريركة اليعاقبة)

وقد تقدم في الكلام على النحل والملل الخلف في نسبتهم : فقبل لانهم أتباع
ديسقرس ، وانه كان اسمه في الغلانية يعقوب ، وقبل أتباع يعقوب البذعاني ،
وقبل غير ذلك ، والأصح عند المؤرخين الأول . وطررهم يحكم على طائفة اليعاقبة ،
وجميع نصارى الحبشة أتباعه ، وفي طاعته ملك الحبشة الأكبر ، وعنه تصدر
ولايته .

وهذه نسخة توقيع لبطرك النصارى اليعاقبة :

أما بعد حمد الله الذى أظهر دين الإسلام على الدين كله ، وأصدر أمور الشرائع
عن عقد شرعه وحله ، وصير حكم كل مله راجعا إلى حكم عدله ، والشهادة له
بالوحدانية التى تدل على أنه الواحد الأحد الذى لم يلد ولم يولد وليس شيء كمثلته ،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد أعظم أنبيائه وأكرم رُسليه ، وأشرف ولد آدم
ونسليه ، المصطفى فى علم الله من قبله ، ووسايت فى التوراة من غرور الشيطان وخذله ،
والذى أطفأ الله بركته نار تمروذ عن إبراهيم وجعلها برآ وسلاما وأجله من أجله ،

وَبَشَّرَ بِهِ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَبْدُ اللَّهِ وَأَبْنُ أُمِّيهِ وَأَقْرَبُ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ كَلِمَةُ اللَّهِ بِفَضْلِهِ ؛
وعلى آله الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ مِنْ فُرُوجِ أَصْلِهِ ، وَأَحْبَابِهِ سَامِعِي قَوْلَهُ ، وَتَابِعِي سُبُلَهُ -
فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا أَرْتَضَى الْإِسْلَامَ دِينًا ، وَأَفْضَى بِالْمُلْكِ إِلَيْنَا وَقَضَى لَنَا فِي الْبَسِيطَةِ
بَسْطَةً وَتَمَكِينًا ، وَأَمَضَى أَوْامِرَنَا الْمَطَاعَةَ بِشُمُولِ الْيَمْنِ شِمَالًا وَيَمِينًا - لَمْ تَزَلْ نُؤَلِّي
رِعَايَانَا الْإِحْسَانَ رِعَايَةً وَتَوْطِينًا ، وَنُدِيمُ لِأَهْلِ النِّمَّةِ مَنَازِمَةً وَتَأْمِينًا ؛ وَكَانَتْ طَائِفَةٌ
النَّصَارَى الْيَعَاقِبَةِ بِالْدِيَارِ الْمَصْرِيَّةِ لَهُمْ مِنْ حِينَ الْفَتْحِ عَهْدٌ وَذِمَامٌ ، وَوَصِيَّةٌ سَابِقَةٌ مِنْ
مَسِيدِنَا رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ؛ وَلَا بُدَّ مِنْ بَطْرِيكِ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ
فِي الْأَحْكَامِ ، وَيَحْتَمِعُونَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ قَضٍ وَأَبْرَامٍ .

وَلَمَّا كَانَتْ الْحَضْرَةُ السَّامِيَّةُ الشَّيْخُ الرَّئِيسُ ، الْمُبْعِلُ ، الْمَكْرَمُ ، الْكَافِي ، الْمَعْرُوفُ ،
الْمُقَفَّرُ ، الْقِدَاسِيُّ ، شَمْسُ الرَّأْسَةِ ، عِمَادُ بَنِي الْمُعْمُودِيَّةِ ، كَثُرَ الطَّائِفَةُ الصَّبِيغِيَّةُ ،
أَخْتَارَ الْمُلُوكُ وَالسَّلَاطِينُ ، فُلَانٌ : وَفَقَّهَ اللَّهَ ، هُوَ الَّذِي تَجَزَّدَ وَتَرَهَّبَ ، وَأَجْهَدَ رُوحَهُ
وَأَتَقَبَ ، وَصَامَ عَنِ الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ ؛ وَسَاحَ فَأَبْسَدَ ، وَمَعَ جَفَنَهُ لَذِيذَ الْمَرْقَدِ ،
وَنَهَضَ فِي خِدْمَةِ طَائِفَتِهِ وَجَدَّ ، وَخَفَضَ لَهُمُ الْجَنَاحَ وَبَسَطَ الْخِدْمَةَ ، وَكَفَّ عَنْهُمْ
الْيَدَ ، وَأَسْتَحَقَّ فِيهِمُ التَّجِيلَ لَمَّا تَمَيَّزَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ مَعْرِفَةِ أَحْكَامِ الْإِنْجِيلِ وَنَفَرَدَ -
أَقْتَضَى حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ نُثْنِيَ إِلَيْهِ أَمْرَ هَذِهِ الْفِرْقَةِ وَنُقُوضَ ، وَنُبَدِّلَهُمْ عَنْ
بَطْرِيكِهِمُ الْمُتَوَقِّ وَنُقُوضَ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا بِرِحْتِ مَرَاتِمِهِ مُطَاعِهِ ، وَمَرَامِهِ لِإِنْزَالِ أَهْلِ
كِرْمَاهَا بَيْعَتُهَا مَرَعِيَّةً غَيْرَ مَرَاةٍ ^(١) - أَنْ يَقْدَمَ الشَّيْخُ شَمْسُ الرَّأْسَةِ الْمَذْكُورُ عَلَى
الْمِلَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ الْيَعْقُوبِيَّةِ ، وَيَكُونَ بَطْرِيكًا عَلَيْهَا ، عَلَى عَادَةٍ مِّنْ تَقْسِمَتِهِ وَقَاعِدَتِهِ
بِالدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ ، وَالثَّنَوْرِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَالْجَلْهَاتِ الَّتِي عَادَتْهُ بِهَا إِلَى آخِرِ وَقْتٍ .

(١) أى غير مغزوة ولم يذكر القاموس ولا اللسان أراعه وإنما الفعل راعه وروحه أى أفرقه .

فليسلك سبيل السوا ، ولا يملك نفسه الهوى ، ولتمسك بخوف الله تعالى
 ان فصل أو نوى ، أو أخبر عن الحوارين أو روى ، فالعليق مراقب ، والعظيم
 معاقب ، والحكيم أمر أولى القول بالفكرة في السواقب ، والحاكم غذا بمحقوق الخلق
 غذا يطالب ، والظلم في كل ملّة حرام والعدل واجب ، فليستوف الإنصاف بين القوى
 والضعيف والحاضر والغائب ، وليقصّد مصلحتهم وليعتد نصيحتهم ، وليمنع على
 ما يدينون به بيوهم وقسوخهم ومواريشهم وأنكحتهم ، وليمنع غاوبهم ، وليسمع
 دعاوبهم ، وليلزمهم من دينهم بما وجدوه ، فظنوه واعتقدوه ، وليتبع سبيل المعدلة
 فلا يمدو [ها] عائدة إليه أمور القسيسين والرهبان ، في جميع الديرة والكائس بسائر
 البلدان ، ولا يعترض عليه فيما هو راجع إليه من هذا الشأن . ولا يقلم منهم
 إلى رتبة إلا من استصلحه ، ولا يرجح إلى منزلة إلا من رتبته إليها ورجحه ، متبعا
 في ذلك ما بينه له العدل وأوصحه ، مرتجع الرتبة ممن لم تكن الصدور لتقدمته
 منشرحه ، مجمعا لغيره في الإيراد والإصدار على اعتماد المصلحة ، وقد أوصحنا له ولم
 سبيل النجاة فليقتفوه ، وعرفناهم بالصواب والخيرة لهم إن عرفوه ، وللسأل الله ربه
 السلامة فيما له يفعل وبه يقوه ، والعلامة الشريفة أعلاه .



وهذه نسخة توقيح بطرك النصارى الباقية ، كُتِبَ به للشيخ المؤمن ، في شهر
 سنة أربع وستين وسبعائة ، وهى :

أما بعد حمد الله على نعمه التى نثرت لواء دولتنا في الآفاق ، فأولى كل أحد
 إلى ظله ، وبسطت معدتنا في البلاد على الإطلاق ، فتمت الخاض العالم من برنا
 بوابله وظله ، وأصطغت بنمائها ملوك الملل وحكام الطوائف فتطقوا عن أمرنا

فى عقد كل امر وحله ؛ والشهادة بوحدايته التى تُنصح أمل المخلص فى قوله وفعله ،
وتفتح لمن تمسك بمرورها أبواب النجاة فيصبح فى أمان فى شأنه كله ؛ والصلاة
والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله أشرف الأنبياء قدراً فى محكم الذكر ونقله ،
المبعوث رحمة للعالمين زيادة فى رفعة مقامه وتقريرا لفضله ، المنعوت بالرفعة والرحمة
فى محكم كتابه الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولم يستطع أحد
أن يأتى بسورة من مثله ؛ وعلى آله وصحبه الذين أتبعوا طريقته المثلى وسلوكوا منهاج
سبله ، وعقدوا الذم لأهل الملل وأستوصوا بهم خيراً لما عرفوه من سعة حلمه
وبئله - فإنه لما كانت الطائفة المسيحية ، والفرقة اليهودية ؛ ممن أوتت تحت ظلنا
الذى عم الوجود ، وسكنت فى حرم ذمنا الذى سار نبؤه فى التهام والنجود ،
وتمسكت من طاعتنا وأتباع أوامرنا بما سلف لما من الهدن والعهود ؛ وكانت
أحكامهم مما يحتاج إلى من يدور عليه أمرها فى كل حال ، وتنظم به مصالح شملها
ليلقوا بها الآمال ، ويأمنوا فى معتقدهم فيها من الإخلال ؛ وأنه إذا مات بطريقك
لم لا بد أن ترسم لهم بغيره ، ليعتمدوا فى ذلك ما يتقدم به إليهم فى نبيه وأمره ؛
ويسلك بهم فى أحكامهم ما يجب ، ويعرف كلا منهم ما يأتى ويذر ويفعل ويتجنب ؛
وفضيل بينهم بمقتضى ما يستقدونه فى إنجيلهم ، ويمشى أحوالهم على موجب فى تحريمهم
وتحليلهم ؛ ويزجر من خرج عن طريقه ، ليرجع إلى ما يجب عليه أسوة رفيقه ؛
ويقضى بينهم بما يستقدونه من الأحكام ، ويبين لهم قواعد دينهم فى كل نقص
وابرام ؛ فلما هلك الآن بطريقكم مع من هلك ، رسمنا لهم أن يتخبروا لهم من
يكون لطريقته قد سلك ؛ وأن يختاروا لهم من يسوس أمورهم على اكل الوجوه ،
لترسم بتقدية عليهم [فيقوم] بما يؤملونه منه ويرجعونه .

وكان الحضرة السامية، القديس، المجلل، الجليل، المكرم، الموقر، الكبير، الديان، الرئيس، الروحاني، الفاضل، الكافي، المؤتمن، جرجس بن القس مفضل البقوبي، عماد بني المعمودية، كثر الأئمة المسيحية، منتخب الملة الصليبية، ركن الطائفة النصرانية، اختيار الملوك والسلاطين : أطال الله تعالى بهجته، وأعلى على أهل طائفته درجته، قد حاز من فضائل ملته أسماءها، وصعد من درجات الترقى على أبناء جنسه أهلاها، فزه نفسه عن مشاركة الناس، وتكشف بين أهله في المأكَل واللباس، وترك الزواج والنكاح، واشتغل بعبادته التي لازم عليها في المساء والصباح، والتي نفسه إلى الغاية في الأطراح، وساح بخاطره في الفكرة وإن لم يكن يجسده قد ساح، وأرتاض بترك الشهوات مدة زمانه، وأطرح الملاء لتلوع درجته بين أهله برفعة مكانه، واشتغل من علوم طائفته على الجانب الوافر، وعرف من أوامرهم ونواهيهم ما تقر به منهم العين والناظر، وطلب من الرب الزمير الرحيم القوة على أعماله، وسأل الإله أن يزني لأهل ملته ما يأتي به من أقواله وأفعاله، فوقع اختيارهم عليه، وسالوا صدقاتنا الشريفة لإلقاء أمرهم إليه .

فرسم بالأمر الشريف - لازال إحسانه إلى سائر العالم وإصلا، وجوده لكل طائفة بازتياد أكفائها شاملا - أن يقدم حضرة القديس المؤتمن جرجس المشار إليه على الطائفة البقوبية، من الملة النصرانية، بالديار المحروسة والجهات الجارية بها العادة، ويكون بطريركا عليهم على عادة من تقدم في ذلك ومستقر قاعدته إلى آخر وقت، قائما بما يجب عليه من أمور هذه الملة، باذلا جهده في سلوك ما ينبغي مما ينظم عليه أمره كله، فاصلا بينهم بما يعتقدونه من الأحكام، متصرفا على كل أسقف وقس ومطران في كل تقص وإبرام، مالكا من أمور القسيسين والرهبان والشمامسة الزمام، مائنا من روم أمرا لا يسوغه وضع ولا تقرير، جاحلا نظره عليه

متقدا بالتحرز فى التخير؛ زاجراً من يخرج منهم عن أتباع طريق الشريعة المطهرة التى يصح بها عقد الذمة، ملزماً بسلوكلها فى كل ملة فإن ذلك من الأمور المهمة؛ آسراً من فى الديرة من الرهبان بمعاملة المساكين بهم والنازليين عليهم بمزيد الإحسان وميديد الإكرام، والقيام بالضيافة المشروطة من الشراب والطعام .

وليتحدث فى قسمة مواريلهم إذا ترفعوا إليه ، وليجعل فصل أمور أهل طائفته من المهمات لديه ؛ وليشفق على الكبير والصغير ، وليتزه عن قليل متاع الدنيا والكثير، وليزهد فى الجليل قبل الحقير . وفى أطلّاعه على أحكام دينه ما يكفيه فى الوصية ، وما يرفع به بين أبناء جنسه فى الحياة الدنيوية ؛ والاعتماد على الخط الشريف أعلاه الله أعلاه .



وهذه نسخة توقيع لبطرك اليعاقبة ، وهى :

أما بعد حمد الله على أن جعل من إحسان هذه الدولة لكل ملئ وذمى نصيباً ، ووفق إلى أهداف الرعاية سهما فسهما مامنهما إلا ماشؤهد مُصيباً ، والصلاة على سيدنا محمد الذى أحمد الله له سرى فى صلاح الخلائق وتأييها - فإنه لما كان من بجايا الدولة القاهرة النظر فى الجزئيات والكتليات من أمور الأمة ، وتجاوز ذلك إلى رعاية [أهل] الذمة ؛ لاسيما من سبقت وصية سيد المرسلين عليهم من القبط الذين شرفهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بوصلته منهم بأم إبراهيم ولده عليه السلام ، وقبول هديتهم التى أبت لهم مزية على تمز الأيام ؛ وكانوا لا بد لهم من بطرك يحفظ سوامهم ، ويضبط خواصهم وعوامهم ؛ ويجمع شمل رهبانهم ، ويراعى مصالح أديانهم ؛ ويميز أمور أعيادهم ومواسمهم فى كل كنيس ، ويدعو للدولة القاهرة فى كل تقديس ؛ وتجعل [له] الخيرة فى ضبط أمور البيع والديرة واختيار الأساقفة

والكُفَّان ، وحفظ النواميس المسيحية في كل قُرْبان ؛ ولا يصلح لذلك إلا من هو
بَتُول ، وكلّ خاشع عامل ناصب يستحقّ بذلك أن هذا الأمر إليه يَتَوَلَّى .

ولما كان البطريك فلان هو المجمع على صلاحيته للبطاركية على شعبه ، والتقدمة
على أبناء المعمودية من شيعته وصفيه ، لما له من علم في دينه ، ومعرفة بقوانينه ،
وضبط لأفانينته ، وعقل يمنعه عن التظاهر بما يُنافي اليهود ، ويُلَافِي الأمر الممّود .
أقضى جميل الاختيار أنه رُسِم بالأمر الشريف - لا بَرَح يَضَع كلّ شيء في موضعه
من الاستحقاق ، ويُبَالِغ في الإرفاد لأهل المال والإرفاق - أن يباشر بطركية جماعة
اليعاقبة بالديار المصرية ، على عادة من تَهْتَمُّ في هذه الرتبة ، ومن آرتقى قبله إلى
هذه المَهْضَبَة .

فلْيَا شَرِ أَمْر هذه الطائفة ، وليجعل مَعُونَتَهُ بهم طائفة ؛ وليضبط أمورهم أحسن
ضبط وأجمل ، وأتمه وأكمل ؛ وليأخذهم بما يلزمهم من القيام بالوظائف المرفوعة ،
والعهد المألوفة ؛ وليزمنهم بما يلزمهم شرعا من كفّ عن تظاهير ممنوع ، أو تعطى
محذور منكور الشرور والشروع ؛ أو تنكّب عن طريق الاستقامة ، وكما أنهم عدلوا
عن الإسلام لا يَعدِلُون عن السلامه .

وأما أمور الدّيرة والكائس فأمرها إليك مردود ، فأجر فيها على المعهود ؛ وأقم
فيها عنك من يُحْسِن الثّبابه ، ومن يُجِلّ الإنابَه ؛ ومن يستجلب الدّعاة لهذه الدولة
القاهرة في كل قُدّاس ، وسُتَدّ التّقْدُس والأُنْقَاس ؛ وعلى رُهبان الأديرة للساجد
والجوامع وظائف لا تُمنع ولا تُؤخّر ، ولا تُخَوِّج أحدا منهم أنه بها يُذَكَّر ؛ وليشُرْط
على أهلها أنهم لا يَأْوُون طليعة الكُفَّار ، ولا من يحصل منه إلا خير ولا يحصل
الإضرار ؛ وليأمرهم بِحُسْن الخِوَار ، والقيام بما هو موكّف عليهم للسلمين السّفار

وغير السَّفار؛ هذه بُنْدَة من الوصايا مُقِمَّة، ولو وُضِعَ القولُ لكان ذا سَعَة؛
وفى البَطْريرك من الثَّباة ما يُبَلِّغهم الصَّواب؛ والله يجعل حسنَ الظَّنِّ به لا أرتيابه فيه
ولا أرتيابه؛ بِنِّه وكرمه!، والاعتماد



وهذه نسخة توقيع لبَطرِكَ العاقبة، وهى :

أما بعدَ حمْدِ الله الذى خَصَّ كُلَّ مَلَكَةٍ مِنَّا بِبِنِّه، وأقامَ بأوامرنا على كُلِّ طائفةٍ مِن
نِزْواه فَنُحَقِّقُ بِإِحْسَاننا ظَنَّهُ، وجعل مِن شِيعِنَا الشَّرِيفَةِ الوَصِيَّةَ بأهلِ الكُتابِ عَمَلًا
بِالسَّنَةِ . والشَّهادَةِ بِوَحْدانِيَّتِهِ الَّتِي نَتَّخِذُ بَيْنَنا وَبَيْنَ الشُّكِّ وَالشَّرِكِ مِن قُوَّةِ الإِيْمَانِ
جُنَّةً، وَنَذِيرَ أَجْوَرها فَنَسْمُو بِها يَوْمَ العَرَضِ إلى أَعْلَى عُرْفِ الجَنَّةِ . والصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ
على نَبِيِّهِ عَمِّدِ أَكْرَمِ مِن أَرْسَلَهُ إلى الأُمَمِ فَأَنالَ كُلًّا مِنَ البرايا بِبِنِّه، وأَعْظَمِ مِن بَعَثَهُ فَشَرَعَ
الدِّينَ الحَنِيفَ وَسَنَّهُ، وعلى آلِهِ وَأَصْحابِهِ الَّذِينَ لَمْ تَزَلْ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِمْ مَطْمَئِنَّةً -
فإِنَّ لِمَوْلانا القَاهِرَةِ العَوَارِفِ الحِسانِ، وَالشَّيْمِ الكَرِيمَةِ والعَطَايَا والإِحْسانِ ؛
وَالْفَواضِلِ الَّتِي لِلْأَمالِ [مِنْها] ما يُرَبِّى عَلَيْها وَيَزِيدُ، وَالْمَأْتَرِ الَّتِي بَحْرُ رَها الْوافِرُ
المُديدِ ؛ وَلِكُلِّ مَلَكَةٍ مِن نِعْمِها نَوالٌ جَزِيلٌ، وَلِكُلِّ فِرْقَةٍ مِن مَواهِبِها جَانِبٌ يَقْتَضِى
التَّخَوِيلَ وَلَا يَقْبِضِ بِالتَّحْوِيلِ، وَلِكُلِّ طائِفَةٍ مِن يُمَنِّها وَمِنْها مَنائِحُ طائِفَةٌ بِمَزِيدِ
التَّنْوِيلِ؛ وَلِكُلِّ أَناسٍ مِن مَعْدَلِها نَصيبٌ يَشْمَلُ المَلَلِ، وَعادَةُ مَعروفٍ تَوَاتَرَتْ مَعَ
أَنها خالِصَةٌ مِنَ السَّامَةِ والمَلَلِ، سَجِيَّةٌ سَخِيَّةٌ بَنّا شَرُفَتْ، وَمَرْيَئَةٌ مَرْوِيَّةٌ مَنّا أَلِفَتْ ؛
وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الكُتابِ لَطائِفَةً كَثُرَتْ بِأَبْوابِنا الشَّرِيفَةِ عَدَدًا، وَأَسْتَصَفَتْ مِنْ مَناهِلِ
جُودِنا مَوْرِدًا، وَأَتَنظَّمَتْ فى سِلْكِ رِعايانا فَاحِصِي سَبَبُ فَضْلنا لَها مُؤَكَّدًا؛ وَكانَتْ
الْمِلَّةُ المَسِيحِيَّةُ، وَالْفِرْقَةُ البَعْقُوبِيَّةُ؛ لا بُدَّ لَها بَعْدَ مَوْتِ بِطَرِيكِها مِن إِقامَةِ غَيرِهِ،

وتقديم من يرتضى 'يفعله وقوله وسيره' لثقتي به في عقد أمورها وحلها، وتحريمها وتحليلها ووصلها وفصلها، وتهتدي به في معتقدها، وتركن إلى ما يذكركه من مجموع أحكام الإنجيل ومفردا، ويتصب للفصل بين خصومها بما يقتضيه عرفانه، ويظهر لأهل ملته بياؤه، حتى لا تجد في أمر دينها إلا ما تريده، وبما نديمه لها من استمرار الهدنة تبدي دُعائها وتعيده؛ فإن سيدنا عدا - صلى الله عليه وسلم - أمرنا أن نستوصي بأهل الكتاب خيرا، ونحن نسلك من أتباع شريعته المطهرة ما تحسن فيه - إن شاء الله - سيرة يسيرة وسيرا .

ولما كانت الحضرة السامية، الشيخ، الرئيس، المبجل، المكرم، الفاضل، الكافي، الثقة، عماد بني المعمودية، كثر الطائفة الصليبية؛ اختيار الملوك والسلاطين، فلان - أطال الله بقاءه، وأدام على أهل طائفته ارتقاءه - ممن آتفق على شكره أبناء جنسه، واستوجب أن يرقى إلى هذه الرتبة بنفسه؛ واشتهر بمعرفة أحوال فِرَقه، وهجر الأهل والوطن في تهذيب خلقه؛ وحرّم في مدة عمره النكاح، وسار في المهامه والفقار وساح؛ وأضحى 'تحيص البطن خاوي الوفاض، قد ترك الطيبات وهجر التثمم وأرتاض؛ واعتمد في قوله على الإله، وسأل الرب أن يبلغه في أهل ملته ما تمنّاه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال يجمع الفرق على الدعاء لأيامه الشريفة، ويُدِيم للأقرنين موادّ مواهبه المألوفة - أن يقدم الشيخ فلان على الملة النصرانية العقوبية، ويكون بطريركا عليها على عادة من تقدمه، ومستقر قاعدته، بالديار المصرية والثغور المحروسة، والجهات التي عادت بها، إلى آخر وقت، [فليتول ذلك] سالكا من طرق الزاخرة ما يجب، فاصلا بين النصاري بأحكام دينه التي لا تنحفي عنه

ولا تَحْتَجِبُ ؛ مَالِكًا أَرْزَمَةً كُلُّ أُسْقُفٍ وَقَصٍّ وَمِطْرَانٍ ، مَرْتَحًا بَيْنَ الْقِدِّيسِ
وَالْقَيْسِ وَالشَّامْسِ وَالرَّهْبَانِ ؛ لِتُصْبِحَ أَحْكَامُ كِبِيرِهِمْ وَصَغِيرِهِمْ بِهِ مَنُوطَةٌ ، وَمَوَارِئُهُمْ
مُقْسُومَةٌ بِشَرْعَتِهِ الَّتِي هِيَ لَدَيْهِمْ مَبْسُوطَةٌ ؛ وَيَقِفَ كُلُّ مِنْهُمْ عِنْدَ تَحْرِيمِهِ وَتَحْلِيلِهِ ،
وَلَا يَخْرُجُ فِي شَرْعَتِهِمْ عَنِ فِعْلِهِ وَقَوْلِهِ وَلَا يَقْدُمُ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ رَضِيَ بِتَأْهِلِهِ ؛ وَلِيَأْمُرَ
كُلُّ قَائِسٍ مِنْهُمْ وَدَانٍ ، وَمَنْ يَتَعَبَّدُ بِالذِّبْرِ وَالصَّوَابِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسْوَانِ ، بِرَفْعِ
الْأَدْعِيَةِ بِدَوَامِ دَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ الَّتِي أَسَدَتْ لَهَا هَذَا الْإِحْسَانُ ؛ وَيُزَيَّرُ كُلًّا مِنْهُمْ
بِأَنْ لَا يُحْدِثَ حَادِثًا ، وَيُكْرَمُ نَزْلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ رَاحِلًا أَوْ لَا يَسَا ؛ فَإِنْ هَذِهِ الْوَلَايَةُ
قَدْ آلَتْ إِلَيْهِ ، وَهُوَ أَدْرَبُ بِمَا تَطْلُو شُرُوطُهَا عَلَيْهِ ، وَاللهُ تَعَالَى يَعْمَلُ الْبَهْجَةَ [لَدَيْهِ]
مُقِيمَةً [وَالنِّعْمَةَ عَلَيْهِ مُسْتَدِيمَةً] ؛ وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ ، حُجَّةٌ بِمُوجِبِهِ وَبِمُقْتَضَاهُ ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه وصية لبطرك اليعاقة أوردها في "التعريف" قال :

وَيُقَالُ فِي وَصِيَّةِ بَطْرِكِ الْيَعَاقِبَةِ مِثْلُ مَا فِي وَصِيَّةِ بَطْرِكِ الْمَلِكِيَّةِ ، إِلَّا فِيمَا يُنْبَهُ عَلَيْهِ .
وَيَسْقُطُ مِنْهُ قَوْلُنَا : « وَأَعْلَمَ بَأَنَّكَ فِي الْمَدْخَلِ إِلَى شَرِيعَتِكَ طَرِيقٌ إِلَى الْأَبَابِ » إِذَا
كَانَ لَا يَدِينُ بِطَاعَةِ الْأَبَابِ الَّذِي هُوَ رَأْسُ الْمَلِكَانِيِّينَ ، وَإِنَّمَا هُوَ رَأْسُ الْيَعَاقِبَةِ نَظِيرُهُ
لِلْمَلِكَانِيِّينَ ، وَيُقَالُ مَكَانَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ « وَأَعْلَمَ بَأَنَّكَ فِي الْمَدْخَلِ إِلَى شَرِيعَتِكَ قَسِيمُ
الْبَابِ وَأَنْتُمْ سِوَاهُ فِي الْإِثْبَاعِ ، وَمَتَسَاوِيَانِ فَإِنَّهُ لَا يَزْدَادُ مِصْرَاعٌ عَلَى مِصْرَاعٍ » .
وَيَسْقُطُ مِنْهُ قَوْلُنَا : « وَلِيَتَجَنَّبَ الْبَحْرَ وَإِيَّاهُ مِنْ اقْتِعَامِهِ فَإِنَّهُ يَفْرُقُ » وَثَانِيَةَ هَذِهِ
الْكَلِمَةِ إِذَا كَانَ مَلِكُ الْيَعَاقِبَةِ مُغْلَبًا [فِي الْجَنُوبِ] (١) وَلَا يَخْرُجُ ، وَيَسْدُلُ بِقَوْلُنَا :
« وَلِيَتَجَنَّبَ مَا لَعَلَّهُ يَنْوُبُ ، وَلِيَتَوَقَّ مَا يَأْتِيهِ سِرًّا مِنْ تَلْقَاءِ الْحَبْشَةِ حَتَّى إِذَا قَدَّرَ فَلَا

يَسْمُ أَنْفَاسَ الْجَنُوبِ؛ وَلِيَعْلَمَ أَنَّ تِلْكَ الْمَادَّةَ وَإِنْ كَثُرَتْ مَقْصَرُهُ، وَلَا يَحْفَلُ بِسُودَدِ
السُّودَانِ فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ آيَةَ اللَّيْلِ مُظْلِمَةً وَآيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً» ثُمَّ يُنْثَمُّ بِالْوَصِيَّةِ بِالتَّقْوَى
كَأَقْدَمٍ، وَنَحْوِ هَذَا وَاقَّهْ أَعْلَمَ .

النوع الثاني

(ما هو خارجٌ عن حاضرتي مصر والقاهرة : من وظائف الديار المصرية
مما يُكْتَبُ لأربابها . وهي ثلاث جهات)

الجهة الأولى

(ثغر الإسكندرية ، والوظائف فيها على ثلاثة أصناف) .

الصنف الأول

(وظائف أرباب السُيُوف وبها وظيفة واحدة وهي النيابة)

وقد تقدّم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أنها كانت أولاً ولايةً،
إلى أن طُرِقَها الْفَرَنْجُ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، فَاسْتَقَرَّتْ مِنْ حَيْثُ نِيَابَةٍ،
يُكْتَبُ لِنَائِبِهَا تَقْلِيدٌ فِي قَطْعِ التَّلْتِينَ «الجناب العالي» مع الدُّعَاءِ بِمُضَاعَفَةِ النِّعْمَةِ .
وهذه نسخة تَقْلِيدِ نِيَابَةِ ثَغْرِ الإسكندرية :

الحمد لله على نِعَمٍ بِاسْمَةِ الثَّغْرِ، مُسْفِرَةِ الْفَجْرِ، رَافِعَةِ الْقَدْرِ .

نَحْمَدُهُ حَمْدًا يَشْرَحُ الصُّدْرَ، وَيُطْلِعُ طُلُوعَ الْبَدْرِ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُخَالِفُ مِنْ يُخَالِفُهَا، وَتُخَالِفُ مِنْ يُخَالِفُهَا؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ عَهْدًا عَيْدُهُ

ورسوله أفضل نبى رَابط في سبيل الله وجهاد، وكابد في الجهاد أمداء الدين وكابد؛
 صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين خاضوا في غمرات الدجى كل غمر، ونذبوا
 لحماية الدين ... (١) ... كريمة وسداد ثمر .

أما بعد، فإن الاهتمام بالنور هو أولى ما إليه حُمد، وعلى مصالحها اعتمد؛ وكان
 نمر الإسكندرية المحروس هو المقتَرع عن أحسن الثنايا، والمخصوص من الحياة
 بأنم المزايا؛ والذي كم شفت شفاؤه من سُقم عند آرتشاف، والذي المتأغر به
 والمرابط كم له بالחסنات من أختلاف؛ وكانت المصلحة تقتضى أن لا يُختار له
 إلا كل كامل الأوصاف، كافٍ بما تستدعيه مصلحة أهله من إنصاف؛ ذو عزم
 يمضى والسهام مستودعة في الكائن، ويقضى بالعدل الميزيل للشوائب والشوائن،
 ومن له حزم يسد ثمر المعايب دون كل ملاحظ ومعاين؛ وله سياسة تحفظ بثلتها
 الثغور، وتُصان الأمور، وله بشاشة تسجلب الثغور، وتوفى ما بين الألسنة
 من أولى الود والصدور؛ وله حياة بينا يقال: هذا جانبُه ديمث إذ يُقال: هذا
 جانبُه صعب ممتنع، وبينما يقال ليقظته للصحة: هذا صحابٌ يتجهب^(٢) إذ يُقال هذا
 سئل مندفع .

ولما كان فلان هو مستوعب هذه الصفات، ومستودع هذه الأسماء والسمات؛
 وإليه بهذه المناقب يُشار، وهو ساحب أذيل هذا الفقار - اقتضى حسن الرأي

(١) بياض بالأصل ولعله فكانوا اليوم الخ .

(٢) في الأصل « كفت » وهو تصحيف من التامخ .

(٣) لعله صحاب جهام . أى لا ماء فيه . تأمل .

الشریف أن تُفَوَّضَ إليه نيابةُ السلطنة الشريفة بشتر الإسكندرية المحروس ،
تفويضا يُمِضِي في مصالحه لسانه وقلبه ، ويُصَرِّف بين الأوامر والنواهي إشاراته
وكلمته ؛ ويزين مواكبَه بطلعته ، ويزيد مهابتَه ببُعد صيته وأشتهار شُعبته .

فليباشر هذه الوظيفة مجللا مواكبها ، مكلا مراتبها ، موثلا بقواعد الأمن أرجاءها
وجوانبها ؛ ناشرا لواء العدل على عوالمها ، قابضا بالإنصاف لمظلوم رعيها على يد
ظالمها ؛ معلما منار الشرع الشريف بمعاضدة حكامه والاعتقاد إلى أحكامه ، والوقوف
في كل أمر مع نقضه وإبرامه ؛ وليحرُس جوانب هذا الثغر ويحميها ، وليصُن عوارضه
وما فيها ومن فيها ؛ وليكَلِّه برا وبجرا ، وليُرِج عليه من ذبه سِترا فيترا ؛ وليُنْجِص
لسافرتِه ^(١) طلبا ، وليبلغهم من العدل والإحسان آريا ؛ ويُجَلِّ معاملته من وجد منهم
في سفره نصبا ، واتخذ سبيله في البحر نجبا . والرعية فهم طراز الممالك ، وعنوان
العبارة الذي من شاهده في هذا الثغر علم ما وراء ذلك ؛ وأحسن إليهم وأرأف بهم ،
وبلغهم من عدل هذه الدولة غاية أربهم ؛ وأمور الخمس والديوان فلها قواعد
مستقره ، وقوانين مستمره ؛ فاسلك منها جددا واضحا ، وأبتغ لها علما لا تحا ؛
وغير ذلك فلا يكاد على فهمك يخفى ، من تقوى الله التي بها تُكف عن المضار
وتُكفى ؛ والله تعالى يُلهمك صوابا ، ولا يجعل بين حجاجك وبين المصالح حجبا ،
بمنه وكرمه ! .

(١) موثلا بمثلا . من مثل الشيء أصله ومثله .

(٢) (السافرة) هم المسافرون .

الصنف الثانى

(من الوظائف التى يكتب بها بغير الإسكندرية - الوظائف الدينية،
وكلها تواقع، وفيها مرتبتان)

المرتبة الأولى^(١)

(ما يكتب منها فى قطع الثلث بـ «السامى» بالياء، وفيها وظائف)

الوظيفة الأولى

(القضاء)

وهو الآن مختص بالمالكية ، وقاضيا يتحلت فى نفس المدينة وظاهرها ،
ليس له ولاية فيما هو خارج عنها .

وهذه نسخة توقيع بقضاء نفر الإسكندرية لمالكى ، كُتِبَ به للشيخ «وجيه الدين
محمد بن عبد المعطى الإسكندرى المالكى» وهى :

الحمد لله رافع قدر من توه العلم يذكره ، ونور الثقى مواقع فكره ، ونبه الورع على
رفعة قدره ، وأشرق به منصّب الحكم العزيز إشراق الأفق بطلوع بذره ، وأضاءت
بنور أحكامه غوامض القضايا الشرعية إضاءة الدجى بفزة فجره ، وقضى له دوام
الإصابة فى الاجتهاد بإحراز أجره إذا كان أحد قسّم الاجتهاد مقتضياً لأجره ،
وملئ صدره بأنواع العلوم الدينية فوسّع له الشرع الشريف صدر مجلسه وأعد له
مجلس صدره ، وزح من خاطره بحر العلم فأرتوت رياض الخواطر بأنوار فرائد دُرّه ،

(١) لم يذكر الثانية فيما يأتى .

وأسفر وجه الدين بنور علمه وعمله : فقام هذا مقام السرور في أسارىه وناب هذا
متاب الشئب في قفرو .

لمحمد حمداً يزيد قدر النعم تنويهاً ، ويسوع في المحامد تعظيماً لمسيدي المنة وتنزيهاً ،
وينهض بشكر التوفيق في اختصاص منصب الحكم بن كان عند الله ويحيها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تفتقر نغور الإسلام بإدامتها ،
وتبقي قواعد الإيمان على إقامتها ، وتسم يوارق النصر على جاحديها من أشاء
غمايتها ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أنارت الآفاق بلمعته ، ودارت أداة
التشبيه بين أنبياء بني إسرائيل وعلماء أمته ، وضاهى شرعه شمس الظهيرة في وضوح
أحكامه وظهور أدلته ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين عملوا بما علموا ،
وجاهدوا أعداء الله فما ضعفوا لذلك ولا ألبوا ، وقضوا بالحق بين أمته فلا المقيض
لهم أثموا ولا المقيض عليهم ظلموا ؛ صلاة لا تزال لها الأرض مسجداً ، ولا يبرح
ذكرها مثمها في الآفاق ومنجداً ؛ وسلم تسلياً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى من قلد الحكم وإن نأى به الورع عن توقعه ، وخُطب للقضاء
وإن أعرض به الزهد عن طلبه وتبعه ، ودُعِيَ إليه إذ الإجابة عليه متعينة ،
ووضعت مقاليد الحكم بالاستحقاق [في يديه] إذ أولويته البيئة لا تحتاج إلى بيئته -
من عقدت على تعينه لهذا المنصب الجليل الخناصر ، ودعت إلى استدعائه
إليه فضائله الثابتة القواعد وزهادته الزاكية الأواصر ؛ ودلت عليه علومه دلالة
الأضواء ، على لوايح الشئب ، ونهت عليه فتونه تنبيه الأنواء ، على مواقع الشئب ؛
وشهد يورعه المتين ، فقهه وأعتاله ، وأنبأ عن نهوضه بنصرة الدين ، قوة جداله
الذي هو جلاذ مثله وزأله ؛ وتجرى أنواع العلوم حتى جاور البحر بمثله ولكنه

العنُب الزُّلال ، وشغل نفسه بالتنوع فى الفنون فكان التحلّى بعبادة الله ثمرة ذلك الاشتغال ؛ ومضى على قَدَم الأئمة العلماء من أسلافه فلم يُسَقِّ فى ذلك المضارِعُ غُبَارُهُ ، ونشأ على طريقة العلم والعمل : فنهاره بالانقطاع إليه ليله وليله بالاشتغال بهما نهاره .

ولما كان فلان هو الذى خطبته هذه الرتبة السنية لنفسها ، وتشوقت إلى الإضاءة بطُلُوعه فى أَفْقها تشوق المطالع إلى الإضاءة بطُلُوع شمسها ؛ وأثنى لسانُ القلم على فضائله وهو يستنير من الاختصار ، واقتصرت البلاغة على اليسير من التعريض بوصفه وطالبُ مالا يحصر معذورٌ فى الاقتصاد والإقتصار ؛ وعين لما تعين عليه من مصالح الأئمة وذلك يقضى لمثله من أهل الورع أن يُجيب ، وطُلب لعموم مصالح الإسلام التى ما يذنبى لمثله من أنصار السنة أن يتأخر عن مثنها أو يغيب ؛ وكان ثمرُ الإسكندرية المحروس من الماعقل التى يفتقر عن شنب النصر ثمرها ، ومن أركان الدين التى ينقصُ بأبطالها بحرُها ؛ وهى مأوى صلحاء الجهاد الذين سبأهم ليلهم أسبق إلى العدا من سبأهم ، وموطنُ العلماء من أهل الاجتهاد الذين يعدل دم الشهداء مداد أقلامهم ؛ وهى داره التى تُرعى به نواحيها ، وموطنُ رباطه الذى يومُ وليلة منه فى سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما فيها - أقتضت آراؤنا الشريفة أن نحض منصبَ حكيما بعالم أَفْقها المنير ، وزاهدٍ ثمرها الذى ماشأ بركة بصرُ عدوِّه إلا وأقلب إليه خاسئا وهو حَسِير ، أنْ تُفَوِّضَ إليه منصبُ القضاء والحكم العزيز بنصر الإسكندرية المحروس ، على قاعدة من تقدمه فيه ، نظراً فى عموم ذلك الثمر المحروس به (٤) إلى من أتعقد إجماع أئمة عصره ومصره على سعة علمه ووُفُور ورعه وكمال فضله .

(١) مراده أنها مأوى صفاء المتعبدين الذين اتخ .

(٢) يظهر أن فى هذه العبارة سقطا وجور .

فليأشِر هذا المنصبَ الذى مَلَكَ أمره العلمُ والثَّقَى ، ونِظامُ حكمه المِثْلُ
والورعُ وهما أَكْلُ ما به يُرْتَقَى ؛ وليُحْكَمْ بما أَرَاهُ الله من قواعدِ مَذْهَبِهِ الْحُكْمُ ،
وأحكامِ إِمَامِيهِ التى هِىَ بمِصَالِحِ الدِّينِ والدُّنْيَا مُحْكَمَةٌ ؛ وليَقِضَ بِأَقْوَالِ إِمَامِ دارِ الْحِجْرَةِ
التي منها صَدَرَتِ السُّنَّةُ إِلَى الْآفَاقِ ، وَعِضًا أُغْنَتْ ذَخَائِرُ الْعِلْمِ التى تَبَرَّكُوا عَلَى كَثْرَةِ
الِإِتِّفَاقِ ؛ وبها حَمِيَ الْأَحْكَامُ الدِّينِيَّةُ مَوْطَأً الْأَخْطَفُ ، وفيها أَسْتَقَامَ عُمُودُ الْمِلَّةِ الْمُتَوَدِّعِ
الطَّرْفِ عَلَى سَائِرِ الْأَطْرَافِ ؛ فَلَيْلٍ مِنْ ذَلِكَ وَغَيْرِهِ جَمِيعَ مَا كَانَ يَلِيهِ مَنْ تَقَدَّمَ ،
وَتَقَضِيهِ قَوَاعِدُ وَلايَتِهِ التى أَمْضَيْنَا فِيهِ لِسَانَهُ وَقَلَمَهُ .

فَأَمَّا مَا يَدْخُلُ تَحْتَ هَذَا الْإِجْمَالِ مِنْ آدَابِ الْقَضَاءِ وَقَوَاعِيدِهِ ، وَأَدَوَاتِهِ وَعَوَالِيدِهِ :
مِنْ تَخْصِيسِ الْحُكْمِ بِأَوْقَاتِهِ ، وَمُتَسَاوَاتِهِ بَيْنَ الْمُصْطَفِينَ فِي أَنْصَابِهِ وَإِنْصَابِهِ ؛ وَأَجْتِنَابِ
الْحُكْمِ فِي الْأَوْقَاتِ الْمُقْتَضِيَةِ لِتَرْكِهِ ، وَتَوْقُيْ نَقْضِ الْأَحْكَامِ التى نَظَمَهَا عَدَمُ مُخَالَفَةِ
النَّصِّ وَالِإِجْمَاعِ فِي سِلْكِهِ ؛ فَإِنَّهُ مَكْتَفٍ بِالْإِجْمَالِ عَنْ تَفْصِيلِهَا ، مَكْتَفٍ عَنْ ذِكْرِ
كَثِيرِهَا بِالْإِيْمَاءِ إِلَى قَلِيلِهَا ؛ إِذْ هُوَ أَدْرَى بِأَوْضَاعِهَا شَرْعًا وَعُرْفًا ، وَأَدْرَبُ بِمَا قَدْ
يَشِدُّ مِنْهَا عَنِ الْمَعْيَةِ أَوْ يَخْفَى ؛ وَمَلَائِكَةُ الْوَصَايَا تَقْوَى اللَّهَ تَعَالَى وَهِيَ مِنْ خِصَالِ
نَفْسِهِ ، وَفَوَائِجُ مَا أَبْتَدَأَ الْوَرَعُ بِإِتِّفَاقِ دَرَسِهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُؤَيِّدُ حُكْمَهُ ، وَيُعْلِي
عَلَمَهُ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! وَالْإِعْتِدَادُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وَأَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ فِيما تَقَدَّمَ قَدْ وَلِيَهَا قَاضٍ شَافِيٌ .

وهذه نسخةُ تَوْقِيعِ بَعْضِهَا ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي «عَلَمِ الدِّينِ الْإِمْخَانِي» الشَّافِي ،

فِي ثَامِنِ شَعْبَانَ سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَهِيَ :

الحمد لله الذى رَفَعَ لنا فى كل نَفَرٍ عَلَمًا ، وأَجْرَى لنا فى جِوارِ كلِّ بحرٍ ما يباهيه
كَرَمًا ؛ وجعل من حُكَّامِ دولتنا الشريفة من يُعرَفُ بنسبه الإنسانى بل السَّانِى أنه
يُحْمَوُ من العُلَمِ كُلِّها .

نَحْمَدُه على أن زادنا نِعَمًا ، ووَفَّرَ للأحكام الشرعية بِنائِهَا ، وأَغْلَى قِيَمًا ، [فاضحت]
تُساوِ الدَّرَ الثَّمين قِيَمًا ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُجْزِئُ
لإقامتها سيفًا وقلمًا ، ونشهد أن محمَّدًا عبده ورسوله الذى جعل الله له شريعةً مَاضِيَةً^(١)
وَدِينًا قِيَمًا ، ونصَّب من أئمة أتباعه كلِّ علم يهْدِى أُمَّمًا ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
صلاة باقية ما بقيت الأرض والسَّما ؛ وسلِّم تسليما .

وبعد ، فإنَّ أولى الثَّغُورِ بأن لا يَزَالَ به عِلْمُ مرفُوع ، وعِلْمُ مَصُونٌ حِجَابُهُ المَنُوعُ ،
وعَمَلٌ يَمِينُ به أئمةُ الأُمَّة على طريقه المَشروع ، نَفَرُ الإسْكَندرية - حماها الله
تعالى - فإنها من دار الملك فى أعزِّ مَقام ، ومن مُجاورة البحر فى مَوْطِن جِهَادِ تَحْقِيقِ
به الأعلام ؛ وغالبٌ من فيها إمامٌ فقيهٌ يَتِمَّسِكُ بالشرعية الشريفة فى عُلُوِّ علوه ،
أورُبُّ مالٍ له وقوفٌ يَجْلِسُ الحُكْمَ العزِيزَ يَنْتَصِفُ من خِصامِ خُصُومه ؛ ولم تَزَلْ
وظيفةُ القضاء بها أهلةُ الصُّدُورِ ، كامِلَةُ البُدُورِ ، متَهَلِّلةٌ بما لا يَفُوتُ الشَّنبُ كِبارُ
الْجَزَعِ إذا حَكى إِمَاضُ الثُّنُورِ ؛ وكان لها مَدَّةٌ قد خَلَّتْ ونحنُ نَفْكَرُ فيمن يكون
سَدَادًا لِنَفَرِها ، وكافيًا فيما يُهِمُّ فى الأحكام الشرعية من أَمْرِها ، وكافلاً من الحق الذى
أمر الله به بما يَبْقَى النُّفُوسُ ، وقائما فى مَدارسها بما يَزِيدُ معالِمَها إِشادةً فى الدُّروسِ ؛
حتى أجمعت آراءُنا الشريفة على من يَحْسُنُ عليه الإجماع ، وتُحَسَّمُ به دِوَاعِ النَّزاعِ ،
ويَحْسُدُ علمه عِلْمُ الشَّمْسِ لِمَا علا عنها من كُرَّةِ الارتفاع ؛ ومن يَتَضَوَّعُ بِنَشْرِ العدلِ

في يُمْنَى كفه القلم ، وإذا وقفت به الركائب قالت : ياسارى القصد هذا البابت
والعلم ؛ وكان المجلس السامى القضاء العالى الإنسانى الشافى ، أدام الله علوه هو
العلم المنشور ، والعلم المشهور ، والمراد بما تهدم من وصف مشكور ، فاقضت
مراستنا المطاعة أن تناط به من الأحكام الشرعية القضايا ، وأن يبسم هذا النفر
بحكمه عن واضح الثنايا .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف ، العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، الناصرى :
زاده الله شرفا ، وضاعف له تصرفا - أن يفوض إليه القضاء بمدينة إسكندرية -
حماها الله تعالى - على عادة من تقدمه وقاعدته المستقرة إلى آخر وقت ، على أنه
يَسْتَنِبُّ عنه في تحمله وفيما شاء منه من هو موصوف بصفته ، موثوق بدينه وعلمه
ومعرفته ؛ وليُنْتَصَب في مجلس الحكم العزى لمن ينصف ، ويعمل بما يُرضينا من
مراضى الله تعالى فإن للميون أن تنظر وللألسنة أن تصف ؛ ولينظر في أمر الشهود
فإن الأحكام الشرعية على شهادتهم ثبوتى ، وليحترز من الوكلاء فإن منهم من يجعل
الظن يقينا واليقين ظنا ، ولينظر في أمور الأيتام ويتصرف في أموالهم بالحسنى ؛
وليقيم الحدود ، على مقتضى مذهبه ، ويعول في العقود ، على أن لا يخاف معه أمرؤ
على إلحاق في نسبه ؛ وغير هذا مما إليه مرجعه ، وإليه ينتهى مفترقه ومجتمعه
وبحكمه يفصل أمره أجمع ؛ وليتخذ الله تعالى عليه رقبيا ، ويعلم أنه سبى كل
ما يعملهُ عند الله قريبا ؛ وتقوى الله هى التى تقضد معه عليها عهدا مسئولا ، ورجاء
مأمولا ، وقولا عند الله وملائكته وأنيابه مقبولا ، وتقلده منها على كل مخالف سيفا
مسؤولا ؛ ونحن نرغب إلى الله أن يوفقه في حكمه ، ويعينه على كل ما يمتلى من الوصايا
بما هو مل به من عمله وعلمه ؛ والخط الشريف أعلاه ، حجة فيه .

قلت : وكان قد استُحدث بالإسكندرية قاضٍ حنفى فى الدولة الأشرافية « شعبان بن حسين » يؤتى من الأبواب السلطانية رفيقاً للقاضى المالكى بها ، يتحدث فى الأحكام فى القضايا المتعلقة بمذهبه خاصة ، وأمر مودع الأيتام ونظر الأوقاف ، وغير ذلك من متعلقات قضاء القضاة مختص بالمالكى ؛ ثم صارت بعد ذلك تارة يؤتى بها حنفى كذلك ، وتارة تشغره منه . فإنّ وليها حنفى ، كتب له فى قطع الثلث كما يكتب للقاضى المالكى ، وليس بها الآن شافعى إلا نائباً عن المالكى ، ولا حنبلى بها أصلاً .

الوظيفة الثانية

(الحسبة بغير الإسكندرية)

ومحتسبها يُمضى تحدّثه فيما يختص به قاضيهما ، وليس له ثواب فيما هو خارج عن ذلك من البلاد .

وهذه نسخة توقيع بالحسبة بغير الإسكندرية .

الحمد لله الذى جعل المناصب فى أيامنا الزاهرة محفوظة فى أكفائها ، مضمونة لمن تقاضت [له] من الإقبال ر[د] جفاتها ، معدوقة فى مآلها إلى من زانها بمعرفة الحسنة بحسن بن دلت كفاءته وكفايته على أنه أولى بتقرّبها وأحقّ باصطفاها .

أحمد على نعمه التى لم تُحِيب فى إحساننا أملاً ، ولم تُضِيع سعى من أحسن [العمل] فى مصالح دولتنا إن الله لا يُضيع أجر من أحسن عملاً ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة هى أشرف ما فاه به اللسان ، وأفضل ما تُعبد به

(١) يياض بالأصل . ولله "معرفة الحسنة وحسن بهاها ، مخصوصة بمن الخ" .

الإنسان ، وأرفع ما ملكت به في الدنيا والآخرة عظامُ الرتبِ الحسان ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أحلَّ الطيبات وأباحها ، وأزال الشبهات وأزاحها ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تمسكوا بأحكامه ، ووقفوا مع ما شرع لهم من حلال دينه وحرامه ، وحافظوا على العمل بسننه بعده محافظتهم عليها في أيامه ؛ صلاة يتوقّد سراجها ، ويتأكّد بها آتساق السنة وانتساجها ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإنَّ أولى من رجع فيه حقُّ منصبه إلى نصابه ، وردَّ به واجبُ رتبته إلى من جعلته سوابق سيرته أولى به ؛ وتفاضت له سيرته عواطف كرمنا ، ونهضت زاهته باستطلاع ما غاب عنه من عوارفنا ونعمنا ؛ وأغتنه أوصافه عن تجديد ثناء يُستعاض به ربنا القديم ، ويستدام له به فضلنا العميم ، وتستدّر به أخلاق كرمنا الذي تساوى في عمومهِ الظاعن والمقيم - من زان التقى أوصافه ، وكملت العقدة معرفته وإنصافه ؛ وتولّت الديانة نظره فيما عُدق [به] من مصالح الرعايا خصوصاً وعموماً ، وتكفلت الخبرة من اعتباره لأُمور الأهوات بأن جعلَ لكل منها في الجودة حداً معلوماً ؛ وبأشْر ما فوّض إليه بجمع بين رضا الله تعالى ورضا خلقه ، وعوّل عليه في حِسبة أعزّ الثغور لدينا فتصبح الرعايا فيما بسط لهم من رزقه .

ولما كان فلان هو الذي أضاعت أوصافه وهل تُشكر الإضاءة للسراج ، وتُسوّف إليه رتبته فلم يكن لها إلّا إليه ملأد وإلا عليه معاج ؛ فسلك من السير أرضاها لربه ، ومن الأحوال أجمعها لأمن عاقبته وسلامة غيبه ؛ ومن الاجتهاد في مصالح الرعايا ما يُضاعف شكره على احتسابه ، ومن الخبرة ما يُعرّف كلا منهم كيف يكون أكتساء البرية في أكتسابه - رُسم أن يستقر رُسم أن يستقر

فليستمر في ذلك على عادته التي ناضلت عنه فأصابته ، وقاعدته التي دعت له عواطف نعمتنا فاجابت ؛ وليزد في التحذير والتحقيق ما استطاع ، ويتناقش حتى يستقر على الصحة فيما يُباع أو يُتَّاع ، ويقابل على الغش بما يردع متعاطيه ، ويزجر صانع الأعمال الفاسدة عن استدامتها ومن يوافق على ذلك ويواطيه ؛ ويثمر أموال الأحماس بملاحظة أصولها ، والمحافظة على ريعها ومحصولها ؛ وإمضاء مصارفها على شروط واقفيها إن علمت ومزية (؟) ما تقدم من شكره والثناء عليه ؛ وملاك ذلك جميعه تقوى الله تعالى وهي أخص ما تقدم من أوصافه ، والرفق بالرعيا وإنه من أحسن حلل معرفته وإنصافه ؛ والخير يكون إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثالثة

(نظر المصادر)

وموضوعها التحدث في قدر مقرر يؤخذ من ثمار الفرج الواردين إلى الإسكندرية ، وعليه مراتب لثلاث مخصوصين من أهل العلم والصلاح ، يتفق عليهم بمقادير معلومة من متحصل هذه الجهة .

وهذه نسخة توقيع بنظر المصادر والوارد ، أنشأته عن السلطان الملك الناصر «فرج بن الظاهر برقوق» للقاضي ناصر الدين «محمد الطنّاسي» إمام المقام الشريف السلطاني ، في منتصف شهر صفر سنة أربع وثمانمائة ، وهي :

الحمد لله الذي جعل من سلطاننا الناصر لأخص ولي أعز ناصر ، وخصه من فائض كرمنا المتابع ومننا المترادف بأكرم وإزد وأبرصادر ، وبؤاه من فضلنا المنيف أفضل مهوباً : فارة تأتم به الملوك وتارة يخطب الكافة على رؤوس المنابر .

نحمدُه على أن جعلنا نَتَّبِعَ في الْوَلَايَاتِ نَهْجَ الصَّوَابِ وَتَقَيَّيْهِ ، وَآثَرْنَا مِنْ أَثَرِ
 الْأَبْوَةِ بِأَعْلَى مَوَاقِعِ الْإِحْسَاءِ وَالْوَلَدِ سِرِّ أَبِيهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
 لَا شَرِيكَ لَهُ الَّذِي أَذَلَّ طُغَاةَ الْكُفْرِ بَقَمَعَ آثَانَ كِبَرَانِهِمْ ، وَأَلْزَمَهُمُ الصَّغَارَ بِمَالٍ
 يُؤْخَذُ مِنْ أَقْوِيَاءِ أَغْنِيَانِهِمْ فَيَفْرِقُ فِي ضُعْفَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَفُقَرَانِهِمْ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ عَمَدًا عَمِدَهُ
 وَرَسُولَهُ الَّذِي تَدْبُّ إِلَى مَبَرَّةِ أَهْلِ الْفَضْلِ وَدَوِيهِ ، وَرَغْبٌ فِي رِعَايَةِ الْمَوَدَّةِ لِلْآبَاءِ
 بِقَوْلِهِ : « إِنَّ مِنْ أَرْبَابِ رِجَالِ الرَّجُلِ أَهْلٌ وَدَّ أَيْسَهُ » صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَوَحَّيْهِ
 الَّذِينَ عُدَّتْ بِهِمْ مَهْمَاتٌ ، فَخَامُوا بِحَقِّهَا ، وَوَكَلَتْ إِلَيْهِمْ جَلَالُ الْوَلَايَاتِ ، فَأَحْرَزُوا
 بِجَمِيلِ التَّأثيرِ قَصَبَ سَبْقِهَا ؛ صَلَاةٌ يَبْقَى عَلَى مَدَى الْأَيَّامِ حُكْمُهَا ، وَلَا يَتَغَيَّرُ عَلَى مَرَّةِ
 الزَّمَانِ رَسْمُهَا ؛ وَسَلَامٌ تَسْلِيًا كَثِيرًا .

وبعد ، فإن من كَرِيمِ بَحَائِنَاتِ الَّتِي جُعِلْنَا عَلَيْهَا ، وَشَرِيفِ شَيْئَاتِ الَّتِي يَجْتَذِبُهَا طَيْبُ
 الْعُنْصُرِ إِلَيْهَا ، أَنْ نَخْصُصَ الْأَوْلِيَاءَ بِأَسْنَى الْوَلَايَاتِ ، وَنُخَفِّفَ أَصْفَى الْأَصْفِيَاءِ
 بِنَهَايَةِ غَيْرِهِ فِي الْبِدَايَاتِ ؛ وَنَرْفَعَ قَدْرَ مَنْ لَمْ يَزَلْ ظَهَرُهُ لِلْمُلُوكِ مَحْرَابًا ، وَنُتَوِّهَ بِذِكْرٍ مِنْ
 رَغِبَتْ فِيهِ الْوُضَائِفُ فَعَدَلَتْ إِلَيْهِ عَنْ سِوَاهِ إِضْرَابًا .

وَكَانَ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ ، الْقَاضِيُّ ، الْعَالِمِيُّ ، الْعَامِلِيُّ ، الْفَاضِلِيُّ ، الْكَامِلِيُّ ،
 الْبَارِعِيُّ ، الْبَلِيغِيُّ ، الْمَاجِدِيُّ ، الْأَوْحِدِيُّ ، الْأَثِيرِيُّ ، الْأَتَّيْلِيُّ ، الْعَرِيقِيُّ ، الْأَصِيلِيُّ ،
 الْخَطِيبِيُّ ، النَّاصِرِيُّ ؛ مَجْدُ الْإِسْلَامِ ، بَهَاءُ الْأَنْامِ ؛ شَرَفُ الرُّؤَسَاءِ ، أَوْحُدُ الْكِبَرَاءِ ؛
 صَدْرُ الْأَعْيَانِ ، جَمَالُ الْخُطَبَاءِ ، جَلَالُ النَّظَارِ ، صَفْوَةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
 مُحَمَّدُ بْنُ الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ ، الْجَمَالِيِّ ، الْمَرْحُومِ عِيَدُ اللَّهِ الطَّنَاحِيِّ ، إِمَامُ الْمَقَامِ الشَّرِيفِ :
 أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى رَفْعَهُ .. قَدْ طَالَتْ فِي الْمَخَالِصَةِ قُدَمَتُهُ ، وَوَفَّرَتْ مِنْ صِدْقِ الْمَوَالَاةِ
 قِسْمَتُهُ ؛ فَرُفِعَ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ خَيْرُهُ ، وَنَصَبَ عَلَى تَقْلِيمُهُ فُحْمِدُ فِي الْإِخْتِيَارِ

أثره؛ وكانت وظيفتاً نظرياً الصادر وخطابة الجامع الغربى بغير الإسكندرية المحروس - حرسه الله تعالى وحماه، وصاناً من طروق العدو المخدول حياه - من أرفع الوظائف قدراً، وأميزها رتبة وأغلاها ذكراً - آتضى حسنُ الرأى الشريف أن تُسند ولايتهما إليه، وتعتد في القيام بمصالحهما عليه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زالت آراؤه مسدده، ونعمه على الأولياء في كل حين مجتده - أن يستقر المشار إليه في الوظيفتين المذكورتين عوضاً عن كانتا بيده، بما لهما من المعلوم، ويُفسح له في الاستنابة على عادة من تقدمه في ذلك : استناداً إلى أمانته التى بلغت به من الصفة منهاها، وكفايته التى تعجز المتكلفون عن الوصول إلى مداها؛ وفصاحته التى أعجزت نيراعتها الخطباء الأماثل، وبلاغته التى قضت بالي على قس إياها وحكمت بالفهامة على سبحان وإمل .

فلتلق ما أسند إليه بيده الطولى وابعه المديد، وليقابل هذه النعمة الحفيلة بالشكر فإن الشكر مستلزم للزيد؛ عالم أن نظر الصادر يقدمه أهل النثر على عامة الوظائف مادق منها وما جل، ويتبرك المرتبون عليه بما يأخذونه من راتبه وإن قل؛ فليحسين النظر فيه ورداً وصدرًا، ويميز ربه بحسن النظر فيه حتى يقول المعاند : ما أحسن هذا نظراً ! .

والجامع الغربى فهو أجل جوامع النثر الإسكندري قدراً، وأعظمها فى الأقطار صيتاً وأسيارها فى الآفاق ذكراً؛ يحضر الجمعة فيه أهل الشرق والغرب، ويُلِمُّ بحُطْبته سُكَّانُ الوهادِ والمَضْبِ ؛ فليرق منبره رقى من خطبه المنبر الخُطْبته، وعلِمَ علو مقامه فقابله بعلو رتبته؛ وبسَنَفِ الأسماعِ بوعظِهِ، وبسَجِّ القلوب بلفظه؛ وبمُجَى العقول بسد كبره، وبثبَتِ العيون بتَحْذيره؛ وليعد للجامع ما تعودته من الإسماع،

ويجدد مآدرس من معالم خطابه حتى يقال : هذا ابن المنير قد عاد ؛ وعماد الوصايا تقوى الله فهي ملاك الأمور كلها ، وعليها مدار أحوال الدنيا والآخرة في عقدتها وحلها ؛ وهاتان مقلدتا خير فليكن لنتيجتهما يرتقب ، ولا يقطع بالوقوف معهما رجاء « فأقول الغيث قطر ثم ينسكب » ؛ والاعتماد على الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه ، حجة فيه بمقتضاه ؛ إن شاء الله تعالى .

الصف الثالث

(من الوظائف التي يكتب بها بشعر الإسكندرية المحروس ،
الوظائف الديوانية ، وهي على طبقتين)

الطبقة الأولى

(من يكتب له في قطع الثلث بـ « المجلس السامي » بالياء
وهو ناظر المباشرة بها ، وعنه يعبر بناظر الإسكندرية ، دون ناظر الأصل^(١)
المقدم ذكره في جملة الوظائف الديوانية بالحضرة)

وموضوع هذه الوظيفة التحدث في الأموال السلطانية بالإسكندرية مما يتحصل
من المأخوذ من تجار القريج ، ومارئ المتاجر الواسلة براً وبحراً بالقبض والصرف
والحمل إلى الأبواب السلطانية .

وهذه نسخة توقيع بنظر تفر الإسكندرية ، كُتِبَ به للقاضي « جمال الدين
ابن بَصاصة » وهي :

(١) وهو ناظر انخاص المتحدث في الأموال السلطانية كما تقدم .

الحمد لله الذي أضحك الثُّغُور بعد عُيُوسِها ، وردَّ إليها جَمَالَها وأَناثَها بطلوع
شُمُوسِها ، وأَحْيَا مَعَالِمَ الْخَيْرِ فيها وقد كادت أن تُشْرِفَ على دُرُوسِها ؛ وأقام لمصالح
الْأُمَمِ من يُشْرِقُ وجهُ الحقِّ بَيَاضَ آرائه ، وتَلَدُّدِ الْأَسْمَاعِ بِلَاوَةِ أوصافِهِ الْجَمِيلَةِ
وَأَنْبَاءِهِ .

نحمده حمدَ من أَسِيفَتِ عليه النِّعَماءُ ، وتَهادتْ إليه الْآلاءُ ، وَخَطَبَتْهُ لِنَفْسِها الْعَلْيَاءُ ؛
ونشهد أن لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وحده لا شريك له شهادة ترفع قدرَ قائلِها وتُعْلِيه ، وتُزَيِّدُ
جانبَ مَنَاحِلِها وتُذَيِّنُه ؛ وأنَّ هَذَا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَفْضَلُ نَبِيٍّ رَابِطٌ وَجَاهِدٌ ، وَأَكْرَمُ
رَسُولٍ جَنَحَ لِلْسَّلَامِ بِأَمْرِ رَبِّهِ فَهَادَتْ وَعَاهَدَ ؛ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ،
وَأَشْيَاعِهِ وَجِزْبِهِ .

وبعدُ ، فاحقُّ مَنْ مَاسَ في أُرْدِيَةِ الرِّيَاسَةِ عِطْفًا ، وَأَسْتَجَلِي وَجُوهَ السَّعَادَةِ مِنْ
مُحِبِّ عَزِّها فَأَبْدَتْ لَهُ جَمَالًا وَلُطْفًا ؛ وَأَصْطَفَتْهُ الدُّبُولَةُ الْقَاهِرَةُ لِمَهْمَاتِهَا لِمَا رَأَتْهُ
خَيْرَ كَافِلٍ ، وَتَقَلَّ في مَرَاتِبِهَا السَّنِيَّةُ تَنْقُلُ النَّيِّرِينَ في الْمَنَازِلِ ^(١) .

ولما كان فلان أدام الله رفعة من أشارت إليه هذه المناقب الجليلة ، وصارت
له إلى كلِّ سؤلٍ نعم الوسيْلَه ، رسم بالأمر الشريف - لا زال أن يستقر
في نظر نعر الإسكندرية المحروس ويَبايِشَرُ هذا المنصبَ المبارك بِعِزِّمَاتِهِ الْمَاضِيَةِ ،
وهِمَمِهِ الْعَالِيَةِ ؛ بِرَأْيٍ لَا يُسَاهِمُ فِيهِ وَلَا يُسَارِكُ : لِيُصْبِحَ هَذَا الثَّغَرُ بِمَاشِرَتِهِ بِاسْمًا
حَالِيًا ، وَتَعُودَ بِهِجَّتُهُ لَهُ بِجَمِيلِ نَظَرِهِ ثَانِيًا ؛ وَيَنْتَصِبَ لِتَدْيِيرِ أَحْوَالِهِ عَلَى عَادَتِهِ ، وَيَقَرَّرَ
قَوَاعِدَهُ بِعَالِي هِمَّتِهِ ؛ وَيَجْتَهِدَ في تحصيل أُمُوالِهِ وَتَحْصِينَ ذَخَائِرِهِ ، وَأَسْتِخْرَاجِ زَكَاتِهِ

(١) تَخَدَّتْ في صفحة ٤٠ و ٤١ من هذا الجزء ببعض زيادة وتغيير واختصار .

(٢) لم يذكر خبر المبتدا ولعله سقط من قلم الناصح والأمل أحق من ماس من كان لخلل العفاف
لابسًا ، ومن نور الايقان قابسًا ، الى غير ذلك من الأوصاف .

وتجبة متآجره ؛ ومعاملة التجار الواردين إليه بالعدل الذى كانوا ألقوه منه ، والرفق الذى قتلوا أخباره السارة عنه ؛ فإنهم هذابا البحور ، ودوابة الثغور ؛ ومن أسيهم يُطلع على ما يُجنه الصدور ، وإذا بذّر لهم حبّ الإحسان نشروا له أجنة مرايهم كالطيور ؛ ويعتمد معهم ما تضمته المراسيم الشريفة المستمرة الحكم إلى آخر وقت ، ولا يسلك معهم حالة تُوجب لهم التلق والتظلم والمقت ؛ ولواصل بالحمول إلى بيت المال المعمور ، ويملا الخزائن السلطانية من مستعملات الثغر وأمنته وأصنافه بكل ما تستغنى به عن الواصل في البرود والبحور ؛ ولا يصرف همته العالية إلى تدبير أحوال المتآجر بهذا الثغر بحيث ترتفع رهوس أموالها وتسمى ، وتجدد صحائب فوائدها وتسمى ، وليراع أحوال^(١) المستخدمين في مباشراتهم ، ويكشف عن باطن سريهم في جهاتهم ؛ ليتحققوا أنه مهيمن عليهم ، وناظر بعين الرأفة إليهم ؛ فتتكف يد الخائن منهم عن الخيانة ؛ وتحتل أنامل الأمين بحاسن الصيانة ؛ وليطالع بالمتجددات في الثغر المحروس ، ليرد الجواب عليه بما يشرح الصدور [ويطيب النفوس] وليناول من المعلوم على ذلك في غرة كل شهر ما يشهد به الديوان المعمور ؛ والله تعالى يتولاه ويعضده ، ويؤيده ويسدده ؛ بمتة وكرمه ! .

قلت : وربما كُتب لناظرها توقيع مفتتح : «أما بعد حمد الله» في قطع الثلث .



وهذه نسخة توقيع بنظر نثر الإسكندرية ، وهى :

أما بعد حمد الله مفيض حلال إنعامنا على من أخلص في طاعتنا الشريفة قلبه
ولسانه ، ومولى فضل آلائنا العبيمة على من أرهف في مصالحنا عزمه وبنائه ؛

وَمَحَلِّي رَبِّ عَلَيَّا الشَّرِيفَةَ بِنِ أَسْرَقَ فِي سَمَاءِ الْمَعَالَى بِذُرِّهِ وَإِنْسَانُهُ ، وَأَيْنَعَتْ
فِي غَصُونِ الْأَمَانِيِّ قَطُوفُهُ وَأَفْسَانُهُ ؛ وَمُبْلَغُ أَقْصَى غَايَةِ الْمَجِيدِ فِي أَيَّامِنَا الزَّاهِرَةِ بِنِ
تَبَسُّمِ بَجِيمِلِ نَظَرِهِ النُّفُورِ ، وَتَعَيُّمِ بِحَمِيدِ خَبَرِهِ وَخَبَرَتِهِ الْأُمُورِ ؛ وَتَشْرِيقِ مِنْ جَمِيلِ
تَدْيِيرِهِ الْبُدُورِ ، وَتَعْتَمِدُ عَلَى هِمَمِهِ الْأَيَّامُ وَالْدُهُورُ . وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
الْمُهَادَى إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمِ ، وَالنَّائِشِرُ لَوَاءِ الْعَدْلِ بِسَفْنِهِ الْوَاضِعِ وَشَرِعِهِ
الْقَوِيمِ ؛ وَالْمُنَجِّزُ لِمَنْ أَقْتَضَى سُبُلَهُ أَوْفَى تَكْرِيمِ ، وَأَوْفَرُ حِفْظٍ عَظِيمِ ؛ وَعَلَى آلِهِ وَأَحْبَابِهِ
مَا أَهْتَدَى بِهِدْيِهِمْ ذُورُ الْبَصَائِرِ وَالْأَبْصَارِ ، وَأَرْتَدَى بِأَرْدِيَّتِهِمُ الْمُعْلَمَةُ مَقْتَنَى الْآثَارِ -
فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ أَسْتَدْنَا إِلَى نَظَرِهِ الْجَمِيلِ رُتْبَةً عَزَّ مَا زَالَتْ طُيُورُ الْأَمَالِ عَلَيْهَا تُحُومُ ،
وَعَدَقْنَا بِتَدْيِيرِهِ الْجَلِيلِ مَنَصِبَ سِيَادَةِ مَا بَرَحَتِ الْأَمَانِيُّ لَهُ تَرُومُ ؛ وَاعْتَمَدْنَا عَلَى هِمَّتِهِ
الْعَلِيَّةِ فَصَدَّقَ انْطِبَاهُ الْخَبَرَ ، وَرَكَّأَ إِلَى حَمِيدِ رَأْيِهِ فَشَهِدَ السَّمْعُ وَأَدَّى النَّظَرُ ^(١) .

وَمَا كَانَ فَلَانٌ يَهُوَ الَّذِي أَتَسَقَى فِي ذِرْوَةِ هَذِهِ الْمَعَالَى ، وَأَنْتَظِمُ بِهِ عَقْدَ هَذِهِ
الْأَلَا تِلْ ، وَحَوِّىْ بِفَضِيلَةِ اللِّسَانِ وَالْبَيَانِ مَا لَمْ تُدْرِكْهُ الْمُرْهَقَاتُ وَالْعَوَالِى ؛ فَمَا حَلَّ
ذِرْوَةَ عَزَّ إِلَّا وَحَلَّاهَا بِنَظَرِهِ الْجَلِيلِ ، وَلَا رَقَى رُتْبَةَ سِيَادَةِ إِلَّا وَأَسْرَفَ فِي ذِرْوَتِهَا وَجْهَهُ
صُبْحَهُ الْجَمِيلِ ، وَلَا عَلِقَ بِنَظَرِهِ كِفَايَةَ رُتْبَةٍ إِلَّا وَكَانَ لَهَا خَيْرُ كَفِيلٍ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ يَنْتَهَى لِلرَّتَبِ الْعَلِيَّةِ خَيْرٌ مُنْجِدٌ وَثَمِيرٌ ،
وَيَمْتَلِئُ لِلنَّاصِبِ السَّنِيَّةِ نِمْ الْقَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ - أَنْ يَسْتَقَرَّ فَإِنَّهُ الْقَوَى
الْأَمِينُ ، وَالْمَتَمَسِّكُ مِنْ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَمِرَاقِبَتِهِ بِالسَّبَبِ الْمَتِينِ ؛ وَالْمُسْتَنْدُ بِجَمِيلِ
كِفَايَتِهِ ، وَحَمِيدِ دِيَانَتِهِ ، إِلَى حِصْنِ حَصِينِ ؛ وَالْمُسْتَدْرِى بِأَصَالَتِهِ وَإِصَابَتِهِ إِلَى
الْجُنَّةِ الْوَاقِيَةِ وَالْحَرَمِ الْأَمِينِ ؛ فَلْيَقْتَمِ خَيْرَةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي مَبَاشَرَةِ الْوُظُفَةِ الْمَذْكُورَةِ بِعَزَمِ

(١) لم يذكر خبراً لأنَّ وهو معلوم من نظائره السابقة أى من كانت صفته كذا وكذا الخ .

(٢) بالصاد المهملة أى يختار ويختار .

لا يُنبؤ، وهمّة لا تحبُّ، وتدير يتضاعف على مزاياهم ويربُّ، ونظير لا يعزب عن مباشرة فيه مثقال ذرة إلا وهي من خاطره في قرار مكين، وضبط لا تمتد معه يد لاس [إيها] إلا ويمد من مرهفه ما يكف كفها عن الخيانة بالحق المين ؛ وليضاعف همته في مصالح هذه الجهة التي علقناها بنظره السعيد ، وليوفر عزيمته فإن الحازم من ألقى السمع وهو شهيد ؛ والوصايا كثيرة ومثله لا يدل عليها، والتنبيهات واضحة وهو - وفقه الله - أهدى أن يرشد إليها ؛ والله تعالى يوفقه في القول والعمل ، ويُصلح بحيل تديره وحيد تأتبه كل خل ؛ بمنه وكرمه ! .

الطبقة الثانية

(من يكتب له في قطع الثلث بـ «المجلس السامى» بنفرياء

أو «مجلس القاضي» وفيها وظيفتان)

الوظيفة الأولى

(كتابة الدرج)

وصاحبها هو الذى يقوم بالإسكندرية مقام كاتب السر بالأبواب السلطانية في قراءة المكاتبة على النائب، وكتابة الأجوبة وما يحرى بحرى ذلك .
وهذه نسخة توقيع من ذلك :

رسم بالأمر الشريف - لا زال شاملاً فضله ، كاملاً عدله ، هاملاً بالإحسان وبه ، متصلاً بالجميل حبّه ، ملاحظاً بين العناية للبيت الزاوى قرعه الطيب أصله ، معلماً نجه إلى أسنى المراتب التي لا ينبغي أن يكون محلها إلا محله - أن يستقر فلان

في كتابة الدرج بشعر الإسكندرية المحروس على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته ،
 بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت : لأصانته المعروفة ، وغضون نسبه
 المورقة ، وآدابه الجمه ، وفضيلته التي أبدى بها علمه ، وكتابته التي حلت المهارة ،
 وأبدت من الجواهر مائتي لمسه المفارق ، وتدوى لنضارته أزاهر الروض النضير ،
 وتنفرد في الحسن فلا تحيد [لها] من نظير ، وتبرز كالعقود في أجياد الترائب ، وتنبثق
 كتبها تقي عن الكتائب ، مع ماله من رامة أثبتت معاليه ، ونفاسة أضحت بجواهرها
 الأوصاف حاليه ، وصداية توالى منه فاستوجب بها مزيد الحسن المتواليه ،
 قد خول في كرم الأصل فلا غرو أن أمسى نجيبا ، ودعا بدع اللفظ ولطيف المعنى
 فعدا كل منها لأمره طائما وبالإذعان مجيبا ، وعلا كوكبه فاضحى في الرقة بعبدا
 وإن كان في مرأى العين قريبا ، وزكا من أكابره إلى كل فريد في سؤده ، واحد
 في علاه يقوق الجمع في عده ، فهو إنسان عين زمانه ، ومالك زمام الإنشاء ومصرف
 عنان بنانه ، ومبرز الحسنات بسفاره المقبولة وإطلاق بيانه ، فلا غرو أن استوجب
 منا ما يقضى له بالمزيد ، واستحق باتباع أصله العالم التقى إدراك ما يريد ، ونحل
 بمناقبه ومآثره ، وتقل عن عفاه ومفانيره .

فليستمر في ذلك على أجهل عوائده ، وأجزل فوائده ، سالكا في ذلك طرائقه
 الحميده ، ومناجيه ومناجح أسلافه السديده ، مبرزاً من خطه ما يحيل به الطروس ،
 ويسر بمزايه النفوس ، وينظم كالعقود ، ويلوح للأبصار حسن روقه [المشهود] ،
 والله تعالى يحمل إحساننا لدى بيته الكريم مستمرا ، وأمانتنا العميم عنده مستقرا ،
 ونغر العناية به مفترا ، بمنه وكرمه ! إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثانية

(نظرُ دار الطراز بقصر الإسكندرية)

وهذه نسخة توقيع بذلك ، كُتِبَ بها لصلاح الدين بن علاء الدين علي بن
البرهان ، سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، من إنشاء الشريف شهاب الدين كاتب
الإنشاء ، وهي :

رسم بالأمر الشريف - لا زال إشارته ، يُكرَّم من غدا صلاحه لحلة العلي طرازاً ،
وأخياره ، يقدم للناصب الجليلة من ورث من أبيه نهضة وأحترافاً - أن يستقر
فلان في كذا : لكفايته المعروفة المحققة ، ودرايته المألوفة بركاتها الموقرة وحركاتها
الموقفة ، ودرايته التي منها الأكاثر على يقه ، وأمانته التي تعتمد الحق مستنيرة
ومنيقة ، وصيانه التي هي للواصل حافظة وعلى الحاصل مشفقه .

فليأشُر هذه الوظيفة التي كانت في سالف الزمان إلى الحكام تُضاف ، وللعلماء
الأعلام عليها نظر وإشراف ؛ ومنها يُسَدَّل على أوليائنا لباس الإنعام وترسلُ أجناس
الإتحاف ، وتُسَرِّبُ الكعبة البيت الحرام في كل عام يجلبها المحكم النسج المُسلم
الأطراف ؛ وليصُنَّ ذهبها عند صرفه وقبضه ، وليزَنَ خزنها بتقريب مشوبه وتحرير
محفِضه ، وليُثَبِّن عن حسن التدبير في إبرام حريرها وتقضيه ؛ وليستجلب رجالها
وصناعاتها ، وليُجَنَّب أحوالها ضياعها ، وليستجد أصنافها وأنواعها ، وليتفقد أكلانها
ويَقَاعها ؛ حتى يُظهِر في أعمالها آثار الصلاح ، وتُسَكَّر مباشرته التي هي محودة الانتهاء
مسعودة الإفتاح ؛ والله يقرن رجاءه بالإرباح ، ويؤذن له حيث سلك بإصابة
الصواب والفلاح ، بمنه وكرمه ! .

قلت : ودارُ الطَّراز هذه هى التى تُعْمَلُ فيها المستعمَلاتُ السلطانية : مما يُجَلُّ إلى خزانة الخِلاص الشَّريف من الأقمِيشة المختلفة الصِّفات : من الحرير والمقترح المَخْصُص بالذهب ، والتَّفاصيل المنقُوشة بضروب النقوش المختلفة ، وغير ذلك من رقيق النِّكَّان وغيره مما لا يُوجد مثله فى قُطُر من أقطار الأرض ؛ ومنه تُنْخَذُ الأقمِيشَةُ التى يلبسها السلطان وأهل دُورِهِ ؛ ومنه تُعْمَلُ الخِلاص والتَّشَارِيفُ التى يلبسها أكابر الأمراء وأعيان الدولة وسائرُ أهل المملكة ؛ ومنه تُبْعَثُ الهدايا والتَّحَفُ إلى ملوك الأقطار . وقد كان يُكْتَبُ لناظر هذه الدار توقيعُ عن الأبواب السلطانية خارج عن توقيع ناظر الإسكندرية على ما تقدّم ذكره . أما الآن فقد صار ذلك تحت نظر ناظر الإسكندرية يتعنّثُ فيه كما يتعنّثُ فى سائر أمورِها ، ومرجع الكلِّ إلى ناظر الخِلاص بالأبواب السلطانية .

الجهة الثانية

(مما هو خارج عن حاضرتى مصر والقاهرة بالديار المصرية - بلاد الرِّيف)

والمراد بالرِّيف فى أصل اللغة موضعُ المياه والزَّرْع .

وقد تقدّم أن ريف الديار المصرية وجهان :

الوجه الأول

(الوجه القبلى ، وهو المعبر عنه بالصعيد)

وقد تقدّم فى المقالة الثانية فى الكلام على المسالك والممالك أنه يتّقى إلى صعيد أعلى ، وصعيد أسفل . وقد كانت ولايته العامة فى الزمن المتقدم يبرّ عن صاحبها

بـ«والى الولاية بالوجه القبلى» ثم استقرت نيابة سلطنة على حدّ قديمة العسكرية
فى رتبة المكتبة، فى الأيام الظاهرية «برقوق» وهى على ذلك إلى الآن . وثانيها
يكتب له تقليد بـنيابة السلطنة بها فى قطع النصف .

وهذه نسخة تقليد شريف من ذلك ، من إنشاء الشريف « شهاب الدين »
كاتب الإنشاء ، وهى :

الحمد لله الذى رَحِمَ بتعاهدِ نظيرنا البلادَ والعبادَ ، وحَسَمَ بمواردِ زواجرنا موادَّ
الفسادِ ، وأحمدُ فى هذا الوجهِ لنا الآثارَ ووطأ بنا المهادَ ، وأفردَ آراءنا بجميعِ المصالحِ
على الجمعِ والإفرادِ ، وأولى بنا الرعيةَ الخيرَ فى استعلاء من يبدلُ فى صياتهم الاجتهادَ ،
وأعلى بنا كلمةَ العدلِ فهى تُنشر وتُداعَ وأوهى بنا كلمةَ الظلمِ فهى تُقهر وتُتدَادُ ،
وأجلى بانتقامنا فئةَ الضلالِ فلها عن مُلكنا الشريفِ أندفاعٌ وأنفِرادٌ .

نحمده على أن قرَنَ بآرائنا السُّدادَ ، ونشكره على أن ضَمَّنَ أصطفاءنا حُسْنَ الإرتدادِ ؛
ونشهد أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريكَ له شهادة تقومُ حُجَّتُها ، يوم يقومُ الأشهادُ ،
وتُدومُ بهجَّتُها ، علماً للإرشادِ ؛ ونشهد أن سيدَ البشرِ محمداً عبده ورسوله الذى فضَّلَ
العالمَ وسادَ ، وأجزَلَ المكارِمَ وجادَ ، وهَدَى بَشْرَهُ مَنْ حَادَ ، وأردى بِرَدِّهِ مَنْ حَادَ ،
وأجرى بِجُودِهِ النفعَ حيثُ كانَ وأبدى بِبأسِهِ القمعَ لمن كَادَ ، وأحمدُ بِأسيافِهِ الباطلَ
فبَادَ ، وجعلَ لِأَنفِ مخالفِهِ الإِرْغَامَ ولبِشِ مجانفِهِ الإِرْعَادَ ؛ صلى الله عليه وعلى آله
وتَحَبَّه الانجذابُ الانجذابُ ، صلاةً لها تَضَاعُفٌ وتَعْدَادُ ، وبِقَتَاتِهِمْ (٩) للثوابِ
إنحَادُ ؛ وسلِّم تسليماً كثيراً .

(٩) دعه مراعاة السج الى استعمال الاقوال من طرد ونص أهل اللغة على أنها لغة رديج . فتهب .

وبعد فإن الله تعالى لما أعلیٰ هممتنا وأصعدنا، ووفیٰ عزائمتنا من النصر موعدها، وأسعف بمُلكِكَ الرعية وأسعدنا، وضاعف بنا لديهم النعمة وجددها، وأوضح بنا سُبُلَ المعدلة وجددها، وأنجح بسُلطاننا آمالَ الخليفة وأنجدنا - لم نُخل من ملاحظتنا أدنى الأقطار ولا أبعدنا، ولم نُففل من ممالكنا ناحية إلا نحاها فضلنا وقصدنا فأقرها الصالحات وخلدنا، وأثر بها المسامحات وأبدنا، ونصر الشريعة وأيدنا، وسد الدريعة بأعمال حزم سدنا، ووطن أهلها ووطدنا، وأورد من بها موارد الأمن لما وردنا .

ولما واجه إقبالنا في هذه الأيام الوجهة القليلة، وصعد إلى الصيد الأعلى ركبنا العلى، نحن بلادنا وتعدنا، وتعين ملاحظته وتأكدها، وكثرة السلاك لسبله، والملاك لخوله، والوزاد لنهله، والوفاد من قبله، وهو منج التجار في التوجه من أبوابنا الشريفة والجواز، وباب اليمن والجزاز، وفي الحقيقة هذا الجاز يتعين له الحفظ وفيه الاحتراز، وبه كرايس منها السيارة تتار وعلى سواها من البلاد تتناز، وبه مراكرؤلة ينفرد كل منها عن الآخر ويتحاز، وهى : إطفيج، والبهنسى، والأشمنونين، ومتفلوط، وسيوط، والمنعيم، وقوص . وهذه الأقاليم مجتمعة متفرقة، وحدود بعضها ببعض متعلقة، وبها إقطاعات مقدى الأتوف والعليلخانا والممالك والخلقة، والبا تردد الركاضة والمرترقة، وربما أخاف المفسدون من بعضها سبله وقطع طرقه، فاتهم البرى، وسلم الحرى، وليس على من هو عن الخيانة عبرى، فرأينا أن ننصب بهذه الأقاليم والى ولاية يحوس بنفسه خلاصا، ويدوس بجيله سهلها وجبالها، ويقبض مفسدها، ويبعث بعثها، ويحمد فقاها، ويحمد قاقها، ويصيف ضعاها، ويذهب خلاصها، ويزيل شكاها، ويكف عداها، ويصلح

(١) فيه تصحيح لعله « ردينا مفسدها، ويشت متديها » .

فسادها ، ويوضح سدادها ؛ ويوصل حقوقها ، ويستأصل عُقوقها ؛ ويواصل طروقها ، ويقابل بالعقاب فسوقها ؛ ويمنع باهتامه ، أهواتها ، ويثني بحسامه ، أدواتها .

ولما كان المجلس السامى ، الأميرى ، الحسامى هو الذى عَرَفَ أحوالها وخبرها ، وولى من أقاليمها ما علم به مصالحها واعتبرها ؛ وعهدت منه الأمانة والكفاية ، وتحققت نهضته فى كل عمل وقظنته فى كل ولاية - أفضى حُسنُ الرأى الشريف أن يفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بهذه الأعمال المذكورة والأقاليم كلها ، وأن يتنصى فيها حُسامه الذى ينبى أن يرتضى ويتنصى لمثلها ؛ وأن يحل محله إذ اختارناه لأعلى رُتب الولاية واجلها ، وأن فصل أسباب النعمة لديه بهذه النعم التى كل ولاية فرغ لأصلها .

فلذلك رُسِمَ بالأمر الشريف - لا زالت أيامه الشريفة تخص الرتب العلية بأهلها ، وتشمل ذوى الأهتمام بإحسانها وفضلها - أن يفوض إلى المشار إليه ولاية الولاية بالوجه القبلى - فليأشر ذلك بهمة تَمِضى فى البلاد عزائمها ، ونهضة تسير إلى دانيها وقاصبها صوارمها ، وشهامة يُنهش المتمردين قاديمها ، ويفقد مواد الفساد من حُسامها حاسمها .

ونحن نرسم له بأمور يلازمها ، ونوصيه بوصايا يداومها ؛ أن يكون بتقوى الله تعالى آميلا ، ولتنصح باذلا ؛ وللشريعة معظما ، ولراقية الله تعالى مقدما ؛ ولحق متبعا ، وإلى الخير مُسريحا ؛ وللمؤمنين مؤمنا ، ولناققين مؤهنا ؛ ولرعايا موطنا ، وللزاهة مظهرها ومبطنها ؛ وعن الأبرياء كافا ، وعن الأتقياء عافا ؛ وعن الأموال مترها ، وإلى ما يصلح الأعمال من صالح الأعمال موجه^(١) . وليفد فى الأمور متبثنا ، ولذوى

(١) فيه شبه استخدام القول ببنى الجهات والثانى بمعنى الفعل - فتنه .

الفجور مشتتاً ، ولسماع جميع الخوصوم متصتاً ، ولا يجعل لحلوله الأقاليم حينا مؤقتاً ؛
 بل يدخل المدينة على حين غفلة من أهلها ، وليبتغى بحلوله هذه النواحي ليتعلم ما هم
 عليه من ترك الفواحش أو فعلها ؛ وليقيم بكل جهة من يعلبه بما يحتاج إلى علمه ،
 ويذكره بما يفتقر أهل البلاد إلى السمع عنه وكتمه ؛ وليحفظ المحارس والأدراك ،
 وليجعل لكل شارد من بطشه أسرع إدراك . وقد رتبنا لولاية الأعمال المذكورة
 ومن فيها من تواب الأمراء والمشايخ بهذه الصورة وأن لا يجهروا مفسدا ولا يشوهوا ،
 ولا يقرضوا حاشاً ولا يتجوهوا ، ولا يستروا غنيا ولا يخبئوا ، ولا يخلوا نازحاً ولا يوطئوه ،
 بل يحضروهم ولا يؤثروهم ، ويمسكوه ولا يتركوه ، ويسلموه ولا يتجوهوا ؛ ومن خالف
 هذا المرسوم ، أو اعتمد غير هذه الرسوم ، فهو لنفسه ظلوم ، وقد ريت منه الذمه ،
 وزالت عنه الحرمة ، وزلت قدمه ، وذهب ماله ودمه ؛ وفيرت مراسمتنا بذلك
 هنالك على منابر الجوامع ، وسمعها كل سامع ، وهم لك على استئال أوامرنا مساعدون ،
 وعلى اجتناب نواهيها معاضدون ، والإصلاح ما استطاعوا مريدون وقاصدون ؛
 فلا تمكن أحدا من العربان ولا من الفلاحين أن يركب قرسا ، فإنما يعدها للخيانة
 محتسبا ، ولا يكون لها مرتبطا ولا محتسبا ؛ وكُن لهم ملأيا مراقبا ، فمن فعل ذلك
 فانتقم منه بما رتبنا معاقبا ؛ ولا تمكنهم من حمل السلاح ولا أبقايعه ، ولا استعارته
 ولا استياديه ، وتفقد من بالأقاليم من تجاره وصناعه ؛ فخذ بالقيمة ما عند التجار ،
 واقس بذلك نفس الفجار ، وأضرم نار العذاب على من أضرم لعمل ذلك النار ؛
 وأمر كل فتيين متعاديتين بالمصالحة ، وأكفف بذلك يد المكافه ، وحلف بعضهم
 لبعض بعد تخليف أكابرهم لنا على السيرة الحميدة والنية الصالحة ، وعندهم في الحنانيات
 بالعدل والمشامحة ، وفي المطالبات بالرفق إن لم تكن مسامحة ، وأحلفهم على محبة
 الحق الأبلج والشرعة الواضحة . وإذا رُفعت إليك شكوى فأزها ، أو سُئلت إقالة

مرة لدى هيئة فاعلمها؛ أو وجب حد فاقه لحينه، أو ارتبت في أمر فتروح حتى تهتدى
ليقينه؛ ولا تمتثل إلا من أجزم جرماً يوجب الاعتقال والحبس، ولا تُسرغ
إلى ما تحشى فيه اللبس؛ وأعمل على براعة النعم، وأجهد أن لا يكون أمرك عليك
ثمناً؛ ولا تُرجح للهوى على خصم خصمه، ولا تظلمه فإن الظلم ظلمات، وخف قمة
الله فهي أعظم نعمة، ولا تأخذك على البريء غلظة ولا قسوة كما لا ينبغي أن تأخذك
في الجريء رافة ولا رحمة؛ والله تعالى يرفع لك بالطاعة رتباً، ويُنهي لك بالخدمة
طلباً، ويبلغ بك في الإصلاح أرباباً، ويرد بك أمر كل مفسد غيياً، ويوضح لك
من الهداية مضيئاً، ويُنزل بك من الخيرات صيياً؛ والخط الشريف أعلاه، حجة
بمقتضاه . إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بناية السلطنة بالوجه القليل أيضاً، من إنشاء الشريف
شهاب الدين، كُتِبَ به «لعل الدين المرادى» وهي :

الحمد لله الذي جعل إقبالنا مُسفر الوجوه، ونوالنا مبلغاً كلاً من الأولياء ما يؤمله
من القرب من أبوابنا الشرفية ويرجوه، وإفضالنا يوقر أقسام النعم لمن وفر دواعيه
على طاعتنا فلا يزال استحقاقه يُعينه ويدعوه، وإجمالنا يُجز وعود التقديم لمن تعددت
خدمته فلا يتجاوزهُ التكرم ولا يحدوه .

نعمته على أن جعل إنامتنا سبب الخزل ويحبوه، ونشكره على أن أقامنا مُحق
الحق فزعمه فيدفع الباطل ويعلوه .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة هي خير ما ينطق به الإنسان
ويُفوه، لا يبرحُ اللسان يكرر إخلاصها ويتلوها؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله

الذى رفع الله بسمته عن هذه الأئمة كل مكروه، وحى بشرعته الدين الحنيف فلا يلم به التبديل ولا يبروه، وأفاض بركاته فى كل وجه ما يؤسح الخيرة ويذكره ويمنع الشر ويذكره؛ صلى الله عليه وعلى آله الذين هم عترته وأقربوه، وصحبه الذين استمعوا قوله وأتبعوه، صلاة لا يزال وافئدا يتبع سبيل الإجابة ويقفوه، ويصل إلى محل القبول ولا يخفوه؛ وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد، فإن الله تعالى لما قرّن آراءنا بالسداد، وأحسن بنا النظر فى صلاح البلاد ومصالح العباد؛ لم نزل نرفع أقدار المخلصين بمزية الاختيار والإرتداد، ونجمعهم فى صعيد الإحسان ونحملهم رتب الإضعاد، ونؤدبهم منهم من له تام أهتمام وشاد اجتهد، ونميزهم من حسن حالاً بالجمع والإفراد .

والولاية على الولاية بالوجه القليل من أهم ما يلمح، وأعم ما يختار له من الحق ينصر ولتلق ينصح؛ إذ بهذا الوجه عيون البلدان، ووجوه العربان، وكراسى الأقاليم الحسان، ومراكز الولايات التى تحمل دائرة السوء بأهل العدوان؛ وإقطاعات الجند والأمراء، وانحواض الشريفة التى على عمارتها إجماع الآراء؛ وعليه تردد التجار، وإليه بالميزة يتبار، ومنه تمتد المنافع فيتعين أن تدفع عنه المضار، وتلقى أموره لمن يتلقى حزمه وعزمه ويختار .

ولما كان فلان هو الذى له ولايات أقتضت تقديمه، وسبقت منه سوابق خدتم أجزلت تكممه، وما زال فى الشام على الهمة حسن الشيمه؛ وطهر البر من كل فاجر، ورأى أن التقوى أريج المتاجر؛ وأصذب للرعية من المقلدة الموارد فصدر من أبوابنا إلى أحمد المصادر - أفضى حسن رأى الشريف أن نجعل له من إقبالنا النصيب الوافر . فذلك رسم بالأمر الشريف - لا يبرح يزيد الأقدار علاء ويظهرها

من تكريمه في أحسن المظاهر - أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالوجه القليل
وجميع نواحيه ، على عادة من تقدمه في ذلك ومستقر قاعدته إلى آخر وقت .

فلتلق هذه الولاية المباركة بقبول حسن ، وليؤفظ جفن سيفه الذي لم يعرف
الوسن ؛ وليتق الله ربه في السر والعلن ، وليحكم بما شرع الله وسن ؛ وليجتهد
في إحماد العواقب وإحماد الفتن ، ليسكن من تردد إليها أو سكن . وليلاحظ هذه
الأقاليم بعزائمه السياره ، وليحافظ على سلوك سيرته السار ، وليستطلع من كل بلد
أخباره ، ويتبع من كل ولي آثاره ، وإن رأى منكراً أزاله ، أو وجد مبطلاً أذاله
أو حقاً أدا له ، وليعظم أحكام الشرع وحكامه ، وليجعل إمامه ليسعى نوره أمامه ،
وليطلعنا بما نتعین فيه المطالعه ، ويراجع أوامرنا فيما تجب فيه المراجعة ؛
وليستجلب لأيماننا الأدعية النافعه ، وليأشرب نفسه الأمور التي هي له راجعه ؛ وليراجع
في القضايا المصلحة الجامعة ، ولتكن حايثه للؤمنين وإقية وفكته للمجرمين وإيقه ؛
وليوسع الرأيا بالمعدلة الواسعه ، ويمنع المحترئين بالأخذة الرأيه والهيبة الرادعه ؛
ولا يمكن أحداً من العربان بجميع الوجه القليل أن يركب فرساً ولا يقنيه ، ويكف
بذلك الأيدي المعتدية فإن المصلحة لمنهم من ركوها مقتضيه ؛ وليقيم الحرمة
والمهابه ، وليقيم قيامه في الخدمة وانتصابه ، وليرهف حد عزمه ويضيه ، ويمرّد
سيف الانتقام على المفسدين ويتضيه ؛ ومن وجده من العربان خالف المرسوم
الشريف من منعه من ركوب الخيل كائناً من كان ضرب عقه ، وأرهقه من
البطش بما أرهقه : ليرتدع به أمثاله ، ولا يتبع لأحد في الشرّ بحالّه .

وقد كتبنا إلى سائر ولاة الأقاليم بمساعدته ، وأمرناهم بمعاونته ومعاوضته ،
وأكدنا عليهم في المبادرة إلى ما يراه من جميع الأمور ، من غير تهاون ولا تقصير .

ولا تُقَرَّبُ؛ حَتَّى لَا تَفُوتَ مَصْلَحَةً عَنْ وَقْتِهَا، وَلَا تَزَالَ جُمُوعُ الْمُتَعِدِّينَ مُعَاجِلَةً بِكِبْكِبِهَا؛ وَقَدْ حَدَرْنَا الْعُرْيَانُ مِنْ مَخَالِفَةِ مَا رُسِمْنَا بِالْتَعَرُّضِ لَهَا يَوْجِبُ هَلَاكَ أَنْفُسِهِمْ، وَقَطَعَ رُءُوسَهُمْ .

وَلْيُقْرَأْ هَذَا الْمَرْسُومُ الشَّرِيفُ عَلَى الْمَنَابرِ بِمَجْمَعِ نَوَاحِي الْوَجْهِ الْقِبْلِيِّ لِيَتَمَثَّلَ مَرَامُهُ، وَيَتَلَقَّى بِالْقَبُولِ قَادِمُهُ، وَلِيَقْفُوا عِنْدَهُ، وَيَقْفُوا رُشْدَهُ، وَيَرْهَبُوا مِنَ الشَّرِّ وَعَيْدِهِ وَيَسْتَنْجِزُوا مِنَ الْخَيْرِ وَعَدَّهُ؛ وَهُوَ - بِحَمْدِ اللَّهِ - مَا بَرِحَ مَهْدَبًا، وَبِأَكْلِ الْآدَابِ مُؤَدَّبًا، وَبِمَا يَفْعَلُهُ إِلَى رِضَا اللَّهِ تَعَالَى وَرِضَانَا مُقَرَّبًا؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُهُ مُخْتَارًا مُجْتَنًى، وَيُوزِعُهُ شُكْرَ مَنَحَتِهِ الَّتِي أَجْزَلَ لَهُ الْجَبَابِ، وَخَصَّ بِهِ هَذَا الْعَمَلَ الْجَلِيلَ فَضَاعَفَ خِصْبَهُ وَأَهْتَرَّ وَرَبًّا، وَيُطْلِعُهُ مَبَارَكًا مَيِّمًا حَيْثُ حَلَّ قِيلَ لَهُ : مَرَحَبًا، وَيَضَعُدُّ بِهِ هَذِهِ الرِّبَّةَ وَيَسِّبُهُ تَوْفِيقًا مُسْتَضْحَبًا، وَيَهْدِيهِ بِهِ الطَّرِيقَ لِلْسَّالِكِينَ حَتَّى يَتَلَوَّعَ عَلَيْهِ لِسَانُ التَّائِمِينَ : (قَتِيبُوا صَعِيدًا طَيِّبًا) ؛ وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ، حُجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقليد شريف بنيابته أيضا ، من إنشاء المَقَرَّ الشهابيِّ بن فضل الله، وهي :

الْحَمْدُ لِلَّهِ مَطْلِقُ التَّصَرُّفِ فِيمَا كَانَ مُمْنُومًا، وَمُنْطَقُ الْمَتَصَرِّفِ لِيَكُونَ قَوْلُهُ الصَّوَابُ مَسْمُومًا، وَمَوْسَعُ نَاطِقِ الْمَتَصَرِّفِ فِي جَمِيعِ مَا تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ لَهُ مُجْمُوعًا .

نَحْمَدُهُ حَمْدًا يَنْدُبُ يَتَّبِعُوا، وَيُنْهَتْ بِزَيْدِ الشُّكْرِ زُرُوعًا، وَيُدْرُزُ رُوعًا، وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تَنْفَرَعُ فُرُوعًا، وَتَسْكُنُ جُمُوعًا وَتَسْكُنُ جُمُوعًا، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي أَقْوَى لِأَهْلِ الطُّغْيَانِ رُبُوعًا، وَأَجْرَى

لعيون الرِّدِّ عليهم دُمُوعاً ؛ وأغرى القيسى بالحنين إليهم ورُوعاً ، وأسقط طلي
لباتهم طيور السَّهام وقُوعاً ؛ ومهد البلاد بقتلاهم قَامَنَ مَنْ خاف وأطعم مَنْ تَسَكَّى
جُوعاً ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تَمُّ دَرَعُ الفجر بشفقها المخلِّق صُدُوعاً ؛
وسلم تسلياً كثيراً .

وبعد ، فإنه لا يستقيم نجاح الأمور ، ويُستدام صلاحُ الجمهور ، إلا بتفقد أحوال
وَلَّاتِهِمْ ، وتمهّد سلوك الرعايا مع رُعاتِهِمْ ؛ وردُّ مجموع كلِّ عمل إلى مَنْ لا يَبِيتُ طَرَفُهُ
في مصالحهم معلوماً من الوَسْنِ ، ولا يَقْرُلُهُ في التنقل في مُهمَّاتِهِمْ جَوَادٌّ في رَسَنِ ؛
ولا تَهْدَأُ سِيوفُهُ في الانغماد ما بَرَقَتْ بَارِقَةُ قَتَنِ ، ولا يَشْرَبُ الماءُ إلا مَمْزُوجاً بِدِيمِ
ولا يَبِيتُ [إلا] على دِمَنِ ؛ وكانت الديارُ المصريةُ المحروسةُ أحوَجَ شَيْءٍ إلى هذا
الموصُوفِ ، وأكثرَ اضطراباً إلى ما تُشَامُ لَهُ في صلاحِ رعاياها لواضعُ سِوْفٍ ؛ والوجهُ
القبليُّ بها هو الجامعُ ما يَزِيدُ عَنِ السَّبْعَةِ الْأَقَالِيمِ ، الحائِزُ مِنْ أَهْلِ الحَضَرِ والبَادِيَةِ
لكلِّ ظاعِنٍ ومُقيمٍ ؛ قد أَمْتَدَّ حَتَّى كَادَ لَا يَتَبَيَّأُ إِلَى آخِرِ ، وَلَا يَلْتَهِي بِمَا يَكْنُفُهُ مِنْ بَرٍّ
مُفْغِرٍ وبَحْرِ زَانِحٍ ؛ قد جَاوَرَ بِالْأَوْدِيَةِ الْعَمِيقَةِ الحَوْتَ في الماءِ وجَاوَرَهُ في السماءِ بَرْفَعَةُ
الْجِبَالِ ، وتَطَاوَلَ حَتَّى اتَّصَلَ طَرَفَاهُ الْغَنُوبِيُّ بِالْغَنُوبِ وَالشَّامِيُّ بِالشَّامِ ، وَحَوَتْ
بَحَارِيَهُ مِنَ النِّيلِ الْمُبَارَكِ [مَا] مَدَّ الرِّزْقُ المَتَدَّ ، وَأَمَدَّ المَدَّ المَبِيعُ عَلَى عَنَبَةٍ تَرَاهَا
المُسَوَّدُ ؛ وهو الوجهُ الذي تُعْرَفُ فِي كَوْتَرِ نَيْلِهِ نَضْرَةُ النِّعَمِ ، وَيَهْتَرُ حُسْنًا مِنْ أَوَّلِ
قَطْرَةٍ تَقَعُ مِنْ مَرَاهِ الْجَمِيلِ عَلَى وَسِمٍ ؛ قد حَالَ فِيهِ الماءُ مَجْراً كَأَنَّمَا يَشْرَبُ نَدَى وَرَدِ
الْخُلُودِ ، وَحَلَا كَأَنَّمَا ضُرِبَ الضَّرْبُ فِي لَمَى رِيقِهِ المَوْرُودِ ؛ وَكَانَ لَا يَنْهَضُ بِأَعْيَانِهِ ،
وَيُرَدُّ بِالْفَيْظِ مَتَقَرِّحَةً عَيُونَ رُقْبَانِهِ ، وَيَمْنَعُ كُلَّ مَفْسَرٍ مُنْصَرِّحاً بِأَن يَتَهَبَّ وَذَيْلُ
خَبَائِهِ ؛ إِلَّا مَنْ تَهَمَّسَتْ لَهُ دُرْبٌ يَتَعَلَّمُ فِي جَلِيلِ الخُطُوبِ مِنْ مَضَائِمِ السَّيْفِ

المُدْرَب، وَيَقْتَدِي فِي دَقِيقِ التَّلَطُّفِ بِسِيَاسَتِهَا الْقَلَمَ الْمَجْرِبَ ؛ وَكَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي تَهَادَى كِفَايَتُهُ الْأَعْمَالُ ، وَيَتَعَادَى نَفْعُهُ وَالسُّحْبُ فَلَا يُدْرَى لِمَنِ مِنْهُمَا التَّرْوَى وَلِمَنِ الْإِرْتِمَالُ ؛ وَقَدْ وَلَّى الْأَعْمَالُ الْبَهَنَسَاوِيَّةَ وَهِيَ فِي هَذَا الْوَجْهِ الْجَمِيلِ أَهْبَجُ صُورِهِ ، وَأَهْبَى فِيمَا تَكَثَّرَ مِنْهَا فِعْلُهُ الْمَشْهُورِ ؛ فَاضْحَى الْمَغْلُ فِي بَيَادِرِهِ يَتَبَادَرُ ، وَالْإِقْبَالُ يَتَكَثَّرُ إِقْبَالُهُ وَالْمَحَلُّ يَتَنَازَرُ ، وَمُزْدَرَعَاتُهَا تُعَرِّفُ سِمَاهَا فِي وَجُوهِهَا مِنْ أَثَرِ سُجُودِ اللَّيْلِ كَرَزَعٍ أَنْخَرَجَ شَطَاهُ فَاسْتَنَازَرَهُ فَاغْتَضَى حَسَنُ رَأْيِنَا الشَّرِيفُ أَنْ نُطْلِقَ تَصْرُفَهُ فِيمَا جَاوَرَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَأَنْ تَشْغَلَ لَهُ يَمِينًا بِالْيَمِينِ وَشِمَالًا بِالشِّمَالِ .

نُفْرِجُ الْأَمْرَ الشَّرِيفُ الْعَالِي - لَا زَالَ يُؤَيِّدُ عِزَّ الدِّينِ طُهُورًا ، وَيُثِمُّ لَهُ فِي أَعْمَالِهِ نُورًا - أَنْ يَكُونَ فُلَانٌ كَاشِفًا وَوَالِي الْوَلَاةِ بِالْوَجْهِ الْقَبِيلِ بِأَجْمَعِهِ : مَعْطَلُهُ وَمُزْدَرَعُهُ ؛ وَبَرَّةً وَبَحْرَهُ ، وَعَامِرِهِ وَقَفْرَهُ ؛ وَأَهْلَ حَضْرَتِهِ وَبَادِيَتِهِ ، وَأَصْحَابَ زَرْعِهِ وَمَاشِيَتِهِ ؛ عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَقَاعِدَتِهِ فِي ذَلِكَ ، لِأَمْنِ الْمَقِيمِ وَالسَّائِكِ ؛ وَيَجْمَعُ عَلَى الطَّاعَةِ مَنْ قَبْلَهُ هُنَاكَ . وَيَنْتَظِمُ عَقْدُ عَقَائِدِهِمُ الْمُتَهَالِكِ ؛ وَيَقْوَى اللَّهُ أَجْرُهُ ، وَالشَّرِيعُ الشَّرِيفُ يَكُونُ نَهْيَهُ وَأَمْرُهُ ؛ وَالْحُكَّامُ وَالْأَحْكَامُ هُمَا مَا هُمَا فَلْيَحْفَظْ زِمَامَهُمَا ، وَلْيَنْقُدْ إِلَى الْأَغْرَاضِ سِهَامَهُمَا ؛ وَلْيُوَصِّلِ اخْتِقَاقًا إِلَى أَرْبَابِهَا ، وَيَسْهِّلِ الْمَطَالِبَ عَلَى طُلَّابِهَا ؛ وَلْيُنِصِفْ إِنْصَافًا لَا يُسْتَكْنَى مَعَهُ حَيْفٌ ، وَلْيُقِيمِ الْمَهَابَةَ حَتَّى لَا يَقْدِرَ عَلَى التَّعَدَّى طَارِقُ طَيْفٍ ؛ وَلْيَجَرِّدْ عِزَّتَهُ فَإِنَّ مِنَ الْعِزَامِ مَا هُوَ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ ، وَلْيُحْسِنِ قِرَى النَّيْلِ الْقَادِمِ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ فَإِنَّهُ ضَيْفٌ .

فَعَلَيْكَ بِمَا نَأْمُرُكَ بِهِ مِنْ تَعْيِثَةِ صُفُوفِ الْجُسُوفِ لِأَمْدَادِهِ ، وَالْإِسْتِعْدَادِ لِمَجَرِّ عَوَالِي صَوَارِيهِ وَتَجَرُّي جِيَادِهِ ؛ وَتَقَدُّدِ قَبْلِ قُدُومِهِ طَرِيقَهُ ، وَأَتْرُكُ عَنْ رَى الْبِلَادِ تَعْوِيقَهُ ؛ وَأَقِيمِ الْجُسُورَ ، فَهِيَ قِيَامُ الْجُسُورِ ؛ وَأَخْجِرِ التَّرَاعَ فَإِنَّهَا تُرَاعَى ، وَأَسْفِرْ لَهُ

(١) لم نمر على هذا الجمع في كتب اللغة وإنما التمرة ككثرة أفرادها وجمعا .

عن مرئیس قُرأها المجلوة وجوها كلها قسن له اصبعاً يقيس ذراعاً ؛ وأقطع بإيصال
حق كل ناحية إليها من الماء منازعة الخصبوم ، وتبينهم أن الماء قسمة بينهم لكل منهم
شرب يوم معلوم ؛ ولا تدع [به أحداً] من أهل المقدس ، ومن جرت لهم بسوايق الفتن
عوائد ؛ ومن يتعزز برّب جاه ، ومن لا يكون له إلى حماية أنجاه ؛ ومن نرج بوجهه
للشر مصرحاً ، أو لباب عقاب مستفتحاً ؛ أو وقف على درب أو قطع طريق ،
أو توعد أهل رفاق أو أهل فريق ؛ أو أقدم على ضرر أحد في نفس أو مال ،
أو خبيت له عاقبة في بداية أو مال ؛ أو نزل في بلد أمير ليتغطى بجناحه ، أو ترائى
إلى عضبة يحمل منهم حد سلاحه ؛ فسل عليهم سيفك الماضي ، وأحسن إلى الناس
إذا خشيت أن تسيء إليهم التفاضى ؛ ومن أمسكته منهم فأمض حكم الله فيهم ،
وأقيم الحدود على متعتهم ؛ وطهر الأرض بماء السيوف من أنجاسهم ، وعلق منهم
أناساً بجبل الوريد إلى مدارج أنفاسهم ؛ وأصلب منهم على الجدوع من تناوح الرياح
بسعفهم ، وأوثق منهم بالسلاسل والأغلال من لا تقضى جرائمهم بإيصالهم في المقابلة
إلى حد تلقهم . وأكرم قدوم من يرد عليك من الكارم ، وقرر بحسن تلقيك أنك
أول ما قدمناه لهم من المكّارم ؛ فهم شمر كل نادى ، ورفاق كل ملاح وحادى ؛
ولا بد أن يتحدث السمار ، وتداول بينهم الأثمار ؛ فاجعل شكرنا دأب السليم ،
ومننا حلية أعناقهم ، ومننا سبباً لاستجلاب رفاقهم ؛ فهم من مواد الإرفاق ،
وجواد ما يحمل من طرف الآفاق ؛ وقد بقي من بقايا أهل العفايد الفاسده ، والمعاقيد
البائده ، من يتعين إبعاد قائمهم ، واليقظ لميقظهم والنوم عن نائمهم . ونحن ننبهك
على هذه الدقائق ، ونوقفك على أطرافها ولك رأيك إذا حقت الحقائق ، وطالع
أبوأبنا العالية بما أشكل عليك ، ننتزل أنوار هدايتنا أقرب من رجع قميصك إليك ؛

واقدر حق هذه النعمة فإتنا أوليتك منها ما لا يضاهى، ووليتك من بلادنا قبلة
 رضاه، وتوليتك حيث وجهت وجهك شطر المسجد الحرام، ونوعت لك أرواح
 الحجاز وأنت في مصر ذريقها العاتم؛ والله تعالى يديم منك سيفاً يروح مهزه، ويؤيد
 بك الدين فإنه بك يقوم جاحه ويدوم عزه؛ والاعتد على الخط الشريف أعلاه.
 إن شاء الله تعالى .

الوجه الثانى

(من وجهى الديار المصرية البحرى ، وهو الشمالى)

وكانوا في الزمن القديم يخصونه باسم الرّيف ، مثل اختصاص الوجه القبلى بالصعيد .
 وأرباب الولايات فيه على ضربين :^(١)

الضرب الأول

(أرباب السيوف)

وتختص الكتابه منهم الآن عن الأبواب السلطانية بنائب السلطنة بالوجه
 البحرى ، ومقره مدينة دمنهور من البحيرة . وكان في الزمن المتقدم يكتفى في البحيرة
 بوالها ، وكذلك في كل من سائر الأعمال بالوجه البحرى ، وفوق الكل ولاية عامة ،
 يعبر عن صاحبها بوالى الولاية ، وربما [زيد] بالوجه البحرى ، وربما عبر عنه
 بالكاشف . ثم استقرت نيابة في رتبة تقديمه السكر بقرّة في أيام الظاهر برقوق ،
 على ما تقدم ذكره في المسالك والممالك في المقالة الثانية .

وهذه نسخة تقليد تصلح لنائب الوجه البحرى ، مما كان كتب به المقر الشهابى
 ابن فضل الله لوالى الولاية بها ، وهى :

الحمد لله الذى أقام بنا كاشفاً لكل شكوى ، كاسفاً بآل كل عدوى ، عارفاً بنباية كل دعوى ، عاطفاً بعدلنا إلى إزاحة كل لأوى ، وإزالة كل بلوى .

نحمده وهو أهل الحمد والتقوى ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نأمن بها الدانية والقضوى ، ونؤمن بها على السر والنجوى ، ونشهد أن هذا عبده ورسوله أشرف من مهد له جنة المأوى ، وأشرف به على شرف المئوى ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين فطم بشريعته نفوسهم عما تهوى ، وفطر فطنهم عليها حتى لا يضل ولا تغوى ، صلاة تروى بفائضها السحب ما تروى ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد فإن من سبحاً يا أيما أن نكشف كل كرب ، ونحسن إلى رعايا بلادنا إحساناً ينقذ في كل ضرب ، ونديم الأمن حتى لا تدع سوى النيل قاطع طريق أو خارجاً على درب ، ونجرد من المهابة سيقاً يخشى من قرب ، وطيفاً يبيت به طير الكرام تملاً على جنبه ، وخوفاً لبابه من الخصائص الحمدية أنه يتقدم إلى قلوب الأعداء مسيرة شهر [جيش] رعيه ، وكانت الديار المصرية المحروسة هي التي لا يمد سواها ذو وجهين ، ولا يوجد لها في جانبها مائل في شينين ، والوجه البحرى أوسعهما عرضاً ، وأقربهما من الرى أرضاً ، وأصدقهما للبارق المحمر ومضاً ، وأجمعهما للذهب مذهب ، وللفضة إفضاً ، وأثبتهما وطاة لجرى النيل إذا أقبل في تياره يتداعى وأشدت خيله ركضاً ، وهو الوجه المتهلل بشراً ، المتضوع بطيب رياحه كشراً ، المترين بمدائه أكثر مما زينه في مقاصيره قيصرو في مدائه كسرى ، المتثنى بعروس كل قرية زف بها النيل في مسرى ، وبه الثغور التي لا تشام لها بروق ، والمحارس التي ما لعادية إليها طروق ؛ وله من البحرين حارزان ، ومن الجسائير بر مقفر وريف مقمر متبارزان ؛ وفيه من الشعوب والقبايل فى الحضر والبادية من

لا يؤمن منه بآثره، ولا يُحمد بغير ما يُراق من دَمٍ مُفسِدِهِم نائره . وكان لا يقوم بها^(١) كل القيام، ويجمع فرائدها المشدرة في أكل نظام؛ إلا من تقلبت الأمور بقلبه كل التقلب، وجردت الثوب عزمه في النواصب بفردت سيفاً يُحمد في التجريب؛ ولم يزل منذ بلغ الحلم أميراً مطاعاً، ومنشئاً لا يفرق في المهمات إذا طارت نفوس الأنظار شعاعاً، وأوقدت الأسيئة سواعاً، ومُمنّماً لو أومض البرق ساعة يؤسه لأرعدت فرائضه زماً لا إزماً، أو قابله الرّيح المعتدل عند أحكامه لأطبقت الأئم على أنه لا يماثله في العدل قطعاً وأجمعت على تفريده إجماعاً .

وكان فلان هو العليّ ههما، الجزل مداومة الجزيل ديمًا، المثل بما لا يقدر على مثل دفعه البحر متدفقا وهما الغمام منسججا، وقد حصدنا له في كل ما باشره أثرا، وأئمننا بحمائل ملاحظته كل برضا، فباشر الوجه القبلى فلا عين الناظر المتوسم، وعم سروره حتى غاصره جأره الوجه البحرى بيتانيه الخفص وضاحكه بتغره المتبسّم، فلما تنقل فيهما استقوار (؟) الوجهين وما وآلهما، وعُرف في وجهه نضرة النعم بما أولاهما، وأخصب جانباهما، وجدّ بهذا كله ثم جدّ بهذا فطاب الواديان كلاًهما، فأقتضى حسن الرأى الشريف أن لا يخلو الوجهان معاً من نظره الحلى الجميل، وأن يملؤ عليه محاسنهما الكاملة ليُقارَق على وجه جميل ويواصل على وجه جميل .

نفرج الأمر الشريف - لازال يختار علياً، ويختال كل غمام يرتضى له ولياً - أن يكون والى الولاية بالوجه البحرى جميعه، متفرداً بأفراده ومجموعه، ومحكاً في قبائله ومجموعه؛ وبعبده وقريبه، وبديعه وغريبه؛ وكل ما هو داخل فيه، عائد إلى أعماله وراجع إلى متوليه، على تادة من تقدم وقاعدته فيما يليه؛ وهى ما يدكر من الأعمال:

(١) لم يتقدم ما يعود اليه الضمير وان كان النرض واضحاً .

(٢) خوفاً ودهشاً .

الغربية ، الشرقية ، البخرية ، المنوية ، إيسار ، أشمون ، قلوب . ولا أتم
ولا نهي إلا إليه راجع ، وله في متجددات الأمور مراجع ، ولا أرباب تصريف
إلا وله عليهم تصرف ، ولا صاحب جد ولا حد إلا فيه يمشى ويتوقف ؛ وهوى
الله تعالى أول ما نوصيه بسببها ، ونوصله إلى رتبها ؛ وإقامة الشرع الشريف وإدامة
مبارزه وإعلاء مناره ، ومعاضدة حكمه وحكامه وأعوانه وأنصاره ؛ والوقوف معه
في إيراده وإصداره ، وإعلانه وإسراره ، والعمل به فإنه ما يضل من مشى في ضوه
نهاره ؛ وعمارة البلاد ، بادامة العدل وتكميل الرى وتوطيد السكّان وقمع الفساد ؛
وأعتقاد حكم التذاكر الشريفة لأمر الجرافيف التي تعمل ، والتّرع التي ترعى ؛ والجسور
التي لا يقدّم جسور على أنها تهمل ؛ فهما قانون الرى الكامل ، والضامن لحصص البذر
السائل ؛ وإذا أجرى الله النيل على عاداته الجليلة لا يدع للعل عينا حتى يوارى
بالرى سوءته ، ويخفف بتيسر وصول حق كل مكان إليه وطّانه ؛ ولا يدع غالبا
إلا مستغلا ، ولا معطلا إلا معتملا ؛ ولا طوق بجر إلا تمتد يد النيل إلى زرّجيو به ،
ولا طائف رمل إلا يطوف طائف شرب على جرّعائه وكثيبه ، حتى يعم الجميع ،
ويعمر ربوعها بما ينسجها لها من ملابس حلل الربيع . وعليه بالإنصاف بين
المساكين ، والإنصاف إلى الباكين منهم والمتباكين ؛ ووصل أمورهم على الحق
الذى نشر الله في أيامنا الزاهرة علمه ، ومقتضى الشرع الشريف فإنه ما خاب من
أدام عليه حكمه وأدار إليه عمله . وأما أهل الفساد والاشتباه ، ومن يحنى
بصاحب شوكة أو يمتك برّب جاه ؛ أو يزل بلد أمير كبير مستظلا بذّاه ، أو ملتجئا
من خوف أو مستظليا من قرى قرّاه ؛ بجميع هؤلاء نتبع فرقهم ورفاقهم ، وطهر
الأرض منهم وأسح بالسيوف أعناقهم ؛ وأسمم في قتلاهم ، وأقلل بالقيود أسرارهم ،

وشدد وثاقهم وكذلك من حاتم ووالاهم ؛ أو استحسَن أو من عليهم أو مانع عنهم ،
أو قال ما هو منهم وهو منهم ، وكل أجبرهم في الحكم مجبرهم ، وأطل تحت أطباق
النرى توأم ، وثبَّ منهم أناساً على رؤوس الجدوع وأثم آخرين نومة لا يتيهون بها من
كرهم ، حتى يتأدب بهم كل من أعرض ، ويتداوى بمداواته كل من قلبه مَرَض .
وما أشكل عليك فاسترشد فيه بمطالعة أبوابنا الشريفة : لتجد هدى واضحاً ، وحقاً
لائحاً ؛ والله تعالى يعملك من المهدين لأرضه ، القائمين في أنواع الجهاد بقرضه ؛
والاعتماد على الخط الشريف أعلاه .

الجهة الثالثة

(درب الحجاز الشريف)

وقد تقدّم أنه كان في الزمن المتقدم يُكتب عن السلطان تقليدٌ لأمير الرُكَب
في الدولة الفاطمية وما تلاها . أما الآن فقد ترك ذلك ورُفِض كما رُفِض غيره من
الكتابة لأرباب السُيوف بالحضرة السلطانية ، ولم يبق الآن من يكتب له من
ديوان الإنشاء شيءٌ سوى قاضي الرُكَب . وقد جرت العادة أن يكتب له توقيعٌ
في قطع العادة مفتحة بـ «رسم» .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، كُتِب به للشيخ «تقي الدين السبكي» رحمه الله
في مبدأ أمره ، وهى :

رسم بالأمر الشريف - لا زال يُعين على البر والتقوى ، ويرتاد لو قد الله من
يتم له في شؤره الأحكام الشرعية بينهم بالسبل الأقوم والسبب الأقوى - أن يستقر
فلان في كذا : لما أحسن به من غزارة علومه ، وإفاضة فضائله المستزعة إلى قوته

في الحق وتصميمه ؛ فإن مثله من يُختار لهذه الوظيفة الجارية بين وفد الله الذين هم أحقُّ براءة الذّم ، وأولى بمعرفة حكم الله تعالى فيما يجبُ على المتلبّس بالإحرام والداخل إلى الحرم ، وأخوَجُ إلى الاطلاع على جزاء الصيد فيما جزأ المتعزّض إليه مثل ماقتل من النعم ؛ إلى غير ذلك من ثبوت الأهلّة التي ترتبُ أحكام الحجّ عليها ، والحكم في محظورات الإحرام وما يجبُ على المتعزّض إليها ؛ فليأشِر هذه الوظيفة في الوقت المشار إليه على عادة من تقدّمه فيها ، مجتهداً في قواعدها التي هو أولى من نهض بها وأحقُّ من يُوفّيها .

قلت : أما شهود السبيل المعبر عنهم بشهود المحمل ، فإنما تكتب لهم مربعات شريفةً من ديوان الوزارة .

تم الجزء الحادى عشر . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الثانى عشر

وأوله القسم الثانى

(مما يُكتب من الولايات عن الأبواب السلطانية - أربابُ

الوظائف بالممالك الشامية)

والحمد لله ربّ العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وآله وصحبه والتابعين ، وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل

فهرس

الجزء الحادى عشر

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندى

منفعة

- الفصل الثانى — من الباب الرابع من المقالة الخامسة فيما يكتب من
الولايات عن الملوك، وفيه ثلاثة أطراف ... ٥
- الطرف الأول — فى مصطلح كتاب الشرق ... ٥
- الطرف الثانى — فى مصطلح كتاب الغرب والأندلس فيما يكتب من
الولايات عن الملوك، وفيه ثلاثة أضرب ... ٦
- الضرب الأول — ما يكتب لأرباب الوظائف من أصحاب السيوف ... ٦
- الضرب الثانى — ما يكتب لأرباب الوظائف الدينية من أصحاب الأقلام ٢١
- الضرب الثالث — ما يكتب لأرباب الوظائف الديوانية ... ٢٦
- الطرف الثالث — فى مصطلح كتاب الديار المصرية فيما قبل الخلفاء
الفاطميين وفيما بعدهم ... ٢٨
- الحالة الأولى — ما كان عليه أمر قواب الخلفاء بهذه المملكة إلى ابتداء
الدولة الطولونية ... ٢٨
- الحالة الثانية — ما كان عليه أمر الدولة الطولونية من حين قيام دولتهم
إلى اقراض الدولة الأخشيدية ... ٢٩
- الحالة الثالثة — ما كان عليه الأمر فى زمن بنى أيوب ... ٣٢
- الحالة الرابعة — مما يكتب عن ملوك الديار المصرية من الولايات
ما عليه مصطلح كتاب الزمان بديوان الإنشاء بالديار
المصرية مما يكتب عن السلطان لأرباب السيوف
والأقلام وغيرهم : من التقاليد والمراسيم ، والتفاويض ،
والتواقيع ، وفيه ثلاثة مقاصد ... ٧٢

صفحة

- المقصود الأول — فى مقدمات هذه الولايات، وفيه ميمان ... ٧٢
- المهيع الأول — فى بيان رجوع هذه الولايات الى الطريق الشرعى ٧٢
- المهيع الثانى — فيما يجب على الكاتب مراعاته فى كتابة هذه الولايات ٧٤
- المقصود الثانى — فى بيان مقاصد ما يكتب فى الولايات، وفيه جتان ١٠١
- الجملة الأولى — فى بيان الرسوم فى ذلك [ولم يذكر فى الأصل غيرها]،
ومى على أربعة أنواع..... ١٠١
- النوع الأول — التقاليد..... ١٠١
- النوع الثانى — المراسيم، وفيه ضربان ١٠٧
- الضرب الأول — المراسيم المكبرة ١٠٧
- الضرب الثانى — المراسيم المصغرة ١١١
- النوع الثالث — التفاوض ١١٢
- النوع الرابع — التواقيع، ومى على أربع طبقات ١١٤
- المقصود الثالث — فى بيان كيفية وضع ما يكتب فى هذه الولايات فى الورق ١٢٧
- فى ذكر نسخ مما يكتب فى متن الولايات من التقاليد والمراسيم المكبرة
- والتفاوض والتواقيع، ومى على ثلاثة أقسام ١٣٣
- القسم الأول — ولايات وظائف الديار المصرية، ومى على نوعين..... ١٣٤
- النوع الأول — الولايات بالحضرة، ومى على ستة أضرب ١٣٤
- الضرب الأول — ولايات أرباب السيوف، ومى على طبقتين..... ١٣٤
- الطبقة الأولى — ذوات التقاليد، ومى ثلاث وظائف ١٣٤

صفحة

الوظيفة الأولى — الكفالة، وهي نيابة السلطنة بالحضرة ... ١٣٤

الوظيفة الثانية — الوزارة لصاحب سيف ... ١٤٨

الوظيفة الثالثة — الإشارة، وهي وظيفة قد حدثت كتابتها ولم يمهدها

كتابة في الزمن القديم ... ١٥٣

العابقة الثانية — ممن يكتب له من أرباب السيوف ذوات التواقيع،

وفيا وظائف ... ١٥٦

الوظيفة الأولى — نظر البيارستان لصاحب سيف ... ١٥٦

الوظيفة الثانية — نظر الجامع الطولوني ... ١٥٩

الوظيفة الثالثة — نقابة الأشراف ... ١٦٢

الضرب الثاني — ممن يكتب له بالولايات بالديار المصرية أرباب

الوظائف الدينية، ومو على طبقتين ... ١٧٤

الطبقة الأولى — أصحاب التقاليد ممن يكتب له بالجناب العالي ... ١٧٤

الطبقة الثانية — من أرباب الوظائف الدينية أصحاب التواقيع،

وتشمل على مراتب ... ٢٠٤

المرتبة الأولى — ما كان يكتب في النصف ... ٢٠٤

المرتبة الثانية — ما يكتب في قطع الثلث، وتشمل على وظائف ... ٢٠٤

المرتبة الثالثة — من الوظائف الدينية ما يكتب في قطع العادة الصغير

مفتتحاً برسم بالأمر الشريف ... ٢٦٨

صفحة	
الضرب الثالث — من الولايات بالحضرة السلطانية بالديار المصرية	
الوظائف الديوانية، وهى على طبقتين	٢٧٠
الطبقة الأولى — أرباب التقاليد ممن يكتب له الجناح العالى،	
وفيا وظيفتان	٢٧٠
الطبقة الثانية — من أرباب الوظائف الديوانية بالحضرة السلطانية	
أصحاب التواقيع، وهم على ثلاث درجات	٣١٦
الدرجة الأولى — ما يكتب فى قطع النصف، وتشتمل على ثلاث وظائف	٣١٦
الدرجة الثانية — ما يكتب فى قطع الثلث، وتشتمل على وظائف	٣٣٣
الدرجة الثالثة — ما يكتب فى قطع العادة، وفيا وظائف	٣٥١
الضرب الرابع — من الوظائف التى يكتب فيها بالديار المصرية مشيخة	
الخطوات، وكلها يكتب بها تواقيع	٣٧٠
الضرب الخامس — من أرباب الوظائف بالديار المصرية بالحضرة	
أرباب الوظائف العادية، وكلها تواقيع	٣٧٧
الضرب السادس — من أرباب الوظائف بالديار المصرية زعماء أهل	
الذمة	٣٨٥
النوع الثانى — ما هو خارج عن حاضرتى مصر والقاهرة من وظائف	
الديار المصرية مما يكتب لأربابها، وهى ثلاث	
جهات	٤٠٥

صفحة

الجهة الأولى — ثغر الإسكندرية ، الوظائف فيها على ثلاثة أصناف ... ٤٠٥

الصف الأول — وظائف أرباب السيوف ... ٤٠٥

الصف الثاني — الوظائف الدينية ... ٤٠٨

الصف الثالث — الوظائف الديوانية ، وهي على طبقتين ... ٤١٩

الطبقة الأولى — من يكتب له في قطع الثلث بالمجلس السامي بإلياء ٤١٩

الطبقة الثانية — من يكتب له في قطع الثلث بالمجلس السامي بغير إياء

أو مجلس القاضي ... ٤٢٣

الجهة الثانية — مما هو خارج عن حاضرتي مصر والقاهرة بالديار


المصرية بلاد الريف ، وهي مدينتان ... ٤٢٦

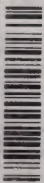
الوجه الأول — الوجه القبلي ، وهو المعبر عنه بالصعيد ... ٤٢٦

الوجه الثاني — من وجهي الديار المصرية البحرية ، وهو الشمالى ... ٤٣٨

الجهة الثالثة — درب الحجاز الشريف ... ٤٤٢

(تم فهرس الجزء الحادى عشر من كتاب صبيح الأعشى)

 Bibliotheca Alexandrina



0742656